



وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : عبدالله بن محمد بن يحيى شيخ خادم كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : العقيدة
عنوان الأطروحة : ((الشيخ حمود بن عبدالله التويجري وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد
فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه — والتي تمت مناقشتها بتاريخ
١٤٢٣/٢/٢٣هـ — بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة
توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه... والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف :	المناقش الداخلي :	المناقش الداخلي :
الاسم: أ.د / محمد عمر بن محمد حسن	الاسم : أ.د / علي بن نفيح العلياني	الاسم : أ.د / أحمد بن سعد الغامدي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

رئيس قسم العقيدة

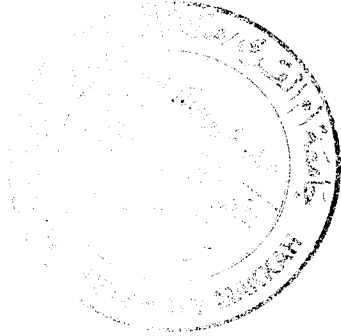
الاسم : عبدالعزيز بن أحمد الحميدي
التوقيع :



٣٠١٠٢٠٠٠٠٤٢٠٤

٣٠١٠٢٠٠٠٠٤٢٠٤

٣٠١٠٢٠٠٠٠٤٢٠٤



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الشيخ حمود بن عبدالله التويجري وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد

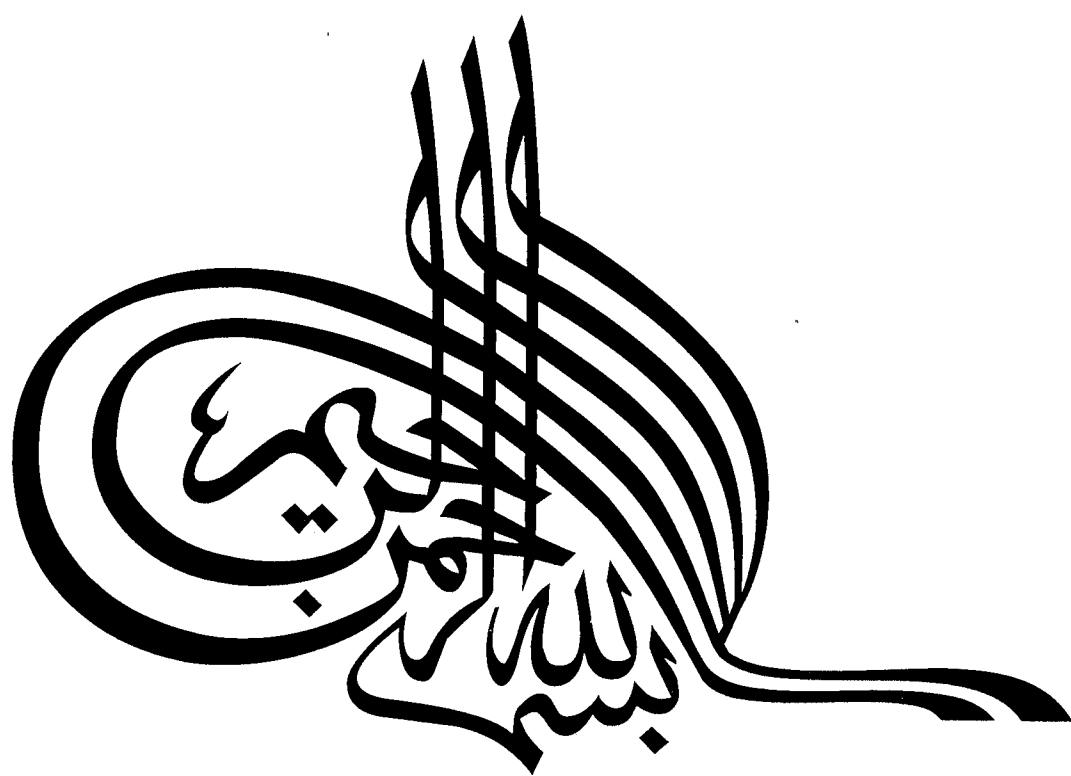
الطالب : عبدالله بن محمد بن يحيى شيخ خادم

إشراف

فضيلة الشيخ الدكتور: محمد عمر بن محمد حسن

العام الدراسي

١٤٢٢ — ١٤٢٣ هـ



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان وبعد

فهذه رسالة علمية بعنوان (الشيخ حمود بن عبدالله التويجري وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف) مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة بجامعة أم القرى . وهي عبارة عن مقدمة اشتملت على بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث والخطة التي سار عليها الباحث . ثم الرسالة وهي عبارة عن

باين : الباب الأول : في الحديث عن حياة الشيخ وسيرته العلمية . يليه الباب الثاني : وهو بيان جهود الشيخ في الدفاع عن عقيدة السلف ويشمل أربعة فصول : الفصل الأول : دفاعه عن مصادر العقيدة ويليها الفصل الثاني : منهجه في تقرير عقيدة السلف الصالح ، ثم الفصل الثالث : تقريره لعقيدة السلف وفيه المسائل العقدية التي تناولها الشيخ — يرحمه الله — وهي مسائل تتعلق بحقيقة الإسلام والإيمان وما يتصل بهما ، ثم الإيمان بالله عز وجل ومطالبه : التوحيد بأقسامه الثلاثة ، ثم الإيمان بالملائكة والجن ، والإيمان بالنبوات والأنبياء ، والإيمان باليوم الآخر ، والإيمان بالقضاء والقدر وخلق أفعال العباد . والفصل الرابع : في بيان موقف الشيخ من بعض البدع السائدة في عصره : بدعة المولد النبوي ، وبدعة البناء على القبور ، وما يتعلق بجماعة التبليغ ، ويلي ذلك كله الخاتمة وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات ، ومنها : وسطية أهل السنة والجماعة بين سائر الطوائف ، وهم يتكلمون في الخلق بعلم وعدل وإنصاف ، ومن هنا كانت أهمية نشر هذا المنهج وهو منهج اتباع الكتاب والسنة بفهم خير القرون ، وبيان حقيقته للناس دعوة لهم لاتباع هذا المنهج ، ورداً على محاولات تشويه صورة هذا المنهج . ومن النتائج أن الشيخ حمود — يرحمه الله — صاحب هذه الدراسة كان سلفياً في سائر تعاملاته فهو قد فهم السلفية بمعناها الشمولي وأنها تطبيق لمنهج السلف في سائر أمور الحياة ؛ ولذا نجده سلفياً في طلبه العلم ، سلفياً في تأليفه وتدوينه ، سلفياً في تعامله مع المخالفين ، كما أنه سلفي في حمله لهم الأمة وتفاعله مع قضاياها ، وأخيراً فإن للشيخ يرحمه الله جهود حديثة كبيرة تستغرق رسالة علمية وهي بحاجة إلى خدمة وإبراز لطلبة العلم ، كما أن الكثير من مؤلفات الشيخ طبعات قديمة تحتاج إلى إعادة طباعة لنفادها ، كما أنها تحتاج إلى عناية علمية بها من ناحية تحقيقها وخدمتها ، فلعل الله أن يقيض لها من يقوم بهذا الدور خدمة للعلم وأهله . هذا وأسأل الله العليّ القدير بأسمائه الحسنی وصفاته العلا أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد ولد آدم النبي الأمي محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين

عميد كلية الدعوة وأصول الدين

د. عبدالله بن عمر الدميحي

التوقيع:

المشرف : د. محمد عمر بن محمد حسن

التوقيع:

الطالب: عبدالله بن محمد شيخ خادم

التوقيع:

الفقه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ^(١)
 ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ ^(٢)

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ❖ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ ^(٣) .
 أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار. ^(٤)
 وبعد فأحمد الله تعالى الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل ، بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ^(٥)
 هؤلاء هم حاملوا ميراث النبوة والقائمون بمهمة الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم ألا وهي الدعوة إلى توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة لكي

^(١) آل عمران : ١٠٢ .

^(٢) النساء : ١ .

^(٣) الأحزاب : ٧١، ٧٠ .

^(٤) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة ، وهي مأثورة عن النبي ﷺ . وقد أفردها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني — يرحمه الله — برسالة ، جمع فيها الأحاديث الواردة فيها وسماها : (خطبة الحاجة التي كان الرسول ﷺ يعلمها أصحابه) .

^(٥) مقدمة رسالة الإمام أحمد بن حنبل — يرحمه الله — في الرد على الجهمية : ١٥ — ١٦ .

يحقق الثقلان الغاية التي من أجلها خلقوا وبتحقيقها ، أو عدمه ؛ يكون المصير إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، أو إلى نار تلظى نعوذ بالله من حرها وسمومها

وسار هؤلاء الأفاضل — أعني بهم الصحب الكرام عليهم السلام وتابعيهم بإحسان — على هذا الطريق الواضح على بصيرة من أمر دينهم يقتفون أثر نبيهم وقدوتهم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام . إلى أن تظاهر بالدخول في دين الله وَعَلَيْكُمْ من يريد الإفساد ؛ فحاولوا جاهدين صرف العباد عن عبادة ربهم و عن نهلهم من نبعهم الصافي كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، باذلين شتى الأساليب من شبهات وشهوات ؛ ليكيدوا للإسلام ويمكروا بأهله ؛ فظهر الافتراق الذي أخبر به الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه .

ولكن مع ذلك كله فالله وَعَلَيْكُمْ مظهر دينه وحافظ شريعته و متم نوره ولو كره الكافرون ، كيف لا وهو قد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

فكان من حفظ الله وَعَلَيْكُمْ لهذا الدين وإتمامه وإظهاره أن قيص علماء جهابذة يذبون عن دين الله وَعَلَيْكُمْ تحريف كل غال ، و تلبيس كل جاهل ، و نحلة كل مبطل ، ويعودون بالناس إلى الصراط المستقيم والنهج القويم ، ويذكروهم بوصية الرؤوف الرحيم بأتمته صلوات ربي وسلامه عليه ألا وهي التمسك بكتاب الله وَعَلَيْكُمْ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهما كسفينة نوح عليه السلام من ركب فيها نجي ومن تخلف عنها هلك وغرق والعياذ بالله .

وكان من هؤلاء العلماء الأماجد الشيخ العلامة حمود بن عبد الله التويجري الذي يعد بحق عالماً من أعلام السنة والإتباع في هذا الزمان ؛ فقد صرف وقته ، وقضى عمره ، وبذل جهده في خدمة هذا الدين ، والنصح لهذه الأمة ، وتوجيهها إلى ما فيه الخير لها في العاجلة والآجلة . فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

وهو عالم رباني جمع بين العلم والعمل فهو إمام في علمه كما أنه إمام في عمله ، وقد عرفته عن قرب عالماً عاملاً ورعاً تقياً نقياً عزوفاً عن الدنيا و بهرجا ومفاتها آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر صداعاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم ناصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين و عامتهم .

سبب اختيار الموضوع :

ولما كان نظام الدراسات العليا في جامعة أم القرى يحتم على طالب الدراسات العليا الذي يتقدم للحصول على شهادة العالمية (الماجستير) أن يتقدم ببحث علمي في مجال تخصصه ، وكان أن وفقني الله ﷻ في أن اتخصص في قسم العقيدة فقد قلبت نظري كثيراً أبحث عن موضوع يعود بالنفع علي وعلى إخواني المسلمين ، فوقع اختياري على هذا الموضوع (الشيخ حمود بن عبدالله التويجري و جهوده في الدفاع عن عقيدة السلف) ، وبعد الاستشارة والاستشارة لأهل العلم والفضل بدءاً بسماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — الذي شجعتني على الكتابة فيه ودعا لي بالتوفيق ؛ استقر الرأي على اختيار الكتابة في بيان جهود الشيخ حمود التويجري — يرحمه الله — في الدفاع عن عقيدة السلف . وقد وجد هذا الموضوع التأييد التام من جميع أهل العلم الذين استشرتهم مع تأكيدهم على أهمية الكتابة في هذا الموضوع لما للشيخ — يرحمه الله — من جهود مباركة في خدمة عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين و الحض على التمسك بها سواء أكان ذلك تقريراً لعقيدتهم أو رداً على المخالفين لها .

و هناك عدة أسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع ومن أهمها :

(١) أن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وحقهم على الأمة كبير ، ومترلتهم من الدين رفيعة ، وهم كما قال بعض السلف : " مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها ، وإذا خفيت عليهم تحيروا " والشيخ حمود التويجري — يرحمه الله —

أحد هؤلاء الأئمة الأعلام ؛ فكان من حقه على طلبة العلم أن يبرزوا جهوده التي بذلها في خدمة الكتاب والسنة ، ودفاعه عن عقيدة السلف الصالح .

(٢) أن في دراسة سير مثل هؤلاء العلماء المصلحين إبرازاً لنماذج حية ومثل يقتدي بها ؛ لأن النموذج العملي والصورة الحية يتركان في النفس ما لا يتركه الخطاب النظري المجرد ، والأمة اليوم مع تكالب أعدائها عليها بأمس الحاجة إلى علماء ربانيين يقومون بواجبهم تجاه أمتهم ؛ ومن الأسباب الموصلة إلى ذلك — بإذن الله تعالى — إبراز سير أمثال هؤلاء العلماء وإحياء منهجهم في العلم والعمل وبالأخص المعاصرين ، حتى لا يُظن أن الأمر مقصور على السابقين من السلف ، رضوان الله عليهم بل إن الطريق مفتوحة لمن أراد السير بعزيمة صادقة ونية صالحة مقتفياً للأثر .

(٣) تكالب أعداء الأمة عليها اليوم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه وهؤلاء لا يجدون سبيلاً أقوى تأثيراً لإفساد دين الناس إلا عن طريق إفساد عقائدهم كما هو سبيل أسلافهم من قبل ؛ لذا فإنهم قد صوبوا سهامهم تجاه هذا الأمر وأجلبوا بخيلهم ورجلهم ؛ وهذا كله يستدعي بالتالي من أهل الحق الدفاع عنه وأن يقف أهل العلم والفضل حراساً ضد كل من تسول له نفسه اقتحام حمى الشريعة أو النيل من جناها ، والتصدي لكل طاعن أو محرف للعقيدة . ومن الأسباب المعينة على ذلك — بإذن الله تعالى — بعد التسليح بسلاح العلم مع اليقين والإخلاص — القيام بمثل هذه الدراسة لنموذج معاصر قام بهذا الواجب على أكمل وجه ؛ فيطالعها طلبة العلم لتكون عوناً لهم بعد توفيق الله ﷻ على علو الهمم الذي نحن بأمس الحاجة إليه في عصر المواجهة ،

(٤) الشيخ — يرحمه الله — من أهل العلم الذين عرفوا برسوخ قدمهم فيه تجدد ذلك واضحاً جلياً عند مطالعة مؤلفاته وكتابات ، وبصمات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم — يرحمهما الله — واضحة على الشيخ — يرحمه الله —

وهو في علم العقيدة بخاصة — الذي هو مجال البحث — قد امتاز بعمقه ودقته وتمكنه من هذا العلم ، مع صفاء في العقيدة ، وحرص على تقرير لعقيدة السلف والذب عنها ، أضف إلى ذلك قوة في الصدع بالحق ، ونهج منهج السلف الصالح مع أهل البدع والضلال ؛ كل ذلك يترك أثره بإذن الله تعالى على من يبحث في شخصية الشيخ — يرحمه الله — فينتفع بعلمه الغزير ، ويستفيد من طريقته ، ونهجه وسيرته ، هذا مع أن الشيخ يربط المطالع لكتبه بكتب السلف الصالح ويقرب له المسائل ويجمع له كلامهم المنشور في بطون الكتب مضيفاً إلى ذلك كله تعليقات قيمة وفوائد ودرراً تزيد هذا العلم بهاء إلى بهائه .

لهذه الأسباب أردت إبراز جهود هذا العلم من أعلام الأمة ، وتقريب علمه للناس ، ناهيك عن الانتفاع بعلمه ، واكتساب ملكة الاستدلال والمناظرة والقدرة على الرد على المخالفين بمنهجية علمية مستقاة من نهج السلف الصالح يصاحبها إنصاف للمخالف وعدل معه . ومع ربط ذلك كله بكلام السلف والرجوع إليه في مصادره الأصلية تعظم الفائدة بإذن الله تعالى .

ولعل هذا البحث يكون دافعاً — بإذن الله تعالى — لمواصلة المسير في طريق الطلب والتحصيل ، وحافزاً على البذل من أجل خدمة الكتاب والسنة ، والذب عنهما ، والنصح للمسلمين ، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى غير ذلك من الفوائد المرجوة — بإذن الله تعالى — .

منهجي في هذا البحث

وأما عن منهجي في هذا البحث فيتلخص فيما يأتي :

أولاً : جمع المادة العلمية وذلك برصد المسائل العقدية التي تناولها الشيخ — يرحمه الله — وقد قمت بالرجوع إلى مكتبة الشيخ الخاصة ؛ فوجدت أن المخطوط لدي الشيخ ، والتعليقات على الكتب يشتمل على الكثير من مسائل العقيدة ؛ فعقدت العزم على الارتحال إلى مكتبة الشيخ في الرياض والمكث هناك ، وقد كان ذلك بالفعل — والحمد لله — حيث مكثت بالمكتبة ما يزيد على السنة قمت خلال ذلك بالإطلاع على جميع الكتب الموجودة في مكتبة الشيخ ، إضافة إلى مخطوطات الشيخ — يرحمه من كتب أو رسائل أو غيرها ، ورصدت المسائل العقدية التي تناولها الشيخ — يرحمه الله — .

ثانياً : وزعت المادة العلمية التي جمعتها على فصول العقيدة ، مقسماً تلك الفصول إلى مباحث ، والمباحث إلى مطالب ، والمطالب إلى مسائل — بحسب الحاجة ، وقد راعيت في ترتيب المسائل العقدية ما هو متبع في كتب العقيدة عند سلفنا الصالح رحمة الله عليهم .

ثالثاً : عند الترجمة للشيخ حمود — يرحمه الله — اعتمدت في الغالب على الترجمة التي حررها ابنه فضيلة الشيخ الدكتور عبدالكريم ؛ وذلك لأنها هي المرجع لجميع التراجم التي تحدثت عن الشيخ ، إضافة إلى ما جمعته من معلومات خلال البحث عن شخصية الشيخ ، وسماته ، وحياته العلمية — يرحمه الله — .

رابعاً : عند دراسة أي مسألة من مسائل العقيدة التي عرضها الشيخ حمود — يرحمه الله — وقررها ، أبدأ أولاً بمدخل عام لهذه المسألة أوضح من خلاله معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ، ثم أتبعه ثانياً بإيراد نماذج لجهود العلماء السابقين والمعاصرين للشيخ — يرحمه الله — والهدف من ذلك هو بيان ما تميز به الشيخ — يرحمه الله — من جهد ، إضافة إلى بيان موافقته لبقية العلماء فيما

يذهب إليه . وقد جعلت الفترة التي استعرض فيها الجهود السابقة والمعاصرة منذ عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب — يرحمه الله — إمام الدعوة وحتى وفاة الشيخ — يرحمه الله — باعتبار أن الشيخ امتداد لهذه الدعوة المباركة . مع الإشارة بأني إذا لم أقف على جهود سابقة أو معاصرة فإنني أتجاوز ذلك إلى ذكر جهود الشيخ — يرحمه الله — وكما هو معلوم فإن فترة جهود العلماء السابقين لم يكن هناك مزيد عناية بالتأليف المستقل ، وإنما كان الغالب في التأليف أنه عبارة عن رسائل أو ردود أو بيان لمسألة ما .

وثالثاً أقوم ببيان جهد الشيخ في هذه المسألة سواء أكان تقريراً أو رداً على مخالف ، وأرتبه في صورة نقاط ، وإن كان الأمر يحتاج إلى تعقيب أو بيان عقبته على قدر الحاجة . وأختم ذلك كله بخلاصة أوضح من خلالها محصل جهد الشيخ — يرحمه الله — .

خامساً : إذا كان جهد الشيخ — يرحمه الله — رداً على مخالف فإنني أورد كلام المخالف من كتبه — واجتهد في ذلك على قدر الطاقة — وأبين وجهة نظره ، ثم اتبع ذلك بذكر كلام الشيخ في تفنيد هذه المسألة . وقد حرصت على عدم تسمية المخالف حتى يكون رد الشيخ رداً على المسألة بصفة عامة وليس خاصاً بهذا المخالف بل هو يتناول كل من وقع في مثل هذه المخالفة ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لعل ذلك يكون أنفع لمن هو متأثر بهذا المخالف الذي قد يحجزه تعصبه للمخالف من القراءة والبحث عن الحقيقة .

سادساً : عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى مواضعها في القرآن الكريم ، ذاكرًا اسم السورة ، ورقم الآية .

سابعاً : خرجت الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة : فإن كان الحديث في الصحيحين ، أو أحدهما ؛ اكتفيت بالعزو إلى موضعه في الصحيح . وإذا لم يكن في الصحيحين اجتهدت في تخريجه من كتب السنة الأخرى ، ناقلاً

لأقوال علماء أهل الشأن فيه ؛ من تصحيح أو تضعيف سواء أكان من الأقدمين ، أو المعاصرين .

ثامناً : اجتهدت في الترجمة لأعلام غير مشهورين ، أو تدعو الحاجة للترجمة لهم ، وكذلك الحال مع الفرق .

تاسعاً : قمت بتخريج الأقوال من مصادرها الأصلية واجتهدت في ذلك على قدر الوسع والطاقة .

عاشراً : قمت بعمل فهرس للآيات ، ثم الأحاديث والآثار ، ثم المصادر والمراجع .

خطة البحث :

سرت في هذا البحث على الخطة التالية :

قسمت الموضوع إلى مقدمة ، وبايين ، وخاتمة

أما المقدمة : فقد اشتملت على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهج البحث ، والخطة التي سرت عليها .

أما الباب الأول :

ففي الحديث عن حياة الشيخ — يرحمه الله — : وفيه فصلان :

الفصل الأول : حياته ، واشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه ومولده وأسرتة .

المبحث الثاني : نشأته .

المبحث الثالث : أعماله .

المبحث الرابع : وفاته ، وأقوال بعض العلماء فيه .

الفصل الثاني : سيرته العلمية : وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : طلبه العلم .

المبحث الثاني : عقيدته .

المبحث الثالث : شيوخه ، وتلاميذه ، وإجازاته .

المبحث الرابع : ثقافته ، ومؤلفاته .

المبحث الخامس : سماته العلمية .

المبحث السادس : موقفه من بعض قضايا معاصرة .

أما الباب الثاني : فبينت فيه جهود الشيخ في الدفاع عن عقيدة السلف : وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : دفاعه عن مصادر العقيدة و السلف الصالح : وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : دفاعه عن القرآن الكريم .

المبحث الثاني : بيانه منزلة السنة و الرد على الطاعنين فيها .

المبحث الثالث : تقريره الإحتجاج بأحاديث الآحاد في إثبات العقائد .

المبحث الرابع : دفاعه عن الصحابة والتابعين وعلماء السلف ، وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول : بيان فضلهم وثنائهم عليهم .

المطلب الثاني : تقديم قولهم إذا تعارض مع قول غيرهم ، ودفاعه عن سنة الخلفاء الراشدين وطريقة الصحابة .

المطلب الثالث : ذكر محاسن الصحابة رضي الله عنهم ، وبيان حكم سبهم .

المطلب الرابع : بيان طريقة علماء السلف في الاستدلال .

المطلب الخامس : الدفاع عن علماء السلف ومن سار على طريقتهم من العلماء

الفصل الثاني : منهجه في تقرير عقيدة السلف الصالح : وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأخذ بما جاء في الكتاب والسنة ، وما أجمع عليه سلف الأمة :
وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة والإلتزام بهما .
المطلب الثاني : موقفه من العقل وبيان مترلته . و بيانه لحقيقة العصرين .
المطلب الثالث : سياقه للأدلة من الكتاب والسنة ، مع التأدب مع نصوصهما .
المطلب الرابع : استدلاله بالأحاديث الصحيحة وكشفه عن الأحاديث الضعيفة
والموضوعة .

المطلب الخامس : توكيده على الإجماع واعتماده أصلاً يؤخذ به .
المبحث الثاني : النقل عن العلماء المعبرين : وفيه مطلبان :
المطلب الأول : الاستشهاد على ما ذهب إليه بأقوال العلماء .
المطلب الثاني : الرد على دعوى المخالف بتصحيح النقل عنهم .
المبحث الثالث : منهجه في الرد على المخالفين : وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : عدم ذكر اسم المردود عليه إلا إذا اشتهر ، أو احتيج إلى ذلك .
المطلب الثاني : الرد من عدة أوجه وتكرار ذلك عليه .
المطلب الثالث : إنصاف المخالف إن كان محقاً .

المطلب الرابع : حرصه على المخالف ، وشفقته عليه ، وتذكيره بالله ﷻ ،
ودعوته للرجوع إلى الحق و بيان فضيلة ذلك مع الدعاء له بالهداية .

الفصل الثالث : تقريره لعقيدة السلف ويشمل سبعة مباحث :

المبحث الأول : حقيقة الإسلام والإيمان وما يتصل بهما .

المبحث الثاني : الإيمان بالله عز وجل وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : التوحيد الخالص وكيف يتحقق .

المطلب الثاني : توحيد الربوبية

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات .

المطلب الرابع: توحيد الألوهية

المبحث الثالث : الإيمان بالملائكة والجن.

المبحث الرابع: الإيمان بالنبوات والأنبياء.

المبحث الخامس : الإيمان باليوم الآخر .

المبحث السادس : الإيمان بالقضاء والقدر و خلق أفعال العباد .

المبحث السابع : الولاء والبراء

الفصل الرابع : موقفه من بعض البدع السائدة في عصره .

ثم الخاتمة : وقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها والمقترحات .

وأخيراً فإني أحمد الله تعالى أولاً وآخراً على ما من به وتفضل من إتمام هذا

البحث فله الحمد كله وله الشكر كله . ولولا فضله وكرمه وجوده وإنعامه لما

خطت أنا ملي حرفاً واحداً ، ولما خرج هذا البحث إلى حيز الوجود .

ثم إنني أشكر للوالدين الكريمين تشجيعهما ودعاءهما ، وما بذلاه سائلاً المولى

العلي القدير أن يجزيهما عني خير الجزاء ، وأن يبارك في عمريهما وأن يصلح

شأنهما ، وأن يرزقهما سعادة الدارين إنه ولي ذلك والقادر عليه .

كما إنني أشكر فضيلة شيعي الأستاذ الدكتور محمد عمر بن محمد حسن فقد

كان نعم المشرف كيف لا وهو قد غمرني بخلقه ونبله وطيب معشره وقد كان

تعامله معي بحق تعامل أب مع ابنه ناهيك عن جهده المتميز الذي بذله في هذا

البحث خطوة بخطوة وفقرة بفقرة ؛ فملاحظاته العلمية القيمة وتسديداته

وتوجيهاته ، تشهد له بجميل صنيعة الذي أسداه إلى والذي لا أملك ألا أن أدعو

الله أن يجزيه عني خير ما يجازي به عباده الصالحين .

كما إنني أتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان لفضيلة الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم المشرف السابق على ما بذله من جهد مشكور أسأل الله أن يجزيه عنه خير الجزاء .

و الشكر لصاحبي الفضيلة المناقشين الكريمين الأستاذ الدكتور شيخي الشيخ أحمد بن سعد حمدان و الأستاذ الدكتور علي بن نفيح العلياني ؛ فقد قبلا مشكورين مأجورين بإذن الله تعالى قراءة هذا البحث المتواضع وتحملا ما في ذلك من مشقة و عناء حرصاً منهما على نفع الطالب وتوجيهه وتسديده فأسأل الله باسمائه الحسنی وصفاته العلا أن يجزيهما عني خير الجزاء و أن يبارك في علمهما وعملهما ، وأن يزيدهما توفيقاً وتسديداً ، و أن ينفع بهما الإسلام وأهله .

والشكر موصول إلى جامعة أم القرى وبخاصة كليتنا المباركة كلية الدعوة وأصول الدين التي أسأل المولى العلي القدير أن يزيده القائمين عليها توفيقاً وتسديداً .

كما إنني أجد لازماً علي أن أتقدم بالشكر لكلية المعلمين بمكة المكرمة التي منحتني فرصة الابتعاث ومواصلة الدراسة .

وأخيراً فإنني أشكر لأبناء شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — ما بذلوه من جهد مشكور فقد غمروني بكرمهم وجودهم وفضلهم ، وفتحوا لي مكتبة والدهم ، وقدموا لي كل ما احتاجه من مساعدة . فاللهم جازهم عني خير الجزاء واجمعني معهم بشيخنا في جناتك جنات النعيم إخواناً على سرر متقابلين ووالدي وسائر إخواني المسلمين .

والشكر موصول لكل من ساعدني بنصح أو توجيه أو إرشاد ، أو خصني بدعوة صالحة في ظهر الغيب .

وبعد فهذا كلام قيم للإمام ابن القيم — يرحمه الله — ذكره في مقدمة كتابه القيم (زاد المعاد) يقول — يرحمه الله — : " وهذه كلمات يسيرة لا يستغني عن

معرفتها من له أدنى همة إلى معرفة نبيه ﷺ وسيرته وهديه ، اقتضاها الخاطر المكدود على عجره وبجره ، مع البضاعة المزجاة التي لا تنفتح لها أبواب السدد ، ولا يتنافس فيها المتنافسون ... " فإذا كان — يرحمه الله — يقول هذا من باب التواضع ، فإنني أقوله من باب إظهار ما أعرفه من حقيقة نفسي

فهذا جهد المقل مع تقصير وخلل وقلة في البضاعة مع كثرة العوائق والصوارف فما كان فيه من صواب فهو من الله وحده ؛ فله الحمد والشكر في الأولى والآخرة ، وما كان فيه من خطأ فهو من النفس المقصرة والهوى والشيطان والله ورسوله منه بريئان . فاللهم تقبل مني هذا العمل وأجعله خالصاً لوجهك الكريم ولا تجعل لأحد من خلقك فيه خطأً أو نصيباً ، و اغفر اللهم خللي وتقصيري وتجاوز عما بدر مني من زلل .

وصلى اللهم وسلم على سيد ولد آدم إمام الأنبياء والأتقياء والمرسلين عبدك ورسولك النبي الأمي محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين .

الباب الأول

حياته وسيرته العلمية

الفصل الأول

حياته

المبحث الأول: اسمه ونسبه ومولده وأمره^(١)

هو الشيخ العالم المجاهد أبو عبدالله حمود بن عبدالله بن حمود بن عبدالرحمن ابن حمود بن عبدالله بن مقحم بن عبدالله التويجري .

تنتمي أسرته إلى الجبارة من عترة ، من ذرية علي بن وهب ، من بني بكر ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد ابن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان . وعلى هذا فهم يلتقون مع النبي ﷺ في نزار بن معد ابن عدنان ، وعدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى التسليم . وقد استوطنت

^(١) جعلت المرجع الأساسي لهذا الباب الترجمة التي كتبها فضيلة الشيخ الدكتور عبدالكريم ابن حمود التويجري — وفقه الله — وهي ترجمة موسعة كتبها ابن الشيخ — يرحمه الله — ووسمها ب (الامتاع بسيرة علم من أعلام السنة والاتباع) قرأ غالبها على سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — وقد أفدت منها كثيراً ، وليعلم أن هذه الترجمة هي المرجع لجميع الكتابات التي كتبت عن الشيخ — يرحمه الله — تتناول جوانب من سيرته ومن ذلك كتابة الشيخ عبدالله البسام في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢ / ١٤١ . وهناك بعض الكتابات التي تحدثت عن جوانب معينة عن الشيخ كتبت بعد وفاة الشيخ — يرحمه الله — لأنه كان يرفض أن يكتب عنه شيء رغم المحاولات العديدة هذه الكتابات هي : وفاة الشيخ حمود التويجري لهيثم الحداد ونشرت في مجلة البيان العدد ٦٠ في شعبان ١٤١٣ هـ ، وكتاب : علماء وأعلام وأعيان الزلفي لفهد بن عبدالعزيز الكليب مطبوع في الرياض عام ١٤١٥ هـ ومن ضمن من ترجم لهم شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — ، والعلامة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري / لعبدالكريم بن حمود التويجري صاحب هذه الترجمة الموسعة وقد نشر في مجلة الأصالة عدد ٣ عام ١٤١٣ هـ ، و اتحاد النبلاء بسير العلماء لراشد بن عثمان الزهراني مطبوع في الرياض دار الصميعي عام ١٤١٦ هـ ومن ضمن من ترجم لهم من العلماء شيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع —

أسرتها لجمعة إبان عمراتها كما ذكر ذلك الأديب محمد بن لعبون — يرحمه الله — في تأريخه .^(١)

ولد الشيخ بمدينة الجمعة بمنطقة سدير ، ضحى يوم الجمعة الموافق للخامس عشر من شهر ذي الحجة ، عام أربعة وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وقد نشأ في كفالة والديه في أسرة تعد من الأسر الغنية في وقتها ، وبقي على ذلك إلى أن توفي والده — يرحمه الله — في ليلة السابع عشر من شهر ربيع الثاني عام اثنتين وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة . وكان عمر الشيخ حمود في ذلك الوقت سبع سنين وأربعة أشهر ويومين .

بقي بعد ذلك في كفالة والدته هيا بنت محمد بن عبدالله الفاخري من ذرية الشيخ محمد بن عمر الفاخري المؤرخ المشهور . وقد قامت على تربيته هو وشقيقه الوحيد عبدالرحمن . خير قيام ، وكان لها الفضل بعد الله عز وجل في سلوكهما لطريق طلب العلم الشرعي .

وقد توفيت — رحمها الله — ظهر يوم الثلاثاء الأول من شهر ربيع الثاني عام تسع وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة .

^(١) تاريخ ابن لعبون : ٤٤ (مخطوط) .

البحث الثاني : صفاته الخلقية والخلقية :

أولاً : صفاته الخلقية :

كان الشيخ حمود — رحمه الله — ربعة من الرجال ^(١) ، متوسط بين الطول والقصر ، حنطي اللون يميل إلى السمرة ، كث اللحية ، عريض المنكبين ، تبدو عليه علامات القوة والصرامة .

ومن صفاته الخلقية قوة الحفظ فلقد رزقه الله تعالى حافظه قوية ؛ تساعده في استحضار مواضع بحثه ، ومواطن ما يحتاج إليه في بطون أمهات الكتب ، وإذا سأل عن موضوع ؛ فإنه يحيل على مواطن البحث فيه مباشرة .

يقول ابنه فضيلة الشيخ الدكتور عبدالكريم : أعياني مرة تخريج بعض الأحاديث مع استخدامي لطرق التخريج العلمية المتبعة ، فوكلت الأمر إليه — رحمه الله — فاستخرجها لي في دقائق معدودة ، ومن عدة مراجع ، دون الاستعانة بالكتب المفهرسة والمقربة .

ويقول الشيخ — رحمه الله — عن نفسه في شبابه : لم أكن أنسى ما وقف عليه الإمام في الصلاة ، ولو بعد مدة ، ولو سئلت عما قرأه في اليوم الفلاني ، ولو كان قبل شهر ، أو أكثر ؛ لذكرت ما قرأه ، ولم أنس ما وقفت عليه في القراءة والحمد لله .

^(١) ربعة على وزن : تمره وهو المتوسط في الطول . لسان العرب : ١٠٧/٨ .

وكان — يرحمه الله — يحفظ مواعيده الخاصة بنفسه ، كما كان يحفظ تواريخ المواليد بصورة عجيبة فهو يحفظ تواريخ ولادة أبنائه ، وأهل بيته ، وعموم الأسرة ، بل وأهل بلده — يرحمه الله — .
ومن صفاته — يرحمه الله — الفطنة والتيقظ وقد كان لذلك أثر بارز فيما كان يكتبه ، لا سيما في ردوده إذ كان لا يترك شاذة ولا فاذة إلا نبه عليها .

ثانياً : صفاته الخلقية :

عُرف الشيخ حمود — يرحمه الله — بخلقهِ الجم ، وأدبه الرفيع ، ونبيل سجاياه . وكانت تعلو محياه ابتسامة محتشمة ، وتلوح على قسمات وجهه هيبة وجلال تزينه . لا يمل مجالسه ، ولا يسأم محدثه ، يتكلم بهدوء ، وينطق بحكمة ، قليل الكلام ، كثير الفكر . ومن مكارم الأخلاق التي تميز بها :

لين الجانب :

فقد كان لين الجانب دمث الخلق ، إذا تكلم مع أحد أو كلمه ، لم يحده بنظره ، وإنما يصغي إليه مع كسر حدة نظره .

العدل :

كان — يرحمه الله — يتوخى العدل في كل أموره ، حتى في تعامله مع من يخالفه الرأي ، وهو يقدم قول الشرع على كل شيء .

يقول — يرحمه الله — في أحد ردوده : " الوجه الثاني : أن يقال : إن كلام المردود عليه قد اشتمل على حق وباطل ، فأما الذي فيه من الحق فهو إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه على الوجه اللائق بجلاله . وأن الاستواء لا يكيف ولا يتصور كيفيته ... ومن الحق فيه أيضاً : تكفير وتضليل من زعم أن الله تعالى بذاته في كل مكان ، وتكذيب من نسب ذلك إلى أحد من سلف

الأمة وأئمتها و تزريه الله تعالى عن الاختلاط بالخلق أو الحلول في أمكنتهم .
وأما الذي فيه من الباطل : فهو إثبات المعية الذاتية لله مع خلقه ، ولا يخفى على
من له علم وفهم أن إثبات المعية الذاتية لله مع خلقه يستلزم الاختلاط بهم
والحلول معهم في أمكنتهم ، وهذا مما يجب تزريه الله عنه ... " (١)

كان — يرحمه الله — عادلاً بين أولاده لا يفرق بين ذكورهم وإناثهم حتى إنه
مات ولا يدري أحد من أولاده أيهم أحب إليه .

الاستشارة :

كان — يرحمه الله — محباً للاستشارة مطبقاً لها في سائر أموره ومن ذلك
استشارته الدائمة لأهل العلم والفضل فيما يكتبه من كتب أو يرسله من رسائل
مع أنه كان موضع ثقتهم واستشارتهم ، بل كان — يرحمه الله — لا يأنف أن
يستشير حتى صغار أبنائه .

القوة في الحق والغيرة على الدين :

وهذه صفة بارزة في الشيخ — يرحمه الله — يعرفها كل من عايش الشيخ ، أو
سمع عنه ، أو اطلع على مؤلفاته .

وقد كان — يرحمه الله — قوياً في الحق ، لا يخشى في الله لومة لائم ، مجانباً
لأهل الأهواء والبدع ، محارباً لهم بلسانه وقلمه .

كما كان شديد الغضب لله ، غيوراً على دينه ؛ يتبين ذلك حين يعلم بأن أحداً
يجاهر بمعصية ، أو يعارض سنة ، أو ينشر بدعة . ولقد كان يرى أن البدعة
وأهلها أعظم سلاح للشيطان يهدم به الدين .

وكان مما أوصى به بنيه من بعده بعد الوصية بتقوى الله ، وإصلاح ذات البين ،
ولزوم الكتاب والسنة : هجر البدع وأهلها ، ومجانبتهم وعدم الركون إليهم .

(١) إثبات علو الله ومباينته لخلقه : ١٥٣ .

يقول — يرحمه الله — واصفاً لحال المسلمين اليوم : " قلت وفي زماننا لم يبق شيء مما يفعله اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من أمم الكفر والضلال إلا ويفعل مثله في أكثر الأقطار الإسلامية ، ولا تجد الأكثرين من المنتسبين إلى الإسلام إلا مهطعين خلف أعداء الله تعالى يأخذون بأخذهم ويحذون حذوهم ويتبعون سننهم في الأخلاق والآداب واللباس والهيئات والنظامات والقوانين وأكثر الأمور أو جميعها . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . " (١)

ومن صدعه بالحق ما ذكره في كتابه (القول المحرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) من إنكار للحفلات التي تصنع لقدوم السلطان حيث يقول — يرحمه الله — : " ومن المنكرات الظاهرة أيضاً اتخاذ الحفلات لقدوم السلطان وهي تشمل عدة منكرات : منها : السرف وتبذير الأموال في غير حق . ومنها : التهاون بالصلوات وتأخيرها عن وقتها . ومنها : إختلاط الرجال بالنساء ؛ وذلك من أعظم الذرائع إلى الفتنة ووقوع الفاحشة . ومنها : الغناء والصرب بالدفوف وغيرها من الآت اللهو التي تصد عن ذكر الله وعن الصلاة . ومنها : التصفيق عند حضور بعض الأكابر ، وعند سماع ما يستحسنونه من الخطب والأشعار . إلى غير ذلك من المنكرات التي تفعل في تلك الحفلات السخيفة . " (٢)

الوقوف عند حدود الله والأخذ بالدليل :

كان يرحمه الله وقافاً عند حدود الله تعالى متى ثبت عنده الدليل ، وكان كثيراً ما يردد قول الإمام الشافعي — يرحمه الله — : " أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس " بل إنه قد جعل هذه العبارة منهجاً له وطريقاً فلم يكن يقدم كلام أحد كائناً من كان على كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ ، بل كان يشنع على من يخالف

(١) دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر : ٩ .

(٢) ١٢٥

الدليل اتباعاً لقول فلان من البشر كائناً من كان وكان كثيراً ما يحذر في كتاباته من ذلك . وكان الميزان عنده دائماً لأقوال الناس وأفعالهم الكتاب والسنة يقول — يرحمه الله — : " المرجع في جميع الأحكام إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ؛ فهما الميزان العدل الذي توزن به أقوال الناس وأفعالهم ؛ فما وافقهما فهو حق مقبول ممن جاء به سواء كان مسلماً أو كافراً ، وما خالفهما فهو مردود على صاحبه كائناً من كان . " (١)

الورع والخوف من الله تعالى :

كان رحمه الله شديد الخوف من الله تعالى ، متورعاً في مأكله ومشربه ، وفي منطقته ، متبعاً لهدي النبي ﷺ في كونه ما عاب طعاماً قط .
ما تكلم في أحد قط إلا على وجه التحذير ؛ إن كان ثم ما يقتضي ذلك ، ومما عرف عنه — يرحمه الله — أنه لم يكن يرضى بأن يُدعى صاحب اللقب بلقبه ؛ ولو كان راضياً به .

ومن ورعه وشدة خوفه من الله تعالى كتب في وصيته يسأل أبناءه أن يبيحوه مما يظن أنه قد تجاوز فيه الحد في تأديبهم ، وتغليظ الكلام عليهم ، وغير ذلك من التبعات ، إن كانت لهم أو لأحد منهم عليه .

ومما عُرف عنه تورعه عن الفتيا والتحذير من الاستهانة بها وكتابه (تغليظ الملام على المتسرعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام) خير شاهد على ذلك .

يقول — يرحمه الله — في مقدمة هذا الكتاب : " فقد فشى في زماننا التسرع إلى الفتيا بغير علم ، وتغيير الأحكام الثابتة في الكتاب والسنة ، وكثر ذلك من المنتسبين إلى العلم ، وقلت المبالاة بما يترتب على ذلك من الوعيد الشديد " (٢) ويقول في موضع آخر : " وقد كان السلف الصالح يتورعون عن

(١) دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر : ٧١ - ٧٢ .

(٢) تغليظ الملام على المتسرعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام : ٥ .

الفتيا بغير علم ، وإذا سأل أحدهم عما لا علم له به ؛ لم يأنف أن يقول : لا أعلم هذا ، أو يقول : لا أدري ، أو يقول : سل عن هذا غيري . وهذا بخلاف ما عليه بعض المنتسبين إلى العلم في زماننا ؛ فإن كثيراً منهم يتسرعون إلى الفتيا بغير علم، ويأنف أحدهم أن يقول فيما لا يعلمه: لا أعلم هذا، أو: لا أدري ، أو يقول : سل عن هذا غيري ! ويرون في الإحجام عن إجابة السائل غضاظة عليهم ، وما علموا أن الخطر العظيم في التسرع إلى الفتيا بغير علم . " (١)

وقد كان الشيخ — يرحمه الله — كثيراً ما يقول لسائله : سل المشايخ في دار الإفتاء ، أو سل الشيخ الفلاني ، ونحو ذلك

التواضع والزهد :

وهذه من الصفات الظاهرة على الشيخ — يرحمه الله — يلحظ ذلك كل من قابل الشيخ وجلس معه ؛ فقد كان متواضعاً زاهداً في الدنيا وزخرفها وبهرجها، قانعاً منها باليسير ولا أدل على ذلك من اعتذاره عن كثير من المناصب العلمية التي عرضت عليه في حياته — يرحمه الله — ، ولقد كان يأنف من لباس أو مركب أو مسكن يبلغ به حد الشهرة ، أو الإعجاب بالنفس كما كان حريصاً على أداء عمله بنفسه ، يتجنب سؤال أحد حتى وإن كان أقرب قريب ، لسان حاله يردد حديث : ﴿ بايعوني على أن لا تسألوا الناس شيئاً ﴾ (٢) .

ومما عرف عنه — يرحمه الله — عدم حبه للظهور أو الشهرة ، ومن ذلك رفضه الشديد أن تكتب عنه ترجمة في حياته ، رغم إلحاح بعض طلبة العلم ، وطلبهم ذلك منه ، وقد قال مرة لابنه فضيلة الشيخ الدكتور / عبدالكريم لما سأله عن بعض سيرته العلمية : " يابني وما فائدة ما تكتب مما تسمع ؟! " فذكر له شيئاً

(١) المصدر السابق : ١٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عوف بن مالك الأشجعي : ٦ / ٢٧

من احتياج الناس ، لا سيما طلبة العلم منهم إلى تراجم الأعلام ، وأنه ما من علم إلا وسيأتي من يسأل عنه ، وعن سيرته . فقال الشيخ — يرحمه الله — : " يا بني لا ينفعني أن يعرفوني ، ولا يضربي أن لا يعرفوني "

ولما ألح بعضهم — وكان يحضر لرسالة الدكتوراة ، وموضوعه تحقيق لمخطوط بخط الشيخ حمود — أن يفيد به بترجمة موجزة له . امتنع الشيخ ولا حتى بذكر اسمه أو مولده أو شيوخه . ولما ذكر له أن تراجم الأعلام أمر محتتم في الرسائل العلمية ، لا سيما وهو العلم الثاني في الأهمية بعد المؤلف ، وأنه سيحاسب على ذلك من قبل لجنة المناقشة . كان جواب الشيخ — يرحمه الله — بعد ذلك كله : " قل لهم : إنه قد أبى ذلك . "

ومن تواضعه — يرحمه الله — أنه كان يصدر كتابته دائماً باسمه المجرد يسبقه بعبارة : (الفقير إلى الله تعالى) ويختمها بقوله : (غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات) ، ويرفض أن يدون عليها أي لقب كالشيخ أو العالم أو غيرها من الألقاب .

الكرم :

كان — يرحمه الله — مضيفاً يُسر بخدمة ضيفه ورفقته ، وكم حدث عنه بعض كبار السن ممن كان يرافقه في السفر بأن الشيخ هو من يقوم بإعداد الطعام والشراب لهم في السفر بل ويحرص على ذلك ، كما إنه يسخن لهم الماء في الشتاء قبل إيقاظهم لصلاة الفجر ، هذا مع مكانة الشيخ عندهم وإجلالهم له ، وشدة توقيرهم له — يرحمه الله — .

المحافظة على الوقت :

كما هو حال العلماء فإن الشيخ — يرحمه الله — قد عرف للوقت أهميته كيف لا والوقت حياة الإنسان ، وهو مسؤول يوم القيامة عن كل لحظة في حياته ؛

من أجل ذلك كله نجد شيخنا — يرحمه الله — مثلاً يقتدي به في المحافظة على وقته .

حدث عنه بعض أهل العلم ممن كان يحضر جلسته الخاصة بدار الشيخ عبدالله العنقري — يرحمه الله — : أن الشيخ حمود — يرحمه الله — كان يقرأ على الشيخ عبدالله ، فإذا كثر رواد مجلس الشيخ ، وبدأ حديث العوام ، والكلام عن الدنيا ؛ أخذ الشيخ حمود كتبه ، واستأذن شيخه وخرج .

وكانت غالب حياة الشيخ — يرحمه الله — في مكتبته منذ الصباح الباكر وحتى صلاة العشاء الآخر ، وهو لا يخرج منها إلا الحاجة ، ثم ما يلبث أن يعود إليها سريعاً .

الترتيب والتنظيم :

وهذه صفة مميزة للشيخ حمود — يرحمه الله — فقد اتسمت حياته بالدقة في الترتيب والتنظيم لكل شيء . وقته ، وكتبه ، وأوراقه ، وأدواته الخاصة مرتبة مصنفة تصنيفاً دقيقاً في أماكنها .

وكذا أكله وشربه له أوقات معينة يحرص على تناوله فيها .

ومن هذا الترتيب ترتبه لأوقات زيارة أقاربه وذوي رحمه ، ومن له حق عليه من العلماء ، وكبار السن والعباد فذلك كله له وقته الخاص وذلك يوم الجمعة من كل أسبوع من بعد صلاة العصر وحتى المساء .

كذلك نومه واستيقاظه . وقد لازم هذا الترتيب والتنظيم حتى آخر أيام حياته ، وكان هذا التنظيم ديدنه في سائر شؤونه ، فعندما ألزم بالقضاء ؛ قام بترتيب الوارد والصادر من الأحكام في سجل خاص لم يكن معروفاً في ذلك الوقت لدى المحاكم ، ولا يزال هذا السجل محفوظاً بمكتبته إلى اليوم . وكان الشيخ — يرحمه الله — حريصاً على التدوين وعمل السجلات ومن ذلك أنه دون جميع الكتب التي قرأها على شيخه الشيخ عبدالله العنقري — يرحمه الله — منذ بداية

طلبه عليه وحتى انتهائه من ذلك فهو يدون اسم الكتاب ونوع الفن ، وعدد المجلدات إن وجدت وصفتها ، وعدد الأجزاء ، وتاريخ ابتداء القراءة وتاريخ الانتهاء ، وعدد كمية القراءة . وما يزال هذا السجل محتفظاً به في مكتبة الشيخ — يرحمه الله — .

وقد كان للشيخ — يرحمه الله — برنامج يومي^(١) يبدأ من بعد صلاة الفجر حيث يجلس بالمكتبة بحثاً وكتابة ، ثم يتناول طعام الإفطار ، ويعود إلى المكتبة إلى قرابة العاشرة والنصف ؛ فيصلي سُبحة الضحى ، ويعود إلى المكتبة إلى موعد أذان الظهر ، وقل أن يؤذن المؤذن إلا وهو في المسجد . ثم بعد الصلاة يتناول طعام الغداء فقلولة إلى العصر وبعد الصلاة يذهب إلى المكتبة إلى أذان المغرب ، وبعد الصلاة يعود إلى المكتبة حتى صلاة العشاء ، فالنوم مباشرة حتى إذا انتصف الليل قام يتجهجد إلى أن يبقى سُدس الليل الآخر يضطجع وينام إلى أذان الفجر .

عبادته :

حياة الشيخ — يرحمه الله — عبادة فهو في النهار في مكتبته بحثاً وكتابة حتى صلاة العشاء الآخر . أما ليله فيقضي جزءاً كبيراً منه وهو ثلثه الأخير في قيام الليل سواء أكان ذلك في حضره أو سفره ، ولم يدعه حتى في مرضه إلى أن عجز عن ذلك ، وكان يقوم في الليلة الواحدة بأربعة أجزاء ونصف تقريباً . وكان — يرحمه الله — مواظباً على سُبحة الضحى ، كما كان من المسابقين إلى الجمعة والجماعة فما رئي إلا في الصف الأول بل وإزاء الإمام وقد حفظ الشيخ — يرحمه الله — وصية النبي ﷺ لعدد من أصحابه فما كان يدع صيام ثلاثة أيام من

(١) هذا البرنامج اليومي هو بصفة عامة وهذا لا يعني أن الشيخ — يرحمه الله — لم يكن يخصص لأهله وأولاده وقتاً ؛ بل إن الشيخ كان من أشد الناس حرصاً على أولاده وقد بذل من أجل تنشأهم على الخير والصلاح جهداً كبيراً يعرفه من طالع حال أبنائه وما هم عليه من الخير زادهم الله توفيقاً وتسديداً وثباتاً على الحق .

كل شهر ، وكذلك صيام عشر ذي الحجة ، وستة أيام من شوال ، وعاشوراء ، وغيرها .

كما كان — يرحمه الله — حريصاً على المتابعة بين الحج والعمرة فقد حج مراراً كثيرة ، وكان يعتمر كل سنة ويحرص عليها في رمضان . وكان يقضي إجازة نصف العام مع أبنائه بمكة حرسها الله .

ولقد كان لسانه رطباً بالقرآن ، يقرأه على كل حال قائماً وقاعداً ومضطجعاً ، حتى إنه ليقوم ببعض أعماله وهو يقرأ القرآن . وكان يختم القرآن كل سبع إلا في رمضان فيختم كل ثلاث .

كان رحمه الله كثير الفكر ، دائم الذكر ، وصولاً لرحمه ، باراً بوالدته ، محسناً لصديقه وجاره ، باذلاً المعروف لأهله ، معرضاً عن لغو الناس وهرجهم .

ومن الأمور التي تميز بها الشيخ — يرحمه الله — شدة عنايته بتربية أبنائه وتنشئتهم على الخير والفضيلة وسلوكهم طريق طلب العلم الشرعي ، فقد بذل من أجل ذلك الكثير مستعيناً بالله عز وجل باذلاً الأسباب الموصلة لذلك مع إخلاص في النية كما يظهر فرزقه الله عز وجل صلاح هذه الذرية فأبنائه السبعة جميعهم طلبة علم عرفوا بعلمهم وخلقهم ونبلهم ، وهم ممن يضرب بهم المثل ، ويشار إليهم بالبنان

يقول عنهم فضيلة الشيخ صالح الفوزان : " وقد خلف الشيخ — رحمه الله — علماً غزيراً ، وأولاداً صالحين علماء أتقياء . "

أسأل الله العلي العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يبارك فيهم وفي علمهم . وأن يجعلهم خير خلف لخير سلف ، وأن ينفع بهم الإسلام وأهله إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وحقيقة فإن الناظر في حياة الشيخ — يرحمه الله — يجدها تطبيقاً واقعياً لحديث النبي ﷺ الذي يرويه تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

﴿ الدين النصيحة ﴾ قلنا : لمن ؟ قال : ﴿ لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ ^(١)

أما نصحه لله ﷻ ، ولكتابه الكريم . فقد كان الشيخ — يرحمه الله — متعبداً لله ﷻ قائماً بأوامره منتهياً عند محارمه . غيوراً على حرمة الله أن تنتهك . دائماً لذكر ربه بقلبه ولسانه وجوارحه

كما كان ذاباً عن دين الله ﷻ ، يبطل كيد الكائدين ، ويرد على الملحدين ؛ ومؤلفاته خير شاهد على ذلك ، باثناً لهذا الدين في عباد الله . مدافعاً عن كتاب الله ﷻ راداً على من حرفه تحريفاً لفظياً أو معنوياً ، أو من زعم أن فيه نقصاً أو زيادة ، محترماً لهذا القرآن العظيم راداً على من حاول امتهانه .

وهذا كله من النصيحة لله ﷻ ولكتابه الكريم .

أما نصحه لرسول الله ﷺ فقد كان — يرحمه الله — صادقاً في اتباعه للرسول محمد ﷺ لا يتجاوز شريعته ولا ينقص عنها ، مدافعاً عن سنته صلوات ربي وسلامه عليه ، ذاباً عن شريعته حامياً لها . مقدماً لهدية صلوات ربي وسلامه على قول كل أحد كائناً من كان من البشر ، محترماً لأصحاب النبي ﷺ محباً لهم ، و معظماً لهم عارفاً لهم قدرهم راداً على كل من حاول الانتقاص من قدرهم أو التطاول على مكانتهم والنيل من مرتبتهم العالية .

وهذا كله من النصح لرسول الله ﷺ .

ونصحه لأئمة المسلمين نجده متمثلاً في حرصه على تلقي العلم من أئمة الدين وهم العلماء ، مع معرفته لقدرهم وثنائه عليهم والتماس العذر لمن أخطأ منهم ، ومناصحته ، والذب عن أعراضهم .

^(١) أخرجه مسلم في الإيمان برقم : ٥٥ .

أما أئمة السلطة فقد قام بواجب النصيحة لهم على أكمل وجه بدءاً بأعلى سلطة في البلاد وهو الملك وانتهاءً بأقل من ولي ولاية من ولايات المسلمين وقلمه في هذا ماض مشهور وقد عرف عنه الصدع بالحق وعدم محاباة أو مجاملة أو مداينة أحد من البشر كائناً من كان بل هو ممن يُشنع على من اتصف بهذه الصفات ، ويزداد تشنيعه عليه إذا كان ممن ينتسب إلى أهل العلم والفضل ، وهو مع ذلك كله يعرف لولاة الأمر قدرهم ومكانتهم ويترهم منازلهم اللائقة بهم كما هو منهج أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع من ولاهم الله أمر المسلمين .

أما نصحه لعامة المسلمين فالشيخ — يرحمه الله — لم يأل جهداً في هذا الباب بلسانه وقلمه كلما وجد إلى ذلك سبيلاً أو حاجة . فهذه مؤلفاته وهذه رسائله التي يبعث بها إلى الخاصة والعامة ، ومنها ما يقرأ على جماعة المسلمين في المساجد وبخاصة فترة توليه القضاء ، وهاهي خطبه يوم أن ولي الإمامة والخطابة ، وهاهي نصائحه التي يقدمها مشافهة أو يبعث بها بصفة خاصة إلى من يحتاج إلى النصيحة ، كل ذلك يوضح مدى قيام الشيخ — يرحمه الله — بواجب النصيحة لعامة المسلمين .

البحث الثالث: أعماله

الناظر في سيرة الشيخ حمود — يرحمه الله — يجد أن أعماله تدور حول المحاور التالية :

الإمامة والخطابة :

فقد تولى الشيخ — يرحمه الله — إمامة وخطابة الجامع الشمالي القديم بمدينة الجمعة مسقط رأسه ، وذلك بعد انتقال الشيخ عبدالعزيز بن صالح — يرحمه الله — إلى مدينة الرياض ، وبقي الشيخ حمود — يرحمه الله — إماماً وخطيباً في هذا الجامع إلى أن صدر الأمر بتعيينه قاضياً برأس تنورة ، وألزم بمباشرة مهام القضاء هناك .

كما أنه تولى — يرحمه الله — الإمامة والخطابة بجامع مدينة الزلفي الشمالي حين عين قاضياً بها ، إلى أن ترك القضاء وانتقل منها .

القضاء :

ألزم الشيخ حمود — يرحمه الله — بالقضاء في رحيمة ورأس تنورة بالمنطقة الشرقية ، وذلك عام ١٣٦٨هـ — بأمر من الملك عبدالعزيز — يرحمه الله — ، وقد بقي في القضاء نحواً من ستة أشهر ، ثم اعتذر بعدها عن القضاء .

وبعد مضي مدة ، صدر الأمر من نائب الملك عبدالعزيز حين ذاك الملك سعود — يرحمه الله — بتعيين الشيخ حمود قاضياً بمدينة الزلفي ، وذلك عام ١٣٦٩هـ ، وقد بقي الشيخ قاضياً هناك حتى آخر عام ١٣٧٢هـ ، ثم اعتذر

عن القضاء للمرة الثانية. ورفض بعد ذلك تولى أي قضاء في أي ناحية من نواحي المملكة

والجواب :

كان الشيخ حمود — يرحمه الله — يستشعر عظم الأمانة والمسؤولية الملقاة على عاتق أهل العلم والميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى عليهم ؛ لذا قام بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء أكان ذلك أيام وجوده في الجمعة ، أو حين تولى القضاء حيث أصبحت الحسبة في حقه أكد وأعظم . وقد كان الشيخ — يرحمه الله — هو ومجموعة من أهل العلم والفضل بالجمعة يتولون الحسبة في الأسواق ، والطرقات ، بل وحتى في البيوت ؛ حين يصدر صوت غناء أو موسيقى من خلال المذياع أو غيره من داخل البيت فيطرق على صاحبه ويوعظ ويذكر بالله تعالى لالتهاء عن هذا المنكر . أما حين تولى الشيخ للقضاء فقد أضاف إلى ذلك الكتابة سواء أكان ذلك في الدعوة أو الأمر والنهي فأخذ يكتب الرسائل للعامة والخاصة ، ويبحث بها إلى الأعيان ، وذوي الجاه والسلطان ، وكذلك الرسائل التي تقرأ على عامة الناس في المساجد ، وكذلك لم يغفل جانب الخطبة حين توليه للخطابة فاستغلها في التوجيه والإرشاد ، والتوعية ، والإصلاح الاجتماعي .

وقد كان للشيخ — يرحمه الله — جهوده البارزة في إزالة المنكرات الظاهرة وبخاصة أيام توليه للقضاء . ومن ذلك :

أنه منع حين كان قاضياً برأس تنورة قصابين رافضيين من تولي الذبح ، وألزمهما بمسلم يذبح لهما بأجرة وهما يتوليان ما بعد ذلك .^(١)

^(١) يقول الشيخ صالح الفوزان — وفقه الله — في رسالته (الأطعمة وأحكام الصيد والذباح) : " والمرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه بإرتكاب ناقض من نواقض الإسلام كاعتناقه مبدأ من المبادئ الكفرية كالفكرة الشيوعية ، وإدعاء النبوة ، أو تصديق مدعيها كالكاديانية ، أو اعتقاد جواز الحكم بغير ما أنزل الله من القوانين الوضعية ، وكذا غلاة الشيعة الذين يدعون علياً والحسين أو غيرهما من أئمة أهل البيت ... وذيحة المرتد حرام مطلقاً عند الجمهور " ١٤٨ . ومن هنا كان منع الشيخ للقصابين الرافضيين من تولي الذبح . يقول — يرحمه الله — في رسالة أرسلها إلى الملك عبدالعزيز — يرحمه الله — يبين فيها سبب ذهابه لهذا الحكم في حق الرافضيين : " ... وسؤال العلماء عن ذيحة الرافضة الذين يدعون علياً والحسين وغيرهما من أهل البيت ، ويستغيثون بهم في الشدائد ، ولا يصلون جمعة ولا جماعة ، ويسبون الصحابة ويلعنون بعضهم كما سمعنا ذلك من بعضهم ، مع ما هم عليه من كل فعل يخالف دين الإسلام ، يعرف ذلك من تتبع أفعالهم . وقد أخرجهم كثير من العلماء من الثنتين والسبعين فرقة . ومن عرف أحوالهم عرف أن من أخرجهم من الإسلام هم المصيبون " فالشيخ يرحمه الله يذهب إلى القول بتكفير الرافضة ، وبناء عليه فإن ذبائحهم لا تجوز لأن حكمهم حكم المرتد عن دين الله ﷻ ، وهذه المسألة وقع فيها الخلاف بالنسبة لأعيان الرافضة هل يكفرون أم لا ؟ أما عقائدهم فلا شك في كفرها ، ويكفي من ذلك طعنهم في القرآن الكريم وزعمهم بأنه ناقص وقد طرأ عليه التحريف والتبديل والزيادة والنقصان . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — في الصارم المسلول على شاتم الرسول عند حديثه عن حكم من سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : " فأما من سب أزواج النبي ﷺ فقال القاضي أبو يعلى : من قذف عائشة بما برأها الله منه ؛ كفر بلا خلاف ، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد ، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم " ٥٦٦ ويقول — يرحمه الله — عند حديثه عن حكم من سب أحداً من الصحابة وتفصيل القول فيمن سبهم : " أما من اقترن بسبه دعوى أن علياً إله ، أو أنه كان هو النبي ، وإنما غلط جبرئيل في الرسالة ؛ فهذا لا شك في كفره ، بل لاشك في كفر من توقف في تكفيره . وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكنمت .. " ٥٨٦ ويقول : " وأما من جاوز ذلك إلى زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً ؛ فهذا لا ريب أيضاً في كفره ؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع : من الرضى عنهم ، والثناء عليهم ، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين " ٥٨٦ — ٥٨٧ . وهذه العقائد التي تحدث عنها شيخ الإسلام هي نفس العقائد التي يدين بها الرافضة ومنهم القصابين اللذين منعهما الشيخ — يرحمه الله — من الذبح ، ومع هذا كله فإن القول بالتفريق بين عوامهم وبين علمائهم الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه قول له وجهته فلا بد من إقامة حجة الله قبل الحكم على عباده .

ومن ذلك : أنه حكم بتأديب موظف إيطالي كافر بشركة أرامكو حين افترى الكذب على مسلم واتهمه بالسرقة زوراً وبهتاناً ، بل واقترح الشيخ حمود — يرحمه الله — على ولي الأمر نفيه من البلاد من أجل ذلك ؛ حفظاً لحقوق المسلمين وردعاً لمن تسول له نفسه الإقدام على مثل ذلك ، ممن خوله العمل السلطة على مسلم .

كما كانت له أيام قضائه جهود مباركة في رعاية المصالح العامة للمسلمين ومن ذلك جمعه لأهل البلدة الشمالية والجنوبية في مدينة الزلفي على مصلى واحد للعديد والاستسقاء بعد أن كانوا متفرقين في مصليين .

ومن ذلك : أنه أحرز قطعتي أرض موات ، وأمر ببيعهما ؛ خشية استحواذ أحد عليهما بغير حق ، ثم دفع المبلغ لثقة يعمل فيه وينميهِ ، وجعل النظر في ربح هذا المبلغ للقاضي يصرفه على ما فيه مصلحة عامة للبلد وأهله .

كما أن الشيخ — يرحمه الله — استمر في إرسال رسائل النصيح والوعظ والتوجيه والأمر والنهي إلى حين وفاته وكان يبعث بها لكل من تدعو الحاجة إلى مناصحته بدءاً بولي الأمر وعلماء الأمة ثم من ولي من أمر المسلمين أمراً ما وانتهاءً بعامة المسلمين .

يقول — يرحمه الله — في بيان وجوب إنكار المنكرات العامة والظاهرة : "ولهذا جاء في الحديث أن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ، ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ؛ ضرت العامة ؛ وذلك لأن النبي ﷺ قال : إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه . فإن المنكرات الظاهرة يجب إنكارها بخلاف الباطنة فإن عقوبتها خاصة" ^(١)

(١) تحفة الإخوان : ٤٩

وقد كانت هذه الشعيرة سمة من سمات الشيخ — يرحمه الله — يقوم بها ، ويدعو أهل العلم والفضل للقيام بواجبهم تجاهها ، ويحذرهم أشد التحذير من التخاذل ، أو المداينة في هذه الشعيرة ، وهو يشنع أشد التشنيع على من يتأخر عن القيام بهذا الواجب . يقول — يرحمه الله — : " قلت والعيان يغني عن البرهان فلا تجد أحقر ولا أصغر قدراً من الذين استهانوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مداينة للخلق وخوفاً من سخطهم حتى عند الذين يداينونهم في أمر الله تعالى ويقدمون رضاهم على رضا الله .

وكثيراً من الناس وإن تملقوا للمداهنين وأظهروا لهم المودة وسارعوا إلى قضاء حوائجهم ليسكتوا عنهم ويتركوهم وماهم عليه أو لينالوا بسببهم أمر من أمور الدنيا وحظوظها فهم في الباطن مستخفون بهم محتقرون لهم ، وكثيراً ما يظهرون عيبتهم وذمهم عند من يثقون به من الناس وإذا زلت النعل بأحد المداهنين رأيت العجب العجيب من إظهار الشماتة به والذم له .

فينبغي للمؤمن أن يقدم رضا الله تعالى على كل شيء وإن سخط عليه الناس كلهم فإن من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضي عنه الناس كما في حديث عائشة رضي الله عنها ^(١) . وهذا هو العقل النافع . وأما المداينة فإنها نقص في العقل والدين ، وربما كانت سبباً لفتنة القلب وموته كما تقدم في حديث حذيفة والأثرين عنه وعن ابن مسعود رضي الله عنهما ^(٢) .

^(١) يعني به الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ﴾ أخرجه الترمذي في الزهد برقم : ٢٤١٤ ، وقال عنه الألباني : صحيح كما في صحيح سنن الترمذي برقم :

^(٢) يعني به ما رواه حذيفة رضي الله عنه في صحيح مسلم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأأي قلب أشربها نكت فيه نكت سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض . والآخرة

وإذا مات القلب فارقه نور الإيمان وفارقتة الغيرة على محارم الله وصار الحاكم عليه الشيطان والهوى فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه وهذا هو المنافق الذي لا خير فيه قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ وبما كان عليه هو وأصحابه رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس ديناً والله المستعان. وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسوله ﷺ يرغب عنها؛ وهو بارد القلب ساكت اللسان شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق. وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم ما كلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين وخيارهم المتحزن المتلمظ ولو نوزع في بعض مافيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون وهو موت القلوب فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله ﷺ أقوى وانتصاره للدين أكمل وقد ذكر الإمام أحمد وغيره أثراً ﴿ أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى ملك من الملائكة أن أخسف بقرية كذا وكذا فقال يارب كيف وفيهم فلان العابد فقال به فابدأ فإنه لم يتمعر وجهه في يوماً قط ﴾ (١) " (٢)

أسود مريداً كالكوز مجحياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب هواه ﴿ كتاب الإيمان

برقم: ١٤٤

(١)

(٢) القول المحرر: ٩١ — ٩٢ .

أعماله وأخرى:

ولما ترك الشيخ — يرحمه الله — القضاء ، واستعفى من الوظيفة أناط بنفسه عدداً من الأعمال ؛ حسبة لله عز وجل ، ومحبة لنفع إخوانه المسلمين . فكان — يرحمه الله — يجري عقود الأنكحة ، والمبايعات ، ويكتب الوصايا ، والوكالات .

كما أنه نسخ كتباً كثيرة بيده ، وله في ذلك خط جميل متميز . ومن الأعمال التي كان يحرص عليها أشد الحرص ، ويذل فيها مهجته وماله ، وجهه ، الإصلاح بين الناس .

أخيراً فقد طلب للعمل بمؤسسات علمية كثيرة ومن ذلك :

المعاهد العلمية إبان افتتاحها ، ثم كلية الشريعة بالرياض حين أنشأت ، ثم الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، ثم دار الإفتاء .؛ لكنه اعتذر عن ذلك كله ، وآثر التفرغ للعلم بحثاً وتأليفاً . وقد استمر في تلك الطريق المباركة ، وأخرج للأمة مؤلفات قابلها أهل العلم والفضل بكل استحسان وقد أخرج عدداً كبيراً منها موشحاً بتقاريط لكبار العلماء كسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وسماحة الشيخ عبدالله بن حميد وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وسماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي — رحم الله الجميع — . وقد طرق الشيخ — يرحمه الله — في تلك المؤلفات مواضيع شتى في العقيدة والأحكام والآداب والسلوك

كما أنه تصدى — يرحمه الله — لكل من حاد عن السبيل وخالف النهج القويم من الكتاب المعاصرين ؛ وجعل يرد عليهم بقلمه منافعاً عن السنة ، مدافعاً عن العقيدة الصحيحة ، وربما نشر ذلك في كتابات في بعض الصحف المحلية أو

الخارجية . واستمر الشيخ — يرحمه الله — على ذلك لم تفتّر همته ، حتى بعد أن تقدمت به السن ، بل إزداد نهمه في آخريات حياته وزاد من وقت القراءة والمطالعة ؛ بل إنه لم يترك ذلك حتى في مرض موته — يرحمه الله — فقد قرأ عيون الأخبار لابن قتيبة — يرحمه الله — وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي — يرحمه الله — قراءة منتق مقيّد للفوائد ، كما قرأ عليه حال مرضه بالمستشفى جزء كبير من صحيح الإمام البخاري — يرحمه الله — . ومن جميل ما يذكر في هذا المقام أن زوجه قالت له شفقة عليه لما رأت ما به من جهد وإعياء وهو مكب على أوراقه في مكتبته : لو تركت القراءة والكتابة ، حتى تصح بإذن الله . فكان جوابه أن قال — يرحمه الله — : " مع المحبرة إلى المقبرة .

الفصل الثاني

سيرته العلمية

المبحث الأول : طلب العلم

أبتدأ الشيخ — يرحمه الله — رحلته في طلب العلم بحفظ كتاب الله عز وجل فقد دخل الكتاب في شهر ربيع الثاني عام ١٣٤٢هـ قبيل وفاة والده — يرحمه الله — بأيام قلائل وقد درس فيه على يد الشيخ أحمد الصانع — يرحمه الله — حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة ، ثم حفظ القرآن الكريم ، وقد أتم حفظه ولم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، وقد قرأ عليه أيضاً الأصول الثلاثة للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب — يرحمه الله — . ثم دفعته همته العالية لطلب المزيد ؛ لذا نجده لما بلغ الثالثة عشرة من عمره طلب من علامة الجمعة وفقهائها ومفتيها وقاضيهما الشيخ عبدالله العنقري — يرحمه الله — أن يقرأ عليه مع الطلاب الذين كانوا يقرؤون عليه ، فما كان من الشيخ إلا أن لبى طلبه ووافق أن ينضم مع زملائه الطلبة ، بل إنه شجعه على ذلك ؛ لما رأى من علامات النباهة والفطنة واتقاد الذهن .

ومنذ ذلك اليوم استمر الشيخ حمود — يرحمه الله — في ملازمة شيخه قرابة ربع قرن من الزمان ، وكانت هذه الملازمة ملازمة الظل لظله ، فكان الطلب في الجلسات العامة التي يجلسها الشيخ لطلابه في المسجد ، وأضاف إلى ذلك جلسات خاصة في بيت الشيخ عبدالله يقرأ عليه فيها في المطولات كفتح الباري والمغني وغيرهما ، وقد قام الشيخ حمود خلال هذه الجلسات بمقابلة وتصحيح بعض الكتب مع شيخه ككتاب الاختيارات لشيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه

الله — وكتاب شرح الإقناع للبهوتي — يرحمه الله — على نسخة بخط ابن العماد الحنبلي — يرحمه الله —

كما أن الشيخ حمود — يرحمه الله — يحضر مجالس القضاء التي يعقدها شيخه فيستمع إلى كيفية المرافعة ، والحكم في القضايا . فكانت بمثابة التدريب العملي المصاحب للتدريب النظري .

واستمر الشيخ حمود في طلبه للعلم على يد شيخه إلى أول رجب عام اثنين وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة حيث سافر الشيخ حمود للعلاج في الظهران ، وبقي هناك إلى أول ذي الحجة من العام نفسه ، ثم قدم الجمعة في آخرها وكان الشيخ عبدالله إذ ذاك قد لزم فراش المرض ، وبقي إلى أن توفي في أول النهار من يوم الإثنين الرابع من شهر صفر عام ١٣٧٣ هـ رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عما قدم لأمة الإسلام خير الجزاء .

وقد كان الشيخ عبدالله يجلب تلميذه الشيخ حمود وله مكانة خاصة في نفسه وكان يبعث إليه بمكاتبات يضيفي عليه فيها هالة من التعظيم والتبجيل ومن ذلك قوله في مخاطبته للشيخ حمود : (الشيخ الأحشم الأجد) .

وقد كانت هذه الفترة التي لازم فيها الشيخ حمود شيخه الشيخ عبدالله زاداً عظيماً تزود خلالها من سائر العلوم فقد قرأ على الشيخ في التفسير والحديث وعلومهما . وفي التوحيد ، والفقه ، واللغة ، والتاريخ ، والأدب ، وغيرها كما حفظ على شيخه عدداً من المتون العلمية وهاهي الكتب التي قرأها في تلك الفترة منقولة من جدول كتبه الشيخ بخط يده ذكر فيه سائر الكتب التي قرأها على شيخه مع بيان عدد قراءتها وذكر تواريخ الابتداء والانتهاء . وسأذكرها بحسب تصنيف الشيخ لها — يرحمه الله — :

أولاً: كتب الحديث وعلومها:

صحيح البخاري، صحيح مسلم، فتح الباري، شرح العمدة لابن دقيق العيد، بلوغ المرام لابن حجر، سبل السلام للصنعاني.

ثانياً: كتب الفقه:

المغني للموفق، شرح الإقناع للبهوتي، المقنع للموفق وحاشيته للشيخ سليمان ابن عبدالله آل الشيخ، زاد المستقنع للحجاوي، الروض المربع مع حواشيه، القواعد الفقهية لابن رجب.

ثالثاً: فقه كتب الفقه:

اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية لابن اللحام، فتاوى شيخ الإسلام، موافقة القياس لما قيل إنه على خلاف القياس لشيخ الإسلام وابن القيم جمعه محب الدين الخطيب، زاد المعاد لابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، شروط الصلاة، وآداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

رابعاً: كتب التوحيد:

كتاب التوحيد، وثلاثة الأصول وأربع القواعد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

خامساً: كتب العقائد:

العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام، الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام، شرح عقيدة الأصفهاني لشيخ الإسلام، تنبيه ذوي الألباب السليمة للشيخ سليمان ابن سحمان.

سابعاً : **مكتب الرد على أهل البربر**

(وهي مشتملة على التوحيد والعقائد وأصناف العلوم) :
منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ، العقل والنقل لشيخ الإسلام ، التسعينية
لشيخ الإسلام ، السبعينية لشيخ الإسلام ، الرد على البكري لشيخ الإسلام ،
الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ، الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ، الصواعق
المرسلة لابن القيم .

رابعاً : **مكتب تفسير الإسلام والدين والقيم**

إبطال التحليل لشيخ الإسلام ، اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ، تحقيق
أن ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن لشيخ الإسلام ، التبيان في أقسام
القرآن لابن القيم ، مفتاح دار السعادة لابن القيم ، مدارج السالكين لابن القيم
، جلاء الأفهام لابن القيم .

خامساً : **مكتب الرد على الجاهل**

الألفية لابن مالك ، شرح الألفية لابن عقيل وأكثر حاشية الخضري عليه .

سادساً : **مكتب المصطلح في علم الحديث**

نظم البيقونية (مراراً كثيرة) .

سابعاً : **مكتب الأدب**

زاد المعاد لابن القيم ، الآداب الشرعية لابن مفلح ، روضة العقلاء لأبي حاتم ،
الأمالي لأبي علي القالي .

تُورِثُ نُسْبِي:

المقالات لأبي الحسن الأشعري ، الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي المكي ، رد الشيخ محمد حمزة على القصيمي الملحد الخبيث ، رد الشيخ عبدالله يابس على القصيمي .

وأخيراً حظي من الشيخ عبدالله بإجازة مطولة في رواية الصحاح والسنن والمسانيد . وفي رواية كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه العلامة ابن القيم — رحمهما الله تعالى — ، كما أجازته برواية مذهب الحنابلة ، وكذلك بجميع مروياته لكتب الأثبات ، وقبل ذلك كله بحديث الرحمة المسلسل بالأولية .

ولم يكتف الشيخ كما هي عادة العلماء بشيخ واحد بل حرص على النهل من معين كل ذي علم حضني به ، فقرأ على الفقيه العلامة الشيخ محمد ابن عبدالمحسن الخيال — يرحمه الله — في النحو والفرائض .

وقرأ على سماحة الشيخ العلامة عبدالله بن حميد — يرحمه الله — حين عين قاضياً في الجمعة قرأ عليه في اللغة والفرائض .

كما قرأ على الشيخ المجاهد سليمان بن حمدان — يرحمه الله — في الفقه وغيره ، وأجازته بجميع مروياته للصحاح والسنن والمسانيد والأثبات .

المبحث الثاني : محبته

الناظر في مؤلفات الشيخ حمود — يرحمه الله — يعلم علم اليقين بأنه انتهج منهج السلف الصالح في العقيدة واقتفى آثارهم وترسم خطاهم . بل إن غالب مؤلفاته في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين لها .

فهاهو مثلاً في مسألة القول بخلق القرآن يقرر عقيدة أهل السنة والجماعة بقوله : " أما أهل العلم الموروث عن النبي ﷺ وهم أهل السنة والجماعة فإنهم يفرقون بين فعل العبد الذي هو تلاوته ، وبين المتلو المقروء وهو كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ ... " (١)

وهاهو في مسألة الاحتجاج بأحاديث الآحاد في باب العقائد يقرر طريقة أهل السنة والجماعة بقوله : " وليس التواتر في الإخبار عن المغيبات شرطاً لوجوب الإيمان بها كما زعم ذلك بعض أهل البدع ، ومن تبعهم من المتفقهة المقلدين وغيرهم من جهلة العصرين وزنادقتهم . بل كل ما صح سنده إلى النبي ﷺ فالإيمان به واجب ، سواء كان متواتراً أو آحاداً وهذا قول أهل السنة والجماعة " (٢)

وها هو في مسألة الإيمان والإسلام والفرق بينهما يقول : " ما صرح به ابن محمود في الإسلام والإيمان أنهما واحد هو قول الخوارج والمعتزلة ومن تبعهم ،

(١) تنبيه الإخوان على الأخطاء في مسألة خلق القرآن : ٨ — ٩ .

(٢) إتحاف الجماعة : ١ / ٧ — ١٠ .

وهو قول مخالف لظاهر القرآن وللأحاديث الصحيحة ولما عليه جمهور أهل السنة والجماعة " (١)

و هاهو في باب توحيد الأسماء والصفات يقرر معتقد أهل السنة والجماعة بقوله : "والذي عليه أهل السنة والجماعة : أنهم يسمون الله تعالى بأسمائه الحسنى ، ويصفونه بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يبتدعون في أسمائه وصفاته شيئاً من عند أنفسهم ، ولا ينفون عنه شيئاً مما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ . " (٢)

(١) فتح المعبود في الرد على ابن محمود : ١٦٠ — ١٧٣ . والشيخ يقصد هنا بقوله : هو قول الخوارج و المعتزلة : في كونهم يخرجون أهل الكبائر من اسم الإيمان والإسلام و أن الإيمان والإسلام عندهم واحد فإذا خرجوا عندهم من الإيمان خرجوا من الإسلام ، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — وليس كلام الشيخ هنا يتوجه إلى من قال من أئمة السلف كالمروزي وغيره — يرحمهم الله — بأن الإسلام والإيمان اسمان لمسمى واحد . ويقال بعد ذلك كله : إن كان كلام الشيخ ابن محمود يقصد به ما ذهب إليه المروزي والبخاري وغيره من الأئمة فلا يتوجه إليه كلام الشيخ حمود هنا ، ولعل هذا هو ما قصده ابن محمود في كلامه — يرحمه الله — . و مع ذلك كله فإن شيخ الإسلام ابن تيمية قد تعقب من قال بعد التفريق و رجع القول بالتفريق كما دلت على ذلك النصوص و انظر لذلك : كتاب الإيمان : ٣٤٢ —

(٢) التنبيهات المهمة على ما في بعض مؤلفات الصوفاء من الأخطاء الجمة : ٣٢ — ٣٣ (مخطوط)

المبحث الثالث: سيرته وولايته وإجازته:

أولاً: سيرته:

(١) الشيخ أحمد الصانع — يرحمه الله — وهو أول من قرأ عليه في الكتاب وقد أخذ عنه مبادئ القراءة والكتابة ، وحفظ على يديه القرآن الكريم ، وقرأ عليه الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب — يرحمه الله — .

(٢) الشيخ عبد الله بن عبدالعزيز العنقري — يرحمه الله — ولعله من المناسب أن أفرد له ترجمة مستقلة ؛ كونه لازمته الشيخ ربع قرن من الزمان وأخذ عنه سائر العلوم الشرعية .

هو الشيخ عبد الله بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن العنقري ، وآل عنقر عشيرة كبيرة من بني سعد بن زيد مناة أحد البطون الكبار في قبيلة تميم المشهورة .

ولد — يرحمه الله — في ثرمداء إحدى بلدان الوشم عام ١٢٩٠هـ ، وقتل والده وله من العمر سنتان فنشأ في حجر والدته وأعمامه ، ولما بلغ السابعة من عمره أصيب بالجدري ؛ ففقد بصره ؛ فعطفت عليه الكبرى من عماته ، وجعلته عند مقرىء بلدتهم (عبد الله ابن ماجد) كي يحفظه القرآن كما اختارت له إمام البلدة (حمد ابن شعيل) ليدرسه في مختصرات التوحيد والفقه . ولما بلغ السادسة عشرة من عمره ارتحل إلى الرياض حيث كبار العلماء ؛ فشرع في القراءة على العلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بكتب الشيخ محمد ورسائله وبالتفسير والحديث وأصولها ، كما أخذ الحديث على الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن ، والفقه على الشيخ محمد ابن محمود ، والنحو واللغة على الشيخ

حمد بن فارس ، وصار يتردد بين بلدته والرياض أحد عشر عاماً وهو يطلب العلم ، وكان مجداً مجتهداً في دروسه وتعلمه ، كما أنه موضع العناية من مشايخه ؛ لما توسموا فيه من الذكاء وما رأوا فيه من الإقبال .

وقد عين عام ١٣٢١هـ إماماً لبلدته بعد وفاة الإمام السابق وأصبح مدرساً في مبادئ العلوم ، وأسند إليه مهمة الأمر بالمعروف ، وإجراء عقود الأنكحة ، وكتابة وثائق عقود المبيعات والإجازات في هذه البلدة .

ولما استولى الملك عبدالعزيز — يرحمه الله — على الجمعة ومقاطعة سدير أتى به وعينه قاضياً لتلك المنطقة واستقر بالجمعة عام ١٣٢٦هـ ، وأضيف إليه من البلدان الزلفي ومبايض والأرطاوية .

وقد اشتهر الشيخ عبدالله بالرغبة الشديدة في طلب العلم وتحقيقه والعمل به وجمع كتبه ؛ حتى صار عنده مكتبة من أنفس المكتبات لاشتمالها على الكتب الخطية النادرة ، وكانت له عناية شديدة بالفقه الحنبلي ، وقد ألف حاشية على الروض المربع وجمع بين حاشيتي المقنع المنسوبتين إلى العلامة الشيخ سليمان ابن عبدالله آل الشيخ .

ومع الأعمال التي كان يقوم بها فقد شغل وقته كله في العلم مطالعة ومراجعة وبحثاً وتدریساً للطلاب ومن أشهر طلابه وهم كثير :

١ — الشيخ عبدالعزيز بن صالح — يرحمه الله — رئيس محاكم المدينة وإمام المسجد النبوي سابقاً .

٢ — الشيخ محمد الخيال — يرحمه الله — رئيس محاكم الأحساء سابقاً .

٣ — الشيخ عثمان الحقيـل — يرحمه الله — رئيس محاكم المنطقة الشرقية سابقاً

٤ — الشيخ محمد بن علي البيز — يرحمه الله — رئيس محاكم الطائف سابقاً .

٥ — الشيخ إبراهيم الثميري قاضي تمييز .

٦ — الشيخ عبدالعزيز بن ربيعة قاضي تمييز .

٧ — الشيخ سليمان بن حمدان — يرحمه الله — قاضي ومدرس بالمسجد الحرام سابقاً .

٨ — الشيخ حمود بن عبد الله التويجري — يرحمه الله — الذي يدور حوله موضوع الرسالة

وغير هؤلاء كثير من رجال العلم والقضاء .

أما آثاره التي خلفها فهي :

١ — حاشية على شرح الزاد ، جمعها من كلام العلماء وبعض تقاريره .

٢ — تعليقات على نونية ابن القيم — يرحمه الله — .

٣ — رسائل وأجوبة على أسئلة فقهية مفرقة في الرسائل والمسائل النجدية .

٤ — جمع كتاب المغني في الفقه بعد أن كان غير موجود كاملاً في نجد .

٥ — جمع مكتبة كبيرة مليئة بنفائس المخطوطات ، وهي اليوم عند أبنائه .

يقول عنه أحد تلامذته الشيخ سليمان بن حمدان — يرحمه الله — : " وقد التقى الشيخ عبد الله في حج عام ١٣٤٨هـ بالشيخ عبدالستار بن عبدالوهاب الصديقي الحنفي الدهلوي ثم المكي ؛ فأستجازه فأجابه إلى ذلك وكتب له إجازة عامة بجميع ما تجوز له روايته عنه بشرطه ، وأخذ عنه المسلسل بالأولية الحقيقية ، وجملة من المسلسلات غيره .

وكان فيما بلغني يلقب بالحافظ لما رزقه الله سرعة الحفظ وقوة الإدراك ، وكان مشايخه الذين أخذ عنهم يجلونه ويحترمونه . هذا مع ما هو عليه من الوقار ، والتعفف ، والتواضع ، وإطراح التكلف ، وعدم مزاحمة أرباب المناصب عليها . وكان مواظباً على قيام الليل ، وتلاوة القرآن كل ليلة ، ومديماً على الأوراد والأدعية المأثورة ، وصدق اللجوء إلى الله ، والتوكل عليه ، وكان يجلس بعد صلاة الفجر في مصلاه يدعو الله ، ويذكره حتى تطلع الشمس ، وآخر ساعة بعد العصر إلى قريب المغرب .

وقد ظل الشيخ عبدالله — يرحمه الله — في القضاء ستاً وثلاثين سنة حتى طلب الإعفاء، وتفرغ لنشر العلم والتدريس والتأليف حتى أدركته المنية في اليوم السادس من صفر عام ١٣٧٣هـ في بلدة الجمعة وهو في الثالثة والثمانين من عمره. ^(١)

(٣) الشيخ محمد بن عبدالمحسن الخيال — يرحمه الله — من آل وطبان، ولد بالجمعة عام ١٣١٩هـ، وتوفي بالرياض عام ١٤١٣هـ. ولي القضاء في المدينة، ثم في الأحساء، ثم في قطر. وقد قرأ عليه الشيخ في النحو والفرائض. (٤) الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد — يرحمه الله — ولد بالرياض عام ١٣٢٩هـ، وتوفي عام ١٤٠٢هـ. وقد ولي القضاء ورئاسة المجلس الأعلى للقضاء، ورئاسة الحرم المكي، والجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، وعضوية هيئة كبار العلماء. وقد قرأ عليه الشيخ حمود لما ولي الشيخ عبدالله قضاء الجمعة، قرأ عليه في اللغة والفرائض.

(٥) الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان — يرحمه الله — ولد بالجمعة عام ١٣٢٢هـ، وتوفي بالطائف عام ١٣٩٧هـ، وقد ولي القضاء بمكة المكرمة والمدينة النبوية، وتولى التدريس بالمسجد الحرام، وله مؤلفات عديدة. وقد قرأ عليه الشيخ في الفقه وغيره.

(٦) الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ — يرحمه الله — ولد بالرياض عام ١٣١١هـ، وتوفي عام ١٣٨٩هـ. كان هو مفتي المملكة في زمانه ورئيس القضاة. وقد قرأ عليه الشيخ عدداً من مؤلفاته بقصد استشارته فيها (٧) الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز — يرحمه الله — ولد بالرياض عام ١٣٣٠هـ، وتوفي عام ١٤٢٠هـ بالطائف. ولي القضاء ثم رئاسة الجامعة

^(١) انظر لترجمة الشيخ عبدالله العنقري: علماء نجد خلال ثمانية قرون لعبدالله بن عبدالرحمن آل بسام ٤ /

الإسلامية وبعد ذلك رئاسة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد إلى أن عين مفتياً للمملكة كما ولي رئاسة هيئة كبار العلماء. وقد قرأ عليه الشيخ حمود الكثير من مؤلفاته ، بقصد استشارته فيها .

ثانياً : تلاميذه وإجازته :

لم يكن للشيخ — يرحمه الله — دروس علمية تذكر بل عقد حلقات مدة يسيرة ، ثم ترك ذلك لأسباب كثيرة منها أنه كان مصاباً بنوع من المرض وهو كثرة البلغم وشرقه بريقه مما يتعسر معه رفع الصوت ، وإطالة الحديث وهما قوام الدروس العلمية ، بل من أجل ذلك كان يتحاشا الخطابة والإمامة في الصلوات الجهرية ؛ ولهذا نجد أن تلاميذه قلة — يرحمه الله — ومن هذه الحلقات التي عقدها :

حلقة للتدريس أيام قضائه بالزلفي ، وكان تلاميذه يقرؤون عليه فيها بعض المتون حفظاً ، ثم يشرح ذلك بعبارة سهلة مبسطة ، وربما استخدم أسلوب الاستجواب في إيضاحه وشرحه ، ومن الكتب التي قرئت عليه في تلك الحلقة : الأربعون النووية وشرحها للإمام النووي — يرحمه الله — والوابل الصيب من الكلم الطيب ، ومجموعة الأحاديث النجدية ، ومصاييح السنة ، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام .

ومن تتلمذ عليه في تلك الفترة :

- (١) زيد الغانم .
- (٢) عبد الله بن سليمان الرومي .
- (٣) عبد الله بن محمد الناصر الحمود .
- (٤) قاسم بن الشيخ فالح الصغير .

- (٥) محمد بن عبدالله الدرويش .
 (٦) ناصر بن عبدالله الطريري .
 وحين ترك القضاء عقد درساً بمدينة الجمعة ، وذلك عام ١٣٨٠هـ في الفقه والفرائض ، لكنه لم يدم طويلاً لما سبق ذكره .
ومن تتلمذ عليه في تلك الفترة :

- (١) عبدالرحمن بن علي الهندي .
 (٢) عبدالرحمن بن محمد المزعل .
 (٣) عبدالله بن محمد الدريعي .
 (٤) علي بن عثمان التركي .
 (٥) ناصر بن يوسف الوكيل .

وكان — يرحمه الله — يشترط على الطالب شرطين حتى يقبله في حلقة :
 أولهما : أن يحضر إلى المسجد بسماع الآذان مباشرة ، ومن أقيمت الصلاة وليس في المسجد فلا مقام له عنده .

ثانيهما : أن يتحلى بحلية طالب العلم في منطقه وفعله ومخالطته .
 وكان له — يرحمه الله — مجلس مذاكرة بمترل آل صالح يُقرأ فيه من السيرة في كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير — يرحمه الله — يحضره جمع من العلماء وطلاب العلم والعوام .

وقد تتلمذ على يديه مع هؤلاء جميعاً أبناءه بداية بابنه عبدالله ، ومحمد ، وعبدالعزیز ، وعبدالكريم ، وصالح ، وإبراهيم ونهاية بأصغرهم خالد ، ومعهم حفيده محمد بن عبدالله ؛ فقرأوا عليه في بعض الكتب ، وكثيراً من

مؤلفاته . وقد أجازهم بجميع مروياته للصحاح والمسانيد ، والأثبت المصنفة لأسانيد كتب السنة ، وحدثهم قبل ذلك بالحديث المسلسل بالأولية ^(١) .

إجازاته :

والشيخ — يرحمه الله — عنده إجازتان إحداهما من شيخه الشيخ عبد الله العنقري — يرحمه الله — والأخرى من شيخه الشيخ سليمان ابن عبد الرحمن ابن حمدان . ذكرهما الشيخ — يرحمه الله — في ثبته المسمى (تحاف النبلاء بالرواية عن الأعلام الفضلاء) وهو ثبت دونه الشيخ — يرحمه الله — بخط يده يذكر فيه أسانيد إجازاته ويدون فيه اسم الشخص الذي يجيزه ويعطيه نسخة مصورة لهذا الثبوت . يقول الشيخ — يرحمه الله — في هذه الإجازة : " أما بعد فقد طلب مني أن أجيزه بما رويته عن الشيخين الفاضلين وهما عبد الله ابن عبدالعزيز العنقري وسليمان بن عبد الرحمن الحمدان . تغمدهما الله برحمته . وأسكنهما فسيح جنته . فأجبتة إلى مطلوبه وإن كنت لست أهلاً لذلك . ولا من الفرسان في هذه المسالك . ولكن الضرورة اقتضت ذلك لأمر ثلاثة . أحدها المحافظة على اتصال الأسانيد إلى النبي ﷺ ولا سيما في هذا الزمان البعيد من زمان النبي ﷺ . وثانيهما رجاء الإنتظام في سلك المحدثين . وثالثهما رجاء الدخول فيمن دعا لهم النبي ﷺ بالنصرة والرحمة . وهم الذين يحفظون أحاديثه ويبلغونها إلى غيرهم كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ ، وإني أقول كما قال بعض مشايخ الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وإذا أجزت مع القصور فإنني أرجو التشبه بالذين أجازوا

^(١) وهو حديث : ﴿ الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ﴾ وهو في مسند أحمد برقم : ٦٢٠٦ ، وفي سنن الترمذي في البر والصلة برقم : ١٩٢٤ ، وفي سنن أبي داود في الأدب برقم : ٤٢٩٠ ز وقال عنه الألباني : صحيح كما في صحيح سنن الترمذي برقم : ١٥٦٩ .

وأقول أيضاً : قد أجازني كل من الشيخين المذكورين كتابة بما رواه كل منهما من : كتب الحديث ، والمسلسلات ، والأثبات المصنفة لأسانيد كتب السنة .
وأجازني الشيخ عبدالله العنقري — رحمه الله تعالى — بالرواية لمذهب الإمام أحمد بن حنبل — رحمه الله تعالى — .

وأجازني أيضاً بالرواية لمصنفات شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم — رحمهما الله تعالى — .

وأجازني أيضاً بما أخذه عن مشايخه وتلقاه عنهم رواية . وهم : الشيخ عبدالله ابن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب .
والشيخ حسن بن حسين بن علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب .
والشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب .
والشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود . والشيخ حمد بن فارس — رحمهم الله تعالى — قال : وهم أخذوا عن الشيخ عبدالرحمن ابن حسن وابنه الشيخ عبداللطيف — رحمهما الله تعالى — . وأخذ الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود أيضاً عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين — رحمه الله تعالى — . والشيخ إسحاق ابن عبدالرحمن أخذ أيضاً عن بعض علماء الهند . منهم : نذير حسين ، ومحمد بشير ، وحسين بن محسن الأنصاري . وأخذ أيضاً عن بعض علماء الأزهر .

وأجازني الشيخ عبدالله العنقري بجميع ما أجاز به الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، والشيخ عبدالستار بن عبدالوهاب الصديقي الحنفي كتابة من كل منهما .
وقد كتب لي إجازة مطولة في سبع وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، وضمنها إجازة كل من الشيخين المذكورين له . وذلك في اليوم الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ألف وثلثمائة وسبعين من الهجرة النبوية .
وأجازني الشيخ سليمان الحمدان بما أجاز به أهل العلم بالرواية والدراية مما رَوَوْه بالأسانيد الصحيحة المتصلة من كتب السنة المطهرة . وبجميع ما هو

مذكور في إجازته التي كتبها لي في اليوم الثالث من شهر شوال سنة ألف وثلثمائة وخمس وتسعين من الهجرة النبوية .

وأجازني أيضاً بمؤلفاته ، ومجموعاته من منظوم ومنثور .

وكتب لي قبل ذلك إجازة خاصة بحديث الرحمة المسلسل بالأولية . وذلك في اليوم الثاني من شهر شوال سنة ألف وثلثمائة وثمانين من الهجرة النبوية وقرأ الإجازة علي وقرأتها عليه وأذن لي بروايته عنه في ذلك اليوم السابع من الشهر والسنة المذكورتين . " (١)

وقد حدث الشيخ — يرحمه الله — وأجاز إضافة إلى أبنائه وحفيده محمد ابن عبدالله ، عدداً من أهل العلم والفضل وهم (٢) .:

- (١) الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي
- (٢) الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالله الوائل التويجري .
- (٣) الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد الوائل التويجري .
- (٤) الشيخ الدكتور أحمد بن معبد بن عبدالكريم بن سليمان كلياتي من علماء مصر .
- (٥) الشيخ محمد بن رزق الطرهوني ، من أهل مصر .
- (٦) الشيخ العلامة إسماعيل بن محمد الأنصاري — يرحمه الله — .
- (٧) الشيخ خالد بن فوزي بن عبد الحميد حمزة ، من أهل مصر .
- (٨) الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد السعد ، المحدث المعروف .
- (٩) الشيخ الدكتور /عبدالرزاق بن عبد المحسن العباد البدر .
- (١٠) الشيخ محمد بن هادي المدخلي .

(١) إتخاف النبلاء بالرواية عن الأعلام الفضلاء ٢: ٤ .

(٢) ترتيب الأسماء هنا بحسب تأريخ حصولهم على الإجازة وذلك مرصود في سجل خاص لكل من أجازهم الشيخ — يرحمه الله —

- (١١) الشيخ الدكتور / عبدالكريم بن عبدالله بن عبدالرحمن الخضير .
- (١٢) الشيخ جاسم بن سليمان الفهيد الدوسري ، من أهل الكويت .
- (١٣) الشيخ محمد بن ناصر العجمي ، من أهل الكويت .
- (١٤) معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية^(١) .
- (١٥) الشيخ عبداللطيف بن محمد بن حمد آل الشيخ .
- (١٦) الشيخ الدكتور / محمد العروسي عبدالقادر .
- (١٧) معالي الشيخ الدكتور / صالح بن عبدالله بن حميد رئيس مجلس الشورى^(٢) .
- (١٨) الشيخ الدكتور / عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي الهندي .
- (١٩) الشيخ الدكتور / مساعد بن سليمان الراشد الحميد .
- (٢٠) الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبدالعزيز القاسم .
- (٢١) الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان .
- (٢٢) الشيخ عواد بن حسين الخلف ، من أهل سوريا .
- (٢٣) الشيخ الدكتور / سليمان الوائل التويجري .
- (٢٤) الشيخ محمد بن هديب بن عبدالرحمن المهيدب .
- (٢٥) الشيخ الدكتور / عبدالمحسن بن محمد بن عبدالمحسن المنيف .
- (٢٦) الشيخ الدكتور / سفر بن عبدالرحمن الحوالي .
- (٢٧) الشيخ سلمان بن فهد العودة .
- (٢٨) الشيخ الدكتور / عبدالوهاب بن ناصر الطريري .

^(١) عند كتابة هذه الرسالة .

^(٢) عند كتابة هذه الرسالة .

-
- (٢٩) الشيخ الدكتور / محمد بن سعيد القحطاني .
- (٣٠) الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حمود التويجري .
- (٣١) الشيخ الدكتور / محمد بن عبدالله الوهيبي .
- (٣٢) الشيخ الدكتور / علي بن إبراهيم القصير .
- (٣٣) الشيخ عبدالعزيز بن محمد القاسم .

المبحث الرابع : ثقافته ومؤلفاته :

أولاً : ثقافته :

سبقت الإشارة إلى أن الشيخ خلال ملازمته لشيخه الشيخ عبد الله العنقري — يرحمهما الله — لمدة ربع قرن من الزمان قرأ عليه في مختلف الفنون من كتب التفسير إلى كتب الحديث وشروحها إلى كتب الفقه إلى كتب التوحيد إلى كتب العقائد إلى كتب الرد على أهل البدع وهي مشتملة على التوحيد والعقائد وأصناف العلوم إلى بقية كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم — يرحمهما الله — إلى كتب النحو وكتب الأدب إلى أنواع شتى من العلوم .

وقد أفنى الشيخ — يرحمه الله — عمره وأمضى وقته في طلب جميع العلوم الشرعية وتحصيلها . وهذا ظاهر في مؤلفاته وبخاصة فيما يتعلق بالعقيدة التي أولاهها اهتماماً خاصاً — كما سبق أن ذكرت — والتي هي في غالبها ردود على من حاد عن منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد . و ما يتعلق بعلم الحديث الذي شغل حيزاً كبيراً من مؤلفات الشيخ — يرحمه الله — وظهر مدى تمكنه من هذا العلم سواء أكان فيما يتعلق بطرق الأحاديث وأسانيدها ومعرفة رجالها وما يتعلق بالجرح والتعديل وكلام الأئمة في ذلك . ولا أدل على ذلك من مؤلفه المشهور الذي طبع مؤخراً في ثلاث مجلدات وهو (إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرط الساعة) جمع فيه الأحاديث المتعلقة بالفتن والملاحم وأشرط الساعة على طريقة العلماء المعروفة .

إضافة إلى معرفته ببعض العلوم الأخرى كعلوم الطب والتداوي فقد كان للشيخ — يرحمه الله — اهتمام بالطب العربي القديم ، وكان كثيراً ما يقرأ في بعض كتبه ، ويقيد الاستطبابات العربية المجربة من أفواه الموثوقين عنده . وله خبرة بالكي لأمراض عديدة ، لا سيما ما يصيب الأطفال منها ، وكم شفي على يديه منهم من عجز الطب الحديث عن علاجه فلله الحمد والمنة .

ومن العلوم أيضاً التي كان للشيخ معرفة بها وإلمام وإطلاع علم الفلك النافع فكان له معرفة بالنجوم : أسمائها ، ومواقعها ، ومطالعها ، ومغايها . وقد كان لهذا الاتساع المعرفي أثره فيما سطره من مؤلفات .

ثانياً : مؤلفاته :

تطرق الشيخ — يرحمه الله — في مؤلفاته إلى مواضيع عدة ، وقد تجاوزت الستين مؤلفاً ، طبع منها بضع وأربعون ، ونشر بعضها بالصحف المحلية أو الخارجية وبعضها ما يزال مخطوطاً . وقد اتسمت مؤلفات الشيخ — يرحمه الله — بالقوة ، والعمق ، والشمول ، وجزالة اللفظ ، وخلت بحمد الله من اللحن ، وضعف التركيب ، وركاكة الأسلوب .

وقد أثنى على هذه المؤلفات — كما سبق أن ذكرت — كبار العلماء المعاصرين لشيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — .

وسأذكر هنا الكتب التي ألفها مرتبة على حروف المعجم ، مع بيان صفتها ، والإشارة باختصار إلى ما تضمنته من موضوعات ، وبيان المطبوع منها والمخطوط :

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرط الساعة : وقد جمع فيه الشيخ — يرحمه الله — الأحاديث الواردة في الفتن والملاحم وأشرط الساعة ،

كما اشتمل الكتاب على تنبيه على بعض أخطاء المعاصرين في تأويل الأحاديث الواردة في ذلك ، ومنهم أبو عبيدة في تعليقه على النهاية لابن كثير — يرحمه الله — وقد فرغ من تأليف الجزء الثاني في ١٣/٣/١٣٩٦هـ . وطبع طبعتان الأولى في جزأين كبيرين الجزء الأول بمطابع الرياض عام ١٣٩٤هـ ، والجزء الثاني بمطابع المدينة بالرياض عام ١٣٩٦هـ . والطبعة الثانية في ثلاثة أجزاء طبع دار الصميعي بالرياض عام ١٤١٤هـ .

(٢) إتحاف النبلاء بالرواية عن الأعلام الفضلاء . وهو إجازة الشيخ — يرحمه الله — في رواية كتب السنة . وهو جزء لطيف لم يطبع .

(٣) إثبات علو الله ومبانيته لخلقه والرد على من زعم أن معية الله للخلق ذاتية . ذكر فيه الأدلة من الكتاب والسنة على قول أهل السنة والجماعة في إثبات علو الله على خلقه ، ثم أورد ما نقل عن أكابر أئمة السلف — يرحمهم الله — في إثبات العلو ، ورد على من زعم أن معية الله لخلقه ذاتية وبين بطلان هذا المذهب . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه في ٢٨/٣/١٤٠٤هـ . نشر أولاً في مجلة البحوث الإسلامية ملحقاً بالعدد الثاني عشر ، ثم طبعته مكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٥هـ . وقد قدم للكتاب سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز ، كما قرظه فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين — يرحمهما الله — .

(٤) الإجابة الجلية على الأسئلة الكويتية . وهو إجابة لأسئلة وردت من الكويت عن عدة مسائل وهي عن جواز طلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته ، والزعم بأن النبي ﷺ يستغفر حياً وميتاً لمن جاء قاصداً رحابه ، وإباحة الاستنجاد به ﷺ بعد موته ، واللجوء إلى أهل القبور عند الشدائد ، والقول بأن عقيدة الأشاعرة هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، وإنكار توحيد الأسماء والصفات ، وإنكار بعض الصفات ، والقول بأن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقيدة ، وإيجاب بعضهم إتباع إمام من أئمة الفقه وتبديع من ينادي بالاجتهاد

واتباع الدليل . وأخيراً قول بعضهم : إن الخلاف بين أهل السنة والرافضة خلاف في الفروع فقط . وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على ذلك كله وبين الحق بدليله . وهو جزء صغير ، فرغ من كتابته في ٢٥/١٠/١٤٠٤هـ وطبعته مكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٦هـ ، ثم أعيدت طباعته عام ١٤٠٦هـ — ويقع في ٤٥ صفحة .

(٥) **الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر** . وهو رد على رسالة للشيخ عبدالله بن محمود — يرحمه الله — أنكر فيها خروج المهدي في آخر الزمان وأسمائها : (لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر) وقد رد الشيخ — يرحمه الله — عليه هذا الزعم وبين ثبوت خروج المهدي في آخر الزمان كما جاءت بذلك الأدلة ، وأشار الشيخ إلى مدعي المهديّة ، كما بين ما عليه جمال الدين الأفغاني وتلامذته ، ونبه على تحrvات في مسألة يأجوج ومأجوج وسد ذي القرنين . وهو جزء كبير ، فرغ من تأليفه في ١٥/٢/١٤٠١هـ — وطبع الطبعة الأولى عن طريق رئاسة البحوث والإفتاء عام ١٤٠٣هـ . والطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ عن طريق مكتبة العليان الحديثة بالقصيم . والكتاب يقع في ٤٢٣ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — .

(٦) **إعلان النكير على المفتونين بالتصوير** . اشتمل على حكم تصوير ذوات الأرواح ، وبيعها ، وحكم التصوير الفوتوغرافي . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه عام ١٣٨٢هـ . طبع بمؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض . ويقع في ١١٨ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالرزاق عفيفي — يرحمها الله —

(٧) **إقامة البرهان على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان** . وهو رد على مقال لعبدالكريم الخطيب نشر في المجلة المسماة (المسلمون) ، أنكر فيه ما تضافرت به الأدلة من ظهور المهدي ، وخروج

الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام . وهو جزء صغير . حرره في ١٦/١١/١٤٠٢ هـ ، وطبعته مكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٥ هـ . ويقع في ٢٩ صفحة .

(٨) إقامة الدليل على المنع من الأناشيد الملحنة والتمثيل . وهو جواب على سؤال عن حكم الأناشيد الملحنة والتمثيل وكونها تجعل أسلوباً من أساليب الدعوة . وهو جزء صغير ، لم يذكر تاريخ كتابته كعادته — يرحمه الله — طبع بدار اللواء بالرياض عام ١٤١٣ هـ . ويقع في ٥١ صفحة .

(٩) الانتصار على من أزرى بالنبي والمهاجرين والأنصار . وهو رد على مقال لعبدالله السعد يوم أن كان وزيراً للمواصلات وصف في مقاله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم بالبداوة وتعرض للآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد رد الشيخ عليه ، كما اشتمل الكتاب على بيان لحكم التصوير الفوتوغرافي . وهو جزء صغير فرغ من كتابته في ٤/٥/١٣٨٥ هـ ، وطبع بمؤسسة النور بالرياض ، ويقع في ٢٣ صفحة وهو بتقديم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — يرحمه الله — (١٠) إنكار التكبير الجماعي وغيره . اشتمل على حكم التكبير الجماعي صبيحة العيد ، وحكم التطريب في الأذان ، والإشارة إلى بعض المخالفات الواقعة في الحرم من المطوفين وغيرهم . وهو جزء صغير فرغ من تأليفه عام ١٣٧٩ هـ . وطبع بمطابع دار الكشف ببيروت عام ١٣٨١ هـ ، ويقع في ٢٩ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ عبدالله بن حميد وسماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز — يرحمها الله — .

(١١) إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة . وهو رد على أحد علماء المغرب أحمد بن محمد بن الصديق الغماري في كتابه (مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية) حيث أول بعض آيات القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية بغير تأويلها ، كما تهجم على أئمة الدعوة النجدية ، وقد رد

الشيخ — يرحمه الله — على ذلك كله ، ونبه على ما يفعله بعض الصوفية وأضرابهم من البدع . وهو جزء لطيف فرغ من تأليفه في ١٣٨٥/٣/٢٠ هـ . وطبع بمؤسسة النور بالرياض لحساب دار الإفتاء عام ١٣٨٥ هـ . ويقع في ١٩٨ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — يرحمه الله — .

(١٢) الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشاهة المشركين . وقد اشتمل على بيان لعدد كبير من المخالفات وقد ذكر الشيخ خمسة وأربعين نوعاً من أنواع المشاهة وقع فيها المسلمون تشبهاً بأعدائهم . وهو جزء متوسط فرغ من تأليفه في ١٣٨٢/٧/١٩ هـ ، وطبع الطبعة الأولى بمؤسسة النور بالرياض عام ١٣٨٤ هـ . ويقع في ٢٥٦ صفحة . والطبعة الثانية بشركة العبيكان بالرياض . ويقع في ٢٩٠ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — . وقد اختصر الكتاب فضيلة الشيخ عبدالله الجارالله — يرحمه الله — وطبع مختصره مرتين عام ١٤٠٣ هـ ويقع في ٢٣ صفحة .

(١٣) تبرئة الخليفة العادل والرد على المجادل بالباطل . وهو رد على من افترى على الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز — يرحمه الله — وزعم أنه يستمع الأغاني ، وقد بين الشيخ — يرحمه الله — حرمة الغناء وأورد الأدلة التي تبين ذلك . وهو جزء لطيف فرغ من تأليفه في ١٣٨٥ / ١٢ / ٢٣ هـ . وطبع بمطابع شركة المدينة للطباعة والنشر بجدة عام ١٣٨٨ هـ . ويقع في ٤٦ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — يرحمه الله — .

(١٤) تحذير العاقل النبيل مما لفقته المفتونون بالتمثيل . وهو رد على مؤلف كتاب (حكم التمثيل في الدعوة إلى الله) وقد بين الشيخ — يرحمه الله — حكم التمثيل ، ومنشأه ، وحكم جعله وسيلة من وسائل الدعوة . وهو جزء

صغير ، فرغ من تأليفه في ١٢/٣/١٤١١هـ . وطبع بدار اللواء بالرياض . ويقع في ٥٥ صفحة .

(١٥) تحذير الأمة الإسلامية من المحدثات التي دعت إليها ندوة الأهلة الكويتية . وهو تعقيب على الأخطاء التي وقعت في توصيات ندوة الأهلة والمواقيت والتقنيات الفلكية التي عقدت في الكويت عام ١٤٠٩ هـ ، وقد اشتمل الكتاب على بيان حكم العمل بالحساب وأطراح الرؤية الشرعية ، وكون ذلك باطلاً ، وما يتعلق باختلاف المطالع ، وشهادة الشهود على دخول الشهر وخروجه . وهو جزء صغير . فرغ من تأليفه في ٨/٦/١٤٠٩هـ . وطبع بدار اللواء بالرياض عام ١٤١٠هـ . ويقع في ٨٦ صفحة .

(١٦) تحريم التصوير والرد على من أباحه . وهو رد على فتوى نشرت في بعض الصحف تشتمل على إباحة التصوير ، وقد بين الشيخ — يرحمه الله — حكم التصوير ، وخطر التهاون به ، وشدة عذاب المصورين ، والعلة في تحريم التصوير ، وفساد التفريق بين التصوير بالآلة والتصوير باليد . وختم ذلك كله بالتشديد على عدم الثبوت في الفتيا ، والتحذير من زلات العلماء . وهو جزء لطيف فرغ من تأليفه في ٨/٦/١٤٠٩هـ . وطبع بدار اللواء بالرياض عام ١٤١٠هـ . ويقع في ٨٦ صفحة .

(١٧) تحفة الإخوان بما جاء في الموالات والمعاداة والحب والبغض والهجران . وهو كتاب تضمن بيان حكم موالات أعداء الله ، ومصاحبتهم ، والدخول عليهم ، والأسباب الجالبة لمودتهم ، كما اشتمل على حكم تهنئتهم بالأعياد — أو تعزيتهم في المصائب ، ثم تحدث — يرحمه الله — عن الحب في الله والبغض في الله ، والهجر الديني والهجر الدنيوي وبيان الفرق بينهما وحكم كل منهما . وهو جزء لطيف فرغ من تأليفه في ١٣/٣/١٣٨٣هـ . وطبع بمؤسسة النور بالرياض بدون تأريخ . ويقع في ٨٧ صفحة .

(١٨) تغليظ الملام على المتسرعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام. وهو كتاب في التشديد على مسألة الفتيا ، وضم التسرع إليها ، والحرص على التورع عنها ، وبيان كراهية السؤال عما لم يقع ، والنهي عن الأغلوطات ، وبيان خطر الإفتاء بما يخالف الكتاب والسنة ، وقد أورد قصصاً لبعض المتصفين بالإنصاف والرجوع إلى الحق وأخيراً ذكر نماذج لما وقع فيه الزلل من الفتيا محذراً من ذلك . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه في ١٢/٥/١٤١٢هـ . وطبع بدار الصميعي بالرياض ، ويقع في ١٢٠ صفحة .

(١٩) تنبيه الإخوان على الأخطاء في مسألة خلق القرآن . وهو تنبيه على رسالة للشيخ عبدالفتاح أبو غدة باسم (مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين وكتب الجرح والتعديل) وقد بين الشيخ — يرحمه الله — ما اشتملت عليه تلك الرسالة من أقوال مخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ، وفند المغالطات التي احتوتها تلك الرسالة . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه في ٢٩/١٢/١٤٠٢هـ . وطبع بدار اللواء بالرياض عام ١٤٠٣هـ . ويقع في ٦٤ صفحة .

(٢٠) تنبيهات على رسالتين للشيخ أبي بكر الجزائري . أولاهما المسماة (الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة) والثانية (اللقطات في بعض ما ظهر للساعة من علامات) وقد تعسف مؤلفهما في تطبيق النصوص الواردة على ما هو موجود في هذا الزمان بزعم أنه هو ما ذكر في النصوص من علامات آخر الزمان ، وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على ذلك وبين الحق في المسألة ، وحذر من تأويل نصوص الكتاب والسنة على غير المراد منها . وهو جزء صغير . فرغ من تأليفه في ٦/٢/١٤٠٤هـ . وطبع بمكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٥هـ . ويقع في ٤٨ صفحة .

(٢١) التنبيهات المهمة على بعض مافي مؤلفات الصواف من الأخطاء الجمة. وهو تنبيهات على أخطاء عقدية وحديثية وقع فيها الشيخ محمد الصواف — يرحمه الله — في سلسلته المسماة (المكتبة القرآنية) وكذا في النبذة التي أسماها (عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور من كتاب رب العالمين) . وقد جعلها الشيخ — يرحمه الله — على صورة تنبيهات بلغت اثنين وأربعين تنبيهاً. وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه في ١٣٩٤/٦/٦هـ . ولم يطبع بعد .

(٢٢) التنبيهات على رسالة الألباني في الصلاة . اشتمل على ثلاثة عشر تنبيهاً على رسالة (صفة صلاة النبي ﷺ) للمحدث ناصر الدين الألباني — يرحمه الله — وكان الأخير منها في إثبات نسبة رسالة الصلاة للإمام أحمد — يرحمه الله — . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه عام ١٣٧٦هـ . وطبع بمطابع القصيم بالرياض عام ١٣٨٧هـ . ويقع في ٥٩ صفحة .

(٢٣) تنزيه الأصحاب عن تنقص أبي تراب . وهو رد على مقال لأبي تراب الظاهري تعرض فيه للغض من الصحابة عامة ، ومن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بخاصة وقد رد عليه الشيخ — يرحمه الله — ذلك كله وبين مكانة الصحابة وفضلهم بعامة وأبي بكر وعمر بخاصة ﷺ كما بين حكم سبهم أو التنقص منهم . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه في ١٣٩٥/٣/٢٦هـ . ولم يطبع وإنما نشر في مجلة الجامعة الإسلامية . في العدد الثاني والثالث من السنة الثامنة .

(٢٤) تنزيه القرآن والرسول والمؤمنين عن افتراء المفتريين وطعن المبطلين . وهو رد على كلام للرئيس التونسي الهالك الحبيب بورقيبة زعم فيه أن القرآن متناقض ، وأنه حوى خرافات ، وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على كلامه وبين أنه ردة عن دين الله عز وجل وأن على صاحبه أن يعلن توبته ورجوعه إلى الدين ، كما بين ما في كلامه من كفریات أخرى بلغت خمس كلمات . وهو

جزء صغير . فرغ من تأليفه في ١٣٩٤/٥/٦ هـ . ولم يطبع ، لكنه نشر في مجلة البلاغ الكويتية .

(٢٥) دفاع عن جماعة تحفيظ القرآن . وهو تنبيه على خطأ من تعرض لجماعات تحفيظ القرآن الكريم، وزعم أن إقامتها لحفلات تكريم حفظة كتاب الله عز وجل من البدع . وهو جزء صغير . فرغ من تأليفه في ١٤٠٧/١٠/٢٥ هـ . ولم يطبع بعد .

(٢٦) دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر . وهو كتاب اشتمل على بيان حكم حلق اللحية وكونه محرماً ، وبيان حكم الاستهزاء بمن يعفي لحيته ، وحكم إعفاء الشوارب وعدم إحفائها ، وصبغ الشيب وتغييره بالسواد ، والحديث عن ظاهرة القزع والتمثيل بشعر الرأس . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه عام ١٣٧٨ هـ . وطبع بمطابع القصيم بالرياض عام ١٣٨٦ هـ . ويقع في ١٤٩ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — .

(٢٧) الدلائل الواضحات على تحريم المسكرات والمفترات . وهو كتاب اشتمل على الكلام على الخمر من ناحية تحريمه ، وضرره ، وما يلحق به من أنواع المسكرات والمفترات كالحشيش والأفيون ، والتتن ، والجراك ، ونحوها . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه في ١٣٨٣/٢/٣ هـ . وطبع بمطابع القصيم بالرياض عام ١٣٨٦ هـ . ويقع في ٢٠٣ صفحة .

(٢٨) الدلائل الصريحة في الرد على منكري الأحاديث الصحيحة . وهو رد على مقال لكاتب تهجم فيه على بعض الأحاديث الصحيحة وقابلها بالتكذيب والإنكار ، ومنها حديث سحر النبي ﷺ ، وحديث في إثبات القدر . وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على هذا المقال الباطل وبين خطورة التهجم على الأحاديث الصحيحة ، ومقابلتها بالتكذيب والإنكار ، وقد أوضح في هذا

الكتاب حقيقة محمد عبده ومن تأثر به من تلامذته العصريين . وهو جزء صغير .
فرغ من تأليفه في ١١/٩/١٣٩٧هـ . ولم يطبع بعد .

(٢٩) **ذيل الصواعق نحو الأباطيل والمخارق** . هذا الكتاب ذيل ملحق لكتابه
(الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة) وقد تضمن الرد على الشيخ محمد
الصواف — يرحمه الله — في رسالته التي أسماها (المسلمون وعلم الفلك) وقد
جمع فيها ما نشره في جريدة الدعوة من التعقيب على الشيخ عبدالعزيز بن باز
— يرحمه الله — فيما يتعلق بجران الشمس وسكون الأرض ، وزاد على ذلك
شيئاً كثيراً من تخرصات أهل الهيئة الجديدة ، وتخرصات أتباعهم في الأرض
والشمس والقمر والكواكب . وهو جزء متوسط . فرغ من تأليفه في
٢٥/١٠/١٣٨٨هـ . وطبع عام ١٣٩٠هـ . وهو بتقديم سماحة الشيخ عبدالله
ابن حميد — يرحمه الله — .

(٣٠) **رد على أباطيل** . وهو رد على أقوال باطلة لبعض المتبعين للآراء الشاذة
ومنها : زعم أنه يجوز للجنب مس المصحف ، وأن اللواط ليس فيه حد ،
والدعوة إلى سفور النساء عند الرجال الأجانب ، وزعمهم أنهم الفرقة الناجية ،
إلى غير ذلك من أقوالهم الباطلة التي بين الشيخ — يرحمه الله — بطلانها . وهو
جزء صغير . فرغ من تأليفه في ٢٤/١٢/١٤٠٨هـ . ولم يطبع بعد .

(٣١) **الرد الجميل على أخطاء ابن عقيل** . وهو رد على مقال نشر في بعض
الصحف لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري تضمن إباحة سماع الغناء والمعازف
كما هو رأي الإمام ابن حزم — يرحمه الله — وقد بين الشيخ — يرحمه الله —
الصواب في ذلك وتعرض لمسألة النظر إلى الأجنبية وبيان حرمة ذلك ، كما
ذكر بعض ما انتقد على ابن حزم — عفا الله عنه — من ذلك وما انتقد عليه
في باب الاعتقاد . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه في ٢٦/٦/١٣٩١هـ .
وطبع بمؤسسة النور بالرياض عام ١٣٩٢هـ . ويقع في ٧٤ صفحة .

(٣٢) كتاب هو عبارة عن رد على كتاب الذخائر المحمدية . لمحمد بن علوي مالكي الذي وصفه الشيخ — يرحمه الله — بأنه فتان مفتون ملأ كتابه بالشرك والبدع والضلالات والخرافات والغلو والإطراء للنبي ﷺ فضلاً عما فيه من الأخطاء الكثيرة التي هي من نتيجة جهل المؤلف وقلة علمه ، وقد ابتدأ الشيخ — يرحمه الله — الرد على هذا الكتاب لكنه لم يكمله . ويقع المكتوب منه في ٢٨ صفحة ، ومعها ١٦ صفحة مسودة حصر للأخطاء الواقعة في كتاب الذخائر ، والتي تحتاج إلى رد . وحيث لم يكمله لم يسمه — يرحمه الله — .

(٣٣) الرد على من أجاز حلق اللحية . وهو رد على مقال لكاتب في مجلة العربي . زعم فيه أن القول بتحريم حلق اللحية بدعة . وقد بين الشيخ حكم حلق اللحية وأدلة تحريمه ، وحكم الأخذ من أطرافها . وهو جزء صغير . فرغ من تأليفه في ٢٣/١٢/١٣٨٣هـ . وطبع بمطابع القصيم بالرياض . ويقع في ٣٤ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — يرحمه الله — .

(٣٤) الرد على من أجاز تهذيب اللحية . وهو رد على مقال نشر في بعض الصحف حول حكم إعفاء اللحية ، وأن اللحية لا تعني في الإسلام شيئاً . وزعم الكاتب أن النبي ﷺ كان يكره رؤية اللحية الكثة ، ودعا الكاتب إلى تشذيب اللحية ، وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على هذا المقال وبين ما فيه من باطل . وهو جزء صغير . فرغ من تأليفه في ٧/١٠/١٤٠٤هـ . وطبع الطبعة الأولى بمكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٥هـ ، ثم أعيد طباعته مرة أخرى عام ١٤٠٦هـ . ويقع في ٥٦ صفحة .

(٣٥) الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي . وهو رد على هؤلاء الثلاثة فيما يتعلق ببيان حكم المولد النبوي الذي زعموا أنه مشروع ، وقد رد الشيخ — يرحمه الله — عليهم وبين بطلان ما أدعوه وأنه ليس من هدي النبي ﷺ أو الصحابة أو التابعين أو تابعيهم من أئمة

الهدى والرشاد وإنما هو بدعة محدثة لا أصل لها في دين الله عز وجل ، وقد ختم الكتاب بالحديث عن مسألة قيادة المرأة للسيارة رداً على من أجاز ذلك . وهو جزء متوسط . فرغ من تأليفه في ١٣/٦/١٤٠٢ هـ . وطبع بدار اللواء بالرياض عام ١٤٠٣ هـ . ويقع في ٢٦٧ صفحة .

(٣٦) الرد القويم على المجرم الأثيم . وهو رد على صاحب كتاب (الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها) وقد تهجم صاحب الكتاب على صحيح البخاري وعلى أحاديث صحيحة وقابلها بالرد والإنكار ، وطعن في بعض الصحابة والتابعين ، وفي مائة وعشرين حديثاً في صحيح البخاري . وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على ذلك الباطل ويبيّن زندقته هذا المؤلف وضلاله ، وقد أتم الشيخ الجزء الأول من الكتاب وخصصه للدفاع عن السنة النبوية الشريفة وحملتها من الصحابة والتابعين ، وبين مكانة الصحيحين ، ونبه الشيخ على أن الكاتب اعتمد كثيراً على ظلمات أبي رية وشبهاته في كتابيه (أضواء على السنة المحمدية) و (دفاع عن الحديث) . وهو جزء كبير . فرغ من تأليفه في شهر رمضان المبارك عام ١٤٠١ هـ . وطبع بمطابع بحر العلوم لحساب رئاسة البحوث العلمية والإفتاء عام ١٤٠٣ هـ . ثم طبع طبعة ثانية بدار عليان للطباعة والنشر والتوزيع بالقصيم عام ١٤٠٦ هـ . ويقع في ٣٨٠ صفحة . وكان الشيخ — يرحمه الله — ينوي إكمال هذا الرد لكن لم يتيسر له ذلك .

(٣٧) الرد على الكاتب المفتون . وهو رد على مقالين سيئين لبعض المفتونين بالبدع تهجم صاحبهما على أئمة الحرم لإنكارهم لبدعة المولد النبوي وغيرها من البدع . وقد اشتمل الكتاب على التحذير من البدع ومنها الموالد والمآتم وبيان بطلان وصف البدع بالحسن ، وبيان بطلان الاحتفال بالأعياد المبتدعة ، وما يقع في تلك الاحتفالات من المنكرات والبدع والمفاسد ، وختم الكتاب ببيان

الأمر التي تهدم الإسلام ، وبين المراد بالتيسير ورفع الحرج عن الأمة الإسلامية . وهو جزء متوسط في قسمين : القسم الأول : رد على المقالة الأولى ، فرغ من تأليفه في ١٦/٥/١٤٠٥ هـ ، والقسم الثاني : رد على المقالة الثانية . فرغ من تأليفه في ٥/٦/١٤٠٦ هـ . وقد طبع بدار اللواء بالرياض . ويقع في ٢٥٠ صفحة .

(٣٨) الرد على من استحل المعازف . وهو رد على مقال في استباحة الغناء والموسيقى . وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على ذلك المقال ، وأورد أدلة التحريم من الكتاب والسنة . وهو جزء صغير . فرغ من تسويده في ١٤/١/١٣٩٨ هـ . ولم يطبع .

(٣٩) رسالة إلى واعظ . وهي رسالة كتبها لواعظ ، تتضمن التنبيه على أخطاء عقدية وغيرها . كتبها في ١٥/١٠/١٣٧٦ هـ . وتقع في ١٤ صفحة .

(٤٠) الرسالة البديعة في الرد على أهل المجلة الخليفة . وهو رد على مفتي مجلة العربي في مسألة حكم الغناء والموسيقى والسينما والتلفزيون حيث لبس المفتي بشبهات أراد التوصل من خلالها إلى تحليل ما حرمه الله عز وجل ، وقد رد عليه الشيخ — يرحمه الله — شبهاته وكشف عوارها وأبطل ترهاته بالنصوص من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وأئمتها وإجماع أهل العلم . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه في ٢/١١/١٣٨٦ هـ . طبع بمطابع شركة المدينة للطباعة والنشر بجدة . ويقع في ٩٤ صفحة . وقد قدم للكتاب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — يرحمه الله —

(٤١) كتاب الرؤيا . وهو كتاب اشتمل على تعظيم شأن الرؤيا ، والآداب المتعلقة بها وبتأويلها ، وما ينبغي ذكره منها ، وما لا ينبغي ، وبيان أنواع الرؤيا ، والتنبيه على عدم التسرع إلى تعبير الأحلام بغير علم ، كما أشار الشيخ — يرحمه الله — إلى بعض الكتب المؤلفة في تعبير الرؤيا ، وما ينجم عن الاشتغال

بها ، ثم ساق عدداً من الأخبار في تعبير الرؤى لعدد ممن اشتهر بتعبير الرؤى من الراسخين في العلم المتقدمين والمتأخرين . وختم الكتاب بالتحذير من التصديق بما يزعمه التبليغيون من الأحلام التي يملئون بها بياناتهم . وهو جزء متوسط . فرغ من تأليفه في ١٨/٧/١٤١٠هـ . طبع بدار اللواء بالرياض عام ١٤١٢هـ . ويقع في ٢٠٤ صفحة .

(٤٢) السراج الوهاج نحو أباطيل الشلبي في الإسراء والمعراج . وهو رد على رسالة لأحمد شلبي باسم (الإسراء والمعراج دراسة وتصحيح للقضاء على الشطحات والخيال) وهو ضمن سلسلة (المكتبة الإسلامية المصورة لكل الأعمار) وقد بين الشيخ — يرحمه الله — تحبط المؤلف في رسالته وإنكاره لأمر ثابتة بالنص من الحوادث التي وقعت في الإسراء والمعراج ، وزعمه بأن ذلك كله خرافة وشطحات . كما بين غير ذلك من المسائل العقدية التي تحبط فيها الشلبي . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه في ١٧/٣/١٤٠٥هـ . وطبع الطبعة الأولى بمكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٥هـ . ثم أعيدت طباعته عام ١٤٠٦هـ . ويقع في ١٣٢ صفحة .

(٤٣) الشهاب الثاقب لدمغ مزاعم الذين قالوا بإمكان الوصول إلى القمر والكواكب . وهو جزء صغير . فرغ من تأليفه في ١/٨/١٣٨٩هـ . ولم يطبع بعد .

(٤٤) الصارم البتار للإجهاز على من خالف الكتاب والسنة والإجماع والآثار . وهو رد على مقال لإبراهيم بن ناصر في حل المعاملات الربوية اسماء (موقف الشريعة من المصارف) وقد اشتمل الكتاب على : أحكام الربا والمرابين ، وحكم التعامل مع البنوك الربوية ، وبيان بطلان تسمية الزيادة الربوية بالفائدة ، وحكم القرض الذي يجر نفعاً ، والكلام على ربا الفضل . وهو جزء متوسط . فرغ من تأليفه في ٥/٤/١٤٠٨هـ . وطبع بمطبعة سفير بالرياض لحساب رئاسة

البحوث العلمية والإفتاء . ويقع في ٢٠٣ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — .

(٤٥) **الصارم الصقييل على هامة ابن عقيل** . وهو رد على كتاب لمحمد بن عمر الصانع المكنى نفسه بأبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري وقد وسم كتابه ب (تحرير بعض المسائل على مذهب الأصحاب) وهو مشتمل على أنواع من الباطل بينها الشيخ — يرحمه الله — منها : تزكية النفس ، وفتح باب الفتن والخروج على الأئمة ، والغلو الشديد في ابن حزم — يرحمه الله — ، والمجادلة بالباطل لادحاض الحق ، واستحلال الكذب على ابن حزم — يرحمه الله — وقد رد الشيخ على هذا الباطل كله ، ونبه على بعض الانحرافات العقدية عند الإمام ابن حزم — يرحمه الله — والتي نبه عليها العلماء . وقد ابتدأ الشيخ — يرحمه الله — هذا الرد ولم يكمله . ويقع ما فرغ منه في ١٨١ صفحة ، وبلغ فيه إلى الأخطاء الواقعة في صفحة ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧ من الكتاب المذكور .

(٤٦) **الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور** . وهو كتاب اشتمل على النهي عن تبرج النساء وسفورهن ، وتحديد العورة والأمر بحفظها ، وذكر بعض المنكرات الواقعة بسبب التبرج ، وبيان حكم الخلوة بالنساء وما يؤدي إليه ، وحكم سفر المرأة بدون محرم وما قد يترتب على ذلك ، وحكم نظر المرأة إلى الرجل والعكس سواء أكان ذلك مباشرة أم عبر الشاشات وما ينتج عن ذلك من مفسد ، وأخيراً التنبيه على رسالة الشيخ الألباني — يرحمه الله — في الحجاب والرد على القول بجواز كشف وجه المرأة ، كما حذر الشيخ — يرحمه الله — من الاختلاط في التعليم . وهو جزء متوسط . فرغ من تأليفه عام ١٣٨٢هـ . وطبع الطبعة الأولى عام ١٣٨٧هـ . ويقع في ٢٧٤ صفحة ، ثم طبع الطبعة الثانية بدار العليان للنشر بالقصيم عام ١٤٠٩هـ . ويقع في ٢٨٥ صفحة .

(٤٧) الصواعق الشديدة على أهل الهيئة الجديدة . وهو رد على مقالات للشيخ محمد الصواف — يرحمه الله — حول ثبوت الشمس ودوران الأرض . وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على ذلك وبين بطلانه ، كما اشتمل الكتاب على بعض مسائل فلكية ككروية الأرض وثبوت ذلك عند العلماء من قديم . كما تناول الكتاب مسألة استدارة الأفلاك ، وإمكان الوصول إلى الكواكب ، ونشأة المراصد ، وكذلك نقد الكتاب المنسوب إلى الألوسي — يرحمه الله — والمسمى (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) . وهو جزء متوسط . فرغ من تأليفه في ١٣٨٦/٦/٦ هـ . وطبع عام ١٣٨٨ هـ . ويقع في ١٩٢ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — يرحمه الله —

(٤٨) صيانة المساجد عن اللغو واللعب . وهو رد على مقال يدعو فيه صاحبه إلى أن يجعل في المساجد مغريات للشباب ، كبعض الآلات الرياضية . وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على ذلك ، وبين وجوب صيانة بيوت الله عن هذا العبث . وهو جزء صغير . فرغ من تأليفه في ١٣٨٦/٢/٢٦ هـ . ولم يطبع . لكنه نشر في جريدة الدعوة .

(٤٩) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن . وقد اشتمل على بيان مذهب أهل السنة والجماعة في معنى الحديث الوارد في خلق آدم على صورة الرحمن ، وبيان مرجع الضمير في قوله ﷺ : ﴿ على صورته ﴾ من حديث : ﴿ إن الله خلق آدم على صورته ﴾ وقد ضمن الكتاب ملخص كلام شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — على حديث الصورة ، وجواب الشيخ عبد الله أبا بطين — يرحمه الله — عن حديث الصورة . وهو جزء متوسط . فرغ من تأليفه في ١٤٠٦/٤/١٤ هـ . طبع الطبعة الأولى بدار اللواء بالرياض عام ١٤٠٧ هـ ، ثم أعيد طبعه مرة أخرى عام ١٤٠٩ هـ . وهو بتقديم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله —

(٥٠) **فتح المعبود في الرد على ابن محمود**. وهو رد على رسالتين للشيخ عبدالله بن محمود — يرحمه الله — أولهما : الإيمان بالقضاء والقدر على طريقة أهل السنة والأثر . وثانيهما : إتحاف الأحفياء برسالة الأنبياء . وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على ما في هاتين الرسالتين من باطل مخالف لما عليه معتقد أهل السنة والجماعة في باب القضاء والقدر ، وقد بين الشيخ المراد بالقدر ، وكتابة المقادير ، ورد على استشكال حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام في القدر ، كما اشتمل الكتاب التفريق بين النبي والرسول والرد على من أنكر ذلك . ومسألة التفريق بين الإسلام والإيمان ، ومسألة الاستثناء في الإيمان . وهو جزء متوسط . فرغ من تأليفه في ١٤/٧/١٣٩٧هـ . طبع بمطابع القصيم بالرياض عام ١٣٩٩هـ . ويقع في ١٩٦ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ عبدالله بن حميد وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمهما الله — .

(٥١) **فصل الخطاب في الرد على أبي تراب**. وهو رد على مقال لأبي تراب الظاهري نشره في بعض الصحف تعصب فيه صاحبه لرأي الإمام ابن حزم — يرحمه الله — فيما شذ به من استحلال المعازف والغناء . وقد اشتمل الكتاب على بيان حكم الغناء وما يصحبه من آلات الطرب ، وكذا حكم الشطرنج والنرد وما يلحق بهما من ألعاب المتأخرين ، وحكم الغناء والرقص في الأعراس والأعياد ونحوها . وهو جزء متوسط . فرغ من تأليفه في ٢٦/١١/١٣٨١هـ . وطبع الطبعة الأولى بمطابع النصر الحديثة بالرياض . وتقع في ٢٥١ صفحة . ثم أعيد طباعته عام ١٣٩٦هـ ، ثم طبع طبعة خيرية ثالثة عام ١٤١٩هـ برئاسة البحوث العلمية والإفتاء . وتقع هذه الطبعة في ٤٠٦ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — .

(٥٢) **قصص العقوبات والعبر والمواعظ**. اشتمل هذا الكتاب على بيان أنواع العقوبات الخاصة و العامة ، وإيراد قصص لتلك العقوبات ، كما نبه الشيخ —

يرحمه الله — على مسألة وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه . ثم ساق عدداً من الكرامات لأولياء الله عز وجل . وختم الكتاب بالتنبيه على أن المقصود من الكتاب هو العظة والاعتبار . وهو جزء متوسط . فرغ من تأليفه في ١٤١١/١١/١١ هـ . وطبع بدار اللواء بالرياض عام ١٤١٣ هـ . ويقع في ١٤٨ صفحة .

(٥٣) قواطع الأدلة في الرد على من عول على الحساب في الأهلة . وهو رد على مقال نشر في بعض الصحف يدعو إلى اعتماد الحساب في إثبات دخول الشهر وخروجه ، وتقديم ذلك على الرؤية الشرعية . وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على هذه الدعوى وبين أن الحق في اتباع الرؤية في دخول الشهر وخروجه كما جاءت بذلك النصوص الشرعية . وقد ضمن الكتاب جواباً حسناً لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — يرحمه الله — يرد به على الموسوسين والمشككين في رؤية هلال شوال . وهو جزء صغير . فرغ من تأليفه في ١٤٠٨/١٠/٢٣ هـ . وطبع بمطبعة سفير بالرياض لحساب رئاسة البحوث العلمية والإفتاء . ويقع في ٤٤ صفحة . وهو بتقديم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله —

(٥٤) القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ . وهو مشتمل على بيان حال جماعة التبليغ ، من ناحية مؤسسي الجماعة ، ومناهجهم ، وأصول الجماعة ، وارتباطاتهم ، ووقوع الشرك من أمرائهم . وقد بين — يرحمه الله — معتقدهم في باب الأسماء والصفات وأنهم أشاعرة ماتريدية ، وفي باب السلوك متصوفة ، وأن أتباعهم يبايعون أمرائهم على أربع طرق من طرق الصوفية الضالة وهي الجشتية والقادرية والسهروردية والنقشبندية ، وأشار إلى أهم كتبهم وهي : (تبليغي نصاب) و(حياة الصحابة) وهي مشتملة على ضلالات كثيرة ، وتحدث عما ابتدعوه من خروج جماعي ، وقد نقل الشيخ كلام العلماء عنهم ، وأورد

أخبار بعض من كانوا معهم وتركوا الجماعة بعد أن عرفوا حالهم . وختتم ذلك كله بكلام سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — يرحمه الله — في التحذير منهم وأنهم جماعة بدعة وضلالة ، وقد رد في ثنايا الكتاب على بعض المغترين بهم ، والمفتونين بدعوتهم . وهو جزء متوسط يتكون من قسمين : فرغ من القسم الأول في ١٤١٠/٩/٢٢ هـ ، وفرغ من القسم الثاني في ١٤١٢/٢/٢٠ هـ . ويقع الكتاب في ٣٥١ صفحة . طبع بدار الصميعي بالرياض عام ١٤١٤ هـ .

(٥٥) القول المحرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . اشتمل الكتاب على ذكر النصيحة ، وبيان عظم شأنها ، وخطر التهاون بها وبيان الفرق بين المداواة الجائزة والمداهنة المحرمة . ثم تكلم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ببيان وجوبهما ، وخطر التهاون بهما ، وأسباب إضاعة الأمر والنهي ، وأشار إلى بعض المنكرات الظاهرة التي يجب تغييرها . وهو جزء لطيف . فرغ من تأليفه في ١٣٨٣/٥/١٤ هـ . وطبع بمؤسسة النور بالرياض في حدود عام ١٣٨٤ هـ . ويقع في ١٤١ صفحة .

ثانياً والمخطوطات :

إضافة إلى هذه المؤلفات فقد نسخ الشيخ — يرحمه الله — العديد من الكتب بخطه الجميل المتميز ^(١) ، وهو كغيره من عامة أهل نجد يجمعون في خطهم بين النسخ والتعليق وهو من أنواع الخط الفارسي .
وهاهي قائمة بالمخطوطات التي خطها بيده — يرحمه الله — :

(١) الشيخ — يرحمه الله — كان ينسخ بعض الكتب لغرض مقابلتها أو الاحتفاظ بنسخة منها عند عدم توفر الكتاب .

- (١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلاء الدين المرداوي . الجزء الرابع .
- (٢) البيقونية مع حاشية عطية .
- (٣) حاشية المقنع للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب . الجزء الأول والثاني والثالث . والجزأين الأخيرين بمشاركة أخيه الشيخ عبدالرحمن —
يرحمه الله —
- (٤) حواشي التنقيح لموسى بن أحمد الحجاوي .
- (٥) متن الرحبية في علم الفرائض للعلامة الفرضي أبي عبدالله محمد بن الحسين الفرضي .
- (٦) رد على رجل من أهل فارس للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد ابن عبدالوهاب .
- (٧) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ .
- (٨) شرح قواعد ابن عبدالمهدي التي ختم بها كتابه مغني ذوي الأفهام .
- (٩) قصيدة (عج بي على الربع) مع شرحها للأديب محمد بن عبدالله ابن عثيمين
- (١٠) القصيدة الصرصرية في الثناء على الله سبحانه ، ومدح رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين لهم بإحسان من أئمة العلم والهدى . وقد نبه الشيخ —
يرحمه الله — في آخرها على ما وقع من الشاعر من المبالغة في الإطراء الذي لا يوافق عليه .
- (١١) مختصر أبي القاسم الخرقى لعمر بن الحسين بن عبدالله الخرقى .
- (١٢) منحة القريب المحيب في الرد على عباد الصليب للشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمر . وقد اعتمدت هذه النسخة في تحقيق الكتاب الذي تقدم به د. محمد السكاكر لنيل درجة الدكتوراة .
- (١٣) منهاج الوصول إلى علم الأصول . لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي .

- (١٤) نظم الوجيز في الفقه .
- (١٥) منتقي عقد الفرائد و كثر الفرائد للشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر ابن معمر .
- (١٦) مجموع اشتمل على :
- (أ) مختصر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- (ب) مختصر شعب الإيمان لأبي حفص عمر القزويني .
- (ج) عقيدة الإمام أحمد بن حنبل الشيباني . وبآخرها اعتقاد أبي عمر الأوزاعي .
- (د) الرد على الزنادقة والجهمية . للإمام أحمد بن حنبل .
- (هـ) مفتاح طريق الأولياء وأهل الكمال من العلماء للإمام عماد الدين أحمد ابن إبراهيم الواسطي .
- (و) محاضرة في التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان .
- (١٧) مجموع آخر : يضم كتباً ، ورسائل ، ومسائل ، وفوائد وتعليقات منها :
- (أ) قصب السكر في نظم نخبة الفكر لأبي الفتح المغربي التونسي المالكي .
- (ب) نظم في حكم قهوة البن .
- (ج) نظم اختيارات شيخ الإسلام في بعض المسائل للشيخ سليمان بن سحمان .
- (د) جواب سؤال عمن اقترض قرضاً ، أو اشترى سلعة بشيء من النقد ، وقبل رد القرض أو دفع الثمن نهى السلطان عن المعاملة بها ؛ لكونها مغشوشة ، بم يكون الرد أو الوفاء ؟ الجواب للشيخ عبدالله العنقري .
- (هـ) جواب سؤال ورد من الهند على رئاسة القضاء بمكة المكرمة عن ذبيحة الفرس والديك . الجواب للشيخ سليمان بن حمدان .
- (و) جواب سؤال عن جواز الإئتمام بمسبوق بعد فراغ إمامه . الجواب للشيخ سليمان الحمدان .

(ز) رد الشيخ سليمان الحمدان على محمد بن حسن المرزوقي في تهجمه على أهل نجد (نظماً) .

(ح) وصية الشيخ معين الدين محمد بن صفى الدين تذكرة لأخيه حسن بن علي ابن عبدالله بن بسام .

(ط) عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية . للشيخ سعد بن حمد ابن عتيق .

(١٧) مجموع ثالث : يضم فوائد ، ونقولات ، ورسائل عامة منها :

أ) نصيحة من الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بمناسبة تأخر الغيث .

ب) رسالة من الشيخ عبدالله العنقري ، وصالح بن عبدالعزيز ، وعمر بن سليم ، ومحمد بن إبراهيم إلى كافة المنتسبين إلى طلب العلم من أهل نجد عن موت العلماء وقلة الرغبة في طلب العلم .

ج) نصيحة من الملك عبدالعزيز لطلاب العلم تأييد لرسالة المشايخ السابقة .

د) نصيحة من الملك عبدالعزيز تتضمن التذكير بنعم الله ﷻ .

هـ) رسالة من الشيخ محمد بن إبراهيم لعموم المسلمين ، من الولاة ، والعلماء ، والأمرأ ، وأهل الحسبة ، وجميع الخاصة والعامة .

و) رسالة من الشيخ محمد بن إبراهيم لنصح عامة المسلمين .

ز) شجرة النسب لآل صالح من أهالي الجمعة .

ح) ورقة في نسب العساكر .

ط) مناهل السمر في منازل القمر . نظم الشيخ عبدالرحمن بن عيسى الحنفي

(١٨) مجموع رابع : يضم فوائد ، ونقولات ، ورسائل عامة منها :

أ) نصيحة عامة من محمد بن عبداللطيف ، وسعد بن حمد بن عتيق ، وعبدالله العنقري ، ومحمد بن إبراهيم .

ب) مجموعة قصائد للشيخ محمد بن إبراهيم ، ومحمد بن عثيمين ، وخالد ابن محمد الفرج ، ومحمد بن عبدالله بن بليهد .

- (١٩) مجموعة قصائد . للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني ، والشيخ حسين ابن غنام ، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى .
- (٢٠) نقولات من كتاب المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية . للشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي .
- (٢١) مجموعة فتاوى للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبدالعزيز بن باز . هذا بالإضافة إلى جميع مؤلفاته — يرحمه الله — والتي تجاوزت الستين مؤلفاً ، فقد خطها جميعاً بقلمه ، وبعضها يوجد منه نسختان : مسودة ومبيضة

ثالثاً : ما قابلته من مخطوطات أو مطبوعات [والصواب] :

- قابل الشيخ — يرحمه الله — عدداً من الكتب الخطية ، والمطبوعة على أصول خطية ؛ لتصويبها وتسديدها من هذه الكتب :
- (١) حاشية المقنع للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب — يرحمه الله — : الجزء الأول والثاني والثالث . وقد قابلها على أصلها وتصحيحها .
- (٢) الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — .
- (٣) الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — .
- (٤) كشف القناع على متن الإقناع لمنصور بن إدريس البهوتي الحنبلي . قام بمقابلة وتصحيح الطبعة الأولى منه على نسخة خطية بخط أبي الفلاح عبدالحى ابن العماد . وقد قام بتصحيح نسختين : إحداهما له والأخرى لشيخه محمد الخيال — يرحمه الله — ، واعتمدت النسختان في تحقيق الكتاب والذي تقوم به وزارة العدل بعد أن تعذر الحصول على الأصل .
- (٥) مصباح السالك في أحكام المناسك . للشيخ سليمان بن علي . وقد قابل الشيخ — يرحمه الله — الطبعة الأولى وصححها على نسختين خطيتين

رولياً : ولحروني ولعليقار :

للشيخ — يرحمه الله — تنبيهات ، وتعليقات ، وحواشٍ على كتب كثيرة وهو عادة ما يمر على كتاب إلا وقلمه معه . فهذه فائدة يرصدها ، أو تعليق يدونه ، أو فهرسة للكتاب يصنعها ، أو خطأ يصوبه سواء أكان من المؤلف أو من الناسخ أو من المطبعي وسواء أكان عقدياً أو حديثاً أو فقهياً أو تأريخياً أو ما يتعلق بتراجم الرجال أو خطأ لغوياً . فالكتب في مكتبته — يرحمه الله — لا تكاد تخلو من تصحيح ، أو تعقيب ، أو استدراك ، أو تقييد لفائدة ، أو رصد للفوائد ، أو فهرسة للمسائل المهمة عند فهرسة الموضوعات . والشيخ — يرحمه الله — قد قرأ جملة من الكتب قراءة فاحصة لا سيما كتب الحديث والفقه والعقائد ولا يخلو كتاب من أمهات هذه الفنون من تعليقات وحواشي وتنبيهات من هذه التنبيهات المهمة التي دونها الشيخ — يرحمه الله — :

(١) تنبيهات على تصحيح العلامة أحمد شاكر — يرحمه الله — لبعض الأحاديث في المسند ، وقد دونها الشيخ — يرحمه الله — بحاشية المسند المطبوع بتحقيق أحمد شاكر — يرحمه الله — .

(٢) تعقبات على مستدرك الحاكم دونها بحاشيته . ومن ذلك كأن يقول الحاكم — يرحمه الله — " على شرطهما ولم يخرجاه " فيعقب الشيخ على ذلك بقوله : " بل خرجاه أو بل أخرجه البخاري أو بل أخرجه مسلم " ويشير إلى موضع التخريج .

(٣) تنبهات عديدة على مسائل في العقيدة ، والأحكام . دونها بحاشية طبقات الحنابلة للقاضي أبي يعلى .

خامساً: الفوائد واللطائف والملح:

من عادة الشيخ — يرحمه الله — أن يدون في حواشي الكتب التي يقرأها الفوائد ، والنوادر ، واللطائف ، والملح . وهي كثيرة جداً في الكتب التي قرأها . والشيخ — يرحمه الله — كثيراً ما يشير إلى فوائد الكتاب فلا يكاد يخلو طرة كتاب أو ذيله من الإشارة إلى ما تضمنه الكتاب من فوائد مرتبة ترتيباً فهرسياً ، وربما جعل لذلك ورقة مفردة ملحقة بآخر الكتاب .

سادساً: الفهارس:

قام الشيخ — يرحمه الله — بفهرسة بعض الكتب التي قرأها ، ولم يكن لها فهرسة ؛ وذلك لتسهيل الوصول إلى موضوعاتها عند الرجوع إليها . وقد تكون هذه الفهرسة لكتاب مفهرس وإنما هي فهرسة من سبر هذا الكتاب و فهم موضوعاته فهماً جيداً فيصنع فهرسة تساعد طالب العلم للوصول إلى بغيته من هذا الكتاب فيما يتعلق بالفوائد والنكت ورؤوس المسائل إلى غير ذلك ، ومن ذلك ما صنعه بكتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — .

فهرسة حمول مؤلفاته والتصحيح:

تحدث الشيخ — يرحمه الله — في مؤلفاته وتناول مواضيع شتى وفنون عديدة : فمن عقيدة وسلوك إلى أحكام وآداب ، لكن نظرة عابرة تجعل الكثير يتساءلون لِمَ كانت أكثر كتب الشيخ ردوداً؟! .

ونترك الإجابة على هذا التساؤل لبحر العلوم الإمام الهمام شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — حيث يقول رداً على سؤال وجه له عن سبب إكثاره من

التصنيف في الأصول ، وتوسعه في الرد على المخالفين ، وعدم تصنيفه في الفقه والفروع مثلاً ؟ : " الفروع أمرها قريب ، ومتى قلد المسلم فيها أحد العلماء جاز له العمل بقوله ما لم يتيقن خطؤه ، وأما الأصول : فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء : كالمفلسفة ، والباطنية ، والملاحدة ، والقائلين بوحدة الوجود ، و الدهرية ، والقدرية ، والنصيرية ، والجهمية ، والحلولية ، والمعطلة ، والمجسمة ، والمشبهة ، والراوندية ، والكلائية ، والسليمية ، وغيرهم من أهل البدع ؛ قد تجاذبوا بأزمة الضلال ، وبأن لي أن كثيراً منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية الظاهرة العلية على كل دين ، وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم ؛ ولهذا قل أن سمعت ، أو رأيت معرضاً عن الكتاب والسنة مقبلاً على مقالاتهم ؛ إلا وقد تزندق ، أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده .

فلما رأيت الأمر على ذلك ، بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم ، وأباطيلهم ، وقطع حجتهم وأضاليلهم ؛ أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم ، ويزيف دلائلهم ؛ ذباً عن الملة الحنيفية ، والسنة الصحيحة الجليلة . ولا والله ما رأيت فيهم أحداً ممن صنف في هذا الشأن ، وأدعى علو المقام ، إلا وقد ساعد بمضمون كلامه في هدم قواعد دين الإسلام ، وسبب ذلك إعراضه عن الحق الواضح المبين ، وعن ما جاءت به الرسل الكرام عن رب العالمين ، واتباعه طرق الفلسفة في الاصطلاحات التي سموها بزعمهم : حكميات ، وعقلييات ، وإنما هي : جهالات وضلالات . وكونه التزمها معرضاً عن غيرها أصلاً ورأساً ، فغلبت عليه حتى غطت على عقله السليم ؛ فتخبط حتى خبط فيها عشواً ، ولم يفرق بين الحق والباطل . وإلا فالله أعظم لطفاً بعباده أن لا يجعل لهم عقلاً يقبل الحق ويثبتته ، ويبتل الباطل وينفيه . لكن عدم التوفيق ، وغلبة الهوى ؛ أوقع من أوقع في الضلال . وقد جعل الله تعالى العقل السليم من

الشوائب ميزاناً يزن به العبد الواردات ؛ فيفرق به بين ما هو من قبيل الحق ، وما هو من قبيل الباطل . ولم يبعث الله الرسل إلا إلى ذوي العقل ، ولم يقع التكليف إلا مع وجوده ، فكيف يقال : إنه مخالف لبعض ما جاءت به الرسل الكرام عن الله تعالى ؟! هذا باطل قطعاً ، يشهد له كل عقل سليم ، لكن ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ ^(١) .

قال الشيخ الإمام — قدس الله روحه — : فهذا ونحوه هو الذي أوجب أبي صرفت جل همي إلى الأصول ، وألزمي أن أوردت مقالاتهم ، وأجبت عنهم بما أنعم الله تعالى به من الأجوبة النقلية ، والعقلية . " ^(٢)

وفي هذا غنية عن الإجابة عما قد يثار حول توجه الشيخ حمود — يرحمه الله — في كتابته فقد أوقف قلمه رداً على كل معتد رام حمى الشريعة بسوء ، فكم ذب عن الملة الحنيفية ، وكم نافح عن السنة المحمدية ؛ فجراه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء وجعل ذلك في موازين أعماله إنه ولي ذلك والقادر عليه

^(١) النور : ٤٠ .

(١) ^(٢) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية : ٣٥ — ٣٧ .

المبحث الخامس: صفاته العلمية

كما أن للشيخ — يرحمه الله — سماته الخلقية والخلقية فإن له سماته العلمية التي يعرفها القاريء من خلال النظر في كتابات الشيخ — يرحمه الله — ولعلي أقوم — بإذن الله تعالى — بحصر هذه السمات بعد أن قمت برصدها من خلال معاشتي لمؤلفات الشيخ — يرحمه الله — وهي على النحو التالي :

أولاً: صفاته العامة

(١) براعة الاستهلال : مما تميز به الشيخ — يرحمه الله — في كتاباته براعة الاستهلال ولا غرابة في ذلك مع معرفة ما لدي الشيخ — يرحمه الله — من حصيلة علمية وتمكن من العلوم الشرعية إضافة إلى تمكنه من اللغة والأدب . ومن ذلك قوله — يرحمه الله — في مقدمة كتابه (دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر) : " الحمد لله الذي جعل اللحي جمالاً للرجل ، وجعل عديمها جمالاً للنساء والأطفال ، فسبحان من فاوت بين الرجال والنساء في هذا الجمال . أحمده وهو المحمود على كل حال ، وأشكره على ما أولاه من الإنعام والأفضال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليته الصادق المقال ، الأمر أمتة بمخالفة أهل الشرك والزيغ والضلال ، واللاعن المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء

بالرجال ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه في الأقوال والأعمال ، وسلم تسليماً كثيراً " (١)

(٢) قوة الاستدلال واستحضاره للآيات والأحاديث ، ووضوح الحجة وقوة البرهان فيما يقرره من مسائل ، أو يرد به على المخالف . وهو — يرحمه الله — يورد الأدلة على المسألة ، ثم يبين الحكم فيها أو يقررها على ضوء هذه الأدلة ويبين طريقة الاستدلال من عدة أوجه. (٢)

(٣) ترتيبه في سياق الأدلة حيث يورد الآيات ، ثم الأحاديث المرفوعة ، فالموقوفة ، ثم الآثار ، وبعد ذلك أقوال علماء السلف الصالح ، ويتبع ذلك بالأدلة العقلية وهو في إيرادها للأحاديث يبدأ بأحاديث التحريم أولاً ، ثم أحاديث التغليظ والكراهة الشديدة ثانياً . كما أنه يبدأ بالأحاديث صريحة الدلالة ثم يتدرج بعد ذلك في إيرادها لبقية الأحاديث . وقد وجدت أثناء معاشتي لمؤلفات الشيخ — يرحمه الله — ومن خلال كتابتي لهذا البحث أن غالب الأحاديث التي يستشهد بها الشيخ هي من الأحاديث المتفق عليها أو من الأحاديث التي أخرجها البخاري أو مسلم في صحيحهما — يرحمهما الله — (٣)

(١) المقدمة : ٥ ، وانظر على سبيل المثال : تحفة الإخوان : ٣ ، الصارم المشهور : ٧ ، إتحاف الجماعة : ٥ ، كتاب الرؤيا : ٥ .

(٢) انظر على سبيل المثال : دلائل الأثر : ٦٩ ، و الصواعق الشديدة : ١٠ — ١٨ و ٢٣ — ٣٢ حيث أورد ٢٥ آية في الدليل على ثبات الأرض واستقرارها ، الدلائل : ٢٨ — ٣٤ حيث أورد ٢٥ حديثاً في تحريم المسكر والرد على من أباحه و ٥٢ — ٦٨ حيث أورد ٥٠ حديثاً في الوعيد الشديد لشارب الخمر ، و الاحتجاج بالأثر : ٩٩ ، و الرد على الكاتب المفتون : ٤٨ — ٨٣ حيث أورد ثلاثين برهاناً في المنع من الابتداء ، و الصارم البتار : ٢٦ — ٣٩ حيث أورد ٤١ حديثاً في تحريم الربا والرد على من أباحه ، و تحريم التصوير : ١١ — ٢٩ حيث أورد ٣٤ حديثاً في تحريم التصوير ، و إتحاف الجماعة : ٣ / ١٩٥ حيث أورد ١٩٠ حديثاً صحيحاً وحسناً في الأبواب التي في ذكر الدجال وخروجه في آخر الزمان .

(٣) انظر على سبيل المثال : الصواعق الشديدة : ٢٢ ، وذيل الصواعق : ٩٩ ، و الرد القوي : ٣٩ .

٤) الشيخ — يرحمه الله — في نقله تجده ينقل بكل دقة وأمانة علمية فهو يوضح إن كان الكلام منقولاً بنصه أو مختصراً^(١) كما أنه ضابط وعارف بالنقول مثبت منها بالرجوع إلى كتب أهل العلم ومطابق هذه النقول^(٢) وهو حريص أشد الحرص على ألا ينقل شيئاً إلا وهو متأكد من صحة نسبته، لذا تجده يتصفح الكتب من أجل التثبت من صحة الكلام أو عدمه مع إصلاحه للكلام إن كان مشتملاً على خطأ أو تحريف^(٣) وتجده — يرحمه الله — يشنع على من يقوم بالاختلاس من كتب الغير^(٤) ومن منهجيته في كتاباته أنه يورد الكتاب المردود عليه مع بيان مكان طبعه وتأريخه^(٥) كما أن الشيخ — يرحمه الله — من خلال معرفته بطبعات الكتب تجده ينبه على ما عرف منها بالتحريف أو السقط^(٦) وهو — يرحمه الله — من دقته وحرصه على البيان يشير وينبه إن كان هناك فرق في ترقيم الصفحات بين الأصل والمخطوط والمطبوع^(٧).

٥) يتبدأ كلامه عادة بتأصيل المسألة وتلقيها، ووضع ضوابط لها وفق الكتاب والسنة، مع بيانه لعقيدة السلف في المسألة إن كانت من مسائل الاعتقاد، ويوضح أصل الانحراف في المسألة، إن كان هناك مخالفاً. فهو يأصل الأمور مع

^(١) انظر على سبيل المثال: الدلائل الواضحات: ١٥٥، والصواعق الشديدة: ٧٢، والرسالة البديعة: ٤، والرد القويم: ١٧٣، والقول البليغ: ٢٠٣.

^(٢) انظر على سبيل المثال: فتح المعبود: ٢٧.

^(٣) انظر على سبيل المثال: فتح المعبود: ١٥٣.

^(٤) انظر على سبيل المثال: الرد القوي: ٦٢.

^(٥) انظر على سبيل المثال: الرد القويم: ١.

^(٦) انظر على سبيل المثال: إيضاح المحجة: ١١١.

^(٧) انظر على سبيل المثال: تنبيهات على رسالتين للجزائري: ٣٥٥.

بيان للحق في الملتبس فيها ، وتصحيح لما انقلب من معاييرها ، ووضع لها في نصابها الصحيح .^(١)

(٦) رجوعه — يرحمه الله — إلى المخطوطات في المسائل المشككة ، والتي تحتاج إلى تثبت ، وتصحيحه لكلام أهل العلم من خلال النسخ الأصلية ، كما أنه يقابل النسخ الخطية .^(٢)

(٧) معرفته — يرحمه الله — وإلمامه بكتب المعاصرين ، ومعرفته بمصادر المخالف التي يستقي منها . كل ذلك مع توثيقه للمعلومات التي يخطئ فيها الناقل .^(٣)

(٨) عنايته — يرحمه الله — بالكتاب أيما عناية نسخاً ، وشراءً ، وتجليداً . وقد اهتم بالكتب منذ بدايته للطلب — يرحمه الله — فكان يقتني منها شراءً ما تيسر مطبوعاً ، فإن لم يكن نسخ منها ما تمس الحاجة إليه .

وكان يعتني بالكتاب خياطة وتجليداً ، وكان يتولى ذلك بنفسه أيام شبابه . ولم يكن اقتناؤه للكتب مقصوراً على فن معين ، مع أن اهتمامه كان مُنصباً أكثر ما يكون على كتب التفسير — والحديث وعلومهما ، و كتب العقيدة ، والفقه ، وما يخدم ذلك كله من كتب اللغة واللسان .

ومكتبة الشيخ — يرحمه الله — تزخر بأمهات الكتب منذ أيام الطلب إلى آخر أيام حياته — يرحمه الله — وكان يحرص أشد الحرص على اقتناء الجديد من الكتب ، معتمداً في آخريات حياته على أبنائه في تزويد مكتبته — التي هي

(١) انظر على سبيل المثال : تبرئة الخليفة العادل : ٨ ، و الرد القويم : ٢،٣٢ ، و الرد القوي :

١٠٤، ١٠١، ٧١، ٤٤، ٦ .

(٢) انظر على سبيل المثال : عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن : أ ، ٤٩ ، و فصل الخطاب

: ١٦٥ .

(٣) انظر على سبيل المثال : الصارم البتار : ١٨٢ .

مكتبتهم في نفس الوقت — بما يجد من كتب ، هذا فضلاً عما يقتنيه من مخطوطات في علوم مختلفة ، ومنها ما هو بخط يده كما سبقت الإشارة إليه .

ثانياً صاخر خاصه

أول صاخر قتلهم بالتفسير :

(١) عنايته — يرحمه الله — بكتب السلف وتصحيحها ، خصوصاً ما يتعلق بالعقيدة فقد كان يقابل الكتب على النسخ الخطية ومن ذلك ما صنعه بنونية ابن القيم — يرحمه الله — .

(٢) عادة ما ينقل إجماع أهل السنة في مسائل الاعتقاد ، وينقل عن أمهات كتب العقيدة عند تقريره لمسألة من مسائل الاعتقاد بحيث يورد كلام الأئمة في هذه المسألة ، وهو يستحضر كلام الأئمة — يرحمهم الله — في المسائل وتراه يحشد الأدلة على ذلك .

(٣) الشيخ — يرحمه الله — من العمق في فهم العقيدة والدقة بحيث لا يفوته أن يعلق أو يوضح بعض العبارات الموهمة التي تصدر من بعض أهل العلم .

(٤) تمكنه — يرحمه الله — من مسائل الاعتقاد بحيث إن كبار العلماء في وقته كأمثال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — يرحمه الله — وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — يبعثون إليه بالكتب المشتملة على مخالفات عقدية ؛ لكي يفندوها ، ويبين ما فيها من زيف وباطل وإنحراف عن المنهج الحق (٥) مطالعته — يرحمه الله — لكتاب الرد على المنطقيين ، وقراءته قراءة فاحصة متأنية ، بل قراءته قبل ذلك على شيخه الشيخ عبدالله العنقري — يرحمه الله — وقد قام بعمل فهرسة علمية لهذا الكتاب مفيدة للغاية ؛ وهذا يدل على مدى

اهتمام الشيخ — يرحمه الله — بالعقيدة والحرص على تصنيفاتها ؛ بحيث يعرف أصول أهل الكلام ؛ وبالتالي يسهل الرد عليهم وبيان ما عندهم من باطل .

ج) صانعه فاعله بالحديث :

(١) ترتيبه في إيراد الأحاديث بحيث يبدأ بمسند الإمام أحمد ثم الصحيحين ثم الموطأ ثم السنن ، وهو يورد الأحاديث بأسانيدها ، وإن كان الحديث في الصحيحين يبين إن كان اللفظ للبخاري أو لمسلم ، وإن كان الحديث من معلقات البخاري فهو يوضح أنه تعليقاً مجزوماً به . وهو في ترتيبه لكتب الأحاديث يقدم الكتب المشترطة للصحة ثم الكتب المخرجة لأحاديث الأحكام كالسنن وغيرها ، ثم يتبعها بما عداها من الكتب الأخرى .

(٢) الأحاديث من غير الصحيحين عند إيراد الشيخ — يرحمه الله — لها تجده يبين صحيحها من سقيمها ، فإن كان الحديث ضعيفاً نبه على ذلك وإن كان له شواهد تقويه ذكرها . وهو يقتصر في الغالب عند استشهاده على الأحاديث الصحيحة ويذكر الضعيفة إن ذكرها للاستشهاد لا للاعتماد .

(٣) تمكن الشيخ — يرحمه الله — من علم الجرح والتعديل وكلام أئمة هذا الفن ومصطلحاتهم . وهو يورد كلامهم في رجال الإسناد للحكم على الإسناد متى ما احتيج إلى ذلك ، مع معرفة الشيخ — يرحمه الله — بعلم الحديث وما يتعلق بهذا العلم وتوظيف هذه المعرفة في الحكم على الأحاديث .

(٤) عند إيراد الشيخ — يرحمه الله — لطرق الأحاديث يذكر بعد ذلك كلام أهل الغريب ، ويبين ما قد يشكل في الأذهان من بعض عبارات الأحاديث ، وللشيخ معرفة بمدلولات الألفاظ لذا نجده يرجح عند الخلاف في لفظة مع ذكره لمسوغات هذا الترجيح . ثم إنه بعد ذلك يورد كلام شراح الحديث ، ويعقب بذكر الفوائد والأحكام المستنبطة من الحديث ، ويبين إن كانت هذه الفوائد مما

يشهد لها القرآن والأحاديث الصحيحة ، أو القرآن فقط ، أو الأحاديث الصحيحة فقط .

(٥) كتابات الشيخ — يرحمه الله — تعد مرجعاً لمن أراد جمع طرق حديث ما ، كما أنها تعد مرجعاً لمن أراد جمع أحاديث في مسألة ما . فمثلاً نجد الشيخ — يرحمه الله — أورد أكثر من ١٩٠ حديثاً صحيحاً وحسناً في الأبواب التي في ذكر الدجال في كتابه إتحاف الجماعة .

(٦) الشيخ — يرحمه الله — عند ذكره للأحاديث التي ظاهرها التعارض بنحوه يدفع الإشكالات التي توهم التعارض ويبين المراد من هذه الأحاديث ، كما أنه يرجح إن لم يمكن الجمع ويبين إن كان هناك ناسخاً ومنسوخاً .

(٧) الشيخ — يرحمه الله — يقرر أن العمدة على ما في الصحيحين وما سواه فشواهد على ما جاء في الصحيحين . وعند اختلاف الروايات فالمقدم رواية الصحيح .

(٨) الشيخ — يرحمه الله — ينبه على الأحاديث الضعيفة المشتهرة أو التي لا أصل لها كحديث الحميراء وغيره . كما أنه يقرر أن ما لم يثبت بإسناد صحيح فإنه لا يعتد به ، وأنه لا يجوز الجزم في شيء من الأحاديث بأنه من قول النبي ﷺ إلا إذا كان إسناده صحيحاً متصلاً من رواية الأثبات إلى النبي ﷺ ، وأنه إذا كانت الجملة من رواية كذاب ؛ فلا تجوز نسبتها إلى النبي ﷺ وإن كانت مطابقة للواقع

(٩) عناية الشيخ — يرحمه الله — بكتب الحديث ، وتعليقه عليها كما صنع في مستدرك الحاكم حيث علق على الكتاب ونبه عليه ، وكذلك صنيعه في مسند الإمام أحمد الطبعة التي هي بتحقيق العلامة أحمد شاكر — يرحمه الله — حيث تعقب الشيخ أحمد شاكر في بعض تصحيحاته . هذا مع عنايته ودقته وثبته فيما

يتعلق بالأحاديث وحرصه على ذلك ، وبيانه لما يقع في الأحاديث من تحريف عن طريق بعض النساخ في بعض الكتب .

ج) صوامع فقهية بالرفعة

(١) فقه الشيخ — يرحمه الله — ومعرفته لكلام أهل العلم ، وطريقتهم في الاستدلال ، واستنباطاته الدقيقة للمسائل ومعرفته بأقوال المذهب . مع عدم تعصبه للمذهب بل رائده الدليل يذهب إليه وإن كان فيه مخالفة للمذهب ، مع توقيره لأهل العلم والثناء عليهم والتماس العذر لهم في مخالفتهم للدليل .

(٢) ترجيحه — يرحمه الله — في المسائل الخلافية ، مع بيان سبب الترجيح ، مع محاولته للجمع بين كلام أهل العلم متى ما أمكن ذلك .

كل ذلك مع تعقبه لكلام أهل العلم وبيان الصواب فيه ، فهو ليس مجرد ناقل للأقوال بل محص وناظر في هذه الأقوال . وهو ممن يستقصي أقوال أهل العلم في المسألة ، مع إيراد مواضع كلامهم من خلال كتبهم ، وبيانه إن كان هناك نسخ في الأحكام .

(٣) معرفته بقواعد الفقه وأصول الترجيح ، مع إيراد القواعد الأصولية ، واستدلاله بها ، مع ذكره للقواعد الجامعة وبيان تطبيقاتها . أضف إلى ذلك حكايته لإجماع أهل العلم في المسألة إن وجد . ونقله لاتفاق الأئمة على مسألة ما .

المبحث الرابع: موقفه من بعض القضايا المعاصرة

للشيخ — يرحمه الله — موقفه من عدة قضايا عصرية كثير الحديث عنها ، و الخوض فيها ، و قد كان له موقفه من بيان الحكم الشرعي فيها مستنداً في ذلك على أدلة الكتاب و السنة راداً على ما سثار من شبه و أباطيل حول هذه القضايا ، و من هذه القضايا :

أولاً: فتنة إباحة المعازف والمزمار واللاشعاريين

تحدث الشيخ — يرحمه الله — عن هذه الفتنة المعاصرة ، ما بين تأليف مستقل أو في ثنايا مؤلفاته ولعلي أوضح جهده ؛ من خلال تناول النقاط التالية بإذن الله تعالى :

(١) أفرد الشيخ — يرحمه الله — هذه المسألة بتأليف مستقل أسماه (فصل الخطاب في الرد على أبي تراب) و هذا الكتاب كما وصفه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — رسالة نفيسة ضمنها الرد على أبي محمد بن حزم الظاهري و مقلده في إباحة المعازف و الغناء أبي تراب و على أشكاهما و أضراهما ممن تابع الهوى وحاد عن طريق الحق في هذه المسألة .

وقد ذكر الشيخ في هذه الرسالة من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية والآثار السلفية المعروفة عن الصحابة و التابعين ما يوضح الحق و يدمغ الباطل . و نقل فيها من كلام أهل العلم ما يشفي العليل ويروي الغليل ويهدي طالب الحق إلى سواء السبيل وأجاب عن الشبه التي تعلق بها محبوا المعازف والمشغوفون بها بأجوبة تقطع دابرها وتبين زيفها وتبطل التعلق بها وتوضح لمريدي الحق وطالبي

الهدى أن الحق والهدى فيما جاء به الكتاب والسنة من تحريم الغناء وآلات الملاهي والتحذير منها وبيان سوء عاقبة من ابتلى بها . و قد رد الشيخ — يرحمه الله — على عدة دعاوى باطلة من أهمها :

دعوى أن الكتاب و السنة لم يحرموا الغناء ولا استعمال المعازف والمزامير والاستماع إليها وقد بين الشيخ بطلان هذه الدعوى بإيراده لأدلة التحريم من الكتاب والسنة والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وكلام الأئمة الأربعة في ذلك ، كما أورد الأحاديث الواردة في ذم الغناء والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في ذم الغناء والآت اللهو ثم انتقل لذكر أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء السلف وأئمة الخلف — يرحمهم الله — في المنع من الغناء والآت اللهو وبين اتفاق الأئمة الأربعة على المنع من الغناء والآت اللهو كما بين أنه قد حكي غير واحد من العلماء الإجماع على تحريم الغناء والمنع من استماعه واستماع الآت اللهو كلها، والإجماع على كفر من استحل الغناء ، كما بين الشيخ يرحمه الله أن أكابر الصوفية يذمون الغناء ويمنعون من الاستماع إليه وإلى الآت اللهو . ثم أورد الشيخ يرحمه الله مسائل فقهية تتعلق بتحريم الغناء والمنع من استماعه واستماع الآت اللهو كعدم جواز التداوي بسماعه وعدم جواز بيع الآت اللهو إلى غير ذلك من المسائل ثم انتقل لذكر مضرات الغناء ومفاسده فذكر اثني عشر مضرة و مفسدة

و من هذه الدعاوى دعوى أبي تراب من أنه وقعت نسخة في يد ابن عبد البر من كلام ابن حزم في إباحة الغناء والمعاذف وأنه تأملها أياما وقال لم أجد ما أزيد فيها وما انقص إقرارا لها وبين بعد ذلك بطلان هذه الدعوى وأن ابن عبد البر قد حكى الإجماع على تحريم اخذ الأجرة على الغناء والزمير و اللعب . ثم أورد الشيخ زعم أبي تراب أن عبد الله بن عمر و عبد الله بن جعفر وأبا حنيفة ونافعاً ومالكاً وسعيد بن المسيب وغيرهم من الصحابة والتابعين والأئمة يرحمهم الله

سمعوا الغناء بروايات ثابتة صحيحة منقولة إلينا ورد عليه الشيخ بأننا لا نسلم صحة ما ذكره ونطالبه بإبراز الأسانيد الصحيحة . ثم أورد شبهة أبي تراب في حديث أن النبي ﷺ سمع مزماراً فوضع إصبعيه في أذنيه وكان معه ابن عمر رضي الله عنهما ولم يأمره بذلك ولا أمر بكسر المزمار ولا نهي الزامر ففعله هنا تترهاً لا تحريماً وقد بين الشيخ بطلان هذا الفهم وأن هناك فرق بين الاستماع والسماع .

كما رد زعم أبي تراب بأن عبدالله بن عمر وعبدالله بن جعفر و أباحنيفة ومالكاً وسعيد بن المسيب وغيرهم يرحمهم الله سمعوا الغناء . كما رد عليه الشيخ في استدلاله بحديث عائشة رضي الله عنها في قصة الجاريتين . ورد عليه في وصفه علماء أهل السنة يرحمهم الله بالشغب وزعمه أن الأحاديث الواردة في تحريم الغناء والمعازف كلها مردودة واهية .

ثم انتقل الشيخ بعد ذلك إلى إنكار مايفعله السفهاء في زماننا من الغناء والرقص والضرب بالدفوف في أيام الأعراس والأعياد وعند قدوم السلطان وختم ذلك كله ببيان الفرق بين الغناء الجائز والغناء المحرم وتخطئة من جعلهما سواء .

(٢) كذلك فقد ألف الشيخ — يرحمه الله — كتاباً أسماه (تبرئة الخليفة العادل و الرد على المجادل بالباطل) ذب فيه عن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز — رحمه الله — و رد الافتراءات عليه من استعماله الأغاني المحرمة .

وقد ذكر الشيخ — يرحمه الله — في مقدمة كتابه أنه رأى نبذة بتراء في ترجمة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى جمعها أحمد زكي صفوت وقرر فيها أن عمر ابن عبدالعزيز — رحمه الله تعالى — كان يغني قبل الخلافة ويصنع الألحان في الغناء واعتمد في ذلك على ما نقله صاحب الأغاني من الأكاذيب في ذلك وقد غلط الناقل والمنقول عنه في ذلك غلطاً فاحشاً وأخطأ كل منهما على أمير المؤمنين خطأ كبيراً حيث رمياه بما هو برئ عنه ومنكر له أشد الإنكار .

وقد أوضح الشيخ أن الذي ذكر عنه الميل إلى المعازف والغناء هو عمر بن الوليد ابن عبد الملك بن مروان ، أما الثابت عن عمر رحمه الله فهو إنكار الغناء والنهي عنه وصاحب الأغاني غير موثوق به لأنه شيعي والشيعة من أكذب الناس ، وقد أورد الشيخ ما ذكر عن عمر بن عبدالعزيز في إنكار الغناء ، وقد رد الشيخ على دعوى صاحب النبذة أن الغناء فن جميل وأنه لا يمار في ذلك أحد فبين الشيخ أن المعارضين لما ذكره أكثر من أن يحصيهم كتاب لأهم كل من تمسك بالكتاب والسنة وأورد بعد ذلك أدلة التحريم من الكتاب والسنة والآثار . كما رد على زعمه الباطل بأنه يتعشقه كل إنسان بفطرته وتهيم به كل نفس بطبيعتها فبين الشيخ أنه لا تتعشقه إلا نفس من استغزه الشيطان وغلب عليه من الفساق الذين يتعشقون الغناء ويستبيحونه أما أهل التقوى فينفرون منه ويغضونه غاية بغض كما رد الشيخ على قوله بأنه يتوق إليه الملك في قصره والصعلوك في كوخه وقد قرر الشيخ أن على فرض ذلك جدلاً فإن العبرة في حل الأشياء وحرمتها الكتاب والسنة لأهواء الناس وشهواتهم . ورد على زعمه الباطل بأنه غذاء الأرواح وسلسبيل القلوب وصقال النفوس وروضة الأذهان فرد عليه الشيخ بأن هذا من قلب الحقائق فإن هذه صفات القرآن لا الغناء الباطل ، كما عقب الشيخ على قول صاحب النبذة الباطل بأن الغناء متعة مشروعة لا يأبأها الدين ولا تنكرها الشريعة مادام لا يكتنفه رقت ولا فسوق ولا شراب فبين أن هذا زعم باطل معلوم البطلان بالضرورة من الدين ، وأوضح الشيخ بعد ذلك بطلان قوله (دع عنك ما يتشدد به المتزمتون من أن الدين يحظره وأن الشرع لا يبيحه) ورد الشيخ على استشهاده بحديث عائشة في الضرب بالدف في الزفاف وغناء الجاريتين ، وقد بين الشيخ إطلاقات الغناء الخمسة وبين أن النوع الخامس وهو ما كان فيه تمطيط وتكسير وتلحين وتطريب هو الغناء المحرم وهو المعروف عند أهل الغناء في زماننا وهو الذي تحدث عن إباحته صاحب النبذة ونسب ذلك إلى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ، ثم عقب الشيخ على احتجاج

صاحب النبذة بحديث عبد الله بن أويس وفيه قول النبي ﷺ : « لا حرج إن شاء الله » بعد سماعه للجارية في ظل فارغ وهي تغني فبين الشيخ أن هذا الحديث لا يصح لأنه منقطع والمنقطع ليس بحجة ، ورد الشيخ على باطله وزعمه بأن عمر نشأ في بيئة غنائية فياضة بالألحان والإيقاع مفعمة بحذاق المغنين والمغنيات وزعمه أن المدينة سبقت سائر المدن الإسلامية إلى الغناء وشاع اللهو والقصف بين أهلها وكذبه على الإمام مالك بأنه غنى وسمع ذلك منه حسين بن دحمان الأشقر كما ذكر ذلك الشيعي الكذاب صاحب الأغاني .

(٣) ومن المؤلفات التي أفردتها الشيخ — يرحمه الله — لبيان هذه المسألة كتاب (الرسالة البديعة في الرد على أهل المجلة الخليعة)

و هو رد على فتوى باطلة نشرت في مجلة العربي الكويتية تحت عنوان (الغناء و الموسيقى و السينما و التلفزيون لا يقول بتحريمها إلا الجاهل و المتمتون) و قد رد الشيخ — يرحمه الله — شبهات مفتي المجلة كما يقول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم — يرحمه الله — و كشف عوارده و أبطل ترهاته بالنصوص من الكتاب العزيز و السنة الصحيحة و أقوال سلف الأمة و أئمتها بل و إجماع أهل العلم إلا من شذ من لا يعتد بقوله ، كما نقض ما أدلى به مفتي المجلة من الشبهات و موه به من الجهالات واحدة واحدة بما لا مزيد عليه مما لا يبقى لمبطل أي شبهة .

و قد أورد الشيخ الأدلة على تحريم السينما والتلفزيون ، والأدلة من القرآن على تحريم الغناء وآلات اللهو ومن السنة كذلك ، ثم نقل الإجماع على كفر من استحل الغناء ، والإجماع على كراهية الغناء والمنع منه ، وتفسيق المستمع إلى العود والطنبور وسائر الملاحي والغناء ، والإجماع على تحريم سماع الغناء والآلات الملاحي ، وكلام العلماء في تفسيق المغنين ، وأوضح الشيخ كذب المفتي على النبي ﷺ وعلى الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء ، ثم عدد الشيخ أنواع الغناء وما يجوز

منه وما يحرم، وبين بعد ذلك تحريف المفتي للأحاديث والرد عليه، وذكر الشيخ بعد هذا أول من اخترع الموسيقى، ثم ذكر تعظيم مفتي العربي للصوفية والرد عليه، كما رد على مازعمة من حل الغناء والموسيقى، والرد على مانقله عن حسن العطار من القول السيء، وختم ذلك كله ببذل النصيحة لمفتي العربي.

(٤) و من ضمن المؤلفات التي أفردتها لتناول هذه المسألة (الرد على من استحل المعازف) و هو رد على مقال في مجلة النهضة الكويتية و هو في تحليل الغناء و الموسيقى عنوانه (مجالس الطرب عند العرب) عنوانه (مجالس الطرب عند العرب) وقد صدر أهل المجلة هذا المقال الخاطئ بعنوانين آخرين أخذوهما من كلام مفتيهم بجل الغناء والمعارف. أحدهما قولهم : (موقف القرآن والرسول والخلفاء الراشدين من الموسيقى والغناء) والثاني : قولهم : (النبي تزوج خديجة وسط الغناء ثم منعه عمر ولكن عثمان وعلي أباحاه) وقد رأى الشيخ أن ينبه على ما في هذا المقال من الضلال لئلا يغتر به بعض الناس . وقد قام أهل المجلة باستفتاء راهب نصراني من أعداء الإسلام والمسلمين اسمه فكري بطرس واعتمدوا على كلامه في تحليل الغناء والموسيقى وهو من أجهل الناس بالشريعة الإسلامية .

وقد رد عليهم الشيخ وفند باطلهم وبين أن موقف القرآن والرسول والخلفاء الراشدين من الغناء والموسيقى هو التحريم والتشديد في ذلك وكذلك هو موقف علماء الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم والأدلة على التحريم كثيرة في القرآن والسنة وأقوال الصحابة وإجماع من يعتد بإجماعهم من أهل العلم . وقد أورد الشيخ بعد ذلك الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المطهرة والآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم في ذم الغناء والآت اللهم وكذلك ماورد عن التابعين وتابعيهم ثم عقب بذكر اتفاق الأئمة الأربعة على المنع من الغناء

والآت اللهو ونقل الإجماع على تحريم الغناء والمنع من استماعه واستماع الآت الملاهي والإجماع على كفر من استحل الغناء .

وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على زعمهم الباطل من أن النبي ﷺ تزوج أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وسط الغناء ثم منعه عمر ولكن عثمان وعلي أباحاه . ورد على مانقله أهل المجلة عن مفتيهم النصراني بأن الشعر قد لقي تأييداً كبيراً في عصر الجاهلية فكلما ظهر شاعر في قبيلة قدمت الوفود للتهنئة . وكان الشاعر عادة ذا حظ كبير في الموسيقى . كما أن النساء كن يتمتعن بنصيب كبير من الغناء بل إنهن كن يشتركن مع الرجال في كثير من الحفلات الموسيقية التي تنظم في الأفراح والأعياد فقد احتفل بزواج محمد ﷺ بخديجة بالأفراح والموسيقى والغناء . وقد أوضح الشيخ — يرحمه الله — أن كل ما ذكره الراهب النصراني كذب لأصل له . وبين بطلان ذلك كله .

كذلك رد على ما نقله أهل المجلة من قولهم : (موقف الإسلام من الموسيقى والغناء) وقد ذكروا كلاماً باطلاً عن المؤرخ الموسيقى فكري بطرس الذي زعم بأن الفقهاء يستدلون على إباحة الغناء واستحسانه بالآية الكريمة التي تقول : ﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ وقوله تعالى : ﴿ سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ . وقد رد الشيخ عليهم باطلهم .

وختم ذلك بالرد على ما قاله أهل المجلة تحت عنوان (تطور الموسيقى أيام الخلفاء الراشدين) وماذكروه من أن الموسيقى لقيت حظاً وافراً في عهد عثمان بن عفان ﷺ وبدأت الموسيقى تحتل مكانها بينهم ... الخ كلامهم الباطل .

٥) تناول الشيخ الحديث عن هذا الموضوع في كتابه (تغليظ الملام على المتسرعين إلى الفتيا و تغيير الأحكام) و ذلك عند استعراضه لنماذج من أعظم الزلات في الفتيا و ذكر منها : القول بتحليل الغناء و المعازف . يقول — يرحمه الله — : " و من أعظم الزلات الواقعة قديماً و حديثاً تحليل الغناء و المعازف و عدم المبالاة

بما يترتب على ذلك من مخالفة الكتاب و السنة و إجماع من يعتد بهم من أهل العلم " (١)

٦) كما أنه قد تناول الحديث عن هذا الموضوع في كتابه (الصارم الصقيل على هامة ابن عقيل) حيث تحدث عن تعصب ابن حزم — يرحمه الله — لمذهبه الفاسد و الباطل في إباحة الأوتار و غيرها و ما أداه إلى الحكم على الأحاديث الواردة في تحريم الملاهي بالوضع (٢)

ثانياً : (الأنشيد الملحنة و النشيد :

للشيخ — يرحمه الله — رأيه في هذه المسألة التي وقع فيها الخلاف بين أهل العلم في زماننا هذا و خصوصاً لما اتخذت هذه الأنشيد الملحنة و التمثيل عند البعض كوسيلة من وسائل الدعوة ، ولعلي أظهر رأي الشيخ في هذه المسألة من خلال تناول النقاط التالية :

١) أفرد الشيخ — يرحمه الله هذه المسألة بالتأليف كما في كتابه (إقامة الدليل على المنع من الأنشيد الملحنة و التمثيل) وقد بين الشيخ يرحمه الله أن الأنشيد الملحنة ليست من أمور الإسلام وهي تشبه الأغاني الموسيقية ، وأوضح فساد قياسها على رجز الصحابة ؓ ، كما بين بأن الأنشيد الملحنة هي في الأصل من بدع الصوفية ، وهي من المحدثات والأعمال التي يجب المنع منها وذكر الأدلة على ذلك ، كما ذكر مشابقتها للتعبير الذي أحدثه الزنادقة ، وحذر من اللوازم السيئة التي تلزم من تسمية الأنشيد الملحنة الجماعية باسم الأنشيد الإسلامية وأورد كلام الإمام مالك فيمن ابتدع بدعة في الإسلام يراها حسنة ، ثم انتقل إلى بيان

(١) تغليظ الملام : ٦٧

(٢) الصارم الصقيل : ٩٠ — ٩١ .

التمثيل وأنه من المنكرات التي يجب المنع منها، وأورد الأدلة على المنع منه، وبين تحريم محاكاة الأنبياء ﷺ و الصحابة رضي الله عنهم وتمثيلهم وبيان ما يترتب على ذلك من الأمور الخطيرة، وتخطئة من سمى محاكاة الناس بالتمثيل الإسلامي، ومن أكبر الخطأ إدخاله في الدعوة إلى الله تعالى والتوجيه والإرشاد، وذكر الشيخ رحمه الله الطريقة المشروعة للدعوة والتوجيه والإرشاد، وذكر ما في تمثيل أفعال النساء وكلامهن من القبح والسخافة وما يترتب على ذلك من اللعن، ورد على من استدل على جواز التمثيل بمجيء الملك ﷻ إلى كل من الأبرص والأقصر والأعمى في صورته وهيئته وبتمثيلهم في صور بني آدم، وتمثل إبليس في صورة شيخ جليل من أهل نجد وغيره من تمثلات إبليس في صور مختلفة وقد قرر الشيخ رحمه الله أن إبليس كما ورد في الأحاديث لا يستطيع أن يتمثل في صورة النبي ﷺ وهي تدل بمفهومها أنه يستطيع أن يتمثل بمن سوى النبي ﷺ من بني آدم وغيرهم، ثم قرر الشيخ رحمه الله الرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة كما هو الأمر بذلك، وختم ذلك كله ببيان أن الحديث الوارد في كراهة المحاكاة وإعظامها يشمل محاكاة الملائكة وبني آدم وغيرهم.

(٢) وله أيضاً — رحمه الله — مؤلف آخر في بيان هذه المسألة وهو (تحذير العاقل النبيل مما لفقّه المفتونون بالتمثيل) وقد رد الشيخ رحمه الله في مؤلفه هذا على صاحب نبذة اسمها (حكم التمثيل في الدعوة إلى الله) أيد فيها صاحبها القول بأن التمثيل مباح . وقد رد عليه الشيخ في مسألة أن التمثيل من مسائل الاجتهاد التي يسع فيها الخلاف، وذكر النصوص في التحذير من المحدثات ودمها والأمر بردها، وأنه أصل من أصول الدين وقاعدة من قواعده، وبين أن التمثيل من سنن النصارى، وإخبار النبي ﷺ بأن أمته ستبغ سنن اليهود والنصارى، وذكر الشيخ التشديد في التشبه بأعداء الله والأحاديث في ذلك وقرر أنه محرم مطلقاً وأنه منهي عنه بالإجماع، وحذر من أن في التمثيل جمع بين التشبه بالنصارى

والرافضة ،ويبين أن التمثيل معناه محاكاة الغير في الكلام والأفعال والحركات وقد كره ذلك النبي ﷺ وأعظمه ،وهذه المحاكاة لا تخلو من الكذب ،وحذر — يرحمه الله — من التهاون بسد الذرائع إلى المحرمات في التمثيل وذكر ماوقع من تمثيل أشياء خطيرة بسبب ذلك التهاون ، وقد رد الشيخ يرحمه الله على أدلة ذكرها صاحب النبذة في الاستدلال على جواز التمثيل ،ورد على قوله بأن التمثيل من وسائل الدعوة والتعليم المشروعة .ورد الشيخ يرحمه الله على قول أن التمثيل له أصل في الإسلام ،وذكر الأحاديث في التشديد في الرغبة عن السنة ،ورد على صاحب النبذة قصصه التي جمعها وذكر بأنه يمكن الاستشهاد بها على جواز التمثيل ، ورد على القول بأن التمثيل في أصله مباح ،وأجاب الشيخ يرحمه الله عما وضعه صاحب النبذة من ضوابط ذكر بأنها تضبط التمثيل والممثلين ،ونبهه الشيخ يرحمه الله بعد ذلك على أهمية قاعدة تقديم درء المفسد على جلب المصالح

ثالثاً : فتنة الاختلاط والدعوة إلى التبرج والسفور :

للشيخ — يرحمه الله — جهده المبارك في بيان هذه المسألة و التحذير من فتنة الاختلاط ، و الدعوة إلى التبرج و السفور ؛ يتبين ذلك — بإذن الله تعالى — من خلال تناول النقاط التالية :

(١) أفرد الشيخ — يرحمه الله — هذه المسألة بالتأليف كما في كتابه (الصارم المشهور على أهل التبرج و السفور) و قد افتتح الشيخ كتابه بذكر الاستعاذة من فتنة المغرب وفتنة المشرق وبيان أن فتنة المغرب أعظم ومنها طغيان النساء و تبرجهن و سفورهن ،ثم ذكر الإخبار عن وقوع الطغيان في النساء والفسق فيهن وفي الفتيان ،ونبه تحريم التشبه بأعداء الله تعالى والتشديد في ذلك ،وتحريم التبرج وذكر ما يفعله المتبرجات في الجاهلية الأولى وفي هذا الزمان وبين تعريف التبرج

، وذكر بعد ذلك الأحاديث الواردة في النهي عن التبرج والتشديد فيه ، وكرهية خروج النساء في العيدين من أجل التبرج ، وفضل صلاة النساء في بيوتهن والنص على أنها أفضل من الصلاة في مسجد النبي ﷺ ، ثم نبه على مسألة لعن زوارت القبور وأنه لا فرق في ذلك بين قبر النبي ﷺ وقبر غيره ، وذكر بعد ذلك بأن الإذن للنساء في إتيان المساجد مشروط باجتناب الطيب وغيره مما يهيج شهوة الرجال ، وترغيب النساء في لزوم بيوتهن وبيان أنهن عورة وتعريف العورة ، والتشديد على وضعهن ثيابهن في غير بيوتهن ، ومنع النساء من دخول الحمام والإذن للرجال فيها بشرط الاستتار ، والنهي عن نظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة ، والأمر بحفظ العورة والنهي عن كشفها ، وبيان أن الفخذ من العورة ، ونقل الإجماع على تحريم نظر الرجل إلى عورة المرأة والمرأة إلى عورة المرأة ، وتحديد عورة الرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة وبيان أنه يجرم على الرجل النظر إلى كل شيء من بدن المرأة والمرأة كذلك ، وبين الشيخ أن المتشبهات بنساء الإفرنج في زماننا هن الكاسيات العاريات ، ثم ذكر الأمر بتأديب الأهل والأولاد ، وأنه يتعين على ولي الأمر منع النساء من التبرج والسفور وما يدعو إلى الفتنة ، وتعريف الغيرة وأنها صفة كمال ، وتعريف الديوث والوعيد الشديد له ، وبيان معنى اللمم ، وبيان زنى العينين والأذنين واللسان والشفيتين واليدين والرجلين ، ونبه الشيخ على أن إرخاء الأعنة للنساء في المحرمات من الدياثة لامن حسن الخلق ، والمرأة مع الرجل الأجنبي في الخلوة كالشاة مع الذئب ، ثم ذكر الشيخ فشو الزنا عند المتشبهين بالإفرنج ، وأن داعي الشهوة والهوى يغلب النساء على عقولهن ، والتحذير من الثقة بالنساء والاعترار بهن وإن كن نساكاً عباداً ، وأنه لا مدفع عندهن وأهن أقرب للاسترسال من الاعتصام ، وأورد بعد ذلك قصص لنساء راودن الرجال عن أنفسهن ، ثم قرر الشيخ أن العقوبات الشرعية كلها أدوية نافعة واطراحها عند أفراخ الإفرنج وتلاميذهم ، ثم التحذير من طاعة النساء

وبيان أنهن سفهاء، وخوف النبي ﷺ على الرجال من فتنة النساء وأمره باتقائهن وأنهن حباله الشيطان وأعظم فحوخه، ثم ذكر خوف بعض أكابر السلف على أنفسهم من الافتتان بالنساء، وضعف الرجال في أمور النساء وغلبتهن لذوي الألباب والحزم من الرجال، ثم أورد الشيخ اعترافات لبعض عقلاء الإفرنج بمضرة اختلاط الرجال بالنساء، و ذكر بعد ذلك بعضاً من المنكرات الواقعة من تبرج النساء ومزاحمتهن للرجال في الطرقات واجتماعهن مع الرجال وعند تقبيل الحجر الأسود وبيان أن ذلك ممنوع إلا عند خلو المطاف من الرجال، ثم نبه على أنه من أعظم ذرائع الفتنة خلوة النساء مع الرجال الأجانب ونقل الإجماع على تحريم ذلك، و ذكر تحريم خلوة المرأة بحيوان يشتهيها أو تشتهيها كالقرد وكذلك خلوة الأمرد والخصيان والمجبوين، ثم نبه على مسألة سفر المرأة بغير محرم وأنه من أعظم ذرائع الفتنة وأنه منهي عنه حتى في الحج ونقل كلام العلماء في ذلك، و كون المرأة مظنة الطمع والشهوة ولو كانت كبيرة وبين بعد ذلك أن مصافحة النساء ذريعة للافتتان بهن وأعظم من ذلك معانقة النساء ومغامرتهن ولمس أبشارهن، وكذلك محادثة النساء للرجال الأجانب، وترقيق النساء للكلام إذا خاطبن الرجال الأجانب، وإسماع النساء ألحان الغناء، ثم بين عظم المفسدة في حضور النساء عند السينما والتلفزيون، وحذر بعد ذلك من النظر إلى النساء وهو الداعية إلى فساد القلب وأورد الأدلة على وجوب غض البصر عما لا يحل النظر إليه، ونبه على جواز النظر إلى المخطوبة، ثم ذكر الترغيب في غض البصر عن المحرم، وتحريم النظر بشهوة إلى النساء والمردان وحكاية الإجماع على كفر من استحله واتفاق الأئمة على تحريم النظر إلى الأمرد وذوات المحارم والأجنبية بشهوة، ثم قرر الشيخ أن كل مكان سبباً للفتنة فإنه لا يجوز وجوب سد الذريعة إلى الفساد إذا لم يعارضها مصلحة راجحة، ثم ذكر مسائل في تحريم النظر إلى شيء من بدن المرأة الأجنبية وبالعكس ونظر الأمرد الحسن سواء كان بشهوة أم لا

وسواء أامن الفتنة أم خافها وتحسين الشيطان لهما في عين الناظر إليهما ثم نبه الشيخ على مضرة النظر المحرم وسوء عاقبته ، وبين الشيخ أن النساء مأمورات بغض الطرف عن الرجال الأجانب وان نظرها إلى الرجل الأجنبي بشهوة حرام بالاتفاق ، ثم أورد الأدلة من القرآن والسنة والآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم على مشروعية استتار النساء عن الرجال الأجانب ، وذكر اتفاق المسلمين على منع النساء أن يخرجن سافرات الوجوه ، ونبه أن أول من دعا المسلمين إلى السفور هو سلطان الترك في أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة ، وقد قرر الشيخ بعد ذلك تكفير من اعتقد جواز السفور ورفع الحجاب وإطلاق حرية المرأة ، وتكفير من أظهرت زينتها الخلقية أو المكتسبة معتقدة جواز كذلك ، ثم رد على شبه المفتونين بسفور النساء ، ورد على أخطاء الألباني في إباحة السفور والرد عليه ، ونبه على أن من اعظم أسباب السفور والتبرج فتح المدارس والجامعات التي يجمع فيها بين البنين والبنات وعرض نماذج من مفاسد مدارس الاختلاط وجامعاته ، وختم ذلك كله بدعوة من أنعم الله عليهم بالحجاب والعفاف إلى الاعتبار بما حل بغيرهم .

(٢) تناول الشيخ — يرحمه الله — هذه المسألة عند حديثه على أشراط الساعة في كتابه إتحاف الجماعة فذكر من ضمن الأبواب باب م اجاء في تشبه الرجال بالنساء و النساء بالرجال ، ثم باب ما جاء في تقديم النساء في المخاطبة ، فباب ما جاء في طغيان النساء و فسق الفتيان ، و بعد ذلك باب الإخبار عن الكاسيات العاريات ^(١)

(٣) تحدث الشيخ — يرحمه الله عن قضية سياقة النساء للسيارات في رده على الرفاعي وذكر النص على أن المرأة عورة ، وذكر ما في سياقة النساء للسيارات من الوسائل الكثيرة المؤدية إلى المحرم ، وأورد الأدلة من القرآن والسنة على

(٢) إتحاف الجماعة : ٢ / ١٣٥ — ١٣٩ .

مشروعية الاستتار للنساء في جميع أبدانهن وعن الرجال الأجانب وذكر الآثار في ذلك والإجماع على مشروعية احتجاب النساء عن الرجال الأجانب، وتعريف معنى العورة، ومنع النساء من السفر بدون محرم، والرد على قول الرفاعي أن باب سد الذرائع في سياقة النساء للسيارات وفي استخدام غير المسلمين قد تجاوزه الوقت، وقد بين الشيخ يرحمه الله أن باب سد الذرائع أحد أرباع التكليف: (٢) في كتابه (رد على أباطيل) رد الشيخ — يرحمه الله — على الدعوة إلى سفور النساء عند الرجال الأجانب، وعلى من أجبر نساءه على هذا الفعل المخالف للشريعة، وقد نبه على أن الدعوة إلى السفور وترك الحجاب من أعظم الفتن التي ابتلي بها كثير من المنتسبين إلى العلم فضلاً عن العامة. (١)

رابعاً: فتنه الربا

للشيخ — يرحمه الله — جهده المشكور في بيان هذه الفتنة والرد على من دعا إلى هذا القول الباطل ألا وهو استباحة الربا وتحليل المعاملات البنكية الربوية وهو قد أفرد هذه المسألة بمؤلف أسماه (الصارم البتار للإجهاز على من خالف الكتاب والسنة والإجماع) أوضح فيه الحق وكشف الشبهات بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والآثار.

وقد بين الشيخ يرحمه الله بأن كتابه هذا هو كتاب وجيز في أحكام الربا والمرابين، وذكر ما جاء من الوعيد الشديد للمرابين، كتبه رداً على الفتان الذي استزله الشيطان وأغواه، وزين له عمله السيئ في تحليل الربا في المعاملات مع أهل البنوك والمصارف، وفيه أيضاً رد على من شايع الفتان من أعوان الشيطان والمتبعين

(٢) الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي: ٢٣٦ — ٢٥٩

(١) رد على أباطيل: ١٩ — ٢٠

لخطواته وقد سمي الفتان كتابه في تحليل الربا (موقف الشريعة الإسلامية من المصارف) وهذا من قلب الحقيقة والافتراء على الشريعة الإسلامية .

كما نبه يرحمه الله على اشتغال كتاب الفتان على عشرة أمور من الكبائر ، وقد ذكر الشيخ الدعاة على أبواب جهنم والتحذير منهم ، والإخبار عن أكل الربا في آخر الزمان وعدم المبالاة بالحرام ، وتظافر الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على تحريم الربا ، وبيان المراد بأكله ، ومعنى الربا في اللغة وفي كلام المفسرين ، ورد على من سوى بين الربا والبيع ، ونبه على تكفير من استحل الربا ، وقول الكافي في أن من استحل الخمر والزنا والربا والمكس يكفر ، ثم ذكر الشيخ أدلة السنة على التحريم وأنواع الربا ، ونقل حكاية ابن المنذر الإجماع على تحريم الربا وأنه مروي عن أربعة عشر من الصحابة منهم الخلفاء الأربعة ؓ ، وما ذكره الترمذي وابن أبي عمر والنووي من الإجماع على التحريم ، ورجوع ابن عباس ؓ عن القول بجواز التفاضل في بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة ، ونقل الشيخ يرحمه الله حكاية الشافعي الإجماع على الأخذ بالسنة وأن لا تترك لقول أحد ، ورجوع ابن مسعود عن القول بجواز المفاضلة في بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والرد على بيان موقف الشريعة الإسلامية من المصارف عند الفتان ، وبيان أن مراعاة أهل البنوك شبيهة بربا أهل الجاهلية ، ورد بعض العلماء على من سمي الزيادة الربوية باسم الفوائد ، والرد على فتوى محمد عبده بحل الفائدة الربوية ، وتحريم القرض الذي يجر نفعاً وبيان أنه من الربا ، ورد على زعم أن ربا الجاهلية هو الذي نزل فيه القرآن ، والرد على من قال أن ربا الفضل غير قطعي وأنه من الربا الخفي ، والرد على تقسيم الربا إلى جلي وخفي ، والرد على القول بأن ربا النسيئة محرم قصداً وإن تحريم ربا الفضل تحريم وسيلة ، والرد على تجويز الفتان ربا النسيئة للضرورة وربا الفضل للحاجة ، وقرر الرد إلى الكتاب والسنة عند التنازع ، وذكر الشيخ بيان معنى العرايا التي استثنيت من ربا الفضل ، ورد على

محاولة الفتان حصر الربا المحرم في ربا الجاهلية ، وبين الشيخ يرحمه الله موقف أهل العلم وكبار رجال الفتوى من تحريم ربا الفضل والتشديد فيه والرد على المخالفين لهم ، وقول الموفق : إن الربا محرم بالكتاب والسنة والإجماع وإن أهل العلم أجمعوا على تحريم ربا الفضل والنسيئة ، ورد الشيخ يرحمه الله على رشيد رضا في محاولته مع الفتان حصر الربا في ربا الجاهلية وتجويزه أخذ الأرباح الربوية من صندوق التوفير ، وأخيراً فقد رد الشيخ يرحمه الله على الفتان ما تعلق به من كلام الفقهاء ووضعه على غير مواضعه .

و نبه — يرحمه الله — على أن هذا الاستحلال إنما هو نوع من أنواع التشبه بالكفار ، وقد ذكره بقوله : " النوع الرابع و الأربعون : من التشبه بأعداء الله تعالى : استحلال المحرمات بالحيل ، وكثيراً ما يقع ذلك في المبايعات الربوية . ومن ذلك استحلال أهل البنوك للربا الصريح ؛ زعماء منهم أن الربا الذي يأخذونه من صاحب المال ؛ إنما هو في مقابلة راحته من حمل ماله ، فهو كالأجرة على نقل المال من بلد إلى آخر " (١)

خاتمة : فتنه النصارى في الرؤى والالهام :

للشيخ حمود — يرحمه الله — جهده المشكور في بيان هذه المسألة و تأصيلها تأصيلاً شرعياً مستنداً في ذلك على كتاب الله عز وجل و سنة نبيه محمد ﷺ و قد أفرد — يرحمه الله — بتأليف مستقل أسماه ب (كتاب الرؤيا) و قد أوضح في البداية السبب الذي دعاه إلى الكتابة في الرؤيا وهو تهاون الأكثرين بشأن الرؤيا سواء كانت صالحة أو غير صالحة وجهلهم بالآداب التي تتعلق بالرؤيا وتأويلها وما ينبغي ذكره من الرؤيا وما لا ينبغي ذكره .

(١) الإيضاح والتبيين : ٢٦٥ — ٢٦٦ .

وقد ذكر الشيخ يرحمه الله تعظيم شأن الرؤيا الصالحة وما جاء فيها من الأحاديث وما جاء في المبشرات من الرؤيا وأنها جزء من النبوة، والأمر بالإخبار بالرؤيا الصالحة والنهي عن الإخبار بالرؤيا المكروهة، وأن الصالحة بشرى من الله والسيئة تحزين من الشيطان وتخويف منه، والنهي عن قص الرؤيا على غير عالم أو ناصح، ثم نقل الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين يرحمهم الله في تعظيم شأن الرؤيا الصالحة، وبين الشيخ يرحمه الله أن الرؤيا إذا حدث بها صاحبها وقعت وأنها تقع على ماتعبر به، وذكر الشيخ يرحمه الله أصدق الرؤيا، وأقصى المدة التي ينتهي إليها تأويل الرؤيا، وبين تحريم التحلم بما لم يره في منامه وذكر الوعيد الشديد على ذلك، ثم انتقل إلى مسألة رؤية الرب تبارك وتعالى في المنام واتفاق العلماء على صحتها وجوازها، وأن رؤيا الأنبياء في المنام وحي وحق، وبين بعد ذلك حقيقة الرؤيا وأنها نوعان ظاهرة لا تحتاج إلى تأويل، ورؤيا من ضرب الأمثال للنائم وهي التي يحتاج فيها إلى التأويل، وذكر الأحاديث الواردة في الظاهرة، ثم نبه الشيخ يرحمه الله على التسرع إلى تعبير الأحلام بغير علم، وأنه لا خير في الاشتغال بالكتب المؤلفة في تعبير الأحلام لأنه قد ينتج عن ذلك نتائج سيئة، وأن تعبير الأحلام من العلوم التي يختص الله بها من يشاء من عباده، وأورد الشيخ بعد ذلك بعض الرؤى المعاصرة العجيبة وما اشتهر عن المصري من تعبير الرؤى وهو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذكر نموذجاً عن أحلام الملوك المتقدمين وغيرهم من الأكابر، وحذر بعد ذلك من التصديق بأحلام التبليغيين، والتحذير من الاغترار بهم والانضمام إليهم.

ساروا : (البرج الصوفي) :

للشيخ — يرحمه الله ردوده الكثيرة على بدع المتصوفة ، ومن ذلك ما يتعلق بالمولد النبوي ، و بدع القبور والأضرحة و غيرها من البدع ، ولعلي أوضح جهود الشيخ في ذلك من خلال تناول النقاط التالية — بإذن الله تعالى — :

(١) أفرد بدعة المولد النبوي بالتأليف كما في كتابه الذي أسماه (الرد القوي على الرفاعي و المجهول و ابن علوي) و هو رد على مقال ليوسف بن هاشم الرفاعي يرد به على فتوى الشيخ عبدالعزيز بن باز في النهي عن الاحتفال بمولد النبي ﷺ ، ويرد به أيضاً على الذين ينكرون سياقة النساء للسيارات وهو منشور في جريدة السياسة الكويتية وقد بين الشيخ يرحمه الله مخالفة صاحب المقال للكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح فيما كتبه في المولد وذكر الأحاديث في التحذير من المحدثات والأمر بردها وبيان أن هذه الأحاديث من أصول الإسلام وقواعده ،وقد رد الشيخ يرحمه الله على زعم الرفاعي بأن الاحتفال بالمولد سنة حسنة، وذكر الشيخ بعد ذلك آثاراً في الحث على إتباع السلف الصالح ، وحذر من زلات العلماء ، وبين تقول الرفاعي على أهل السنة والجماعة ، وبين مشاهة بدعة المولد لبدعة مولد المسيح وذكر التشديد في التشبه بأعداء الله ، وذكر بعد ذلك الأعياد المشروعة وأشار إلى بعض الأعياد المبتدعة ، ورد الشيخ على احتجاج الرفاعي بقول عمر ؓ ﴿ نعمت البدعة هذه ﴾ ، ورد على زعمه بأن النبي ﷺ كان يعظم يوم مولده ،، والرد على زعمه بأن الفرح بيوم المولد مطلوب بأمر القرآن ، وعى زعمه بأن النبي ﷺ كان يهتم بالحوادث الدينية التي قد مضت وانقضت ويجعل ذلك فرصة لتذكرها وتعظيم يومها ، و ذكر الشيخ أول من أحدث بدعة المولد ، ورد على زعم الرفاعي وابن علوي أن الاحتفال بالمولد قد

استحسنه العلماء والمسلمون من السلف والخلف ،،ورد على تقسيمهما للبدع وإدخال فيها ما ليس منها وبين رد الشاطبي على من قسم البدعة إلى خمسة أقسام وقد أوضح الشيخ دلالة الكتاب والسنة على المنع من جميع البدع ومنها بدعة المولد ،ثم أورد كلام أهل العلم الذين أنكروا بدعة المولد المتقدمين منهم والمتأخرين ،وبين المراد من السنة الحسنة والسيئة ،ورد على زعمهم سنية بدعة المولد و على كلمة شركية لابن علوي ،وبين ما في كلامه من التناقضات والمغالطات ،ورد على بعض شطحاته ،وذكر بلایا شنيعة وطامات فظيعة في كلامه مع رده عليها ،ثم ختم ذلك بذكر الأحاديث في حماية النبي ﷺ جناب التوحيد وسده طرق الشرك .

(٢) كما أن الشيخ — يرحمه الله — تناول في مؤلف أسماه (الرد على الكاتب المفتون) بعض البدع المحدثه وهي ما يصنعه أهل الميت من الولائم للعزاء ، و الاحتفال بالمولد النبوي . وقد ذكر الشيخ يرحمه الله في القسم الأول كلام المردود عليه وأجاب عن كلامه أولاً عن طريق الإجمال وذكر الأحاديث في التحذير من المحدثات والأمر بردها ،وذكر الهدى النبوي في صنع الطعام لأهل الميت ،وأن الاجتماع وصنعهم الطعام من النياحة وأمور الجاهلية ونقل إجماع الصحابة على ذلك ،وأن الإفتاء بتحريم ولائم المأتم هو الصواب ،ورد على بعض شبه الكاتب ،وقرر الشيخ أن العبادات مبناهما على الشرع و الإتياع لا على الهوى والابتداع ،وأن هدينا مخالف لهدى المشركين ،والتشديد في التشبه بأعداء الله ،والتشديد في ابتغاء سنة الجاهلية في الإسلام

أما القسم الثاني فهو في بيان أن مقال الكاتب أبتى مجذوم ، ثم ذكر الشيخ يرحمه الله البراهين الكثيرة على المنع من بدعتي المولد والمأتم وعددها ثلاثون برهاناً ،وقد ذكر الشيخ يرحمه الله ما يلزم على استحسان بدعتي المأتم والمولد من اللوازم السيئة وبين معنى الرد إلى الله والرسول ،وصفة الفرقة الناجية من هذه الأمة

وقول علي ؑ في بيان السنة والبدعة والجماعة والفرقة وقول ابن مسعود ؑ في بيان المراد بالجماعة ، وأورد الشيخ يرحمه الله كلام العلماء في المنع من الولائم في المآتم وتصريحهم بأنها بدعة ، ورد الشيخ يرحمه الله على زعم صاحب المقال بأن حفلات المولد والمآتم عادات اجتماعية ، وقرر الشيخ يرحمه الله أن العبادات مبناهما على التوقيف والإتباع ، كما رد عليه في قوله عن بعض العلماء أن البدع ليست كلها سيئة وأن فيها سيئة وحسنة ، وقول النبي ﷺ ﴿ كل بدعة ضلالة ﴾ من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل من أصول الدين ، ورد على الكاتب ماتعلق به من جمع عمر ؑ الناس في صلاة التراويح على إمام واحد وبين الشيخ بأن ذلك سنة وذكر الأدلة ، وكذلك ماتعلق به من إمضاء عمر ؑ للطلاق الثلاث ، وتعلقه بمكبرات الصوت وزعمه أن الأصل في الأعمال الحل ، ورد على بعض تلبيسه ، ورد عليه في احتجاجه بما ورد في تأبير النخل ، وقد نقل الشيخ كلام أهل العلم فيما يحصل في احتفالات المولد من منكرات وبدع ومفاسد ، ورد عليه محاولته إحداث الاحتفال باليوم الوطني ، وبين الشيخ يرحمه الله الأمور الجائزة من اللهو واللعب ، وذكر ما يطلق عليه اسم العيد واشتقاقه ، ورد عليه جرأته وإساءته الأدب على ولي الأمر وعلى ابن باز يرحمه الله وعلى خطيب المسجد الحرام وعلى ما في كلامه من التلبيس وقلب الحقيقة ، وذكر بعض ما للملك عبدالعزيز من المآثر الجليلة ، ثم ذكر لأمر التي تهدم الإسلام والثلاث المهلكات نورد على الكاتب حملة التيسير ورفع الحرج على غير المراد به وبين المراد باليسر ونفي العسر وأن رفع الحرج للمستقيمين على منهاج الشريعة ، وبين الشيخ يرحمه الله نموذجاً من قلة حياء الكاتب ومحاولته إحياء البدع وإظهارها .

(٣) تحذيره من طرق الصوفية و ما هم عليه من البدع و الضلالات و ذلك في معرض حديثه عن جماعة التبليغ في كتابه (القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ) و قد نبه الشيخ على أذكار و أوراد مبتدعة أخذها التبليغيون عن

المتصوفة ، و مبايعتهم على أربع طرق صوفية باطلة وهي الجشتية و القادرية و السهروردية و النقشبندية ، وكذلك المراقبة عند القبور و انتظار الكشف و الكرامات و الفيوض الروحية من أهل القبور إلى غير ذلك من ممارسات الصوفية الباطلة .

(٤) رد الشيخ — يرحمه الله — على كتاب (الذخائر الحمديدية) لمحمد بن علوي المالكي . وقد ابتدأه ببيان سبب التأليف وهو إطلاع على القسم الأول من مؤلف الفتان المفتون محمد بن علوي المالكي وهو المسمى بالذخائر الحمديدية فرآه مملوء من الشرك والبدع والضلالات والخرافات والغلو والإطراء للنبي ﷺ فضلاً عما فيه من الأخطاء الكثيرة التي هي من نتيجة جهل المؤلف وقلة علمه . وقد رأى من الواجب الرد على أباطيل هذا الفتان المفتون لئلا يغتر بها ضعفاء البصيرة وقد بين الشيخ — يرحمه الله — أن تسمية الكتاب بالذخائر الحمديدية خطأ كبير لما اشتمل عليه هذا الكتاب من تقرير الشرك والبدع والضلالات والخرافات والغلو والإطراء للنبي ﷺ وهذه الأمور الذميمة هي من ذخائر الشيطان وإخوانه وأعوانهم ، مع بيانه لحقيقة الذخائر الحمديدية وهي الكتاب والسنة .

كما نبه الشيخ بعد ذلك أن ابن علوي اعتمد في كتابه على خواطره وظنونه وما توحيه الشياطين إليه من زخارف القول ووساوس الغي والضلال .

وقد تعقب الشيخ على ما ذكره ابن علوي في صفحة (٦) من أن ثوية جارية أبي لهب أعتقها لما بشرته بولادة النبي ﷺ وأنه رأى بعد وفاته فأخبر أنه يخفف عنه في كل يوم اثنين لعتقه ثوية فرحاً بولادة رسول الله ﷺ فبين الشيخ عدم ثبوت ذلك وأن الوارد أن أباهب أعتقها بعد هجرة النبي ﷺ وما ذكر من تخفيف العذاب عبارة عن رؤية منامية لا حجة فيها كما أن أعمال الكفار حابطة بنص القرآن الكريم ، وأن العذاب لا يخفف عن الكفار .

كما رد الشيخ على زعم ابن علوي أن طه ويس من أسماء النبي ﷺ وبين أن هذا قول ضعيف جداً ذكره بعض المفسرين والصحيح أنها من فواتح السور .

ورد على زعم ابن علوي أن إبراهيم ابن النبي ﷺ مات ابن سبعين ليلة وقيل سبعة أشهر وقيل ثمانية أشهر فبين الشيخ أن هذه أقوال غريبة جداً وهي مردودة لمخالفتها للآثار المروية عن الصحابة وغيرهم من أهل العلم بالأخبار وأنه مات وهو ابن ستة عشر شهراً وقيل ابن ثمانية عشر شهراً .

وتعقب على ما ذكره ابن علوي تحت عنوان (من عجائب مولده) وذكر ما أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس ؓ أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو إمام الدنيا ...) فأجاب الشيخ — يرحمه الله — بأن هذا الخبر دلائل الوضع ظاهرة عليه وليس هو مجرد خبر ضعيف .

كما تعقب على ما ذكره ابن علوي تحت عنوان (من عجائب نشأته ﷺ) ماروي عن العباس بأنه رأى النبي ﷺ يناغي القمر في مهده ...

وقد بين الشيخ — يرحمه الله — أن كل ما ذكره ابن علوي في هذا الفصل فهو باطل مردود فأما حديث العباس بن عبدالمطلب ؓ فهو حديث موضوع وأما قول الصابوني : أنه في المعجزات حسن فهو قول باطل مردود لأن الحديث لا يكون حسناً لا في المعجزات ولا في غيرها إلا إذا روى بإسناد جيد ، وأما ما جاء في فتح الباري عن سيرة الواقدي أن النبي ﷺ تكلم في أوائل ما ولد فهذا لم يثبت ولو وقع لكان نبأً عظيماً . ، وأما ما ذكره ابن سبع في الخصائص أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة فهو خبر لم يذكر له إسناداً فهو لا يعتد به ، وأما مارواه البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس ؓ قال : كانت حليلة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله ﷺ تكلم فقال : الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً . فهذا طرف من خبر طويل موضوع بلا شك .

ثم رد الشيخ — يرحمه الله — على ما نقله ابن علوي من تفضيل ليلة المولد على ليلة القدر وهو شذوذ من القسطلاني أقره عليه ابن علوي . وقد حذر الشيخ من ما في تفضيل ليلة المولد على ليلة القدر من الدعاء إلى إحياء ليلة المولد والحث على هذه البدعة والضلالة والترغيب فيها . وقد نبه الشيخ على أمر هام وهو أن التشريف للنبي ﷺ وعموم النعمة والنفع به لم يكن بولادته وإنما كن بيعته وإرساله للناس وإنزال القرآن عليه .

ورد الشيخ على قول ابن علوي : (فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعاً) بأن هذا الكلام ظاهر في تحسين الاحتفال المولد واتخاذ عيداً وقد رد الشيخ على هذا القول الباطل .

وقد توقف الشيخ في الرد عند كلام ابن علوي تحت عنوان (من لطائف الميلاذ النبوي) حيث ذكر بأن مولده في شهر ربيع لا في غيره من الأشهر لأنه عليه السلام لا يتشرف بالزمان وإنما الزمان يتشرف به كالأماكن . ولم يتيسر للشيخ — يرحمه الله — إتمام هذا الرد و بيان بقية ما في كتاب المالكي من الباطل .

٥) للشيخ — يرحمه الله — رسالة في التحذير من بدعة المولد النبوي كتبها رداً على مقال نشر في جريدة الشرق الأوسط للدكتور محمد عبده يماني ، وقد زعم صاحب هذا المقال : أنه منذ فجر التاريخ الإسلامي و الناس يحتفلون بالمولد النبوي ، و أن الرسول ﷺ احتفى بمولده ، وعلمهم كيف يحتفون به .

وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على هذا الكلام و بين بطلانه و تقول صاحبه على النبي ﷺ ، و على الصحابة و التابعين و أتباعهم و من جاء بعدهم إلى أن ظهرت بدعة المولد النبوي ، كما نبه الشيخ — يرحمه الله — على إساءة أدب صاحب المقال على رسول الله ﷺ و على الصحابة و التابعين و أتباعهم حيث ألصق بهم الاحتفال بالمولد و هم لم يكونوا يحتفلون به . كما أن صاحب المقال موه ولبس على ضعفاء البصيرة ورغبتهم في الاحتفال ببدعة المولد ، وأنه قد شاق

الرسول ﷺ و اتبع غير سبيل المؤمنين ، وقد رد الشيخ على استدلال صاحب المولد بمشروعية صيام يوم الإثنين على أنه احتفاء بالمولد و بين بطلان هذا الاستدلال .

صاحباً : فتنه مشابهة (للمشركين) :

للشيخ — يرحمه الله — جهوده في بيان هذه الفتنة و التحذير من الوقوع فيها يتضح ذلك — بإذن الله تعالى — من خلال تناول النقاط التالية :

(١) أفرد الشيخ — يرحمه الله — هذه المسألة بالتأليف كما في كتابه (الإيضاح و التبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين) و قد افتتح كتابه بذكر الأحاديث في اتباع هذه الأمة لسنن من قبلهم من الأمم ، ثم تحذير المؤمنين من التشبه بأعداء الله تعالى و ذكر ما يترتب على مشابھتهم من الحشر معهم ، وتعوذ النبي ﷺ من بلوغ الزمان الذي يتشبه فيه المسلمون بالأعاجم و تعويد أصحابه من بلوغه ، و بين بعد ذلك أن هدى النبي ﷺ مخالف لهدى المشركين ، وأورد الأحاديث في الأمر بمخالفة أعداء الله والنهي عن التشبه بهم و أوضح أن ذلك أمر مجمع عليه وأنه يدخل فيه ما عليه الأعاجم الكفار قديماً و حديثاً ، ثم نبه على التغليظ في التشبه بأعداء الله ، و ذكر النتائج السيئة من مشابهة أعداء الله .

وقد أوضح الشيخ سبب جمعه لهذا الكتاب وأنه تنبيه على خطر المشابهة التي تفشت في زماننا هذا وهي من أعظم العوامل في هدم الإسلام و محو السنن النبوية و اطراح المناهج السلفية و المروآت و الشيم العربية و الاعتياض عن ذلك كله بأدناس المدنية الإفرنجية . ثم بدأ الشيخ بعد ذلك في ذكر أنواع المشابهة ، و قد عد خمسة و أربعين نوعاً من أنواع المشابهة . و ختم ذلك كله بذكر تشبه الرجال بالنساء و تشبه النساء بالرجال

(٢) تحدث عن هذه المسألة في كتابه (دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر)

حيث ذكر — يرحمه الله — أن هذه مسألة عظمت بها البلوى في زماننا هذا ، وهي التشبه بالمشركين واليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من أعداء الله تعالى وذكر الأحاديث الواردة في ذلك ثم أورد أحاديث الأمر بمخالفة أعداء الله تعالى والنهي عن التشبه بهم والتغليظ في ذلك وبين حقيقة التشبه بهم ولماذا كان الأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر وذكر بعد ذلك صوراً من المشابهة فيما يتعلق باللحية وأورد أدلة تحريم حلق اللحية ، و ذكر من ضمن المسائل المتعلقة باللحية تغيير الشيب بغير السواد و أن عدم تغييره يدخل في مشابهة المشركين .

(٣) أوضح الشيخ — يرحمه الله — عند حديثه عن تحريم حلق اللحي أو الأخذ منها في كتابه (الرد على من أجاز حلق اللحية) ما يتعلق بمشابهة المخالفين في الدين و أن من ذلك حلق اللحي كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة ^(١) . و كذلك في كتابه (الرد على من أجاز تهذيب اللحية) .

ثامناً : فتنة التصوير :

هذه المسألة و هي مسألة تحريم التصوير قد وقع الخلاف فيها قديماً و حديثاً فيما يقع عليه التحريم من التصوير هل هو مجرد التماثيل أم أنه يشمل كل ما يدخل تحت مسمى التصوير سواء مما كان له ظل أم لا ؟ و سواء أكان من عمل يد الإنسان أو كان من عمل آلة التصوير كما هو الحال اليوم .

و قد كان للشيخ حمود — يرحمه الله — جهده في بيان هذه المسألة و التحذير من فتنة التصوير التي انتشرت في هذا الزمان و توسع الناس فيها رغم ما جاء من الوعيد الشديد في الأحاديث النبوية و اللعن للمصورين ، و الشيخ — يرحمه الله — ممن يرى أن التحريم يشمل عموم التصوير ، ولا يستثنى من ذلك شيء .

ولعلي أوضح جهد الشيخ — يرحمه الله — من خلال تناول النقاط التالية :

(١) أفرد الشيخ — يرحمه الله — هذه المسألة بالتأليف في مؤلفين أولهما : (إعلان التكبير على المفتونين بالتصوير) و الثاني : (تحريم التصوير و الرد على من أباحه)

(٢) تناول الشيخ — يرحمه الله — في كلا المؤلفين مسائل عدة تتعلق بالتصوير منها : التحذير من التصوير وبيان أنه أذية لله ولرسوله ﷺ ، كما أوضح بأنه موروث عن قوم نوح وعن النصارى ومشركي العرب ، وأنه السبب في بداية الشرك في بني آدم ، وأن غالب كفر الأمم كان من جهة الصور ، وحذر المسلمين من الافتتان بالصور . وقد بين الشيخ أن الأمر بنصب صور الكبراء في المجالس محادة لله ولرسوله ﷺ وهو شبيه بما فعله قوم نوح وأمم النصارى ، وأن الصور داخلية في مسمى الأصنام . ونبه الشيخ على حرمة بيع الصور ، وأن من أعظم المنكرات فتح مدارس لتعليم صناعة التصوير ، ثم أورد بعد ذلك أدلة تحريم التصوير و بين أنه من الكبائر ، و أنه لا فرق بين ماله ظل وما لا ظل له ، وأن التصوير من أظلم الظلم ، وأن المصورين أشد الناس عذابا يوم القيامة . وقد رد الشيخ على من زعم أن التحريم خاص بالصور المجسدة ، ونقل الإجماع على تحريم الصور المجسدة ووجوب تغييرها .

و بين الشيخ في رسالته أن متخذ الصور أولى بالوعيد من صانعها ، وأن الصور سبب لامتناع الملائكة من دخول البيت ، وأن لها تأثير في القلوب . ثم حذر الشيخ من شدة عذاب المصورين . وانتقل بعد ذلك إلى ذكر الخلاف في تصوير الشجر ورجح عموم المنع في التصوير للحيوانات والنباتات ، و بين بأن المصورين هم شرار الخلق عند الله تعالى ، ورد بعد ذلك على من أجاز اتخاذ الثياب والستور التي فيها الصور ، و بين جواز الجلوس والالتكاء على مافيه صورة ، ونبه الشيخ على كراهة دخول البيت الذي فيه تصاوير ، وأن من دخله فالواجب عليه التغيير فإن لم يقدر فالسنة له أن يخرج . وأورد أمر النبي ﷺ بإزالة ما في الكعبة

من الصور وقوله ﷺ : ﴿ قاتل الله قوما يصورون مالا يخلقون ﴾ ونقضه للتصاليب والتصاوير ، وأمره بطمس الصور ، وإطلاق اسم الصنم على الصورة . ثم شدد الشيخ يرحمه الله في صناعة الصورة وبين أن ذلك كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ . ونبه الشيخ بعد ذلك على كراهة الصلاة في الموضع الذي فيه الصور وبيان العلة في ذلك . وذكر نص الإمام أحمد على حك رأس الصورة ، وبين أن متخذ الصورة شريك لصانعها في الوزر واللعنة . ثم انتقل الشيخ إلى مسائل الإنكار فبين التسوية بين الصورة المجسدة وغيرها في الإنكار ، وأنه ينبغي على ولاية الأمر أن يطمسوا الصور عملاً بأمر النبي ﷺ بذلك ، كما ينبغي أن يؤدبوا المصورين .

وقد نبه الشيخ يرحمه الله على وجوب طمس الرأس المصور وحده لأن تصوير الرأس هو أعظم مقصود بالنهي ، ورد على من قال من الفقهاء أنه إذا فرق بين الرأس والجسد فقد زال المحذور وكذلك إذا قطع الصدر أو البطن أو كانت الصورة رأساً بلا بدن ، وذكر نص الإمام أحمد يرحمه الله أن الصورة الرأس ، وذكر قول ابن عباس وعكرمة ؓ أن الصورة الرأس ، . ثم نبه الشيخ يرحمه الله على أن صناعة التصاوير كفر أكبر في ثلاثة صور : الأولى أن يصنعها ليعبدها ، والثانية : أن يستحل صناعتها مع اعتقاده للتحريم ، الثالثة : من يصنعها قاصداً بذلك مضاهاة الباري تبارك وتعالى . ثم ختم ذلك كله بذكر شبهة في استحلال التصوير والرد عليها وهي شبهة القائلين بأن التصوير مكروه لا محرم ، والرد على من أجاز حضور السينما لرؤية ما يصور فيها من ساحات القتال ، وشبهة من قال أن المحرم التصوير المنقوش بالأيدي لا المأخوذ بالآلة الفوتوغرافية ، وشبهة من قال أن المحرم تصوير الصورة المجسدة لا المنقوشة ، وشبهة من قال : أنه إذا فرق بين رأس الصورة وجسدها فقد زال المحذور وكذلك إذا قطع صدرها أو بطنها أو كانت رأساً بلا جسد ، وشبهة من تعلق بقوله ﷺ : ﴿ إلا رقماً في ثوب ﴾ ، وشبهة من تعلق بلعب عائشة رضي الله عنها .

البحر المالح : وفاته وأثره في العلماء فيه

وفاته :

ابتدأ المرض بالشيخ — يرحمه الله — قبل وفاته بثلاث سنين تقريباً ؛ لكنه كان يكتُم ذلك ، ويخفيه ؛ حتى اشتد عليه المرض في السنة الأخيرة ؛ فأدخل على إثر ذلك المستشفى ثلاث مرات . كانت الأولى منهن في يوم التاسع من شهر شوال عام ١٤١٢ هـ ، ومكث فيه إلى اليوم السابع من شهر ذي الحجة ، ثم أدخل مرة أخرى في شهر جمادى الأولى عام ١٤١٣ هـ ، وبقي في المستشفى سبعة وعشرين يوماً ، ثم كان آخرها قبل وفاته — يرحمه الله — بيومين ، إلى أن وافته منيته في آخر ساعة من يوم الثلاثاء الموافق للخامس من شهر رجب عام ثلاث عشرة وأربعمائة وألف للهجرة . وقد صُلّي عليه بجامع الراجحي بحي الربوة بمدينة الرياض بعد صلاة الظهر من يوم الأربعاء ، ودفن بمقبرة حي النسيم بالرياض .

وكانت جنازته — يرحمه الله — جنازة مشهودة يعجز اللسان عن وصفها حضرها خلق عظيم ضاقت بهم : جنبات المسجد ، وساحاته ، وأسطحه ؛ على الرغم من أنه يعد من الجوامع الكبيرة في مدينة الرياض ، بل سد المصلون الطرقات المحيطة بالمسجد ، وتعطلت الحركة حتى في بعض الطرق الرئيسة القريبة من المسجد .

وكان بين الحاضرين جمع كبير من العلماء والدعاة والوجهاء .

وقد أم جموع المصلين سماحة الشيخ الوالد عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — وحاول بعد الصلاة المشاركة في الدفن إلى أنه لم يتمكن من ذلك لشدة الزحام فعاد من المقبرة بعد أن وصل إليها بشق الأنفس كما هو حال غالب الناس في ذلك اليوم . وحقيقة إن الناظر في مشهد جنازة الشيخ — يرحمه الله — يتمثل قول إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل — يرحمه الله — يوم أن قال :

" قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز "

وقد كان عمر الشيخ حمود — يرحمه الله — يوم وفاته ثمانية وسبعين عاماً ، وستة أشهر ، وعشرين يوماً . رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به في جنات النعيم إخواناً على سرر متقابلين بمنه وفضله وكرمه ورحمته إنه سميع قريب مجيب .

ثانياً : ضرورة بعض العلماء فيه :

ثناء العلماء المعاصرين للشيخ — يرحمه الله — لا يخفى على أحد ، ولا أدل على ذلك من تقدير العلماء المعاصرين له ومحبتهم له وإجلالهم لشأنه ورفعهم لمكانته ، ومن ذلك القبول والتأييد الذي لقيته مؤلفات الشيخ — يرحمه الله — كما أن كبار العلماء المعاصرين جعلوا الشيخ — يرحمه الله — موضع ثقتهم بحيث يبعثون إليه بالكتب المشتملة على مخالفات ؛ ليبين تلك المخالفات ويحذر الناس منها كما أنهم قد عرضوا على الشيخ العديد من الوظائف العلمية كان من آخرها أن يكون عضواً في اللجنة الدائمة للإفتاء ، وكذلك في هيئة كبار العلماء لكنه — يرحمه الله — اعتذر عن ذلك كله ولعلي استعرض هنا بعض الكلمات التي فيها ثناء على الشيخ — يرحمه الله — وعلى مؤلفاته :

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

قدم الشيخ محمد بن إبراهيم — يرحمه الله — لستة من كتب الشيخ حمود — يرحمه الله — فهاهو يقول في تقدمته لكتاب (الرد على من أجاز حلق اللحية):

" فقد اطلعت على ما كتبه فضيلة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري حول ما زعمه صاحب الفتوى ... فوجدت الشيخ حمود قد أجاد فيما كتبه في هذه الرسالة حول هذه المسألة ، وأفاد بما أبداه من كشف الشبهة ، وإقامة الحجة ، وإيضاح المحجة ؛ فجزاه الله خير الجزاء ووفقنا وإياه لكل ما يحبه ويرضاه . " (١)

ويقول — يرحمه الله — في تقدمته لكتاب (الرسالة البديعة في الرد على أهل المجلة الخلية): " لقد قرأ على فضيلة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري مؤلفه هذا المسمى (الرسالة البديعة في الرد على أهل المجلة الخلية) فوجدته كافياً شافياً في رد شبهات مفتي المجلة ، وكشف عواره ، وإبطال ترهاته بالنصوص من الكتاب العزيز ، والسنة الصحيحة ، وأقوال سلف الأمة وأئمتها ، بل وإجماع أهل العلم إلا من شذ من لا يعتد بقوله . كما أبرز وفقه الله في نقض ما أدلى به مفتي المجلة من الشبهات ، وموه به من الجهالات واحدة واحدة بما لا مزيد عليه ، مما لا يبقى لمبطل أي شبهة . فجزاه الله خيراً ، ونفع المسلمين بمؤلفه هذا وسائر ردوده المفيدة الدامغة رؤوس الخلاعيين ، وأرباب الفساد " (٢)

سماحة الشيخ عبدالله بن حميد :

يقول الشيخ عبدالله بن حميد — يرحمه الله — في تقدمته لكتاب (إنكار التكبير الجماعي وغيره) : " فقد قرأت هذه النبذة المباركة جمع الأخ الشيخ حمود ابن عبدالله التويجري بين فيها بدعية التكبير الجماعي المؤدى على هذه الكيفية

(١) المقدمة : ٢ .

(٢) المقدمة : ٣ .

المعهودة في المسجد الحرام ، وبدعية تأذين الأذان المسلوك في تأديته هذا المسلك ، وفتنة إختلاط الرجال بالنساء وضررها على المجتمع ، فما قاله في هذا هو الحق الذي يجب المصير إليه ، ويتعين على ولاية الأمور وفقهم الله أن يمنعوا هذه الأشياء المبتدعة ... " (٣)

ويقول — يرحمه الله — في تقدمته لكتاب (فتح المعبود في الرد على ابن محمود) : " فقد قرأ على فضيلة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري مؤلفه القيم الذي سماه (فتح المعبود في الرد على ابن محمود) أجاد فيه وأفاد ، وأوضح مذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر ، وما عليه المحققون من الفرق بين الإيمان والإسلام ، وبين النبي والرسول بالبراهين الواضحة ... " (١)

سماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي :

يقول — يرحمه الله — في تقدمته لكتاب (إعلان النكير على المفتونين بالتصوير) : " هذا وقد أطلعت على ما كتبه الأخ الفاضل الشيخ حمود بن عبدالله التويجري ؛ فوجدته والحمد لله وافياً بالمطلوب ، مستقصياً لأطراف الموضوع ، فقد أتى على الأدلة التي تحرم ذلك ، وتحذر منه ، والتي تصرح بفحش الجريمة وسوء عاقبة فعلها ، ومصير الأمة التي يفشو فيها ذلك دون نكير . مع البيان لوجه الدلالة من الأدلة والاستقصاء لما فيها من الفوائد ، وذكر الطرق المتعددة للأحاديث ، ونسبها إلى دواوينها ، وبين درجتها ، وشرح الحكمة التي روعيت فيما دلت عليه النصوص من الأحكام ؛ ليكون أرجى لقبول العقول ، وأدعى إلى اطمئنان النفوس ، لما تضمنته الرسالة . وذكر آراء العلماء في المسألة للاستئناس ، وقطعاً لأعذار من يتعلق على أقوال المجتهدين ويتعلل بهواه . وبين كيف أفضت صور

(٣) المقدمة : ٩ .

(١) المقدمة : ٥ — ٧ .

الصالحين قديماً إلى الشرك وعبادة غير الله وإلى الفتنة وانتشار الفاحشة وقضاء الوطر في غير ما أحل الله ، وأيد ذلك بما ذكر من الآثار والوقائع التاريخية . " (٢)

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز :

يقول — يرحمه الله — في تقدمته لكتاب (دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر) : "... وممن ألف في هذه المسألة أخونا وصاحبنا الشيخ العلامة حمود ابن عبدالله التويجري جمع في ذلك رسالة قيمة اسمها (دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر) وهي هذه التي نقدمها للقراء والمسلمين . وقد أجاد فيها وأفاد ، وجمع فيها من الأدلة الشرعية ما قل أن تجده في غيرها ، وأضاف إلى ذلك بحوثاً سديدة في مسائل كثيرة تتعلق باللحية والقزع ، وغير ذلك ، ونقل فيها عن أهل العلم فوائد جلية وتحقيقات نفيسة ، ونبه على نكت ومقاصد وإشارات من النصوص ترشد قارئ هذه الرسالة إلى كمال هذه الشريعة الإسلامية وعنايتها بكل دقيق وجليل من مصالح العباد في العاجل والآجل ، وذكر فيها من جملة الأدلة الدالة على تحريم التشبه بالمشركون ووجوب الحذر من ذلك . وبالجملة فهي رسالة قيمة كثيرة الفرائد ، حمة الفوائد ، قد عاجلت كثيراً من مشاكل المجتمع الإسلامي علاجاً دقيقاً صادقاً على ضوء الأدلة من الكتاب والسنة . فنسأل الله أن ينفع بها المسلمين وأن يضاعف الأجر لمؤلفها ، ويزيده من الهدى وأن يجزيه عن سعيه ونصحه للأمة خير الجزاء ... " (١)

ويقول — يرحمه الله — في تقدمته لكتاب (فصل الخطاب في الرد على أبي تراب) : "... وقد ألف العلماء رحمهم الله في هذه المسألة مؤلفات كثيرة ، وبسطوا فيها الأدلة على تحريم الغناء والمعازف وخصوصاً في الكتب المطولة

(٢) المقدمة : ٥ — ٧ .

(١) المقدمة : ٣ — ٤ .

ببحث مفرد وأوضحوا فيه حكمها ، وحذروا العباد من شرها . وممن ألف في ذلك أخونا وصاحبنا الشيخ الفاضل العلامة حمود بن عبدالله التويجري جمع في ذلك رسالة نفيسة ضمنها الرد على أبي محمد بن حزم الظاهري ومقلده في إباحة المعازف والغناء أبي تراب وعلى أشكاهما وأضراهما ممن تابع الهوى ، وحاد عن طريق الحق في هذه المسألة العظيمة وقد سماها مؤلفها (فصل الخطاب في الرد على أبي تراب) وهو اسم مناسب مطابق للمسمى وهي هذه التي نقدمها للقراء . وقد ذكر فيها المؤلف من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والآثار السلفية المعروفة عن الصحابة والتابعين ؛ ما يوضح الحق ، ويدمغ الباطل ، ويرشد القراء والمسلمين إلى تحريم سماع الغناء والآلات الملاحية ، واستعمال ذلك ، وحضوره والرضا به ، والمساعدة عليه . ونقل فيها من أهل العلم ما يشفي العليل ، ويروى الغليل ، ويهدي طالب الحق إلى سواء السبيل ، وأجاب عن الشبه التي تعلق بها محبوا المعازف والمشغوفون بها بأجوبة تقطع دابرها ، وتبين زيفها ، وتبطل التعلق بها ، وتوضح لمريدي الحق وطالبي الهدى أن الحق والهدى فيما جاء به الكتاب والسنة من تحريم الغناء وآلات الملاحية ، والتحذير منها ، وبيان سوء عاقبة من ابتلي بها . فالحمد لله على نصر الحق ، وظهور أدلته ، وقمع الباطل ، وكشف شبهته . " (١)

ويقول — يرحمه الله — في تقدمته لكتاب إثبات علو الله ومباينته لخلقه (فقد اطلعت على ما كتبه أخونا العلامة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري ، في بيان الأدلة الشرعية والعقلية على إثبات علو الله سبحانه فوق عرشه ، واستوائه عليه استواءً يليق بجلاله لا يشابه فيه خلقه . وفي إثبات معيته لعباده بعلمه ، وإطلاعه ، وحفظه ، وكلاءته لأولياءه ، والرد على من زعم أن معية الله لعباده ذاتية . بل

قد سمعته جميعه بقراءة مؤلفه حفظه الله ؛ فألفيته كتاباً عظيم الفائدة ، مؤيداً بالأدلة الشرعية والعقلية ، كما ألفيته رداً عظيماً على أهل البدع ، القائلين بالحلل والإتحاد ، ورداً كافياً شافياً على من قال : إن معية الله للخلق ذاتية . فجزاه الله خيراً ، وزاده علماً وهدى وتوفيقاً ، ونفع به ومؤلفاته المسلمين . وبالجمله فهذا كتاب عظيم القدر ، كثير الفائدة مشتمل على أدلة كثيرة من الكتاب والسنة ، على إثبات أسماء الله وصفاته ، وعلوه سبحانه فوق خلقه ، والرد على جميع أهل البدع ، كما أنه مشتمل على نقول كثيرة مفيدة من كلام علماء السنة المتقدمين والمتأخرين ، ومن كلام الصحابة والتابعين رضي الله عن الجميع ورحمهم رحمة واسعة " (١)

ويقول — يرحمه الله — في تقدمته لكتاب (الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين) : " ... فقد اطلعت على هذا المؤلف الجليل الموسوم ب (الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين) تأليف أخينا وصاحبنا الشيخ العلامة حمود بن عبدالله التويجري ، وسمعته بقراءة مؤلفه من أوله إلى آخره ؛ فألفيته عظيم الفوائد ، كثير الفرائد ، قد اشتمل على بيان جملة كبيرة من الأشياء التي شابه فيها كثير من المسلمين أعداء الله من اليهود والنصارى والمجوس وسائر المشركين ، معزراً بالأدلة الواضحة من الكتاب والسنة ، موشحاً بالكثير من كلام السلف الصالح وأئمة الإسلام في بيان الحق بدليله وتزييف الباطل ، وإقامة الحجة عليه ، وفي التحقيق إني لا أعلم أنه ألف في منواله مثله ، مع وضوح العبارة والعناية بالأدلة والعلل المهمة والحكم الشرعية والأضرار الكثيرة الناجمة عن مشابهة المشركين ... " (٢)

(١) المقدمة : ٥ — ٦

(٢) المقدمة : ٥ — ٦ .

ومرئىء العلماء عليه :

ما كتبه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — رحمه الله — عن الشيخ حيث يقول : " من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ عبدالله ابن محمد يحيى شيخ وفقه الله لما فيه رضاه آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد . فقد وصلني كتابكم المؤرخ بدون . وصلكم الله بحبل الهدى والتوفيق وما تضمنه من الإفادة عن موافقة جامعة أم القرى على كتابتكم في ترجمة صاحب الفضيلة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري للحصول على درجة الماجستير ورغبتكم في الإفادة عن بعض ما أعلمه عن الشيخ حمود المذكور كان معلوماً وأسأل الله أن يمنحكم التوفيق وأن يعينكم على أداء هذه الرسالة على الوجه الذي يرضيه .

ولا شك أن فضيلة الشيخ حمود جدير بأن يكتب عنه وتبين فضائله ومناقبه لما قام به من الجهود العظيمة في نصر الحق والرد على من خالفه وقد عرفته بالاستقامة وحسن العقيدة والنشاط المتواصل في الدفاع عن الحق والرد على من خالفه بأسلوب جيد وعناية بالأدلة الشرعية فجزاه الله خيراً وضاعف مثوبته ورفع درجته في المهدين وأصلح ذريته ونفع المسلمين بما خلفه من التراث العلمي الكبير إنه سميع قريب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ويقول معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء — وفقه الله — في كتابة له عن الشيخ — رحمه الله — بعنوان (الشيخ حمود التويجري وجهوداته العلمية) رداً على رسالة أرسلت إليه بخصوص تسجيل موضوع هذا البحث :

" لقد عرف الجميع الشيخ حمود التويجري — رحمه الله — عالماً عاملاً تقياً ورعاً متواضعاً ذا أخلاق فاضلة عُرف ذلك عنه من خلال تعامله مع الناس ونصحه لله

ولكتابيه ولرسوله ولأئمة المسلمين . عرفناه كذلك (وما شهدنا إلا بما علمنا) ولا نزكي على الله أحداً . عرفناه من خلال لقاءاتنا به ومن خلال مؤلفاته الكثيرة المفيدة في مختلف المواضيع العلمية النافعة التي يدافع بها عن العقيدة والأحكام الشرعية ويرد بها شبهات المشبهين وانتحالات المبطلين بأسلوب علمي رصين مدعم بأدلة الكتاب والسنة وأقوال الأئمة مما أفحم الخصوم وأوضح الحق ودحض الباطل — ومؤلفاته في ذلك أكبر شاهد على ما ذكرنا — وقد أقبل الناس عليها بحرص ورغبة ونفدت طبعاتها الكثيرة وأعيدت مرات ومرات . مما نرجوا أن يكون عملاً صالحاً مستمراً يجرى ثوابه له بعد موته . كما قال النبي ﷺ : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) ^(١)

وقد خلف الشيخ — رحمه الله — علماً غزيراً وأولاداً صالحين علماء أتقياء نرجوا الله أن ينفعه بكل ما خلف ويجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأن يجعله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

ويقول فضيلة الشيخ المجاهد عبدالله بن قعود — وفقه الله — في خطبة له بعد وفاة الشيخ حمود — يرحمه الله — : " يقول عليه الصلاة والسلام : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " رواه البخاري ^(٢) .

في ليلة الأربعاء الماضي ١٤١٣/٧/٦ هـ فقد العالم الإسلامي عالماً فاضلاً نصوحاً غيوراً محارماً لله لا تأخذه في الله لومة لائم نحسبه كذلك والله حسيبه هو

^(١) أخرجه مسلم في الوصية برقم : ١٦٣١ .

^(٢) أخرجه البخاري في العلم برقم : ٩٨ .

الشيخ حمود بن عبدالله التويجري الذي قضى عمره رحمه الله ، بين كتب السنة المطهرة والعقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة بعيداً عن المناصب والمجاملات ومجالس القيل والقال ، طيب الله ثراه ، وضاعف أجره وتقبل دعاء المسلمين له . ولأن كان الرزء كبيراً والهوة التي تركها واسعة فإن مما يخفف ذلك على المسلمين أموراً :

منها رجاء تقبل دعاء المسلمين له ، فقد صلى عليه بمسجد الراجحي بإمامة شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز عشرات الآلاف ممن يرجى أن يكون بينهم مستجاب الدعوة، قال عليه الصلاة والسلام: " ما من رجل يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه " (رواه مسلم) ^(١)

ومنها أنه رحمه الله وإن مات فإن آثاره لم تمت فغالب كتبه في مجال السنة الغراء والعقيدة السلفية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكأني بالشاعر يصفه وأمثاله بقوله :

إن كان جسمك قد واره ملحدة
فعلمك الجم في الآفاق منتشر
ومنها أنه ترك أولاداً على جانب كبير من الفضل والعلم يترسمون خطاه في حياته وفق الكتاب والسنة ونأمل أن يواصلوا ذلك وخاصة النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وأن يتحقق فيهم قول الشاعر :

إذا مات فينا سيد قام فينا سيد
قئول لما قال الكرام فعول
ومنها ما ظهر جلياً لمن شهد جنازته أو بلغته أوصافها من ارتباط المسلمين شيئاً وشباباً بعلمائهم ونصحائهم والأميرين بالمعروف والناهين لهم عن المنكر ارتباط قلوب لا ارتباط مصالح فانية فلكان المشاهد لموقف الصلاة عليه ، رحمه الله ،

^(١) أخرجه مسلم في الجنائز برقم : ١٥٧٧ .

يتمثل قولة الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم الجنائز .

ومنها أنه كما حصل بقلمه ولسانه قمع لكثير من أهل الفسق و البدع فقد حصل بمظهر جنازته كذلك جعله الله ممن طاب حياً وميتاً .

الباب الثاني

جوده في الدفاع عن

حقائق السلف

الفصل الأول

دفعه عن مصادر

الحقيقة

والسلف الصالح

المبحث الأول: وظائف القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله عز وجل منه بدأ وإليه يعود وهو مُتَرَلِّ غير مخلوق قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(١)

يقول الإمام الطحاوي^(٢) — يرحمه الله —: "وأن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله، وعابه، وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾^(٣) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر"^(٤).

ويقول الشيخ الصابوني (أبو عثمان)^(٥) — يرحمه الله —: "ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه وتتريله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه

(١) الحجر: ٩٣

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي الإمام المحدث الفقيه ولد سنة ٢٣٩هـ وله كتاب (معاني الآثار) و(مشكل الآثار) قال عنه ابن كثير: هو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة. توفي سنة ٣٢١هـ انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٧/١٥.

(٣) المدثر: ٢٥

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي: ١٦٨

(٥) هو أبو عثمان الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد، ولد سنة ٣٧٣هـ. قال عنه البيهقي: شيخ الإسلام صدقاً، وإمام المسلمين حقاً. توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٧١/٤).

هو الذي يتزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً... " (١)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — : " مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة . وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة : أن القرآن كلام الله متزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود . فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه ، ليس ذلك مخلوقاً منفصلاً عنه ، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته ، فكلامه قائم بذاته ، ليس مخلوقاً بائناً عنه ، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته . لم يقل أحد من سلف الأمة : إن كلام الله مخلوق بائن عنه ، ولا قال أحد منهم : إن القرآن أو التوراة أو الإنجيل لازمة لذاته أزلاً أو أبداً ، وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته ، ولا قالوا : إن نفس ندائه لموسى — ﷺ — أو نفس الكلمة المعينة قديمة أزلية ، بل قالوا : لم يزل الله متكلماً إذا شاء ، فكلامه قديم بمعنى أنه لم يزل متكلماً إذا شاء " (٢)

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث : ٣٠

(٢) الفتاوى : ٣٧/١٢ — ٣٨ . والعقيدة الواسطية مع شرحها : ٩٣ وحققاً كما قال شيخ الإسلام وعلى هذا الرأي اتفق أئمة السلف جميعاً السابقين على شيخ الإسلام واللاحقين له انظر على سبيل المثال : أصول السنة للحميدي : ص ٤٠ القرآن كلام الله تعالى قول الإمام سفيان بن عيينة ، وكلام الإمام أحمد في المسائل والرسائل المروية عنه في العقيدة لعبد الإله الأحمدي ١/ ١٨٦ — ٢٧٠ ، وقول الإمام المزني في شرح السنة عن القرآن وأنه كلام الله عز وجل من لدنه وليس بمخلوق ص ٧٨ وما نقله الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتابه السنة من قول العلماء في القرآن ومن حفظ لنا عنه أنه قال : كلام الله ليس بمخلوق ص ١٣٢ — ١٦٣ ، و الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حيث ساق ماورد من الآيات على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ثم ماورد عن النبي ﷺ مما يدل على أن القرآن من صفات الله القديمة وماروي من إجماع الصحابة على أن القرآن غير مخلوق ثم ذكر إجماع التابعين وماروي عن اتباع التابعين وأقوايل الفقهاء المشهورين منهم ج ٢، ٣ من ص ٢١٦ — ٣٨٥ ، والإمام الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة : ١/ ص ٣٣٤ — ٣٤٠ في ذكر الصحابة والتابعين الذين قالوا إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، و الإمام البيهقي

أما ما يتعلق بتجويد القرآن الكريم وهو قراءته قراءة سليمة كما نزل على رسول الله ﷺ فقد أوضح الحافظ السيوطي — يرحمه الله — في الإتيان بأن تجويد القرآن من المهمات فقال — يرحمه الله —: "قال القراء^(١): التجويد حلية القراء ، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله ، وتلطيف النطق به على كمال هيئته ، من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف ، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله : ﴿ من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد ﴾^(٢) — يعني ابن مسعود — وكان ﷺ قد أعطى حظاً عظيماً في تجويد القرآن ، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده ، هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء ، المتصلة بالحضرة النبوية . وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحناً ، فقسموا اللحن إلى جلي وخفي ... "^(٣) كما أنه نبه — يرحمه الله — على ما ابتدعه الناس في قراءة القرآن من أصوات الغناء فقال : " قال في جمال القراء^(٤) : قد ابتدع الناس في قراءة القرآن أصوات الغناء ، ويقال : إن أول ما غنى به من القرآن قوله تعالى : ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾^(٥)

في الاعتقاد : ٣٨ القول في القرآن وأنه كلام الله عز وجل ، وتاج العارفين حجة الإسلام الشيخ عدي الحكاري في اعتقاد أهل السنة : ٢٧ وأن القرآن كلام الله غير مخلوق .

^(١) يعني بذلك الحافظ ابن الجزري صاحب النشر في القراءات العشر وانظر لذلك النشر : ١ : ٢١٢

^(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم : ٤٢٤٣ وقال عنه الشيخ أحمد شاكر : "إسناده صحيح ، وابن ماجه في سننه برقم : ١٣٨ وقال عنه الألباني : "صحيح" وذكره في الصحيحة برقم (٢٣٠١) ، والحاكم في مستدركه : ٢٢٧/٢ وقال عنه الحاكم صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه و٣/٣١٨ وقال عنه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

^(٣) الإتيان في علوم القرآن للحافظ السيوطي : ١ — ٢٨١/٢ .

^(٤) يعني بذلك الحافظ السخاوي في كتابه جمال القراء

^(٥) الكهف : ٧٩

...ومما ابتدعوه شيء سموه الترعيد ،وهو أن يردد صوته كالذي يردد من برد أو ألم . وآخر سموه الترقيص ؛وهو أن يروم السكون على الساكن ، ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو أو هرولة . وآخر يسمى التطريب ، وهو أن يترنم بالقرآن ويتنغم به فيمد في غير مواضع المد ، ويزيد في المد على ما لا ينبغي... وآخر يسمى التحزين ؛ وهو أن يأتي على وجه حزين يكاد يبكي مع خشوع وخضوع ... " (١)

والقرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر العقيدة الإسلامية ، كما أنه المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي .

وقد بذلت جهود كبيرة من أعداء هذا الدين منذ بعثة نبينا محمد ﷺ إلى يومنا الحاضر من أجل النيل من هذا الكتاب العزيز عن طريق الطعن فيه أو تحريفه ولكنها باءت بالفشل ؛ لأن الله عز وجل قد تكفل بحفظ كتابه كما في قوله عز وجل : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٢) . فالقرآن الكريم الذي نزل على محمد ﷺ هو الذي بين أيدينا اليوم وهو الباقي إلى أن يأذن الله عز وجل برفعه من الأرض قبل قيام الساعة ؛ أقول لما فشلت تلك المحاولات توجهت جهود أعداء هذا الدين إلى محاولة النيل من هذا الكتاب بغير طريقة الطعن فيه أو التحريف والتبديل ، ففتَح باب التأويل المذموم لكلام الله عز وجل وخرَجَ على الأمة التفسير بالرأي على غير قوانين اللغة العربية ولا موافق للأدلة الشرعية ولا مستوف لشرائط التفسير (٣) . وظهرت طريقة المعتزلة في التفسير التي ورثها منهم أصحاب المدرسة العقلية أو من يعرف بالعصرانيين (٤) .

(١) الإتيان للسيوطي : ٢٨٥ / ١-٢ .

(٢) الحجر : ٩٣ .

(٣) الرأي قسمان : قسم جار على موافقة كلام العرب ومناحيهم في القول ، مع موافقة الكتاب والسنة ، ومراعاة سائر شروط التفسير ، وهذا القسم جائز لاشك فيه . وعليه يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي ،

و قد كان للعلماء جهودهم المباركة في الذب عن كتاب الله تعالى ؛ ولنتعرف على جهود شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — في هذا المبحث ؛ ولكن قبل ذلك لنستعرض نماذج من جهود العلماء السابقين والمعاصرين له ؛ ليظهر من خلال ذلك — بإذن الله تعالى — تميز ما قام به من جهد — يرحمه الله — .

جهود السابقين :

لأئمة الدعوة جهود مباركة في الدفاع عن هذا القرآن الكريم ابتداءً بإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١٧٩هـ) يرحمه الله وسأوضح هذا من خلال الإتيان ببعض نصوصهم كأمثلة: حيث بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب — يرحمه الله — في كتابه فضل الإسلام باباً تحت مسمى (وجوب الاستغناء بمتابعته) يعنى القرآن الكريم ^(١)، وفي كتابه أصول الإيمان (باب الوصية بكتاب الله عز وجل) ^(٢). كما رد على الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة ، وهي أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق ^(٣)

وقسم غير جار على قوانين العربية ولا موافق للأدلة الشرعية ، ولا مستوف لشرائط التفسير ، وهذا هو مورد النهي ومحط الذم وعليه يحمل كلام المانعين للتفسير بالرأي ؛ ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير بعد أن ساق الآثار عمن تخرج من السلف من القول في التفسير : " فهذه الآثار الصحيحة وماشاكلها عن أئمة السلف ، محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعاً فلا حرج عليه ... " انظر: مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص ٣١ والتفسير والمفسرون لمحمد الذهبي : ١/ ٢٦٤ .

^(٤) العصرانية : حركة تجديد واسعة نشطت في داخل الأديان الكبرى : داخل اليهودية ، وداخل النصرانية ، وداخل الإسلام أيضاً . والعصرانية في الدين هي : أي وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي ، والثقافة المعاصرة ، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية ، على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة " انظر : قاموس المورد لمخير البعلبكي ص ٥٨٦ . وانظر لمزيد من البيان : العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب لمحمد حامد الناصر .

^(١) انظر : مؤلفات الشيخ محمد ص ٢١١ .

^(٢) المصدر السابق : ٢٥٦ .

^(٣) انظر : الدرر السنية ١ / ١٧٤ .

وقرر المعتقد الحق في كتاب الله عز وجل وأنه كلام الله مُنَزَّلٌ غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وسمعه منه جبريل، ونزل به على رسول الله ﷺ^(١). وقد قرر ذلك من بعده طلابه من أئمة الدعوة كما في جواب لأبناء الشيخ والشيخ محمد بن ناصر (١٢٢٥هـ) حيث قالوا: "وأما القرآن فهو صفة لله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، من هذه الأمة، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، والله سبحانه وتعالى هو الذي تكلم به، وسمعه جبرائيل من الله، وبلغه جبرائيل إلى محمد؛ وبلغه محمد إلى أمته، فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري؛ وهذا أمر مفهوم معقول عند من لم تغير فطرته، التي فطره الله عليها" ^(٢)

و الشيخ عبدالرحمن بن حسن (١٢٨٥هـ) يرحمه الله الذي قرر كذلك بأن القرآن الكريم كلام الله ورد على الأشاعرة ^(٣) وبين أنهم أخطؤوا في ثلاثة من أصول الدين وأنهم أخذوا ببدعة عبدالله بن كلاب ^(٤) في كلام الرب تعالى وتقدس، كما نبه على أن من زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف فلم يقل ليس بمخلوق، فهو أخبث من القول الأول. ^(٥)

و الشيخ عبدالله أبابطين (١٢٨٢هـ) يرحمه الله حيث عقد مناظرة في كلام الله تعالى هل هو مخلوق، أم لا؟ فقال: "فأما قولكم: إن الخلاف في ذلك لفظي، فليس

^(١) المصدر السابق ص ٣٠ و ٥٧٢.

^(٢) المصدر السابق: ١٥/٣.

^(٣) اتباع أبي الحسن الأشعري وهم يقولون: بتقديم العقل على النقل ويثبتون من الصفات سبع صفات ويؤولون الصفات الباقية.

^(٤) هو عبدالله بن كلاب القطان الفقيه البصري أبو محمد، وإليه تنسب طائفة الكلائية. طبقات الشافعية الكبرى: ٥١/٢ وآراء الكلائية العقدية وأثرها في الأشعرية لهدى بنت ناصر الشلاحي: ٤٩.

^(٥) المصدر السابق: ٣٢٠، ٣٥٢/١.

الأمر كذلك وإنما هو لفظي بين المعتزلة ^(١) والأشاعرة ؛ لأن المعتزلة يقولون : كلام الله مخلوق ؛ والأشاعرة يقولون : ليس بمخلوق ؛ والكلام عندهم : المعنى ؛ ويقولون : الحروف مخلوقة ؛ فقالت المعتزلة : لا خلاف بيننا وبينكم ، لأن الكلام هو الحروف فإذا أقررتم بأن الحروف مخلوقة ، ارتفع النزاع ، فيكون الخلاف بين الفريقين " . ^(٢)

جهود المعاصرين :

وجاءت من بعدهم جهود المعاصرين ليحافظوا ويؤكدوا على مذهب السلف رضوان الله عليهم أجمعين .

كأمثال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (١٣٧٦هـ) يرحمه الله الذي قرر معتقد أهل السنة والجماعة في أن القرآن كلام الله عز وجل متزل غير مخلوق ورد على الفلاسفة ^(٣) والجهمية ^(٤) والمعتزلة والأشاعرة والكلابية والكرامية ^(٥) وغيرها من الطوائف التي ضلت عن مذهب السلف في صفة الكلام . ومن ذلك قوله :

^(١) اتباع واصل بن عطاء المعتزلي وهم يثبتون أسماء الله كأعلام محضة مترادفة ، وينفون صفاته سبحانه وتعالى تزيهاً لله بزعمهم .

^(٢) المصدر السابق : ٢ / ٢٣١ .

^(٣) هم قوم انفردوا بأرائهم وعقولهم ، وتكلموا بمقتضى ظنونهم ، من غير التفات إلى الأنبياء . فمنهم من قال : بقول الدهرية أن لا صانع للعالم . وكان سقراط يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة : علة فاعلة : يعني بها الله . والعنصر وهو الموضوع الأول للكون والفساد . والصورة وهي جوهر الجسم . وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً ، وإنما يعلم نفسه وأنكروا بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان ، ووجود جنة ونار جسمانيين ، وجعلوا الجن والشياطين قوى الشر الفاسدة ، وأن القرآن فيض فاض على النبي ﷺ من العقل الفعال وهو جبريل عندهم . معجم البدع : ٤٦٤ .

^(٤) أصحاب الجهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة وقد وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء وهم ينفون الأسماء والصفات عن الله تعالى ، والإيمان عندهم بمجرد المعرفة ، وهم يقولون بخلق القرآن . انظر : الملل والنحل : ١ / ٩٧ .

^(٥) هم أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام ، وكان ممن ثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التشبيه والتجسيم ، وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة . الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ١٥٤ .

"ومن قول أهل السنة والجماعة قولهم في الكلام وأن الله له الكمال المطلق فكلامه القرآن هو المقروء بالألسنة المحفوظ في الصدور المسموع بالآذان، وكلامه من جملة صفاته الفعلية فهو متصف به، وهو متعلق بمشيئته وقدرته، وليس مخلوقاً لأن الكلام صفة المتكلم" وقوله: "ومن تصور أقوالهم (يعني الفلاسفة) جزم بأنهم لا يؤمنون بالله ولا يثبتون وجوده ولا يثبتون الرسالة ولا المعاد الأخروي".^(١)

و الشيخ حافظ الحكمي (١٣٧٧هـ) يرحمه الله الذي أوضح أن القرآن الكريم كما أنه قطعي الثبوت فهو قطعي الدلالة أيضاً راداً على الذين يزعمون أن القرآن الكريم ثابت نصاً لكنه ظني الدلالة. كما بين معنى الإيمان بالكتب وأنه التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من عند الله عز وجل على رسله عليهم السلام إلى عباده بالحق المبين. كما تناول أصل القول بخلق القرآن ومن ذلك قوله: "وهذه الآيات والأحاديث مما ذكرنا ومما لم نذكر كلها شاهدة بأن الله تعالى لم يزل متكلماً بمشيئته وإرادته، يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقة يسمعه من يشاء من خلقه وأن كلامه قول حقيقة كما أخبر وعلى ما يليق بعظمته كما قال تعالى: ﴿والله يقول الحق﴾^(٢) وقال: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾^(٣)

وقال: ﴿إنه لقول فصل﴾^(٤) وما هو بالهزل^(٥) والقرآن كلامه تعالى تكلم به حقيقة كما شاء وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك "وقد أورد الآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين من الأئمة التي تقرر ذلك".^(٥)

^(١) انظر: الشيخ عبدالرحمن وجهوده في توضيح العقيدة لعبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد ص ١٤

^(٢) الأحزاب: ٤

^(٣) يس: ٥٨

^(٤) الطارق: ١٢، ١٣.

^(٥) انظر: الشيخ حافظ الحكمي حياته ومنهجه في تقرير العقيدة لأحمد علوش المدخلي ٢٦٢، ومعارج

القبول: ١/ ١٨٩ — ٢١٨.

والشيخ محمد بن إبراهيم (١٣٨٩هـ) — يرحمه الله — الذي نقد قول السيوطي في الإتيان الذي يقول فيه : " أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد " ^(١) حاكياً لهذا القول في جملة من أقوال من غير رد له ولا إنكار . وقد نبه الشيخ على ذلك بقوله : " وهذه المقالة مبنية على أصل فاسد، وهو القول بخلق القرآن، وهذه هي مقالة الجهمية والمعتزلة ومن نحى نحوهم وهذه المقالة الخاطئة حقيقتها إنكار أن يكون الله متكلماً حقيقة، ويلزم من هذه المقالة من الكفر والإلحاد والزندقة وإنكار الرسالة ووصف الله بالخرس وتشبيهه بآلهة المشركين الأصنام التي لا تنطق وغير ذلك من المحاذير الكفرية ما يعرفه أهل العلم فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء

^(١) ذكر الإمام السيوطي — يرحمه الله — في الإتيان عند حديثه على المسألة الثانية : في كيفية الإنزال والوحي : " وقال غيره : في المنزل على النبي ﷺ ثلاثة أقوال : أحدها أنه اللفظ والمعنى، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به . وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ ؛ كل حرف منها بقدر جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله . والثاني : أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة، وأنه ﷺ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب، وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ والثالث : أن جبريل ألقى إليه المعنى وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وأن أهل السماء يقرعون بالعربية، ثم أنزل به كذلك بعد ذلك . وقال البيهقي في معنى قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ يريد والله أعلم : إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع، فيكون الملك منتقلاً به من علو إلى أسفل . قال أبو شامة : هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن وأنه صفة قائمة بذات الله . قلت : ويؤيد أن جبريل تلقفه سمعاً من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً : ﴿ إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فينتهي به على الملائكة، فكلما مر بسماء سأله أهلها : ماذا قال ربنا ؟ قال : الحق، فينتهي به حيث أمر ﴾ وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه : ﴿ إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان، فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة ﴾ وأصل الحديث في الصحيح . " ١٢٦/١ فقد رجح الإمام السيوطي — يرحمه الله — بأن جبريل ﷺ تلقف القرآن سمعاً من الله تعالى؛ لكنه مع ذلك كما قال الشيخ محمد بن إبراهيم — يرحمه الله — لم يعلق على الأقوال الباطلة .

وكيف شاء، وأن جبريل عليه السلام سمع القرآن الكريم من الله تعالى، وبلغه إلى محمد ﷺ. والقائلون بخلق القرآن منهم من يقول: خلقه في اللوح المحفوظ، وأخذ جبريل ذلك المخلوق من اللوح المحفوظ، وجاء به إلى محمد ﷺ. ومنهم من يقول: خلقه في جبريل. ومنهم من يقول: خلقه في محمد، إلى غير ذلك من أقوالهم^(١).

كما أن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ) يرحمه الله جهده في تقرير أن القرآن كلام الله كما هو معتقد أهل السنة والجماعة وبين أن القرآن الكريم هو كتاب الله عز وجل الذي هو آخر كتاب نزل من السماء، كما تحدث الشيخ عن صفة الكلام وبين أنها من الصفات الثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله سبحانه، ورد على المخالفين في هذه الصفة ومن ذلك قوله: "اعلم أن كثيراً من المتكلمين يزعمون أن كلام الله معنى قائماً بذاته، مجرد عن الألفاظ والحروف والأمر عندهم هو اقتضاء الفعل بذلك المعنى القائم بالنفس، المجرد عن الصيغة. ولأجل هذا الاعتقاد الفاسد قسموا الأمرين إلى قسمين: نفسي ولفظي. فالأمر النفسي عندهم هو ما ذكرنا، والأمر اللفظي هو الدال عليه كصيغة افعل"^(٢).

^(١) انظر: فتاوى ورسائل للشيخ ٢١٤/١. وقد نقل الشيخ كلاماً طويلاً لشيخ الإسلام عن هذه المسألة جاء فيه: "فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء ولا من اللوح ولا من جسم آخر ولا من جبريل ولا محمد ولا غيرهما... وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله تعالى: (إننا أنزلناه في ليلة القدر) أنه أنزله إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب الحوادث. ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله... وكونه مكتوباً في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل وغير ذلك... الفتاوى: ١١٧/١٢—١٦٢.

^(٢) انظر: جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لعبد العزيز الطويان من ص ٢٨٧—٢٩٦.

جهود الشيخ حمود :

أما شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — فله جهود مباركة في الدفاع عن هذا الكتاب المبارك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ تتضح — بإذن الله تعالى — من خلال تناول النقاط التالية :

(١) فقد رد على الجهمية الذي زعموا بأن القرآن مخلوق وأن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة ، وبين أن أهل السنة يفرقون بين التلاوة التي هي فعل العبد وبين المتلو الذي هو كلام الله عز وجل وأنهم وضحوا أن الأولى مخلوقة والثاني غير مخلوق : حيث قال : " أما أهل العلم الموروث عن النبي ﷺ — وهم أهل السنة والجماعة — فإنهم يفرقون بين فعل العبد الذي هو تلاوته وبين المتلو المقروء وهو كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ فيقولون : إن فعل العبد مخلوق ، وإن المتلو المقروء غير مخلوق ويقولون : إن الوراق والمداد مخلوقان ، وإن المكتوب المثبت في المصاحف غير مخلوق . ويقولون : إن صدور الحفاظ مخلوقة ، وإن المحفوظ في الصدور من القرآن غير مخلوق . ويقولون : إن أسماع العباد مخلوقة ، وإن ما يسمعون من القرآن غير مخلوق . ويقولون : إن أبصار العباد مخلوقة ، وإن ما ينظرون إليه من القرآن المكتوب غير مخلوق هذا هو قول أهل السنة . وأما أهل الجهل الموروث عن الجعد بن درهم ^(١) والجهم بن صفوان ^(٢) فإنهم يزعمون أن القرآن مخلوق وأن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة وأن المكتوب في

(١) الجعد بن درهم ، عداؤه في التابعين . مبتدع ضال . زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى ؛ فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر . ميزان الاعتدال للذهبي : ١ / ٣٩٩ .

(٢) قال عنه الذهبي في الميزان : جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان التابعين ، وما علمته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً .

المصاحف والمحفوظ في الصدور من القرآن والمسموع من تلاوة التالين للقرآن كل ذلك مخلوق " (١).

(٢) كما بين حكم هؤلاء الجهمية عند جمهور كبير من العلماء بقوله : " وقد كفر كثير من العلماء المعتبرين من قال : إن القرآن مخلوق ومن قال : إن اللفظ بالقرآن مخلوق ، وتبرؤا منهم " ويقول : " فذكر رحمه الله [يعني ابن القيم] أن خمسمائة من العلماء كفروا الجهمية (٢) ونقل صاحب الفروع عن القاضي عياض أنه ذكر الإجماع على كفر من قال : إن القرآن مخلوق (٣) ، وأشد من ذلك ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة عن سفيان بن عيينة أنه قال : القرآن كلام الله من قال مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر (٤) " (٥) وذكر الآيات التي كفر بها الإمام أحمد — يرحمه الله من يقول بخلق القرآن . (٦)

(١) تنبيه الإخوان : ٨ — ٩ . وهو تعقيب من الشيخ على رسالة للشيخ عبدالفتاح أبو غدة سماها (مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين وكتب الجرح والتعديل) .

(٢) المصدر السابق : ٩ . وهو يعني بذلك قول ابن القيم — يرحمه الله — في نونيته :

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي حكاه عن هم بل حكاه قبله الطبراني

يقول الشارح الشيخ أحمد بن عيسى : " أي أن القائلين بخلق القرآن كفرهم خمسمائة عالم من علماء المسلمين . يقول اللالكائي : فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً وأكثر من التابعين وتابعين التابعين ، والأئمة المرضيين ، سوى الصحابة الخبيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم ، وتدينوا بمذاهبهم ، قال : لو اشتغلت بنقل قول المحدثين ؛ لبلغت أسماؤهم ألفاً كثيرة . ٢٩٦ / ١ — ٢٩٧ . توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة لللالكائي : ٢ / ٣١٣ وما بعدها .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) السنة : ١ / ١١٢

(٥) المصدر السابق : ص ٩ — ١٠ ؛ والصارم الصقيل : ١٠ .

(٦) المصدر السابق : ص ٣٩ .

(٣) وأورد بعد ذلك ماقرره الإمام البخاري — يرحمه الله — في أفعال العباد عامة ومنها التلاوة والكتابة وما قرره أيضاً في القرآن المتلو فقال: "وقد قرر الإمام البخاري — رحمه الله تعالى — في كتاب (خلق أفعال العباد) نحو ما ذكره إبراهيم الحربي عن الإمام أحمد . قال البخاري: " سمعت عبدالله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: مازلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة . قال أبو عبدالله — أي البخاري — حر كائهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة . فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بخلق . قال الله: ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ (١) وقال إسحاق بن إبراهيم: فأما الأوعية فمن يشك في خلقها؟ قال الله: ﴿ وكتاب مسطور ﴾ في رق منشور (٢) وقال: ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ في لوح محفوظ (٣) فذكر أنه يحفظ ويسطر قال: ﴿ وما يسطرون ﴾ ثم روى بإسناده عن قتادة ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ فقال: المسطور المكتوب ﴿ في رق منشور ﴾ وهو الكتاب وروي أيضاً عن مجاهد ﴿ وكتاب مسطور ﴾ وصحف مكتوب ﴿ في رق منشور ﴾ في مصحف . قال أبو عبدالله — يعنى البخاري — فأما المداد والرق ونحوه فإنه خلق كما أنك تكتب الله فالله في ذاته هو الخالق . وخطك واكتسابك من فعلك خلق ، لأن كل شيء دون الله يصنعه وهو خلق ... (٤) " (٥)

(١) العنكبوت : ٤٩

(٢) الطور : ٢،٣

(٣) البروج : ٢١،٢٢

(٤) خلق أفعال العباد : ٢٦ .

(٥) المصدر السابق: ٢١ — ٢٦ .

(٤) كما أنه تحدث عن مسألة (لفظي بالقرآن مخلوق) ونقل كلام الإمام أحمد عن اللفظية وأنهم جهمية^(١) ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع^(٢) .
وبين الشيخ أن الذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن لخوفهم من أهل السنة كما ذكر ذلك الإمام الصابوني — يرحمه الله — فقال : " والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق ، فلذلك سماهم أحمد رحمه الله جهمية . وحكى عنه أيضاً أنه قال : اللفظية شر من الجهمية . وأما ما حكاه محمد بن جرير عن أحمد رحمه الله بأن من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع فإنما أراد أن السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ، و لم يحوجهم الحال إليه ؛ وإنما حدث الكلام من أهل التعمق وذوي الحمق الذين أتوا بالمحدثات وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام . فقال الإمام أحمد : هذا القول نفسه بدعة ومن حق المتدين أن يدعه ولا يتفوه به ولا يمثله من البدع المبتدعة ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة ، أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه"^(٣) . انتهى كلام الصابوني رحمه الله تعالى ، وفيه أبلغ رد على ما قرره الكوثري وزعم أنه مراد أبي حنيفة ، وفيه أبلغ رد على زعم الكوثري أن آراء أهل العلم والفهم قد استقرت على مقتضى تقريره^(٤) المخالف لعقيدة السلف وأصحاب الحديث "^(٥)

(١) السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل : ١ / ١٦٤ — ١٦٥ .

(٢) المصدر السابق : ٣٠ .

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث : ٣٤ .

(٤) يقول الكوثري : " ولما رأى أبو حنيفة ذلك ، تدارك الأمر وأبان الحق فقال : ما قام بالله غير مخلوق ، وما قام بالخلق مخلوق . يريد أن كلام الله باعتبار قيامه بالله صفة له كباقي صفاته في القدم وأما في السنة التالين ، وأذهان الحفاظ ، والمصاحف ، من الأصوات ، والصور الذهنية ، والنقوش فمخلوق كخلق حاملها .

٥) كما أوضح حقيقة اللفظية والواقفة ونقل أقوال العلماء في ذمهم ومن ذلك قول الإمام أحمد — يرحمه الله — كما في السنة لما سئل عنهم: "من كان منهم يخاصم ويعرف بالكلام فهو جهمي، ومن لم يكن يُعرف بالكلام يجانب حتى يرجع، ومن لم يكن له علم يسأل يتعلم" ^(١) " ^(٢) كما عقب على قول السبكي — يرحمه الله — في الطبقات الكبرى عند ترجمة أحمد بن إبراهيم بن كثير حيث قال: "لايستريب عاقل من المخلوقين في أن تلفظه من أفعاله الحادثة التي هي مخلوقة لله تعالى، وإنما أنكرها الإمام أحمد رضي الله عنه لبشاعة لفظها" ^(٣) فرد عليه الشيخ — يرحمه الله — بقوله: "ليس الأمر كما قال السبكي، وإنما أنكر الإمام أحمد رضي الله عنه على الذين قالوا إن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة وعدهم من الجهمية لأن هذه الكلمة مجملة يدخل فيها صوت العبد وحركاته وهي مخلوقة، ويدخل فيها المقروء المتلو وهو كلام الله متزل غير مخلوق. فإذا قال الرجل: لفظي بالقرآن مخلوق وأطلق فقد جعل المتلو المقروء مخلوقاً وهذا قول الجهمية، وإذا قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق وأطلق فقد جعل صوته وحركاته غير مخلوقة

فاستقرت آراء أهل العلم والفهم على ذلك بعده " انتهى . مسألة خلق القرآن لأبي غدة : ص ٧ . وهذا التقرير موافق لقول من يقول من الجهمية أن اللفظ بالقرآن مخلوق . انظر تنبيه الإخوان : ١٠ — ١١ وبيان مخالفة الكوثري لإعتقاد السلف د . محمد الخميس حيث نقل عن الكوثري قوله : " إن القول بخلق القرآن إنما يكون ضلالاً إذا أريد به ماهو قائم بالله سبحانه وتعالى، وهو الكلام النفسي . وأما الحروف والأصوات في السنة التالين والزاج والعفص والمداد والنقوش في أوراق المصاحف والحروف المتخيلة في أدمغة الحفاظ فمحدثة مخلوقة حتماً ، وأدعاء عكس هذا مكابرة وزيف مبين " تأنيب الخطيب ص ٩٦ — ٩٧ وانظر تعليقه على كتاب تبیین كذب المفتری ص ١٥ .

^(٥) المصدر السابق : ٣١ — ٣٢

^(١) السنة : ١ / ١٧٩ .

^(٢) انظر المصدر السابق : ٣٧ — ٤٠ .

^(٣) لم أفد عليه في الطبقات .

، وهذا قول مبتدع ؛ فلهذا سد أحمد رحمه الله تعالى وغيره من الأئمة هذا الباب ونهوا عن إطلاق القول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ... " (١)

(٦) وذهب إلى أن الصوت صوت القاري والكلام كلام الباري واستدل على ماذهب إليه بالإجماع من أهل السنة على ذلك فقال — يرحمه الله — : " قد تقدم الكلام في مسألة اللفظ مفصلاً في صفحة ١٢ وذكرنا هناك قول إمامي أهل السنة والحديث أحمد والبخاري وذكرنا أيضاً أن من أطلق القول في اللفظ ولم يفصل بين أفعال العباد وكسبهم ومقام بهم وبين المتلو المقروء فهو مبتدع . وما أدعاه المحشي غير صحيح بل الإجماع من أهل السنة والجماعة على أن الصوت صوت القاري والكلام كلام الباري ، وأما الإجمال فإنه من أقوال أهل البدع ولا عبرة بإجماعهم ولا بخلافهم " . (٢)

(٧) وأورد كلام الإمام أحمد — يرحمه الله — عن قولهم : (إن اللفظ بالقرآن مخلوق) وأن العبد يتوجه لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق : " وقال إبراهيم الحربي : كنت جالساً عند الإمام أحمد بن حنبل إذ جاءه رجل فقال : يا أبا عبدالله إن عندنا قوماً يقولون إن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة . فقال أبو عبدالله : يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق : حفظ بقلب ، وتلاوة بلسان ، وسمع بأذن ، ونظرة ببصر ، وخط بيد فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق ، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق ، والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق ، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق ، والكتابة مخلوقة

(١) تعليق الشيخ على طبقات الحنابلة : ص ١٢ .

(٢) انظر : تعليق الشيخ على اختصار طبقات الحنابلة للنبلسي ص ١٢٥ عند ترجمة شاهين بن السמידع عند قول المحشي : " ويجرنا هذا إلى الشك في كثير مما نسب إليه من تكفير القائلين بخلق اللفظ الذي استقر الإجماع على أنه مخلوق " .

والمكتوب غير مخلوق" ثم ذكر الأدلة على هذه الأوجه الخمسة من الكتاب والسنة ^(١)

٨) ومن ذلك تنبيه الشيخ — يرحمه الله — على مانسب إلى الأئمة في مسألة القول بخلق القرآن ومنه مانسب إلى الإمام أحمد — يرحمه الله — من قول القائل (والقرآن قديم) حيث نسب ذلك إلى عقيدة الإمام أحمد وقد رد الشيخ عليه بقوله : " أن هذا قول ابن كلاب وهو قول محدث ولا يعرف عن أحد من السلف فنسبته إلى الإمام أحمد غلط " ^(٢)

وكذلك مانسب إلى الحسن البصري من قوله : " يارب كهيعص وطه ويس ورب القرآن الكريم " قال الشيخ : " هذا من كلام الجهمية القائلين بخلق القرآن ولا يقول الحسن البصري " ^(٣) . وكذلك مانسب إلى الإمام أبي حنيفة

^(١) المصدر السابق : ص ١٣ والرد الجميل : ص ٢١ وما بعدها وتعليق الشيخ على مختصر الصواعق : ٣١٤/٢ عند كلام الإمام أحمد . هذه الأدلة هي : فأما قوله : حفظ بقلب فدليلة قوله تعالى : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ يعني في صدرك قاله ابن عباس رضي الله عنهما . وقال رسول الله ﷺ : ﴿ إن الرجل ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب ﴾ . وأما قوله : وتلاوة بلسان فدليلة قول الله تعالى : ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لتبشّر به المتقين ﴾ الآية . وأما قوله : وسمع بأذن فدليلة قول الله تعالى : ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ﴾ وقول النبي ﷺ : ﴿ إني أحب أن أسمع من غيري ﴾ وأما قوله : ونظرة ببصر فقد رود في ذلك حديث في إسناده مقال : ﴿ فضل قراءة القرآن نظر على من يقرأه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة ﴾ . وأما قوله : وخط بيده فدليلة قول الله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ﴾ .

^(٢) انظر : تعليق الشيخ على طبقات الحنابلة عند قطعة من مقدمة الشيخ الإمام أبي محمد بن تميم الحنبلي في عقيدة الإمام المبجل أحمد بن حنبل ص ٢٧٠ . وقد أشار الشيخ إلى مراجعة كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد عليه ص ٤٦٦ — ٤٦٧ من مجموع الفتاوى .

^(٣) نفي الشيخ — يرحمه الله — هذا القول عن الحسن البصري — يرحمه الله — لما عرف عن الحسن من بعده عن البدع وتمسكه بالكتاب والسنة وعلمه وفقهه يرحمه الله وقد قال أبو سعيد الأعرابي : " كان يجلس إلى الحسن طائفة من هؤلاء فيتكلم في الخصوص ، حتى نسبته القدرية إلى الجبر ، وتكلم في الاكتساب حتى نسبته السنة إلى القدر ؛ كل ذلك لافتنانه وتفاوت الناس عنده في الأخذ عنه ؛ وهو بريء من القدر ومن

— يرحمه الله — كما ذكر الكوثري أنه قال : "وما قام بالخلق مخلوق" قال الشيخ — يرحمه الله — : " فلا أظن أن ذلك يثبت عن أبي حنيفة ، وعلى تقدير ثبوته فهو كلام مجمل وليس بفصل^(١) كما قد زعم ذلك الشيخ أبو غدة . وليس فيه إسكات للجهمية ولا غيرهم " وقال : " ولا شك أن تقرير الكوثري لما ذكره عن أبي حنيفة يفتح باب الطعن في أبي حنيفة وتصديق الروايات التي جاء فيها أن أبا حنيفة كان يقول بخلق القرآن وأنه قد استتيب من ذلك ثلاث مرات . وهذا مما يتره عنه أبو حنيفة ويتره أيضاً عما قرره الكوثري ونسبه إليه يحسب أن فيه مدحاً لأبي حنيفة وهو في الحقيقة مما يذم به ويطن به عليه لو كان ثابتاً عنه ولكنه لم يثبت . والأحرى أنه مفترى على أبي حنيفة " ^(٢) ومن ذلك دفاعه ورده عما نسبته الشيخ أبو غدة إلى الإمام البخاري حيث ذكر عن الإمام البخاري — يرحمه الله — أنه قرر في كتابه "خلق أفعال العباد" أن المداد والرق — أي الورق — والكتابة والحفظ للقرآن وأصوات العباد به كلها مؤلفة مخلوقة من فعل المخلوقين . وأن القرآن صفة الله تعالى وهو قول الجبار أنطق به عباده . وكذلك تواترت الأخبار عن النبي ﷺ ، أن القرآن كلام الله . قال الشيخ — يرحمه الله — معقبات على ذلك : " وأقول أن هذه الجملة قد لخصها المؤلف من عدة مواضع من كتاب "خلق أفعال العباد" وأدخل فيها

كل بدعة " انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٤ / ٥٨٢ — ٥٨٣ . أقول : فمن الممكن بناء على الكلام السابق أن يكون الحسن البصري — يرحمه الله — قد قال هذا الكلام من باب تصويره لمذهب الجهمية تصويراً دقيقاً كأصحابه أنفسهم أو أكثر وذلك ليبين ما في هذا المذهب من بطلان ، وهي طريقة معروفة عند أهل العلم كما هو فعل شيخ الإسلام ابن تيمية عند تصويره لمذهب الفلاسفة أو المتصوفة .

^(١) أقول : إن كان المراد بهذا الحمل في تفصيله ماقاله الإمام أحمد من الخمسة الأوجه فهو صحيح وإن كان المراد به ما يوافق كلام الجهمية فهو مردود على قائله سواء ثبت ذلك عن الإمام أبي حنيفة يرحمه الله أو لم يثبت .

^(٢) تنبه الإخوان على الأخطاء في مسألة خلق القرآن : ١٠ — ١١ .

أحرفاً ليست في كلام البخاري . منها قوله: "للقرآن " بعد قوله والحفظ ،ومنها قوله: " به " بعد قوله وأصوات العباد ،ومنها قوله: "كلها مؤلفة من فعل المخلوقين " .وكان ينبغي للمؤلف أن يلتزم الأمانة في إيراد أقوال البخاري بحيث لا يدخل فيها ما ليس منها .ولاسيما إذا كان المزيد مما يفسد الكلام ويغير معناه . وهذه الأحرف الزائدة في بعضها إفساد لبعض كلام البخاري وتغيير لمعناه وإحالة له إلى قول من يقول من الجهمية إن اللفظ بالقرآن مخلوق فمن هذه الأحرف قوله : " به " أي في قوله : " وأصوات العباد به — أي بالقرآن — كلها مؤلفة مخلوقة من فعل المخلوقين . وهذه العبارة لا فرق بينها وبين من يقول من الجهمية : إن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة . فإن كان المؤلف قد أدخل هذا الحرف في كلام البخاري متعمداً ؛ فما أعظم ذلك وأبشعه ، وإن كان قد أدخله سهواً أو لعدم علمه بما يدل عليه من إحالة المعنى إلى قول اللفظية ؛ فينبغي له أن يستدرك ذلك ، وينبه عليه . وفيما قرره البخاري في كتاب "خلق أفعال العباد " كفاية في الرد على عبارة المؤلف ...^(١)

(١)المصدر السابق : ٤٤ — ٤٧ . ولقد قمت بالرجوع إلى كلام الإمام البخاري — يرحمه الله — في كتابه (خلق أفعال العباد) فوجدت أن الأمر كما ذكره الشيخ حمود — يرحمه الله — كلام للإمام البخاري في عدة مواضع متفرقة من كتابه : ومنها قوله : " قال أبو عبدالله بن محمد إسماعيل : سمعت عبدالله بن سعيد يقول : سمعت يحيى بن سعيد يقول : ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون : إن أفعال العباد مخلوقة . قال أبو عبدالله : حركاتهم وأصواتهم وأكتسابهم وكتابتهم مخلوقة ، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بخلق ، قال الله ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ (العنكبوت : ٤٩) وقال إسحاق بن إبراهيم فأما الأوعية فمن يشك في خلقها ؟.. قال الله تعالى : ﴿ وكتاب مسطور في رق منشور ﴾ (الطور : ٣) وقال ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ (البروج : ٢٢) فذكر أنه يحفظ ويسطر قال : ﴿ وما يسطرون ﴾ (القلم : ١) ص ٤٧ وفي موضع آخر ص ١٩ يقول : " القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأفعال العباد مخلوقة ، والسؤال عنه بدعة ، فشغب الرجل [أي الذي جاء يسأله عن القرآن] وقال : قد قال لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال البخاري : حركاتهم وأصواتهم وكتابتهم مخلوقة ، فأما القرآن المثبت في المصاحف الموعى في القلوب ؛ فهو كلام الله غير مخلوق

كما رد على دعوى الصداقة الوكيدة والصحبة القوية بين الإمام أحمد وبين الحسين الكرابيسي^(١) كما أدعى ذلك أبو غدة وأن المحنة فرقت بينهما. فقال الشيخ — يرحمه الله — : "فهو مردود بما جاء في كتاب السنة لعبدالله ابن الإمام أحمد قال : سمعت أبي يقول : من قال لفظي بالقرآن مخلوق هذا كلام سيء رديء وهو كلام الجهمية. قلت له : إن الكرابيسي يقول هذا . قال : كذب هتكه الله الخبيث . وقال : قد خلف هذا بشراً المريسي . وكان أبي

قال تعالى : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ وفي ص ٤٩ يقول : " فأما المداد والرق ونحوه فإنه خلق ، كما أنك تكتب الله ؛ فالله في ذاته هو الخالق ، وخطك واكتسابك من فعلك خلق ؛ لأن كل شيء دون الله يصنعه ، وهو خلق . " وفي ص ١٠٤ يقول : " القراءة هي التلاوة ، والتلاوة غير المتلو " وفي ص ١١٥ يقول : " فلا يشك عاقل بأن الله هو المعبود وقوله : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ هو قرآن ، وكذلك جميع القرآن هو قوله . والقول صفة القائل موصوف به ؛ فالقرآن قول الله ﷻ والقراءة والكتابة والحفظ للقرآن هو فعل الخلق ؛ لقوله : ﴿ فأقرأوا ما تيسر منه ﴾ فقوله : ﴿ فأقرأوا ما تيسر منه ﴾ والقراءة فعل الخلق وهو طاعة الله ، والقرآن ليس هو بطاعة إنما هو الأمر بالطاعة " وفي ص ١١٦ يقول : " فالصلاة بمجملتها طاعة لله ، وقراءة القرآن من جملة الصلاة ؛ فالصلاة طاعة لله ، والأمر بالصلاة قرآن ، وهو مكتوب في المصاحف ، محفوظ في الصدور ، مقروء على اللسان ، والقراءة والحفظ والكتابة مخلوق . وما قرئ وما حفظ وكتب ليس بمخلوق . "

فالذي يظهر والله أعلم أن أبا غدة ذكر في هامش صفحة ١٢ من كتابه ما يفهمه هو من كلام الإمام البخاري — يرحمه الله — وقد أضاف من الأحرف لفظة : (به) بعد قول البخاري : أصوات العباد ، وكذلك أضاف (كلها مؤلفة من فعل المخلوقين) أما لفظة (للقرآن) بعد قول البخاري : " والحفظ فهي لفظة مذكورة في كلام البخاري ، ولم يأت بها أبو غدة من عنده كما ذكر الشيخ حمود — يرحمه الله — ، ومع ذلك كله فإن الشيخ حمود لم يستعجل في حكمه على عبدالفتاح أبو غدة ؛ لكون فعله هنا محتمل ، ويبقى أن يقال بأنه إن أراد أبو غدة بإضافته لللفظة (به) أن القرآن مخلوق فلا شك أن هذا معنى باطل مردود ، ونسبته إلى الإمام البخاري ظلم له وافتراء عليه ، وإن أراد بذلك أن الألفاظ مخلوقة والمتلفظ به وهو القرآن غير مخلوق فهو معنى صحيح لكن اللفظة المستخدمة لفظة لا يصح إطلاقها لما تحتمله من معنى باطل كما أوضح ذلك الشيخ حمود — يرحمه الله — .

^(١) هو الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي الفقيه البغدادي صاحب الشافعي وحمل عنه العلم وهو معدود في كبار أصحابه ، مات سنة ٢٤٥ هـ . ، انظر : التهذيب لابن حجر : ٣٥٩/٢ . و سير أعلام النبلاء

يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء أو يقال مخلوق أو غير مخلوق ، قال سألته عن الكرابيسي حسين هل رأيته يطلب الحديث، فقال : ما أعرفه وما رأيته يطلب الحديث . قلت : فرأيته عند الشافعي ببغداد فقال : ما رأيته ولا أعرفه . فقلت : إنه يزعم أنه كان يلزم يعقوب بن إبراهيم بن سعد فقال : مارأيته عند يعقوب ابن إبراهيم بن سعد ولا غيره وما أعرفه .^(١)

٩) كما أنه تحدث عن فتنة القول بخلق القرآن من حيث ما حدث من حمل المأمون والمعتصم للناس على اعتناق هذا القول الباطل ، وأن النبي ﷺ قد أخبر بوقوع ذلك فهو من إخباره صلوات ربي وسلامه عليه بأمور الغيب المستقبلية ، وقد وقع ما أخبر به ﷺ .

وقد ذكر الشيخ حمود — يرحمه الله — في باب ماجاء في بني العباس عند حديث العباس رضي الله عنه قال : كنت عند النبي ﷺ ذات ليلة فقال : ﴿ انظر هل ترى في السماء من نجم ؟ ﴾ قال : قلت : نعم . قال : ﴿ ماترى ؟ ﴾ قال : قلت : أرى الثريا . قال : ﴿ أما أنه يلي هذه الأمة بعددها من صلبك اثنان في فتنة ﴾^(٢)

قال الشيخ حمود : "وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة ؛ لكونه وقع كما أخبر ؛ فإنه ولي أمر هذه الأمة من بني العباس عدد كثير سبعة وثلاثون خليفة ، منهم اثنان في فتنة عظيمة ، وهما المأمون والمعتصم فإنهما افتتتا بالقول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله عز وجل ، وفتتا كثيراً من الناس بدعائهم إلى هذه المحنة ؛ حتى أجابوا مكرهين ، ومن امتنع من إجابتهم كالإمام أحمد وغيره ؛ عذبوه بأنواع العذاب ؛ من حبس وضرب وإهانة ، ثم سلك الواثق سبيلهما في الدعاء إلى هذه الفتنة الصماء والمحنة الشنعاء ، وقتل بسببها أحمد

^(١) المصدر السابق : ٤٧ — ٤٨ .

^(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٣ — ٤ / ح ١٧٨٦ وقال عنه الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح والحاكم في مستدركه : ٣ / ٣٢٦

ابن نصر الخزاعي — رحمه الله تعالى — وروي أن الواثق رجع في آخر عمره عن القول بخلق القرآن ... " (١).

كما أنه رد على قول سليمان السجزي بأن المعتصم وثب وقال : صدقت يا ابن حنبل . وأنه تاب وأمر بضرب رقبة بشر المريسي (٢) وابن أبي دؤاد (٣)، وأكرم أحمد بن حنبل وخلع عليه فأمتنع من ذلك ، فأمر بحمله إلى بيته . وقد علق الشيخ على ذلك بقوله : "الظاهر أن هذه القصة موضوعة لأن المعتصم لم يقتل المريسي ولا ابن أبي دؤاد ، ولم يكرم أحمد بن حنبل بل أهانه غاية الإهانة عامله الله بما يستحقه " (٤).

ورد على من أثنى على المأمون وبalg في الشاء عليه ، وبين أن ذلك غلط ؛ لأن المأمون لا ينبغي الشاء عليه ؛ لقوله بخلق القرآن وتعظيمه للجهمية وامتحانه لأهل السنة . (٥)

١٠) وأخيراً فقد نبه الشيخ — يرحمه الله — على من ذهب إلى مذاهب مخالفة في القرآن كموافقة الإمام ابن حزم — يرحمه الله — للجهمية في زعمهم أن المحفوظ والمثبت في المصاحف والمسموع والمفهوم كل ذلك من المصحف

(١) إتحاف الجماعة ١ : ٢٥٤ .

(٢) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة عبدالرحمن المريسي ، العدوي بالولاء ، أبو عبدالرحمن : فقيه معتزلي ، عارف بالفلسفة يُرمى بالزندقة . وهو رأس الطائفة (المريسية) القائلة بالإرجاء توفي عام : ٢١٨ هـ ميزان الاعتدال : ١٥٠/١ والأعلام : ٥٥/٢

(٣) هو أحمد بن أبي دؤاد بن مالك الإيادي ، أبو عبدالله : أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ، ورأس فتنة القول بخلق القرآن . توفي مفلوجاً ببغداد في خلافة المتوكل عام ٢٤٠ هـ قال عنه الذهبي : كان جهمياً بغيضاً ، حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن ، ولولا ذلك لاجتمعت الألسن عليه . انظر لسان الميزان : ١٧١/١ والأعلام : ١٢٤/١ .

(٤) تعليق الشيخ على طبقات الحنابلة : ١ / ١٦٣ عند ترجمة سليمان السجزي .

(٥) انظر: تعليق الشيخ على (دليل المستفيد على كل مستحدث جديد) لعبد العزيز بن عبدالله آل خلف ص ٦٠

مخلوق يقول الشيخ — يرحمه الله — : " ومن شذوذ ابن حزم أيضاً كلامه السيء في القرآن ، فقد شذ عن أهل السنة والجماعة ، ووافق الجهمية في زعمه أن المحفوظ في الصدور من القرآن والمثبت في المصاحف منه والمسموع من تلاوة التالين والمفهوم من ذلك كله مخلوق ، وقد ذكر ذلك في أول الجزء الثالث من كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ^(١) كما نبه — يرحمه الله — على كلام الإمام داود الظاهري — يرحمه الله — في القرآن وزعمه بأنه مخلوق حيث قال : " والجواب أن يقال: بل حصل الخلاف من إمامي أهل

^(١) الصارم الصقيل : ٩٠، ٤٠، ٩. وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٣ / ١٧ يقول الإمام ابن حزم — يرحمه الله — بعد ذكره لخمسة أشياء يقع عليها اسم القرآن وقوعاً مستويماً صحيحاً وهي : الصوت المسموع وهو يسمى قرآناً حقيقة ، و المفهوم من صوت القارئ و يسمى قرآناً و كلام الله على الحقيقة ، و المصحف كله و يسمى قرآناً و كلام الله ، و المستقر في الصدور يسمى قرآناً ، و علم الله تعالى لم يزل و هو كلامه غير مخلوق و ليس هو غير الله تعالى . ثم قال بعد ذلك : " ولما كان اسم القرآن يقع على خمسة أشياء وقوعاً مستويماً صحيحاً منها أربعة مخلوقة ، وواحد غير مخلوق ؛ لم يجوز لأحد البتة أن يقول : القرآن مخلوق " . يقول الدكتور أحمد الحمد في رسالته ابن حزم وموقفه من الإلهيات بعد عرضه لكلام ابن حزم في صفة الكلام : " تبين لنا من عرض مذهب ابن حزم في كلام الله تعالى : أنه قريب من مذهب السلف حيث قال : إن القرآن هو كلام الله تعالى على الحقيقة بلا مجاز ، ويعبر به عن خمسة أشياء : الصوت المسموع ، والمفهوم من الصوت ، والمصحف كله ، والمستقر في الصدور ، وعلم الله وهو كلامه . وبين اشتغال الأربعة الأولى على ما هو مخلوق مما هو من صفات العباد ، وهو بهذا موافق لكلام السلف فهم لا يقولون : بأن ما هو من أفعال العباد غير مخلوق . ولكنهم لا يطلقون الحكم جزافاً ؛ لما في النفي والإثبات من الإجمال . وكل ما ذكر ابن حزم عند التفصيل أنه مخلوق ؛ فالسلف لا يخالفونه فيه ؛ ولكنهم لا يقولون كقوله : بأن أربعة الأشياء التي يعبر بالقرآن عنها مخلوقة ، بل يفصلون فما كان فعلاً للعبد فمخلوق ، وما ليس بفعل له ؛ فغير مخلوق . ويخالفون ابن حزم في قوله : إن القرآن ليس غير الله ... ويخالفونه في قوله : إن الله ليس متكلاً . ويوافقهم في قوله الآخر : إنه لم يزل متكلاً " ص : ٢٥٥ — ٢٥٦ . ويقول : " هذا كله مع العلم بأن ابن حزم يذهب إلى نفي إطلاق لفظ الصفات لله تعالى ، وبالتالي عدم إثبات الصفات لله تعالى ، وهو في حقيقته ما ذهب إليه المعتزلة ؛ حيث لا يثبتون لله صفات قديمة أصلاً ، ولا ينفون الأسماء . وهو وإن كان لا يلتزم نفس استدلالهم على النفي لكنه يتفق معهم في النتيجة نفي الصفات عن الله تعالى " ص :

الظاهر داود بن علي الأصبهاني ، وأبي محمد بن حزم في القرآن الذي هو الأصل الجامع لأصول الدين . فأما داود فقد ثبت عنه أنه قال في القرآن أنه محدث قال القاضي أبو الحسين في طبقات الحنابلة ترجمة أبي بكر ابن المروزي : وقال أبو يحيى زكريا بن الفرّج البزاز : جئت يوماً إلى أبي بكر المروزي وإذا عنده عبدالله بن أحمد فقال له أبو بكر : أحب أن تخبر أبا يحيى بما سمعت من أبيك في داود الأصبهاني . فقال عبدالله : لما قدم داود من خراسان جاءني فسلم علي فسلمت فقال : قد علمت شدة محبتي لكم وللشيخ وقد بلغه عني كلام فأحب أن تعذرني عنده وتقول له : أن ليس هذا مقالي ، أو ليس كما قيل لك . فقلت له : لا يريد فإني قد دخلت إلى أبي فأخبرته : أن داود جاء فقال : إنه لا يقول بهذه المقالة وأنكر . قال : جئني بتلك الضبارة ^(١) الكتب فجئته بها فأخرج منها كتاباً فقال : هذا كتاب محمد بن يحيى النيسابوري ... وذكر في كتابه : أنه قال : إن القرآن محدث . فقلت له : إنه ينكر ذلك . فقال : محمد بن يحيى أصدق منه " ونقل الشيخ كلام الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة داود بن علي الأصبهاني : " منع الإمام أحمد أن يدخل إليه داود وبدّعه لكونه قال : القرآن محدث ^(٢) " ^(٣) .

(١١) وأما ما يتعلق بالقراءة وآدابها :

أ) فقد رد على من أجاز مس المصحف لغير الطاهر ، ومن زعم جواز ذلك للجنب أيضاً حيث قال — يرحمه الله — :

^(١) الإضبارة : الحزمة من الصحف وهي الإضمامة . قال ابن السكيت : يقال : جاء فلان بإضبارة من

كتب ، وإضمامة من كتب ، وضبارة لغة كما قال الليث . لسان العرب : ١٤ / ٨ .

^(٢) ٥٧٣ / ٢ .

^(٣) انظر : المصدر السابق ص ٣٦ .

"والجواب أن يقال : هذا قول باطل مردود لمخالفته للأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في النهي عن مس القرآن لغير طاهر ، ولمخالفته أيضاً لما جاء عن الصحابة والتابعين وأئمة العلم من بعدهم في ذلك . " ثم ذكر بعد ذلك الأحاديث الواردة في النهي وما ثبت عن الصحابة والتابعين وأئمة العلم من بعدهم في ثبوت النهي عن مس القرآن لغير طاهر ، كما أنه رد على ما احتج به الإمامان داود الظاهري وابن حزم — يرحمهما الله — في ذهابهما لجواز مس القرآن لغير طاهر . ^(١)

^(١) انظر: رد على أباطيل من ص ١ — ١٠ . وقد احتج الإمامان بأن النبي ﷺ كتب آية من القرآن في كتابه إلى هرقل وأصحابه ، وقد أيقن أنهم يمسون ذلك الكتاب . يقول الإمام ابن حزم في المحلى : " وقراءة القرآن ، والسجود فيه ، ومس المصحف ، وذكر الله تعالى جائز ، كل ذلك بوضوء ، وبغير وضوء ، وللجنب والحائض . برهان ذلك : أن قراءة القرآن ، والسجود فيه ، ومس المصحف ، وذكر الله تعالى ؛ أفعال خير مندوب إليها مأجور فاعلها ؛ فمن ادعى المنع فيها في بعض الأحوال كلف أن يأتي بالبرهان " ٩٤ / ١ . وقد احتج ص : ٩٧ ببعث النبي ﷺ بكتابه إلى هرقل وفيه بسم الله الرحمن الرحيم . وقد رد عليهم الموفق ابن قدامة في (المغني) بقوله : " فأما الآية التي كتب بها النبي ﷺ فإنما قصد بها المراسلة ، والآية في الرسالة ، أو كتاب فقه أو نحوه ؛ لا تمتع مسه ، ولا يصير الكتاب بها مصحفاً ، ولا تثبت لها حرمة . وأجاب الشيخ حمود بجواب آخر وهو : أن الأمر بعدم مس المصحف كما هو ثابت كان بعد هذه الكتابة .

أقول : قد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — عن مس المصحف بغير وضوء هل يجوز أم لا ؟ فأجاب : مذهب الأئمة الأربعة أنه لا يمس المصحف إلا طاهر ، كما قال في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم : ﴿ أن لا يمس القرآن إلا طاهر ﴾ قال الإمام أحمد : لا شك أن النبي ﷺ كتبه له . وهو أيضاً قول سلمان الفارسي وعبدالله بن عمر وغيرهما ، ولا يعلم لهما من الصحابة مخالف . ٢٦٦ / ٢١ . وقال أيضاً : " والصحيح في هذا الباب ما ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة . وهو أن مس المصحف لا يجوز للمحدث ، ولا يجوز له صلاة جنازة ، ولا يجوز له سجود التلاوة ، فهذه الثلاثة ثابتة عن النبي ﷺ " ٢٧٠ / ٢١ . وقال أيضاً : " وأما مس المصحف فالصحيح أنه يجب له الوضوء كقول الجمهور . وهذا هو المعروف عن الصحابة سعد وسلمان وابن عمر . وفي كتاب عمرو بن حزم عن النبي ﷺ : ﴿ لا يمس القرآن إلا طاهر ﴾ ٢٨٨ / ٢١ . وقال أيضاً : " وخص القرآن بأنه لا يمس مصحفه إلا طاهر كما ثبت ذلك عن الصحابة مثل سعد وسلمان وابن عمر وجهاهير السلف والخلف والفقهاء الأربعة وغيرهم . ومضت به سنة رسول الله ﷺ في كتابه الذي كتبه لعمر بن حزم الذي

(ب) كما أنه نبه — يرحمه الله — على مايفعله كثير من الناس من الاهتزاز وتحريك الرؤوس عند قراءة القرآن بقوله : " النوع السابع والثلاثون : من التشبيه بأعداء الله تعالى مايفعله كثير من الناس من الاهتزاز وتحريك الرؤوس

لا ريب في أنه كتبه له ، ودل على ذلك كتاب الله ، و كذلك لا يقرأ الجنب عند جماهير العلماء الفقهاء الأربعة وغيرهم كما دلت على ذلك السنة " . ١٢/١٧ .

و يقول المباركفوري في تحفة الأحوذى : " قوله : (قالوا يقرأ الرجل القرآن على غير وضوء) أي يجوز له أن يقرأ على غير وضوء ، و استدلووا على ذلك بحديث الباب (ولا يقرأ في المصحف) أي أخذاً بيده و ما شابه فإنه إذا لم يمسه و يقرأ ناظراً فيه فهو جائز (إلا و هو طاهر) أي متوضيء (و به يقول سفيان الثوري و الشافعي و أحمد و إسحاق) و هو قول أبي حنيفة و به يقول مالك ، قال في الموطأ : و لا يحمل أحد المصحف بعلاقته على وسادة إلا و هو طاهر ولو جاز ذلك لحل في خبيثته . قال : وإنما كره ذلك لمن يحمله وهو غير طاهر إكراماً للقرآن و تعظيماً له انتهى . و استدلووا على ذلك بحديث أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتاباً و كان فيه : ﴿ لا يمسه القرآن إلا طاهر ﴾ رواه الأثرم و الدار قطني ، وهو لمالك في الموطأ مرسلأ عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم : ﴿ أن لا يمسه القرآن إلا طاهر ﴾ . وقال الأثرم : و احتج أبو عبدالله يعني أحمد بحديث ابن عمر و لا يمسه المصحف إلا على طهارة كذا في المنتقى . قال ابن عبدالبر : لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث . وقد روي مسنداً من وجه صالح و هو كتاب مشهور عند أهل السير معروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بها في شهرتها عن الإسناد لأنه أشبه المتواتر لتلقي الناس له بالقبول ، و لا يصح عليهم تلقي ما لا يصح . انتهى . " ١ / ٤٥٥ ثم ذكر تنبيهاً قال فيه : " قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام بعد ذكر الحديث المذكور الذي استدلل به الأكثرون على عدم جواز مس القرآن لغير المتوضيء ما لفظه : رواه مالك مرسلأ ووصله النسائي و ابن حبان و هو معلول انتهى . قال صاحب السبل : و إنما قال المصنف إن هذا الحديث معلول لأنه من رواية سليمان بن داود و هو متفق على تركه كما قاله ابن حزم ، ووهم في ذلك فإنه ظن أنه سليمان بن داود اليماني و ليس كذلك ، بل هو سليمان بن داود الخولاني و هو ثقة أثني عليه أبو زرعة و أبو حاتم و عثمان بن سعيد و جماعة من الحفاظ ، و كتاب عمرو بن حزم تلقاه الناس بالقبول . قال ابن عبدالبر : إنه أشبه المتواتر لتلقي الناس له بالقبول ، و قال يعقوب بن سفيان : لا أعلم كتاباً أصح من هذا الكتاب فإن أصحاب رسول الله ﷺ و التابعين يرجعون إليه و يدعون رأيهم ، و قال الحاكم : قد شهد عمر بن عبدالعزيز و إمام عصره الزهري بالصحة لهذا الكتاب . وفي الباب من حديث حكيم بن حزام : ﴿ لا يمسه القرآن إلا طاهر ﴾ و إن كان في إسناده مقال إلا أنه ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد من حديث عبدالله بن عمر أنه قال : قال رسول الله ﷺ :

﴿ لا يمسه القرآن إلا طاهر ﴾ قال الهيثمي : رجاله موثقون . و ذكر شاهدين انتهى " ١ / ٤٥٦ — ٤٥٧

عند قراءة القرآن إن ثبت أن اليهود كانت تفعل مثل ذلك عند قراءة التوراة فقد روى سنيد بن داود في تفسيره عن حجاج بن محمد عن أبي بكر ابن عبدالله قال : لما نشر موسى الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فليس اليوم يهودي على وجه الأرض صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونغض لها رأسه . قلت : إن كان هذا صحيحاً عن اليهود فمثله ماذكرنا عن كثير من المسلمين ولا يجوز ذلك إن ثبت أن اليهود كانت تفعله . (١)

(١) الإيضاح والتبيين : ٢٥٧ — ٢٥٨ . ويقول الشيخ بكر أبو زيد في كتابه (بدع القراء القديمة والمعاصرة) : " اشتدت كلمة علماء الأندلس في النكير على التمايل ، والاهتزاز ، والتحرك ، عند قراءة القرآن ، وأنها بدعة يهود ، تسربت إلى المشاركة المصريين ، ولم يكن شيء من ذلك مأثوراً عن صالح سلف الأمة . وقد ألف ناصر السنة ابن أبي زيد القيرواني — رحمه الله تعالى — (كتاب من تأخذه عند قراءة القرآن حركة) ولاندرى من خبر هذا الكتاب شيئاً . قال أبو حيان النحوي محمد بن يوسف الأندلسي — رحمه الله تعالى — في تفسيره (البحر المحيط) عند قول الله تعالى : (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ...) الآية الأعراف ١٧١ . قال الزمخشري في الكشاف : ١٠٢/٢ " لما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله تعالى ، لم يبق شجر ، ولا جبل ، ولا حجر إلا اهتز . فلذلك لا ترى يهودياً يقرأ التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه " انتهى من الكشاف . وقد سرت هذه التزعة إلى أولاد المسلمين ، فيما رأيت بديار مصر ، تراهم في المكتب إذا قرأوا القرآن يهتزون ويحركون رؤوسهم . وأما في بلادنا ، بالأندلس والغرب ، فلو تحرك صغير عند قراءة القرآن ، أدبه مؤدب المكتب وقال له : لا تتحرك فتشبه اليهود في الدراسة " البحر المحيط ٤٢/٤ . وقال البراعي الأندلسي — رحمه الله تعالى — في انتصار الفقير السالك ص ٢٥٠ : " وكذلك وافق أهل مصر اليهود ، في الاهتزاز عند الدرس والاشتغال ، وهو من أفعال اليهود " انتهى . وهذا أعم فليجتنب . ص ٥٧ — ٥٨ . قلت : التشبه الذي ورد النهي عنه شرعاً في القرآن والسنة هو : مماثلة الكافرين بشئ أصنافهم في عقائدهم ، أو عبادتهم أو عاداتهم ، أو في أنماط السلوك التي هي من خصائصهم . وكذلك التشبه بغير الصالحين . وإن كانوا من المسلمين كالفساق والجهلة والأعراب الذين لم يكمل دينهم . ، ومالم يكن من خصائص الكفار ، ولامن عقائدهم ، ولامن عاداتهم ، ولامن عباداتهم ، ولم يعارض نصاً أو أصلاً شرعياً ، ولم يترتب عليه مفسدة ، فإنه لا يكون من التشبه ، وهذه قاعدة مجملة . و انظر لمزيد من التفصيل : قضايا عقدية معاصرة لناصر بن عبدالكريم العقل . ص ٥٥ وما بعدها .

(ج) وكذلك من التشبه قراءة القرآن بلحون الغناء والأوضاع الموسيقية. يقول الشيخ — يرحمه الله — : "وقد وقع مصداق هذه الأحاديث ، ومن آخرها ظهور النشء الذين يتخذون القرآن مزامير ؛ فهؤلاء لم يوجدوا إلا في زماننا هذا ، وهم القراء الذين يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ! وكثيراً ما نسمع صوت القارئ في بعض الإذاعات فلا ندري قبل أن نفهم ما يلفظ به ؛ هل هو يقرأ أو يغني ؟! لما بين الغناء وبين قراءتهم من المشابهة التامة . " (١)

(د) ورد على من يزعمون أنه لا تجوز قراءة القرآن بغير تجويد فقال — يرحمه الله عند حديثه عمن يتكلفون في قراءة التجويد و ذكره لأحاديث في ذلك ثم تعداده لفوائد هذه الأحاديث و من ذلك الفائدة الرابعة : " أنه [يعني النبي ﷺ] لم يكن يعلمهم التجويد ومخارج الحروف ، وكذلك أصحابه ﷺ لم ينقل عن أحد منهم أنه كان يعلم في التجويد ومخارج الحروف ، ولو كان خيراً

(١) الإيضاح والتبيين : ٢٥٧ ؛ وإتحاف الجماعة : ١٢١/٢ . وقد تكلم على هذه المسألة الإمام ابن القيم — يرحمه الله — في زاد المعاد وقال بعد استعراضه لأدلة الفريقين الفريق الأول : الذي يقول تكره قراءة الألحان ومن نص على ذلك : أحمد ومالك وغيرهما والفريق الثاني : الذي يقول : بأن التغني بالقرآن هو تحسين الصوت به والترجيع بقراءته : " ومنتهى احتجاج الطائفتين وفصل التراع أن يقال : التطريب والتغني على وجهين : أحدهما ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل إذا خلّى وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز ، وإن أعان طبيعته فضل تزيين وتحسين .. فهذا الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه وهو التغني الممدوح وهو الذي يتأثر به السامع والتالي وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها . الوجه الثاني : ما كان من ذلك صناعة من الصنائع وليس في الطبع السماحة به ، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترة لا تحصل إلا بالتعليم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها وأنكروا على من قرأ بها وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه . وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره ، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم براء من القراءة بالألحان الموسيقية المتكلفة التي هي إيقاع وحركات موزونة ومحدودة ، وأنهم اتقى الله من أن يقرأوا بها أو يسوغوها . " زاد المعاد : ١/ ٤٨٢ — ٤٩٣ .

لسبقوا إليه ومن المعلوم مافتح عليهم من أمصار العجم من فرس وروم وقبط وبربر وغيرهم ، وكانوا يعلمونهم القرآن بما يسهل على ألسنتهم ، ولم ينقل عنهم أنهم كانوا يعلمونهم مخارج الحروف ، ولو كان التجويد لازماً ؛ ماأهملوا تعلمه وتعليمه .^(١)

وقوله : "السادسة: الرد على من زعم أن قراءة القرآن لايجوز بغير التجويد ، أو أن ترك التجويد يخلُّ بالصلاة " عند حديثه على الفوائد المستفادة من أحاديث ذكرها في باب ماجاء في الذين يتكلفون في قراءة التجويد .^(٢)

^(١) إتحاف الجماعة : ٢ / ١٢٢ باب ماجاء في الذين يتكلفون في قراءة التجويد .قلت : يطراً على هذا الكلام قول من يقول : بأن النبي (لم يكن يعلمهم التجويد ومخارج الحروف لأنه كان يقرئهم ويعلمهم القراءة كما أنزل عليه القرآن الكريم مع مراعاة هذه الأحكام وكانت متقررة عندهم ، ولما ظهرت الحاجة إلى أفراد هذه القواعد بالتعليم كان التأليف والتعليم لها مستقلاً ، كما هو الحال في قواعد اللغة العربية . يؤكد هذا معرفة مااستمد منه هذا العلم وهو القرآن الكريم لقوله تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ والسنة النبوية الشريفة كما جاء من كيفية قراءة رسول الله ﷺ . ثم من كيفية قراءة الصحابة من بعده والتابعين واتباعهم وأئمة القراءة إلى أن وصل إلينا بالتواتر . ومن أفواه العارفين به بطريق التواتر . انظر : الملخص المفيد في علم التجويد لمحمد أحمد معبد . ويقول الإمام السيوطي : " قال القراء : التجويد حلية القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله ، وتلطيف النطق به على كمال هيئته ، من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف ، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله : ﴿ من أحب أن يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد ﴾ — يعني ابن مسعود — وكان ﷺ قد أعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن ؛ ولاشك أن الأمة ، كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده ، هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء ، المتصلة بالحضرة النبوية . وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحناً ، فقسموا اللحن إلى جلي وخفي ، فاللحن خلل يطرأ على الألفاظ فيخل ، إلا أن الجلي يخل إحلالاً ظاهراً ؛ يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم ، وهو الخطأ في الإعراب ، والخفي يخل إحلالاً يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوه من أفواه العلماء ، وضبطوه من ألفاظ أهل الأداء . " الإتيان في علوم القرآن : ٢٨١/١ .

^(٢) المصدر السابق : ١٢٤ .

هـ) وقد كان له جهد مشكور في الرد على بعض الشبه التي يتعلل بها بعض الناس فيقومون بأفعال تخالف قدسية القرآن الكريم ومن ذلك التكسب بقراءة القرآن ، فقد نبه الشيخ — يرحمه الله — على ذم من يأخذ على القراءة أجرة كما عليه حال كثير من القراء الذين يتأكلون بالقراءة في المآتم والمحافل وغيرها، وكذلك من يجعل القراءة وسيلة لسؤال الناس . تحت باب ماجاء في الذين يقرؤون القرآن يسألون به الناس^(١)

١٢) أما فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم فقد بين الشيخ — يرحمه الله — من خلال مؤلفاته حرمة التفسير للآيات بمجرد الرأي وأن ذلك من الإلحاد في كلام الله تعالى ونبه على ما يترتب على ذلك من الوعيد الشديد يقول — يرحمه الله — : " إن القول في القرآن بمجرد الرأي حرام . وقد ورد الوعيد الشديد على ذلك كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وابن جرير والبغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ **من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار** ﴾^(١) وهذا لفظ ابن جرير وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وروى الترمذي أيضا وأبو

^(١) انظر : المصدر السابق ص ١٢٤ باب ماجاء في الذين يقرؤون القرآن يسألون به الناس . قلت : الشيخ — يرحمه الله — لا يقصد مسألة من يأخذ أجرة من بيت المال لقاء تعليمه للقرآن الكريم وهذا أمر مشروع كما هو معلوم ، وإنما هو يتحدث عنمن يتأكل بالقراءة بحيث يقرأ في المآتم والمحافل وغيرها .

^(١) أخرجه أحمد برقم : ١٩٦٥ . (وقال عنه الشيخ أحمد شاكر إسناده ضعيف) ؛ و الترمذي في تفسير القرآن برقم : ٢٨٧٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح . وقد ضعفه الألباني كما في ضعيف سنن الترمذي برقم : ٥٦٩

داود وابن جرير والبغوي عن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ﴾ ^(١)

قال الترمذي : هذا حديث غريب . قال : وهكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم . وأما الذي روى عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم ، وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم ، ثم ساق بإسناده عن قتادة أنه قال : ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً . وبإسناده عن مجاهد أنه قال : لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت انتهى كلام الترمذي ^(٢) .

وقال البغوي : قال شيخنا الإمام : قد جاء الوعيد في حق من قال من قبل نفسه شيئاً من غير علم . قال : وأما التفسير وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها فلا يجوز إلا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل . انتهى ^(٣) . وقد نقل الشيخ — يرحمه الله — كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — جاء فيه : " من فسر القرآن أو الحديث وتأولّه على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين ؛ فهو مفتر على الله ، ملحد في آيات الله ، محرف للكلم عن مواضعه ، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد ، وهو معلوم البطلان بالاضطرار

^(١) أخرجه أبو داود في العلم برقم : ٣١٦٧ ؛ والترمذي في تفسير القرآن برقم : ٢٨٧٦ وقال : هذا حديث غريب وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم . وقال عنه الألباني : ضعيف كما في ضعيف سنن الترمذي برقم : ٥٧١ .

^(٢) سنن الترمذي : تفسير القرآن عند حديث ٢٨٧٦ .

^(٣) معالم التنزيل : ١ / ٤٦ .

من دين الإسلام (١) " (٢)

وقد أبان الشيخ — يرحمه الله — هذه المسألة بطريقة وافية في أكثر من موضع نجدها متفرقة في كتبه المتعددة ومنها : ما ذكره في كتابه (إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة) في مواضع متفرقة رداً على من تكلف وتأول القرآن على غير تأوله .

وما ذكره في كتابه (الرد القويم) رداً على تفسير القرآن بمجرد الرأي في تفسير قول الله تعالى : ﴿ المتوسمين ﴾ بالمستطلعين .

وما ذكره في كتابه (الرد على من أجاز تهذيب اللحية) من الرد على من قال في القرآن بغير علم في قوله تعالى : ﴿ لو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملت منهم رعباً ﴾ (٣) أن ذلك لشكلهم المخيف بسبب لحاهم التي غطت وجوههم وأظفارهم التي وصلت إلى الأرض .

وما ذكره في كتابه (الصارم البتار للإجهاز على من خالف الكتاب والسنة والإجماع) رداً على من تعسف في تطبيق الآيات محاولاً الاستدلال بذلك على تحليل الربا في المعاملات مع أهل البنوك والمصارف . (٤)

(١) مجموع الفتاوى : ١٣ / ٢٤٣ .

(٢) انظر : إيضاح المحجة ص ١١ ، ٢٢ ، ٢٦ .

(٣) الكهف : ١٨

(٤) انظر : إيضاح المحجة ص ١٧٥ ، ٩١ ، ٦٦ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٤ ، ٤٩ ، ٤٣ ، ٤٠ ، ٣٢ ، ٢٨ رد على تكلف وتأول للقرآن على غير تأويله ؛ والرد القويم ص ٢١٦ رد على تفسير بمجرد الرأي في تفسير قول الله تعالى : ﴿ المتوسمين ﴾ بالمستطلعين ؛ و الرد على من أجاز تهذيب اللحية ص ٢١ الرد على قوله في القرآن بغير علم في قوله تعالى : (لو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملت منهم رعباً) أن ذلك لشكلهم المخيف بسبب لحاهم التي غطت وجوههم وأظفارهم التي وصلت إلى الأرض ، وص ٢٥ الرد على افتراءه على المفسرين ؛ والصارم البتار : ٩ الرد على القول في القرآن بغير علم وذلك بالتعسف في تطبيق الآيات على مارأه الفتان بعقله الفاسد من تحليل الربا في المعاملات مع أهل البنوك والمصارف وص ٦٧ الرد على تفسيره لقوله تعالى : (كالذي يتخبطه الشيطان من المس) بأنه وصف لحال الدائنين عند عجز المدين عن الوفاء وص ٧٢

كما أن الشيخ — يرحمه الله — نبه على أمر هام نقله عن الشيخ محمد ابن يوسف الكافي التونسي — يرحمه الله — حيث قال الشيخ حمود : " وقال الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي في كتابه المسمى ب (المسائل الكافية الشافية) عن الذين تخرجوا على الشيخ جمال الدين الأفغاني والذين تخرجوا عمن تخرج عنه يفسرون القرآن برأيهم وينكرون بعض ما ثبت في الشرع ويعتمدون على أقوال الكفار ، ويهجرون قول الله وقول رسوله ﷺ وقول الراسخين في العلم من المسلمين . وعندهم كلام الله ككلام البشر يتصرفون فيه بغير علم فيحق عليهم الوعيد الوارد في حديث سيد البشر ﷺ وهو : ﴿ من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ﴾ ^(١) . وقال الشيخ محمد ابن يوسف أيضا في كتابه المذكور : إن الشيخ محمد عبده واتباعه تكلموا في تفسير كلام الله على الأسلوب الجديد المخترع المؤيد بالتخمين العقلي والآيات الكشافة انتهى ^(٢) " ^(٣)

(١٣) كما رد على من طعن في كتب التفسير النقلي ومنهم ابن خلدون الذي زعم أنها تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود حيث يقول في مقدمته : " وصار التفسير على صنفين تفسير نقلي مسند إلى الآثار المنقولة عن

التنبيه على كلام خطير لمحمد رشيد رضا وهو مبني على أمرين خطيرين أحدهما : تأويل الآية بالرأي وتجريدها مما ذكر فيها من الوعيد للمرايين ، ثم ذكر كلام محمد بن يوسف الكافي التونسي في كتابه المسائل الكافية عن حال من تخرج على يد جمال الدين الأفغاني وأنهم يفسرون القرآن برأيهم . ؛ والقول البليغ ص ٣١١، ٢١٨ التشديد في تحريم التفسير بالرأي وكلام شيخ الإسلام في ذلك ؛ والتنبيهات المهمة ص ٥٧ حرمة القول في القرآن بمجرد الرأي . قلت : والرأي هنا يحمل على القسم الثاني من أقسام الرأي وهو القسم الذي لا يجري على قوانين العربية ولا موافق للأدلة الشرعية ولا مستوف لشروط التفسير .

^(١) سبق تخريجه انظر : ص ١١٥ .

^(٢) المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية : ١٢٠

^(٣) الصارم البتار : ٧٢ .

السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود. والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية وإذا تشوفوا إلى معرفة شيء مما تشوف إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى ^(١) " ^(٢) وقد أجاب الشيخ — يرحمه الله — على ذلك بقوله: "الوجه الثاني: أن يقال: إن كلام ابن خلدون فيه ثلاثة مآخذ أحدها: قوله: إن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية. والجواب أن يقال: إنما كان ذلك قبل الإسلام فأما بعد الإسلام فقد كانوا خير أمة أخرجت للناس علماً وعملاً... المآخذ الثاني: قوله: وإذا تشوفوا إلى معرفة شيء... والجواب أن يقال: إن الله تعالى قد أغنى هذه الأمة عن مسألة أهل الكتاب عما يحتاجون إلى معرفته وذلك بما أنزله الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ... " ^(٣)

^(١) مقدمة ابن خلدون: ٢ / ١٢٠ — ١٢١.

^(٢) انظر: الرد القويم ص ٢١٨؛ والرد على من أجاز تهذيب اللحية: ٢٥ الرد على افتراءه على المفسرين وغيرهم من الناس حيث زعم أن منهم من يعتقد أن كثافة اللحية تعني الإسلام فقط.

^(٣) الرد القويم: ٢٢٠. ويجدر التنبيه هنا إلى أن الشيخ — يرحمه الله — لا يتكلم عن مسألة التحديث عن بني إسرائيل وهي مسألة متقررة معروفة وقد ذكرها الشيخ في نفس هذا الكتاب في موضع آخر بقوله: "وقد أذن النبي ﷺ في التحديث عن بني إسرائيل. وكان ﷺ كثيراً ما يحدث أصحابه عنهم، وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة. منها ما رواه الإمام أحمد و البخاري و الترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج و من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار﴾ قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح" الرد القويم: ٢٤

(١٤) أما فيما يتعلق بمن انتقص من قدر القرآن الكريم فقد رد عليهم الشيخ —
يرحمه الله — ومن ذلك من جمع بين القرآن الكريم وبين الغناء والمعازف^(١)
وجعل الجميع من قبيل المباحات والملهيات قال الشيخ — يرحمه الله — :

" الوجه الرابع : إن من عظام ما أتى به أبو تراب جمعه بين قراءة القرآن وبين
الغناء والمعازف وجعله الجميع من قبيل المباح والملهيات ، وهذه سفسطة من
أبي تراب كتبها من غير تعقل ولا تدبر . ولو قيل إنها زندقة لما كان ذلك بعيداً
. وكيف يستجيز المسلم أن يسوى بين كلام الرحمن ووحيه وتزيله . وبين
نفث الشيطان وقرآن الشيطان ومزاميره ولو في بعض الأحوال . إن هذه
التسوية لفي غاية الفساد . ومن اعتقدها فما قدر الله حق قدره ولانزه كلامه
حق تزيهه . وكلام الله تعالى أعظم وأجل من أن يساوى بالمباحات فضلاً عن
مساواته بالملاهي المحرمة المضادة للقرآن من كل وجه . " وبقوله : " وعلى هذا
فمن جمع بين ما يباح تعاطيه في جميع الأوقات سوى وقت أداء الفريضة وبين
اللهو المحرم لذاته وجعل حكم الجميع واحداً فقد جمع بين ما فرق الله بينه وهذا
فساد في التصور وضلال عن الحق " (٢)

كما رد عليه في زعمه بأن شراء المصحف وتعليم القرآن مما يضل عن سبيل
الله^(٣) فبين الشيخ بطلان ذلك بقوله : " الوجه الخامس : إن من عظام ما

(١) الكلام هنا غير داخل في قضية القراءة بالألحان التي تكلم عنها الشيخ فيما يتعلق بالقراءة وآدابها .

(٢) فصل الخطاب في الرد على أبي تراب : ١٣٥ .

(٣) يقول أبو تراب الظاهري : " وأما تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ بأنه الغناء
فليس عن رسول الله ، ولا ثبت عن أحد من الصحابة ، وإنما هو قول من لا تقوم به الحجة ، وما كان
هكذا فلا يجوز القول به . ثم نقول إن الله نص على كل ما يضل عن سبيل الله فهو إثم وحرام ، ولو أنه
شراء مصحف أو تعليم قرآن .

قلت : الذي يظهر من كلام أبي تراب — يرحمه الله — أنه يعني قصد الشخص من الفعل و نيته لا أن شراء
المصحف أو تعليم القرآن هو في حده إضلال ؛ لأن هذا كلام لا يقوله مسلم ، بل الظاهر و الله أعلم أنه

أتى به أبو تراب جعله شراء المصحف وتعليم القرآن مما يضل عن سبيل الله . وهذا خلاف ما أخبر به عن القرآن في قوله تعالى: ﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ ^(١) وقوله تعالى: ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ ^(٢) وقوله تعالى: ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ ^(٣) وقوله تعالى: ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ ^(٤) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على أن الله تعالى أنزل القرآن لإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهدى . ولا ريب أن شراء المصحف وتعلم القرآن وتعليمه من أعظم أسباب الهداية لمن أراد الله هدايته . ومن جعل ذلك من أسباب الضلال فما قدر الله حق قدره ولاعظم كلامه حق تعظيمه . وعلى قول أبي تراب يكون شراء المصحف وتعلم القرآن وتعليمه مشابهاً لشراء لهُو الحديث وتعلمه وتعليمه ولو من بعض الوجوه وهذه زلة عظيمة وسفسطة وخيمة . " ^(٥)

يتحدث عن قصد الشخص بفعله إذا كان يقصد الإضلال حتى وإن كان ظاهر الفعل خيراً كشراء المصحف وتعليم القرآن ؛ فهو داخل تحت عموم التحريم .

^(١) النجم : ٢٣

^(٢) المائدة : ١٦

^(٣) الإسراء : ٩

^(٤) طه : ١٢٣

^(٥) فصل الخطاب : ١٧٠ ، ٢٠١ الرد على تسويته بين قراءة القرآن والسنن وبين الغناء والنظر في المال وما يتحدث به الناس من الأحاديث وأن كل ذلك من باب الإحسان لمن لم يضع بسببها شيئاً من الفرائض ؛ وتريئة الخليفة العادل ص ٢٦ الرد على قوله أن الغناء غذاء الأرواح وسلسيل القلوب وصقال النفوس وروضة الأذهان فقد بين الشيخ أن ذلك من قلب الحقائق فإن هذه الصفات تنطبق على القرآن الكريم

(١٥) كما رد الشيخ — يرحمه الله — على من زعم أن الحديث ينازع القرآن وأنه مع تقادم الزمن ستزل من القرآن مترلة النسخ العديدة لأي كتاب من الكتب السماوية السابقة والتي أقرها تقادم الزمن فتبوءت منازل التقديس فبين الشيخ بطلان هذا الكلام وماتضمنه من طعن في كتاب الله عز وجل وأنه قابل للزيادة والنقصان والتحريف حيث يقول — يرحمه الله — : " الوجه الثاني : أن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن فقال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ^(١) فلا يتطرق إلى القرآن تحريف ولا تغيير ولا زيادة ولا نقصان ولا معادلة من شيء من الكتب . وقد مضى بعد نزول القرآن قريب من أربعة عشر قرناً ولا يزال القرآن غصاً طرياً مصوناً محفوظاً بحفظ الله له ولا يزال كذلك مادام في الأرض إلى أن يسرى عليه في آخر الزمان ويرفع إلى السماء كما جاء ذلك في أحاديث صحيحة . فمن ظن أن شيئاً من كتب السنة ينازع القرآن أو يعادله أو يتزل منه مع طول الزمان مترلة النسخ العديدة للكتب المتقدمة فقد ظن بالله ظن السوء ولم يؤمن بقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقد رام بعض أعداء الله إدخال التغيير على القرآن؛ فأبطل الله كيدهم، وصان كتابه من أعمالهم السيئة " ^(٢)

(١) الحجر : ٩٣

(٢) انظر : الرد القويم ص ٤٥ ؛ وتنزيه القرآن ص ٢ الرد على أبي رقية في رمية القرآن الكريم بالتناقض وأنه حوى خرافات مثل أهل الكهف وعصا موسى عليه السلام وص ١٠ الرد على من زعم أن فيه خرافات من خرافات الناس . وهذه الكلمات الكفرية الخمس التي نقلها الشيخ عن الحبيب أبي رقية هي : ١ — قوله : إن في القرآن تناقضاً لم يعد يقبله عقل بين ٢ — قوله : إن الرسول محمداً كان إنساناً بسيطاً يسافر كثيراً عبر الصحراء العربية ويستمتع الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت ٣ — قوله : وقد نقل تلك الخرافات إلى القرآن . مثال ذلك عصا موسى ، وهذا شيء لا يقبله العقل بعد اكتشاف باسطور . وقصة أهل الكهف ٤ — قوله : إن المسلمين وصلوا إلى تأليه الرسول محمد فهم دائماً يكررون محمد ﷺ . الله يصلي على محمد . وهذا تأليه لمحمد . ٥ — قوله : وحتى يوحد الرسول كلمة العرب ولا ينفهم من دعوته ؛ اضطر إلى قبول كثير من طقوسهم التي لا تختلف في الحقيقة عن عبادة الأصنام . مثل : التمسح بالحجر الأسود ، ورجم الشيطان .

كما أنه رد على الرئيس التونسي الحبيب أبي رقية عندما رمى القرآن الكريم بالتناقض في كلمة له ألقاها في الملتقى الدولي حول الثقافة كما زعم فيها أن القرآن الكريم حوى خرافات مثل أهل الكهف وعصا موسى ^(١) وقد أجاب الشيخ على ذلك المقال بقوله: "وقد اشتمل كلامه على ستة عشر نوعاً من المكفريات كل نوع منها يحكم على قائله بالردة وتجري عليه أحكام المرتدين كما هو موضح في موضعه من كتب الفقه . وهذه الأنواع مذكورة في خمس كلمات من كلام أبي رقية " ^(٢)

(١٦) ونجد دفاعه — يرحمه الله — يأخذ منحى آخر حيث يرد مانسب من باطل إلى القرآن الكريم ومن ذلك ما ذكره من يُدعى بالسيد صالح أبي بكر الذي زعم أن كتابه الباطل يستند إلى كتاب الله نصاً ومعنى فبين الشيخ — يرحمه

^(١) هذا الفعل الذي صدر من الحبيب أبي رقية هو نفس فعل أعداء الدين من اليهود والنصارى ومن سار في ركايم الذين يطعنون في القرآن الكريم ويزعمون وجود التناقض فيه واشتماله على الخرافات ، وقد لجأوا إلى ذلك لما أعيتهم السبل في أن يجدوا طريقاً لتحريف كلام الله ﷻ الذي تكفل الله بحفظه فلجأوا إلى طريق الطعن في كلام الله ﷻ . يقول الشيخ محمد الصواف — يرحمه الله — في كتابه (المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام) عند حديثه عن مكافحة القرآن في القدم والحديث : " ولم يكتف الأعداء بهذه الحملات ، بل استمرت الحملات والمطاعن تنتقل من جيل إلى جيل ، ومن ميدان إلى ميدان ، حتى جاء الاستشراق و المستشرقون والتبشير والمبشرون ، والاستعمار والمستعمرون ، واليهود الصهيونيون ، وإذا بالنعمة تتكرر ، وإذا بالسيوف تشهر ، وإذا بالمطاعن تنتشر . فتارة يتهمون القرآن بالتناقض ، وتارة باللحن ، وأخرى بفساد النظم ، ورابعة بإنكار الإعجاز ، وخامسة أنه من صنع النبي ﷺ إلى ما شاء لهم من الحقد والهوى وألوان التهم ، حتى لم يتركوا عيباً إلا نسبوه إلى القرآن وألصقوه به ، وقد استوى في ذلك القدماء والمحدثون ، والشرقيون والغربيون . " ص ٨٠ — ٨١ .

^(٢) انظر : تنزيه القرآن والرسول والمؤمنين عن افتراء وطعن المبطلين ، وهو رد على الرئيس التونسي الحبيب أبي رقية في خطابه الذي ألقاه في الملتقى الدولي حول الثقافة وقد نشر في مجلة الشهاب اللبنانية ومجلة المجتمع الكويتية . كما أنه رد عليه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — وقد نشر هذا الرد في مجلة الجامعة الإسلامية .

الله — أن كتابه لم يستند إلى كتاب الله لانصاً ولا معنى وإنما استند إلى القول في كتاب الله بغير علم وحمل الآيات على غير محاملها .^(١)

أضف إلى ذلك كله رد الشيخ — يرحمه الله — لإطلاقات لا ينبغي إطلاقها على القرآن الكريم كقولهم (قانون السماء ، النظام ، الدستور) . حيث قال الشيخ — يرحمه الله — : " التنبيه الثاني : قال المؤلف : في الصفحة السادسة من المقدمة . "وهو القرآن العظيم الذي هو دستورنا " . وقال أيضاً في صفحة ٦٢ : " القرآن العظيم كتاب الله الخالد ودستوره المجدد — إلى أن قال — فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق " انتهى وقال مثل ذلك في صفحة ٧ من كتابه عدة المسلمين . وأقول : قال في القاموس وشرحه الدستور بالضم أهمله الجوهري . وقال الصغاني : هو اسم النسخة المعمولة للجماعات كالدفاتر التي منها تحريرها ويجمع فيها قوانين الملك وضوابطه فارسية معربة جمع دساتير واستعمله الكتاب في الذي يدبر أمر الملك تجوزاً ، وفي مفاتيح العلوم لابن كمال باشا : الدستور نسخة الجماعة ثم لقب به الوزير الكبير الذي يرجع إليه فيما يرسم في أحوال الناس المكونة صاحب هذا الدفتر . وفي الأساس : الوزير الدستور وولعت العامة في إطلاقه على معنى الإذن انتهى .

وإذا علم هذا فلا ينبغي أن يقال في القرآن : إنه دستورنا ؛ لأن القرآن لم يتزل لبيان قوانين الملك وضوابطه وإنما أنزل لبيان شرع الله وأحكامه وقد قال الله تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين

^(١) انظر : الرد القويم ص ٥٩ . وكتاب هذا المدعو هو (الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها) وقد جعله جزءين تصدى في الجزء الأول للطعن في بعض الصحابة والتابعين وفي بعض الأحاديث الصحيحة أو الحسنة بالشبه الباطلة . وتصدى في الجزء الثاني : للطعن في مائة وعشرين حديثاً في صحيح البخاري .

لا يعلمون ﴿^(١) وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل منكم جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ الآية ^(٤). وقال تعالى : ﴿ فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ ^(٦) فسمى الله تعالى القرآن حكماً عربياً وشرعية وشرعاً ومنهاجاً ونوراً وهدى ورحمة وفرقناً فلا ينبغي أن يعدل عن الأسماء التي سماه بها إلى اسم دخيل على اللغة العربية ولا علاقة له بالأحكام الشرعية ، وإنما يستعمل في قوانين الملك وضوابطه وألقاب كبار الوزراء عند بعض الأعاجم وأشباه الأعاجم . " ^(٧)

^(١) الجاثية : ١٨

^(٢) المائدة : ٤٨

^(٣) الرعد : ٣٧

^(٤) المائدة : ١٦

^(٥) الأنعام : ١٥٧

^(٦) البقرة : ١٨٥

^(٧) انظر: التنبيهات المهمة ص ٣، ١٣. وقد قال بنفس هذا المعنى للدستور والقانون أبو البقاء الكفوي في كتابه (الكليات) : ص ٤٥١ الدستور ، ص ٧٣٤ القانون . ويقول الشيخ أبو شهبه — يرحمه الله — في بحث له بعنوان : (فضل الشريعة الإسلامية على الشرائع السماوية السابقة ، والقوانين الوضعية " قال فيه : " أما القوانين فهي من وضع البشر ، ولفظ (القانون) أو (القوانين) عند الإطلاق ينصرف إليها . ولا يجوز أن يطلق عليها شرائع كما يفعل المسلمون ، ورجال القانون اليوم في مؤلفاتهم ومحاضراتهم . وكذلك لا يجوز ولا ينبغي أن نطلق على التشريعات الإسلامية اسم (القوانين) مهما كان من توافر حسن النية ؛ لما في هذا التعبير من اللبس والإهمال . انظر : المواضع في الإصطلاح على خلاف الشريعة وأفصح اللغى للشيخ بكر

والله اعلم :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله — في هذا المبحث يتمثل فيما يلي :

أولاً : فيما يتعلق ببيان أن القرآن كلام الله ﷻ نجده — يرحمه الله — قد بين أن القرآن كلام الله ﷻ وهو في ذلك متابع لجهود من سبقه وعاصره من العلماء ، و يقرر — يرحمه الله — ما عليه أهل السنة من التفريق بين التلاوة التي هي فعل العبد وبين المتلو الذي هو كلام الله . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فهو يبين حكم الجهمية عند كثير من العلماء ممن نص على تكفيرهم .

كما أننا نجده يقرر ما عليه أهل السنة من أن الله خالق العباد وأفعالهم ويدخل في ذلك حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم ، أما القرآن المتلو المثبت في المصاحف فهو كلام الله ليس بخلق ، وفيما يتعلق بمسألة قولهم (لفظي بالقرآن مخلوق) فهو يوضح أن اللفظية جهمية كما قرر الإمام أحمد .

أما ما نسب إلى الأئمة من القول بخلق القرآن فالشيخ ينبه على ذلك ، و يبين بطلان هذه النسبة ، و هو في نفس الوقت يدافع عن الأئمة — يرحمهم الله — و فيما يتعلق بفتنة القول بخلق القرآن فهو يذكر ما وقع من المأمون والمعتصم وأخيراً فهو ينبه على من ذهب إلى مذاهب مخالفة لأهل السنة في القرآن .

أبو زيد — وفقه الله — ص ١١٣ ؛ ومعجم المناهي اللفظية : ٤٣٥ . ويقال بعد ذلك كله أن استعمال الألفاظ والمسميات الشريعة هو الواجب سواء أكان ذلك في حق كتاب الله ﷻ أو في غيره من الأمور ، مع الإقرار بأنه قد يكون مصاحباً للإطلاق حسن النية ، ولكن حسن النية وحده لا يكفي كما هو معلوم . وما في كتاب الله ﷻ من مسميات فيه الكفاية والغنية عن غيرها من التسميات ، وهل هناك أفصح من كلام الله عز وجل القرآن الكريم !؟

ثانياً : فيما يتعلق بالتفسير فهو — يرحمه الله — يبين حرمة التفسير بمجرد الرأي ناقلاً لكلام العلماء في ذلك مشيراً في ثنايا حديثه إلى حال جمال الدين الأفغاني وتلاميذه في تفسير القرآن بالرأي المجرد . وهو مع ذلك كله يرد على من طعن في كتب التفسير النقلي كأمثال ابن خلدون .

ثالثاً : ما يتعلق بالقراءة وآدابها فهو ينبه على ما يفعله الكثير من الاهتزاز وتحريك الرؤوس عند القراءة وكون ذلك قد نقل عن اليهود عند قراءتهم للتوراة ، كما أنه يحذر من قراءة القرآن بلحون الغناء والأوضاع الموسيقية ، ونجده يذهب إلى القول بجواز القراءة بغير تجويد ، ويذم من يأخذ الأجرة على القراءة . و رده على من انتقص من قدر القرآن ، ومن زعم أن الحديث ينازع القرآن ، هذا كله مع رده ما نسب إلى القرآن من باطل .

وأخيراً : نجده يرد على زعم أن دلالة نصوص القرآن ظنية وهو في ذلك موافق لمن عاصره من العلماء ، كما أنه يرد على من افترى على الله تعالى وحمل الآيات ما لا تحتمله من المعاني .

و الشيخ — يرحمه الله — في ذلك كله يسير وفق منهج أهل السنة والجماعة ويقرر ما هم عليه ، بل ويدافع عن طريقتهم ومنهجهم .

البحث الثاني: بيانه منزلة السنة والرسول صلى الله عليه وسلم على الطائفتين فيها

يقول الله عز وجل في محكم التنزيل: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ^(١) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ ^(٢) إن هو إلا وحي يوحى ^(٣) ويقول عز وجل: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ ^(٤). وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: ﴿ ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ﴾ وفي رواية: ﴿ ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله عز وجل ﴾ ^(٥)

هذه الآيات والأحاديث تقرر أمراً هاماً وهو أن السنة النبوية الشريفة هي وحي من عند الله عز وجل وأنها مأمورون باتباعها كيف لا وهي المصدر الثاني من مصادر العقيدة و التشريع الإسلامي وقد ذكر النبي ﷺ بأنه سيكون هناك أقوام يزعمون أنهم متمسكون بالقرآن الكريم أما ماجاء في غيره فلا تعلق لهم

(١) الحشر : ٧

(٢) النجم : ٤

(٣) النساء : ٥٩

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم : ١٦٧٤٢ وهو بلفظ " لا يوشك رجل " ؛ وابن ماجه في المقدمة برقم : ١٢ ؛ وأبو داود في سننه برقم : ٤٦٠٤ ؛ والترمذي في العلم برقم : ٥٦٦٤ ، واللفظ هنا في سنن أبي داود ، وقال عنه الشيخ الألباني : صحيح كما في صحيح ابن ماجه برقم : ١٢ ، وصحيح سنن أبي داود برقم : ٣٨٤٨

به وبالفعل ظهرت هذه الأقوام كما أخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلوات ربي و سلامه عليه وهم قد كذبوا في زعمهم التمسك بالقرآن الكريم لأن الله عز وجل يأمر في القرآن الكريم باتباع ما جاء به النبي ﷺ بقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ^(١) لكن لما ظهرت الزنادقة والملاحدة ممن يظهرون الإسلام ويطنون الكفر الذين دخلوا في الإسلام وكان على طرف ألسنتهم فقط ، أرادوا الفرار من أحكام الإسلام وتعاليمه مع بقاء اسم المسلمين عليهم ؛ ولذلك توجهوا بهمتهم إلى إزالة واقتلاع كل ما يعترض طريقهم ويحول دون وصولهم إلى ما يصبون إليه فكانت السنة النبوية حاجزاً عظيماً وسداً منيعاً دون ما يأمّلون ، فأرادوا الحط من مكانتها وإنزالها غير المتزلة التي أنزلها الله تعالى من الهداية والتشريع والتبيين ، ولكن أنى لهم هذا ؟! وقد تكفل الله عز وجل بحفظ هذا الدين قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ^(٢) والذكر كما أنه يشمل القرآن الكريم فهو أيضاً يشمل السنة النبوية الشريفة المطهرة ^(٣) ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ ^(٤) . أضف إلى ذلك ما كان من المعتزلة الذين قدموا العقل وجعلوه حكماً ومهيماً على الوحي فهم يحاكمون نصوص الكتاب والسنة لعقولهم القاصرة فما وافق العقل أخذوا به وما خالفه تأولوه إن كان آية أو حديثاً متوتراً أما أحاديث الآحاد فإنهم يزعمون عدم العمل بها في باب الاعتقاد لأنها ظنية بزعمهم ، وخلفهم في ذلك معتزلة العصر الحاضر

^(١) الحشر : ٧ .

^(٢) الحجر : ٩٣ .

^(٣) انظر : الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ج ١ ص ١٠٩ - ١٢٢ ومقدمة في مصطلح الحديث لمحمد

ناصر الدين الألباني ص ١٦ - ٢٢

^(٤) الصف : ٨ .

وهم من يعرف بالعصرانيين وقد ظهرت أيضاً طائفة من يعرف بالقرآنيين^(١) هؤلاء جميعاً اشتركوا في طعنهم في السنة النبوية الشريفة وإن كانت أهدافهم قد اختلفت ولكن الله عز وجل قد قيض لهذه السنة النبوية الشريفة من أهل العلم والفضل من يدحض شبه هؤلاء ويرد عليهم باطلهم ويبين بالحجة والبرهان حجية السنة النبوية الشريفة فهي وحي من عند الله عز وجل وهي المصدر الثاني من مصادر العقيدة و التشريع الإسلامي .

وقد استمرت جهود أهل العلم في الذب عن سنة الهادي البشير إلى زماننا هذا . ولنتعرف على جهود شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — في هذا المبحث ، ولكن قبل ذلك لنستعرض نماذج من جهود العلماء السابقين والمعاصرين له ؛ ليتضح من خلال ذلك — بإذن الله تعالى — تميز ما قام به من جهد — يرحمه الله — .

جهود السابقين :

من هؤلاء العلماء السابقين لشيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع — ممن لهم جهدهم المشكور في بيان هذا المبحث :

الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٤٢هـ) يرحمه الله الذي قرر في معرض حديثه عن مكانة السنة من القرآن أن السنة لا تنسخ القرآن ولكن تفسره وتبينه يقول — يرحمه الله — : " وأما نسخ القرآن بالسنة ، فالذي عليه المحققون من العلماء ، أن السنة لا تنسخ القرآن ، لكن السنة تفسر القرآن وتبينه وتفصل مجمله : لأن الله امتن على أزواج نبيه بالكتاب والحكمة ، فقال :

^(١) هم جماعة ظهرت في الهند وباكستان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وهم ينادون بعدم الاحتجاج بالسنة في الأمور التشريعية ، وسموا أنفسهم (بأهل القرآن) لاكتفائهم بأخذ الأحكام من القرآن وحده دون السنة . انظر : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش .

﴿ واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾^(١) قال كثير من العلماء : كان جبرئيل ينزل على النبي ﷺ بالسنة ، كما ينزل عليه بالقرآن ، ولايسمون ذلك نسخاً ، بل تفسيراً له وتوضيحاً وتشريعاً للأمة ...^(٢)

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (١٢٨٥هـ) يرحمه الله موضحاً لمكانة الأحاديث النبوية الشريفة ، وأنها موافقة للقرآن الكريم ، ومفسرة لمجمله : " والأحاديث جاءت في هذا الباب كما جاءت الآيات مع زيادة تفسير في الحديث ، كما أن أحاديث الأحكام تجيء موافقة لكتاب الله ، مع تفسيرها لمجمله ، ومع مافيهها من الزيادة التي لاتعارض القرآن ، فإن الله أنزل على نبيه الكتاب والحكمة ... " ثم قال مبيناً المراد بالحكمة الواردة في الآية : " فالحكمة التي أنزل الله عليه مع القرآن وعلمها لأمته ، تتناول ماتكلم به في الدين من غير القرآن من أنواع الخبر والأمر ، فخبيره موافق لخبر الله وأمره ، فكأنه يأمر بما في الكتاب ، وبما هو تفسير ما في الكتاب ، وبما لم يذكر بعينه في الكتاب ... " ^(٣)

ويقول ولده الشيخ عبداللطيف (١٢٩٢هـ) — يرحمه الله — في أثناء كلامه عن السنة ومكانتها من القرآن الكريم وكونها مبينة للأحكام القرآنية : " وهنا أصول : أحدها : أن السنة والأحاديث النبوية هي المبينة للأحكام القرآنية ومايراد من النصوص الواردة في كتاب الله في باب معرفة حدود ماأنزل الله " ^(٤)

^(١) الأحزاب : ٣٤

^(٢) الدرر السنية : ١٢٤/٤

^(٣) الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وطريقته في تقرير العقيدة لخالد الغنيم : ١٨٦ .

^(٤) مجموعة الرسائل والمسائل : ١٢ / ٣ .

جهود المعاصرين :

من هؤلاء العلماء المعاصرين لشيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع — ممن كان لهم جهدهم المشكور في هذا المبحث :

الشيخ عبدالرحمن السعدي (١٣٧٦هـ) يرحمه الله الذي أوضح أن السنة النبوية هي وحي من عند الله تعالى لرسوله ﷺ، وأنه ﷺ معصوم فيما يخبر به عن ربه تعالى . يقول — يرحمه الله — في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيُ يُوحَى ﴾ ^(١) : " أي لا يتبع إلا ما أوحى إليه ، من الهدى والتقوى ، في نفسه وفي غيره . ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ ^(٢) ، وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه ، لأن كلامه لا يصدر عن هوى وإنما يصدر عن وحي يوحى . " ^(٣)

والشيخ حافظ الحكمي (١٣٧٧هـ) يرحمه الله الذي دافع عن السنة النبوية الشريفة ورد على من تناول على حديث الذبابة وزعم أن هذا الحديث مشكل وإن كان سنده صحيحاً ^(٤) . فرد عليه الشيخ بقوله : " لا إشكال في الحديث لكن عليك وعلى أمثالك ، وذلك لأنه شواظ من قبس السنة النبوية ولا يستضيء به إلا أهلها العاملون بها المنقادين لها ، الذابون عنها العاكفين عليها ، الراجعين عند الاختلاف إليها . أما زنادقة الأطباء فهم في معزل عن ذلك ولا يستضيئون به

^(١) النجم : ٤

^(٢) النساء : ١١٣ .

^(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٧٦٠

^(٤) وهو الطبيب محمد توفيق صدقي في كتابه سنن الكائنات ١/١٦٢

بل يحترقون بنوره . " ^(١) كما رد على قول هذا الطبيب : "مع التسليم بأن الرسول ﷺ قال هذا الحديث حقيقة ، فهو من أقواله في الأمور الدنيوية المحضة ، التي ليست في التشريع ، فينبغي عرض مثل هذه الأحاديث على العلم التجريبي فإن اتضح صحتها أخذ بها ، وإلا علم أنها مما قاله الأنبياء بحسب رأيهم ، وهم يجوز عليهم الخطأ في مثل ذلك " .

فأجاب الشيخ بقوله : " وأما قولك في سنة النبي ﷺ إنها تمحص وتعرض على العلم والتجربة ، واستدلالك بهذا الحديث المشتبه الذي تشهد حروفه أنه قد صح عن الصادق المصدوق ﷺ ، وأنت لم تصب تأويله ولم توفق لفهم مدلوله ، وأين أنت من قول الله ﷻ ﴿ ماضل صاحبكم وماغوى ﴾ وماينطق عن الهوى ﴿ ٥٠ ﴾ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ^(٢) . وقوله ﷺ : ﴿ أوتيت القرآن ومثليه ﴾ ^(٣) فأني علم أصح من الوحي حتى يعرض عليه ، وأي منهج أقوم من منهجه حتى يصار إليه ... " ^(٤)

والشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ) يرحمه الله حيث تكلم في تفسيره لسورة النحل عند قوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما يتزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ ^(٥) عن مسألة نسخ القرآن بالسنة وخلاف العلماء فيها بقوله — يرحمه الله — : " الذي يظهر لي والله تعالى أعلم

^(١) الشيخ حافظ الحكمي حياته ومنهجه في تقرير العقيدة لأحمد المدخلي : ٢٦٥ في معرض رده على تعليق لمحمد ابن عبدالعزيز الخولي المدرس بقسم التخصص في القضاء الشرعي على سبيل السلام ٢٩/١ — ٣٠ إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٤هـ

^(٢) النجم : ٢ — ٤ .

^(٣) أخرجه أحمد برقم : ١٦٥٤٦ ، وأبو داود في السنة برقم : ٣٩٨٨ بلفظ ﴿ الكتاب ﴾ . وقال عنه الألباني : صحيح كما في صحيح سنن أبي داود برقم : ٣٨٤٨ .

^(٤) المصدر السابق : ٢٦٧ .

^(٥) النحل : ١٠١ .

هو أن الكتاب والسنة كلاهما ينسخ الآخر؛ لأن الجميع وحي من الله تعالى... ومثال نسخ الكتاب بالسنة : نسخ آية عشر رضعات تلاوة وحكماً بالسنة المتواترة... " (١)

ثم لنتناول بعد ذلك جهود شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — في هذا المبحث

جهود الشيخ حمود:

المتأمل لمنهج الشيخ حمود — يرحمه الله — في الدفاع عن مصادر العقيدة يللمس مدى عنايته بمسألة بيان منزلة السنة والرد على الطاعنين فيها وقد ضمن ذلك في الكثير من كتابته ويتضح ذلك — بإذن الله تعالى — من خلال تناول النقاط التالية :

(١) دفاعه عن النبي ﷺ برد ما اتهم به ﷺ، وما نسب إليه من باطل ومافيه انتقاص للرسول ﷺ وبيان أنه من الردة عن دين الله عز وجل والعياذ بالله تعالى (٢) (٣)

(١) أضواء البيان : ٣ / ٣٦٧

(٢) انظر مؤلفات الشيخ : الرد على من أجاز حلق اللحية : ص ١١ الرد على اتهام النبي ﷺ بأنه كان يأخذ من لحيته وص ٢٢ اتهامه بأنه لبس النعال التي لها شعر ؛ وإيضاح المحجة ص ٥٥ لم يؤثر عن النبي ﷺ أنه سمى البترول ذهباً ومن قال ذلك فقد تقول عليه ﷺ ؛ وتبرئة الخليفة العادل ص ٣٨ الرد على من ظن أن النبي ﷺ رخص في الغناء وص ٥٥ الكذب على النبي ﷺ بأنه قد روي عنه أنه كان يستمع إلى الغناء والموسيقى ويحضر مجالسها البريئة من المحرم والمجون وص ٥٦ الرد على نسبة تحليل الغناء للنبي ﷺ وص ٧٥ الرد على زعم أن النبي ﷺ لم يعترض على مافي شعر كعب بن زهير وحسان بن ثابت من غزل وتشبيب وبيان أنه ليس في شعرهما هذا أصلاً ؛ وذيل الصواعق ص ٢١٦ الرد على من زعم أن النبي ﷺ أعلن هذه الخرافات الجهمية الحقيرة من أن الأرض والقمر كان لهما منذ خلقا أحقاب طويلة وملايين من السنين وأنها كانا شديدي الحرارة في أول الأمر ثم بردا ؛ والاحتجاج بالأثر ص ٥٧ بيان أن النبي ﷺ لم يأمر أمته بالتقاتل على التصديق بالمهدي والتكذيب به ولم يأذن لهم في ذلك بل إنه نهي عن سفك الدماء بغير حق وشدد في ذلك

(٣) وانظر : الانتصار على من أزري بالنبي والمهاجرين والأنصار ص ٤ الرد على من زعم أن النبي ﷺ بدوي وبيان أن ذلك من الزدراء بالنبي ﷺ والانتقاص له وهذا مما عده أهل العلم من الكفر والعياذ بالله ؛ وتبرئة

ومن ذلك قوله — يرحمه الله — : " أما بعد فقد رأيت مقالاً (لعبدالله السعد) ^(١) نشر في جريدة البلاد عدد ١٩٩٣ وتاريخ ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٨٥هـ — ، زعم فيه أن النبي ﷺ بدوي ، وأن الخلفاء الراشدين والصحابة قوم من البدو . وهذا خطأ ظاهر وغلط فاحش ، وقول باطل معلوم البطلان بالضرورة عند كل عاقل شم أدنى رائحة من العلم . ولا يصدر هذا القول عن رجل يعلم مايقول .. إذ من المعلوم أن النبي ﷺ ولد في مكة ونشأ بها إلى أن تم له ثلاث وخمسون سنة ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة وتوفي بها صلوات الله وسلامه عليه فهو حضري لا بدوي ... ولا يخفي ما في مقال عبدالله السعد من الإضرار برسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين وسائر المهاجرين والأنصار والغض منهم ، لأن البداوة صفة نقص بالنسبة إلى الحضارة ، ولهذا مابعت الله نبياً إلا من أهل القرى ولم يبعث نبياً من البادية ... وفي هذه الأحاديث دليل على أن البداوة صفة نقص . ومع هذا يتجرأ (عبدالله السعد) فيصف النبي ﷺ بالبداوة ويصف بذلك الخلفاء الراشدين وسائر المهاجرين والأنصار الذين كانوا ساكنين في المدن والقرى . أما يخشى عبدالله السعد أن يكون مرتدّاً عن الإسلام من أجل استخفافه بالنبي ﷺ وإزرائه به وبالمهاجرين والأنصار وهو لا يشعر فقد ذكر ابن حجر الهيتمي في كتاب الزواجر : أن من استخف بالرسول ﷺ أو استهزأ

الخليفة العادل ص ٨٥ الرد على قول العطار : (من لم يتأثر برقيق الأشعار تتلى بلسان الأوتار على شطوط الأنهار فهو جلف الطبع حمار) وبيان أن ذلك يلحق بالنبي ﷺ والصحابة ﷺ ؛ إتحاف الجماعة : ٣ / ١٣٩ ما يلزم على قول أبي عبيدة في مسألة رفع عيسى عليه السلام من أن النبي ﷺ قد أخبر بأشياء لاحقيقة لها في نفس الأمر وهذا يقتضي القدح في النبي ﷺ ورميه بالكذب وقد نقل القاضي عياض في الشفا والهيتمي في الزواجر الإجماع على تكفير من نسب إلى النبي ﷺ ما لا يليق بمنصبه ؛ الاحتجاج بالأثر ص ٥٣ يبان أن تبرئة النبي ﷺ مما ثبت عنه بنقل الثقات من أبطل الباطل وهو يعنى التهجم على الأحاديث الصحيحة ومقابلتها بالرد والاطراح .

(١) كان وزيراً للمواصلات في ذلك الوقت وكتب ذلك المقال في الصحيفة فرد عليه الشيخ .

به أو بشيء من أفعاله كلحس الأصابع أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو فعله أو عرض بذلك أو شبهه بشيء على طريق الإزراء أو التصغير لشأنه أو الغض منه يكفر إجماعاً انتهى ^(١) " ^(٢). ومن ذلك رد الشيخ — يرحمه الله — على من قال : " روي عن النبي ﷺ ثم عن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء الأجلاء — وهم أجل وأكثر ورعاً من فقهاء هذا الزمان — أنهم كانوا يستمعون إلى الغناء والموسيقى ويحضرون مجالسهما البريئة من المحرم والمجون . " قال الشيخ : " فجوابه أن يقال : هذا كذب على النبي ﷺ وعلى الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء الأجلاء . فما كان أحد منهم يستمع إلى الغناء المحرم والموسيقى ويحضر مجالسهما " ^(٣)

(٢) دفاعه عن الحديث النبوي الشريف كما في قوله : " كل حديث ثبت إسناده فنسبته إلى النبي ﷺ صحيحة ويجب على كل مسلم قبوله لقول الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ^(٤) ولا يجوز رده لقول الله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ ^(٥) قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : " كل ما جاء عن النبي ﷺ إسناده جيد أقررنا به ، وإذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ " ^(٦) " ^(٧)

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر : ١ / ٥٥

(٢) الانتصار على من أزري بالنبي والمهاجرين والأنصار : ٤ — ١٠

(٣) الرسالة البديعة في الرد على أهل المجلة الخليعة : ٥٥

(٤) الحشر : ٧ .

(٥) الأحزاب : ٣٦ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) الحشر : ٧

وقال الموفق أبو محمد المقدسي في كتابه "لمعة الاعتقاد" : " ويجب الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ﷺ وصح به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا؛ نعلم أنه حق وصدق. (١) " (٢)

(٣) بيان أن الشيخين — البخاري ومسلم رحمهما الله — لم يستوعبا إخراج الأحاديث الصحيحة في صحيحيهما ولا التزاما بذلك. يقول الشيخ — يرحمه الله — في بيان أوجه الرد على من زعم أن أحاديث المهدي لم يأخذها البخاري ومسلم ، ولم يدخلها في كتبهما ؛ لعدم ثبوتها عندهما : "الوجه الثاني : أن يقال : إن الشيخين لم يستوعبا إخراج الأحاديث الصحيحة في صحيحهما ولا التزاما بذلك ، وقد قال الحافظ ابن حجر في أول مقدمة فتح الباري : روى الإسماعيلي عنه — أي عن البخاري — أنه قال : " لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحاً وماتركت من الصحيح أكثر " (٣) . وقال مسلم في صحيحه في آخر "باب التشهد في الصلاة" : " ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه . " (٤)

ويقول الشيخ — يرحمه الله — : " الوجه الثالث : أن يقال ما صححه بعض أهل العلم بالحديث مما رواه غير الشيخين فهو كثير جداً وقد يكون أكثر مما في الصحيحين وهو متلقى بالقبول عند أهل العلم . ومن أجمع الكتب للأحاديث الصحيحة بعد الصحيحين موطأ الإمام مالك . وفي مسند الإمام أحمد من الأحاديث الصحيحة شيء كثير جداً . وكذلك في السنن الأربعة . " ثم يرد مستنكراً على من يرد الأحاديث الصحاح التي لم ترد في الصحيحين ،

(١) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لمحمد بن عثيمين : ١٠١

(٢) إتحاف الجماعة : ٢٧٢/٣ .

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر : ٩ .

(٤) صحيح مسلم : ١ / ح ٤٠٤ .

ويقول: " وإذا علم أن الأحاديث الصحيحة في غير الصحيحين كثيرة جداً وأن أهل العلم كانوا يتلقونها بالقبول وإن كانت في غير الصحيحين . فهل يقول عاقل له أدنى علم و معرفة أنه يسوغ ردها أو رد شيء منها وعدم الاحتفال بها — أي عدم المبالاة بها — حيث لم يأخذ بها البخاري ومسلم ولم يدخلها في صحيحهما . لا أظن عاقلاً يقول بهذا القول الباطل ... " (١)

ويقول — يرحمه الله — في موضع آخر: " أما إعراض بعض المحدثين عن إثبات بعض الأحاديث في كتبهم عن أهل البيت فليس فيه دليل على ضعف أحاديث المهدي كلها وليس فيها حجة لمن تهجم على أحاديث المهدي وقابلها بالرد والإنكار زاعماً أنها كلها ضعيفة ، وما أكثر الأحاديث التي لم يذكرها البخاري ومسلم والنسائي والدارقطني والدارمي وهي مع ذلك صحيحة ، وفي موطأ مالك ومسند أحمد وسنن أبي داود وابن ماجة وجامع الترمذي وصحيح ابن خزيمة وابن حبان ومستدرك الحاكم وغيرها من المسانيد والمستخرجات والمعاجم شيء كثير من الأحاديث الصحيحة . ولا أظن عاقلاً يقول : إن ما لم يذكره البخاري ومسلم والنسائي والدارقطني والدارمي في كتبهم فإنه لا يكون صحيحاً لما يترتب على ذلك من إبطال كثير من السنن . " (٢)

٤) تعقبه على من رد بعض الأحاديث الصحيحة لمخالفتها لرأيه، أو أسقط بعضها لمخالفتها العقل والرأي ومن ذلك قول الشيخ — يرحمه الله — : " الوجه الخامس : مما يقدح في ابن حزم رده لبعض الأحاديث الصحيحة التي تخالف رأيه وحكمه عليها بالوضع بدون مستند صحيح ومن ذلك رده لما رواه البخاري في صحيحه من حديث عبدالرحمن بن غنم الأشعري رضي الله عنه قال : حدثني أبو عامر — أو أبو مالك — الأشعري رضي الله عنه والله ما كذبتني سمع النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: ٥٩ — ٦٢

(٢) المصدر السابق: ٧٧ — ٧٨

يقول: ﴿ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف﴾^(١) قال ابن حجر الهيتمي: إن ابن حزم حمله تعصبه لمذهبه الفاسد الباطل في إباحة الأوتار وغيرها إلى الحكم على هذا الحديث وكل ماورد في الملاهي بالوضع وقد كذب في ذلك وافتري على الله وعلى نبيه وشريعته. كيف وقد صرح الأئمة الحفاظ بتصحيح كثير من الأحاديث الواردة في ذلك...^(٢) " (٣) (٥) كما أنه استنكر على من طعن في كتب السنة النبوية، والمتمسكين بها. كما في قوله — يرحمه الله — : " ومن أعظم المنكرات الاستخفاف بكتب الحديث وغيرها من كتب أهل السنة وتسميتها بالكتب الصفراء وتسمية المتمسكين بالسنة الرجعيين وتسمية أعداء الله التقدميين وهذا لا يصدر إلا من منافق مبغض للقرآن والسنة وأهل السنة... " (٤)

(٦) ومن خلال رده على من طعن في الأحاديث الصحيحة حيث يقول — يرحمه الله — : " وأما قوله — يعنى الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود — " أن ابن سبأ هو وشيعته يعملون عملهم في صياغة الأحاديث ووضعها على لسان رسول الله بأسانيد منظمة عن أهل القبور ، وأخذوا في نشرها في مجتمع الناس " (٥) فجوابه من وجوه أحدها أن أقول : إني لم أر أحداً من المحدثين ولا من أهل

(١) أخرجه البخاري في الأشربة : باب فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه .

(٢) انظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر : ٢ / ٤٦٠ . والكلام هنا منقول بالمعنى لا بالنص . و عبارة ابن حجر الهيتمي هي : " و من عجيب تساهل ابن حزم و اتباعه لهواه أنه بلغ به التعصب إلى أن حكم على هذا الحديث و كل ما ورد في الباب بالوضع ؛ و هو كذب صراح منه ؛ فلا يحل لأحد التعويل عليه في شيء من ذلك " .

(٣) انظر : الرد الجميل : ٢٩ مما يقدح في ابن حزم رده لبعض الأحاديث الصحيحة التي تخالف رأيه وحكمه عليها بالوضع بدون مستند صحيح وإتحاف الجماعة ٣ / ٢٧٧ الرد على أبي عبيدة في إسقاطه لحديث أبي رزین بغير حجة مجرد مخالفته لعقله ورأيه .

(٤) القول المحرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ١٢٨ .

(٥) لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر : ٤ .

التاريخ والسير نقل عن ابن سبأ أنه تكلم في المهدي بشيء فضلاً عن صياغة الأحاديث في ذلك ووضعها على لسان رسول الله ﷺ ونشرها في مجتمع الناس . ولو وقع شيء من ذلك لنقله أهل العلم بالرجال ولذكروه في كتب الموضوعات كما فعلوا ذلك في أحاديث الوضعين فإنهم قد نبهوا عليها وذكروا مع كل حديث موضوع اسم الرجل الذي وضعه ... " (١)

ويقول الشيخ — يرحمه الله — في موضع آخر : " وأما قول ابن محمود كما أنه ليس له ذكر في القرآن مما يقلل عدم الاحتفال بها . فجوابه أن يقال : لو كان عدم ذكر الشيء في القرآن يقلل الاحتفال بالأحاديث الواردة فيه — أي يقلل المبالاة بها — لذهبت السنة أو أكثرها وقد قال الله تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٣) وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ﴾ (٤) " (٥) . (٦)

(١) الإحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر : ٣٤

(٢) الحشر : ٧ .

(٣) النجم : ٣ — ٤ .

(٤) سبق تخريجه ، انظر : ص ١٢٣ .

(٥) الإحتجاج بالأثر : ٦٨

(٦) وانظر : إتحاف الجماعة : ١ / ٤٦ دفاعه عن حديث أبي ذر : ﴿ كيف أنت يا أبا ذر وموتاً يصيب الناس ﴾ و ٣٣٦ / ٢ دفاعه عن حديث فاطمة بنت قيس عن الجساسة والدجال وص ٣٤٣ الرد على طعن أبي عبيدة في حديث أبي بكرة عن أبوي الدجال وص ٣٦٤ الرد على قدح أبي عبيدة في حديث جابر عن الدجال و ٥٤ ، ٥٨ / ٣ الرد على كلام أبي عبيدة في حديث أبي أمامة عن الدجال وخروجه وص ٦٢ رد أبو عبيدة لما ورد في حديث سمرة بن جندب عن الدجال وص ١١٠ الرد على زعم أبي عبيدة أن حديث حذيفة بن اليمان ﷺ عن الدجال حديث خرافة و ص ٢٦٤ الرد على قدح أبي عبيدة في حديث الصور الطويل حيث زعم بأنه بعيد أن يصدر من رسول الله ﷺ ؛ وفتح المعبود ص ٦٧ الرد على زعم ابن محمود بأن حديث أبي هريرة ﷺ في محاجة آدم وموسى عليهما السلام بأنه من مشكل الآثار وص ١٤٨ الرد على تضعيفه للأحاديث التي ورد فيها عدد الأنبياء وزعمه بأنه يخالف بعضها بعضاً وكلها من الضعاف التي لا يحتج بها كما زعم ؛

(٧) رده على من أنكر ما ورد في الأحاديث الصحيحة أو صرفها عن ظاهرها إلى تأويل مذموم أو صَحَّف بعضها . ومنه قول الشيخ — يرحمه الله — :

" وقد قدح أبو عيبة في حديث جابر الذي تقدم ذكره في أول الباب ^(١) ، وقرر عدم صحته بغير حجة يستند إليها بل بمجرد رأيه وماتمبل نفسه إليه من القدح في الأحاديث الصحيحة والغض من شأنها ، ثم زعم في عنوان وضعه في (ص ١٠٤) أن الأحاديث الواردة في ابن صياد ^(٢) مرويات مرفوضة لاتصدق عقلاً ، وليس بمعقول صدورها عن الرسول ﷺ وقال في حاشية

(ص ١٠٤) : "إن ابن صياد خرافة جازت على بعض العقول فعاشت قصتها في بعض الكتب منسوبة إلى الرسول ... " إلى آخر كلامه . والجواب أن يقال : قد وردت في شأن ابن صياد أحاديث كثيرة ، منها ماهو في الصحيحين ومنها ماهو في أحدهما ، ومنها مارواه الإمام أحمد وغيره من الأئمة بأسانيد جيدة ، وقد ذكرت من ذلك مافيه كفاية في رد ما توهمه أبو عيبة ومن على شاكلته من المخرفين الذين لايعبؤون بالأحاديث الصحيحة ولايقيمون لها وزناً ، ولايرفض الأحاديث الواردة في ابن صياد وينفي صدورها عن النبي ﷺ إلا أصحاب القلوب السقيمة والعقول التي ليست بمستقيمة ، فأما أصحاب

والإحتجاج بالأثر : ١٨ دفاعه عن أحايث خروج المهدي والرد على ابن حمود في تضعيفه لهذه الأحاديث وص ٢٧ بيان شهرة هذه الأحاديث عند أهل السنة والجماعة .

^(١) يعني به حديث جابر بن عبدالله ﷺ الطويل : أنه قال : إن امرأة من اليهود ولدت غرماً ممسوحة عينه ، طالعة ناتئة ، فأشفق رسول الله ﷺ أن يكون الدجال ، فوجده تحت قطيفة يهيمهم ، فأذنته أمه ، فقالت : يا عبدالله ! هذا أبو القاسم قد جاء ؛ فأخرج إليه ، فخرج من القطيفة ، فقال رسول الله ﷺ :

﴿ ما لها قاتلها الله لو تركته لبين ﴾ ... الحديث رواه الإمام أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين وانظر : إتخاف الجماعة ٢ / ٣٤٤ .

^(٢) هو من سبقت الإشارة إليه ، وكان يظن أنه المسيح الدجال ، ولذا ذهب النبي ﷺ إليه لما سمع به كما جاء في الحديث السابق .

القلوب السليمة والعقول المستقيمة ؛ فإنهم يصدقون بها وبكل ما صحت أسانيده إلى النبي ﷺ ، ولا يعترضون على شيء منها بمجرد الآراء والتخرصات .^(١)

٨) وأخيراً دفاعه عن بعض السنن الثابتة عن النبي ﷺ والتي تعرضت في عصره للهجوم عليها ، ومن ذلك دفاعه عن سنة إعفاء اللحية حيث يقول — يرحمه الله — : " الشبهة الثانية : قول بعض أعداء السنن أن توفير اللحية يحدث عنه خفة في العقل . والجواب أن يقال لهؤلاء الحمقى بل الأمر بالعكس والواقع شاهد بأن أهل اللحية أوفر عقولاً في الغالب وأكثر رزانة وأعظم مهابة وجلالة من غيرهم وأئمتهم في ذلك الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهم أعقل الناس على الإطلاق وأكثرهم وقاراً ورزانة وأعظمهم مهابة وجلالة . وهذا مما لا يشك فيه مسلم وسيد الأنبياء بل سيد بني آدم كلهم محمد ﷺ . كان كث اللحية ضخماً عظيمها وكان مع ذلك أعقل الناس وأوقرهم وأرزنهم وأعظمهم عزاً ومهابة وجلالة وكان يشبه أباه إبراهيم خليل الرحمن

^(١) إيضاح المحجة : ٤٤ حديث ﴿ لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ﴾ ؛ إتحاف الجماعة : ٣٧٤/٢ الرد على إنكار أبي عبيدة ماورد في الأحاديث من كون التسييح والتكبير والتحميد يقوم للمؤمنين مقام الطعام في آخر الزمان و ١٣/٣ الرد على إنكار أبي عبيدة لصفة حمار الدجال الواردة في الحديث وص ٣٨ الرد على زعمه بأنه يجب صرف حديث أبي سعيد المتفق على صحته في خروج الدجال ومجيئه إلى المدينة عن ظاهره إلى التأويل وص ٤٤ الرد عليه في إنكار أن تكون الجنة والنار التي مع الدجال على الحقيقة و ص ٦٢ رد أبو عبيدة لما ورد في حديث سمرة بن جندب عن الدجال وص ٨٤ الرد على كلام باطل لأبي عبيدة في تأويل قتل ابن مريم عند باب اللد و ص ١١٥ الرد على تصحيحه لحديث أبي هريرة ؓ وفيه : ﴿ وتذهب حمة كل ذات حمة ﴾ جعلها ﴿ حمة كل ذات حمة ﴾ وقال أي الشعر المجموع في مقدمة الرأس و ص ٢٠١ الرد على تأويله لسجود الشمس تحت العرش بأنه كناية عن تمام انقيادها لأمره واستجابتها له سبحانه و ص ٣٥٦ الرد على تصحيحه لحديث ثوبان لأهل اليمن . .

صلوات الله وسلامه عليهما . فهل يقول أعداء اللحى أن الأنبياء كانوا من أخف الناس عقولاً بسبب توفير اللحى أو يستثنوهم " (١) .

ويقول — يرحمه الله — في موضع آخر : " أن الاستهزاء بالذين يعفون اللحى يستلزم الاستهزاء بالنبي ﷺ لكونه إمام المعفين وقدوتهم وهم إنما أعفوا لحاهم امتثالاً لأمره واتباعاً لهديه صلوات الله وسلامه عليه . والاستهزاء بالنبي ﷺ كفر لا شك فيه قال الله تعالى : ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ (٢) " (٣) . (٤)

(١) دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر : ٦٦ — ٦٧

(٢) التوبة : ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) دلائل الأثر : ٧٧ ؛ وانظر الإيضاح والتبيين : ١٨٥ — ١٩٠ دفاعه عن سنة لعق الأصابع والصفحة وإيراد كلام الشيخ أحمد شاكر في الدفاع عن ذلك ؛ ودلائل الأثر ص ٦٥ دفاعه عن سنة اللحية وص ٧٥ عن سنة تقليم الأظافر و ص ٧٧ بيان أن الاستهزاء بالذين يعفون اللحى يستلزم الاستهزاء بالنبي ﷺ لكونه إمام المعفين وقدوتهم والاستهزاء بالنبي (كفر لاشك فيه والرد على من أجاز حلق اللحية ص ٦ بيان أن المبتدع هو من أفتي بجواز حلق اللحية لامن أمر بإعفائها وص ٧ بيان أن حلق اللحية من المحدثات في منتصف القرن السابع من فرقة من فرق الصوفية وص ٩ بيان عدم جواز مخالفة الهدي بعد معرفته و ص ٣٢ ، ٣٣ ، بيان ، أن إعفاء اللحية من الدين .

(٤) دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر : ٧٧ . وقد : سئل الشيخ محمد العثيمين — يرحمه الله — عن أن بعض الناس يسخرون بالملتزمين بدين الله ويستهزئون بهم فما حكم هؤلاء ؟ فأجاب بقوله : هؤلاء الذين يسخرون بالملتزمين بدين الله المنفذين لأوامر فيههم نوع نفاق لأن الله قال عن المنافقين : ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ ثم إن كانوا يستهزئون بهم من أجل ما هم عليه من الشرع فإن استهزاءهم بهم استهزاء بالشرعية والاستهزاء بالشرعية كفر ، أما إذا كانوا يستهزئون بهم يعنون أشخاصهم وزيههم بقطع النظر عما هم عليه من اتباع السنة فإنهم لا يكفرون بذلك لأن الإنسان قد يستهزئ بالشخص نفسه بقطع النظر عن عمله وفعله لكنهم على خطر عظيم " . المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الجزء الأول : فتاوى العقيدة جمع وترتيب : فهد بن ناصر السليمان : ١ / ٧٥ .

والله اعلم :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله — في هذا المبحث يتمثل فيما يلي :

في دفاعه عن النبي ﷺ برده ما اتهم به النبي ﷺ وما نسب إليه من باطل موضحاً أن انتقاص النبي ﷺ ردة عن دين الله ﷻ .

كما أنه يدافع عن الحديث النبوي الشريف مع تقريره أن ما ثبت سنده وجب قبوله والعمل به ، ومن جهة أخرى فهو يرد على شبهة من زعم أن كل ما ليس في الصحيحين من الأحاديث فهو ليس بصحيح ، مع دفاعه في نفس الوقت عن الصحيحين .

و هو يعقب على من رد بعض الأحاديث الصحيحة لمخالفتها لرأيه وعقله ، ويستنكر على من طعن في كتب السنة النبوية والمتمسكين بها ، ونجد هذا الدفاع في رده على من طعن في الأحاديث الصحيحة ، بإنكار ما ورد فيها أو صرفه عن ظاهره .

وأخيراً نجده — يرحمه الله — يدافع عن بعض السنن الثابتة التي تعرضت للهجوم عليها .

البحث الثالث في تقريره (الاحتجاج بأحاديث والآحاد في إثبات الثنائيات)

تنقسم السنة باعتبار طريقة وصولها إلينا إلى متواتر وآحاد فأما المتواتر فهو في اللغة: مجيء الواحد بعد الواحد بفترة بينهما، وهو مأخوذ من الوتر ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ ^(١) أي واحداً بعد واحد بينهما فترة. ^(٢) وفي الاصطلاح: خبر جمع يستحيل عادة وعقلاً تواطؤهم على الكذب لكثرتهم أو ثقتهم عن أمر محسوس، أو عن جمع مثلهم إلى أن ينتهي إلى محسوس من مشاهدة أو سماع، وهنا ينتهي الخبر إلى السماع عن رسول الله ﷺ ومشاهدة أفعاله أو إقراره. والمتواتر يفيد العلم اليقيني.

وأما حديث الآحاد فهو في اللغة: خبر الواحد. وفي الاصطلاح: ما لم يجمع شروط التواتر وقد ينفرد به واحداً فيسمى غريباً ^(٣)، وقد يرويه اثنان فأكثر

^(١) المؤمنون: ٤٤

^(٢) انظر: تاج العروس للزبيدي ٥٩٦/٣، ولسان العرب: ٢٧٥/٥.

^(٣) الغريب: ما ينفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند، وينقسم إلى: فرد مطلق وهو أن تكون الغرابة في أصل السند، والثاني: الفرد النسبي: وسمي نسبياً لكون التفرد فيه حصل بالنسبة إلى شخص معين، وإن كان الحديث في نفسه مشهوراً انظر: نزهة النظر ٧٨ — ٨١.

فيسمى عزيزاً^(١)، وقد يستفيض بأن يرويه جماعة فيكون مشهوراً أو مستفيضاً^(٢). وعلى هذا فلا يفيد وصفه بأنه حديث آحاد أنه مروي عن واحد دائماً^(٣). وقد وقع الخلاف بين العلماء فيما يتعلق بالغريب من خبر الآحاد وهل يفيد اليقين أو لا يفيد إلا الظن ولعلماء أصول الفقه في ذلك ثلاثة مذاهب^(٤):

المذهب الأول :

وهو مذهب جماهير الأصوليين : أن أخبار الآحاد إنما تفيد الظن فقط ولا تفيد اليقين . ومن أهم أدلة أصحاب هذا القول :

١ — إنك لو سئلت عن عدل رواة خبر الآحاد أيجوز في حقه الكذب والغلط لاضطرت أن تقول : نعم فيقال : قطعك إذن بصدقه مع تجوزك عليه الكذب والغلط لامتني له ٢ — وقالوا: لأنا نعلم ضرورة أنا لانصدق كل خبر نسمعه .
٣ — أنه لو أفاد العلم لأدى إلى تناقض المعلومين ، فيما لو أخبر ثقة آخر بضد ما أخبر به الأول .

٤ — ومن أدلتهم أنه لو أفاد العلم ، لوجب الحكم بالشاهد الواحد من غير حاجة إلى شاهد آخر ، ومن غير افتقار إلى تزكية .

(١) العزيز : أن لا يرويه أقل من اثنين عن اثنين وسمي بذلك إما لقلة وجوده أو لكونه عز وقوي بمحيته من طريق أخرى . انظر : الترهة ٦٤

(٢) المشهور عند الحديثين : ماله طرق محصورة بأكثر من اثنين وسمي بذلك لوضوحه ، وهو المستفيض على رأي جماعة من الفقهاء سمي بذلك لانتشاره ومن فاض الماء أي يفيض فيضاً وهما مترادفان . انظر : الترهة ٦٢ .

(٣) انظر : نزهة النظر للحافظ ابن حجر ص ٢٠ ومقدمة في مصطلح الحديث للألباني ص ١٤ وخبر الواحد وحجته لأحمد الشنقيطي

ص ٥٦ وما بعدها وأخبار الآحاد في الحديث النبوي حجيتها مفادها العمل بموجبها لعبدالله بن جبرين .
(٤) هذا المبحث من ص ١٤٥ — ١٥٠ استفدته من كتاب خبر الواحد وحجته لأحمد بن عبد الوهاب الشنقيطي من ٦٧ — ١٢٢ وهي رسالة علمية في أصول الفقه وقد نقلت منه بتصريف ، و انظر : مذكرة في أصول الفقه لحمد الأمين الشنقيطي من ص ١٢٢ وما بعدها .

المذهب الثاني :

أنه يفيد اليقين إن كان الرواة عدولاً ضابطين وهو مأذهب إليه الإمام أحمد — يرحمه الله — في إحدى الروايتين عنه واختارها جماعة من أصحابه منهم ابن أبي موسى وغيره، وهو أحد الروايتين عن الإمام مالك — يرحمه الله — واختاره جماعة من أصحابه منهم محمد بن خويز منداد. واختار هذا القول الحارث المحاسبي، وهو قول جمهور أهل الظاهر، وجمهور أهل الحديث . وقد قال الإمام ابن القيم — يرحمه الله — : " فممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة وداود بن علي وأصحابه كأبي محمد بن حزم ونص عليه الحسين بن علي الكرايسي، والحارث بن أسد المحاسبي ".
وللقائلين بإفادة خبر الواحد العدل العلم أدلة من أهمها:

١ — قول الله تعالى: ﴿ فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ فقد أمر تعالى بأن تنفر من كل فرقة طائفة لتتفقه في الدين، وتنذر قومها إذا رجعت إليهم، وذلك يقتضي وجوب قبول إنذارها، ولفظ الطائفة — في لغة العرب التي بها خوطبنا — يقع على الواحد فصاعداً، وطائفة من الشيء بمعنى بعضه، هذا ما لا خلاف فيه بين أهل اللغة .

٢ — قوله تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ وقال : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ ﴾ ، وقال النبي ﷺ : ﴿ بلغوا عني ﴾ فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة الله على العباد، فإن الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم. وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم الحجة على من بلغه .

٣ — وأيضاً فإن الله تعالى يقول: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ فصح أنه عليه السلام مأمور ببيان القرآن للناس وفي هذا القرآن مجمل كثير كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما لانعلم مما أَلزَمنا الله تعالى فيه بلفظه، لكن بيان رسول الله ﷺ، فإذا كان بيانه ﷺ لذلك المجمل غير محفوظ ولا مضمون سلامته مما ليس منه، فقد بطل الانتفاع بنص القرآن، فبطلت أكثر الشرائع المفترضة علينا فيه.

٤ — ماتواتر من بعث النبي ﷺ أمراءه وسعاته إلى البلاد المفتوحة لتعليم أهلها الدين وأحكام الشرع ولأخذ الزكاة. ومعلوم أنه ﷺ لم يبعث إلا من تقوم به الحجة، فكانوا يقبلون من كل واحد منهم ما يعلمه من القرآن وأحكام الدين، ولا خلاف أن رسول الله ﷺ إنما بعث من بعث من رسله إلى الآفاق لينقلوا إليهم عنه القرآن والسنة والشرائع. ومعلوم أن من أهم أمور الدين إنما هو العقيدة، فهي أول شيء كان الرسل يدعون الناس إليه ويدل لذلك ما أخرجه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معاذاً رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ قال: ﴿إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...﴾ وفي حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ: أمرهم بالإيمان بالله وحده... الحديث فهذان حديثان دالان على وجوب الأخذ بالآحاد في العقائد، وذلك مما يقتضي العلم عند الجمهور.

٥ — اتفاق الصحابة والتابعين على أن من نزلت به النازلة منهم سأل صاحب عنها وأخذ بقوله فيها بروايته له من النبي ﷺ فصح بها إجماع الأمة كلها على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ. وأيضاً فإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ يجري على ذلك كل فرقة في علمها كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية حتى حدث متكلموا المعتزلة بعد المائة من التاريخ، فخالفوا الإجماع في ذلك.

٦— أن أهل العلم بالحديث لم يزالوا يقولون : صح عن رسول الله ﷺ . وذلك جزم منهم بأنه قاله ، ولم يكن مرادهم ما قاله بعض المتأخرين : أن المراد بالصحة صحة السند لاصحة المتن ، بل هذا مراد من زعم أن أحاديث رسول الله ﷺ لاتفيد العلم ، وإنما كان مرادهم صحة الإضافة إليه ، وأنه قاله ، كما يجزمون بقولهم : قال رسول الله ﷺ وأمر ونهى وفعل رسول الله ﷺ ، وحيث كان يقع لهم الوهم في ذلك يقولون : يذكر عن رسول الله ﷺ ، ويروى عنه ، ونحو ذلك ، ومن له خبرة بالحديث يفرق بين قول أحدهم : هذا الحديث صحيح وبين قوله : إسناده صحيح ، فالأول جزم بنسبة صحته إلى رسول الله ﷺ ، والثاني شهادة بصحة سنده ، وقد يكون فيه علة ، أو شذوذ ، فيكون سنده صحيحاً ولا يحكمون أنه صحيح في نفسه .

وقد اعترض جمهور الأصوليين على القائلين بأن خبر الواحد العدل المستوفي لشروط القبول يفيد العلم بما سبق أن استدلوا به على أنه يفيد الظن . وأهم ما اعترضوا به هو : "أنك لو سئلت عن أعدل رواة خبر الواحد أيجوز في حقه الكذب والغلط ؟ لا اضطررت أن تقول : نعم ، فيقال : قطعك إذن بصدقه مع تجويزك عليه الكذب والغلط لأمعنى له " .

وأجيب عنه بأننا وإن كنا لاندعي عصمة الرواة ، إلا أنا نقول : إن الراوي إذا كذب أو غلط أو سها ، فلا بد أن يكون في الأمة من يكشف غلظه وكذبه وسهوه ، وهذا هو واقع السنة المطهرة بحمد الله ، فقد قيض الله لها من جهابذة العلماء ذوي الصدق والورع والتحري من دَوَّنها في الأسفار ، وبين صحيحها ، وضعيفها ، والموضوع منها . كما صنفوا في الرواة مصنفات مكنتنا ومن يأتي بعدنا إلى يوم القيامة من التمكن من معرفة صحيح ما ينسب إلى النبي ﷺ . وإذا كان العلماء اليوم يمكنهم الحكم على الحديث بالصحة حتى يقول أحدهم : قال رسول الله ﷺ ، فما بالك بمن أفنى معظم أوقاته وأيامه مشغلاً بالحديث والبحث

عن سيرة النقلة والرواة، ليقف على رسوخهم في هذا العلم وكبير معرفتهم به، وصدق ورعهم في أقوالهم وأفعالهم، وشدة حذرهم من الطغيان والزلل، ومابذلوه من شدة العناية في تمهيد هذا الأمر والبحث عن أحوال الرواة، والوقوف على صحيح الأخبار وسقيمها، وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحداً في كلمة واحدة يتقونها على رسول الله ﷺ، ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك، وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نقل إليهم، وأدوا كما أدى إليهم، وكانوا في العناية والاهتمام بهذا الشأن مايجل عن الوصف ويقصر دونه الذكر، فإذا وقف المرء على من هذا شأنهم وعرف حالهم وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم ظهر له العلم فيما نقلوه وفيما روه .

وقال ابن حزم — يرحمه الله —: "فنقول لمن قال: أن خبر الواحد العدل عن مثله مبلغاً إلى النبي ﷺ لا يوجب العلم، وأنه يجوز فيه الكذب والوهم، وأنه غير مضمون الحفظ، أخبرونا هل يمكن عندكم أن تكون شريعة فرض أو تحريم أتى بها رسول الله ﷺ ومات عنها وهي باقية لازمة للمسلمين غير منسوخة، فجُهِلت حتى لا يعلمها علم يقين أحد من أهل الإسلام في العالم أبداً، وهل يمكن عندكم أن يكون حكم موضوع بالكذب أو بخطأ بالوهم قد جاز ومضى واختلط بأحكام الشريعة اختلاطاً لا يجوز أن يميزه أحد من أهل الإسلام في العالم أبداً، أم لا يمكن عندكم شيء من هذين الوجهين؟ فإن قالوا: لا يمكننا أبداً، بل قد أئنا ذلك، صاروا إلى قولنا وقطعوا أن كل خبر رواه الثقة عن الثقة مسنداً إلى رسول الله ﷺ في الديانة فإنه حق قد قاله ﷺ كما هو، وأنه يوجب العلم، ونقطع بصحته، ولا يجوز أن يختلط به خبر موضوع أو موهوم فيه لم يقله رسول الله ﷺ قط اختلاطاً لا يميز الباطل فيه من الحق أبداً ...".

المذهب الثالث :

التفصيل بأنه إن احتفت به قرائن دالة على صدقه أفاد اليقين وإلا أفاد الظن مثاله أحاديث الشيخين لأن القرائن دالة على صدقهما لجلالتهما في هذا الشأن وتقديمهما في تمييز الصحيح على غيرهما وتلقي العلماء لكتابهما بالقبول وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق كما قاله غير واحد واختار هذا القول ابن الحاجب و إمام الحرمين والآمدي والبيضاوي قاله صاحب الضياء اللامع ،ومن اختار هذا القول أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى وحمل بعضهم الرواية عن أحمد على ما قامت عليه القرائن على صدقه خاصة دون غيره وقد نبه الشيخ أحمد عبدالوهاب على أثر هذا الخلاف في إفادة خبر الواحد العلم ،وهو أن القائلين بأنه إنما يفيد الظن ،قالوا يحتج به في الأحكام دون العقائد ، لأن الآحاد لا تفيد اليقين ،والعقائد لا بد فيها من اليقين وما ذكره من التفريق يعترض عليه بأننا نطالبهم بفرق صحيح بين مايجوز إثباته وما لايجوز وبين المطلوب فيه القطع اليقيني وما يكفي فيه الظن ولاسبيل إلى تقرير شيء من ذلك البتة". وأن القائلين بإفادته لليقين و القائلين بإفادته للظن اتفقوا على نقل إجماع الصحابة والتابعين على العمل به . ولم يرد عن أحد منهم أن أحداً من الصحابة عليه السلام منع الاستدلال بخبر الواحد العدل في العقائد لكونه لايفيد إلا الظن ،وأن العقائد لايجتزأ فيها إلا بما يفيد القطع ، بل الوارد عنهم قبول الخبر متى ماصح مطلقاً ، وتخصيص ذلك بالأحكام دون العقائد يحتاج إلى دليل من كتاب أو سنة أو إجماع قطعي .^(١)

يقول ابن القيم — رحمه الله — : "ومشهور معلوم استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم إليها ،فهذا إجماع منهم على القول بأخبار الآحاد

^(١) انظر خبر الواحد وحجته : ١١٤ ومابعدا .

، وكذلك أجمع أهل الإسلام متقدموهم ومتأخروهم على رواية الأحاديث في صفات الله تعالى ، وفي مسائل القدر والرؤية وأصول الإيمان والشفاعة والحوض ، وإخراج الموحدين المذنبين من النار ، وفي صفة الجنة والنار ، وفي الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، وفي فضائل النبي ﷺ ، ومناقب الصحابة ، وأخبار الأنبياء المتقدمين ، وأخبار الرقاق وغيرها مما يكثر ذكره وهذه الأشياء علمية لاعملية ، وإنما تروى لوقوع العلم للسامع بها ، فإذا قلنا خبر الواحد لا يجوز أن يوجب العلم تحملنا أمر هذه الأمة في نقل هذه الأخبار على الخطأ وجعلناهم لاغين هازلين مشتغلين بما لا يفيد أحداً شيئاً ، ولا ينفعهم ، ويصير أنهم قد دونوا في أمور الدين ما لا يجوز الرجوع إليه والاعتماد عليه .

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — رسالة في إفادة خبر الآحاد العلم ، وتكلم في المسألة مرات ، كما هو موجود في كتبه ، ونقله عنه أصحابه ، فقد نقل عنه ابن القيم — يرحمه الله — كلاماً جامعاً في الصواعق المرسلة فقال : قال شيخ الإسلام ابن تيمية — وقد قسم الأخبار إلى تواتر وآحاد فقال بعد ذكر التواتر : " وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولا معناه ، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملاً به أو تصديقاً له كخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ إنما الأعمال بالنيات ﴾ ... فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير ^(١) أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين . أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع ، وأما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة ، والمسألة منقولة في كتب الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية . مثل السرخسي وأبي بكر الرازي من الحنفية ، والشيخ أبي حامد وأبي الطيب والشيخ أبي إسحاق من الشافعية ، وابن خويز منداد وغيره من المالكية ، ومثل القاضي

(١) يعني بذلك جمهور أهل الحديث كما سيتضح من كلامه — يرحمه الله — فيما بعد .

أبي يعلى وابن أبي موسى وأبي الخطاب وغيرهم من الحنبلية، ومثل أبي إسحاق الإسفرائيني وابن فورك وأبي إسحاق النظام من المتكلمين. وإنما نازع في ذلك طائفة كابن الباقلاني، ومن تبعه مثل أبي المعالي، والغزالي، وابن عقيل. وقد ذكر أبو عمرو بن الصلاح القول الأول وصححه، واختاره، ولكنه لم يعلم كثرة القائلين به ليتقوى بهم، وإنما قاله بموجب الحجة الصحيحة، وظن من اعترض عليه من المشايخ الذين لهم علم ودين، وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة أن هذا الذي قاله الشيخ أبو عمرو انفرد به عن الجمهور. وعذرهم أنهم يرجعون في هذه المسائل إلى ما يجدونه من كلام ابن الحاجب، وإن ارتفعوا درجة صعدوا إلى السيف الأمدي، وإلى ابن الخطيب، فإن علا سندهم صعدوا إلى الغزالي، والجويني، والباقلاني. "ويقول: "وجميع أهل الحديث على ما ذكره الشيخ أبو عمرو، والحجة على قول الجمهور، أن تلقى الأمة للخبر تصديقاً وعملاً إجماع منهم، والأمة لا تجتمع على ضلالة... " وقال: "وأيضاً فلا يجوز أن يكون في نفس الأمر كذباً على الله ورسوله وليس في الأمة من ينكره إذ هو خلاف ما وصفهم الله تعالى به. فإن قيل: أما الجزم بصدقه فلا يمكن منهم، وأما العمل به وهو الواجب عليهم وإن لم يكن صحيحاً في الباطن، وهذا سؤال ابن الباقلاني.

قلنا: أما الجزم بصحته فإنه قد يحتف به من القرائن ما يوجب العلم إذ القرائن المجردة قد تفيد العلم بمضمونها، فكيف إذا احتفت بالخبر، والمنازع بنى على هذا أصله الواهي أن العلم بمجرد الأخبار لا يحصل إلا من جهة العدد، فلزمه أن يقول مادون العدد لا يفيد أصلاً، وهذا غلط خالفه فيه حذاق أتباعه، وأما العمل به فلو جاز أن يكون في الباطن كذباً وقد وجب علينا العمل به لانعقد الإجماع على ما هو كذب وخطأ في نفس الأمر، وهذا باطل، فإن كان تلقي الأمة له بالقبول يدل على صدقه لأنه إجماع منهم على أنه صدق مقبول، فإجماع السلف الصالح والصحابة أولى أن يدل على صدقه، فإنه لا يمكن أحداً أن يدعي

إجماع الأمة إلا فيما أجمع عليه سلفها من الصحابة والتابعين ، وأما بعد ذلك فقد انتشرت انتشاراً لاتضبط أقوال جميعها " . قال : " واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب كما ذكر الشيخ أبو عمرو ، ومن قبله العلماء كالحافظ أبي الطاهر السلفي وغيره فإن ماتلقاه أهل الحديث وعلماءه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين ، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين ، فإن الاعتبار في الإجماع على كل أمر من الأمور الدينية بأهل العلم به دون غيرهم ، كما لم يعتبر في الإجماع على الأحكام الشرعية إلا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة والأطباء ، وكذلك لا يعتبر في الإجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلمه ، وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم ، الضابطون لأقواله وأفعاله المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعيههم . فكما أن العلم بالتواتر ينقسم إلى عام وخاص ، فيتواتر عند الخاصة ما لا يكون معلوماً لغيرهم فضلاً أن يتواتر عندهم ، فأهل الحديث لشدة عنايتهم بسنة نبيهم وضبطهم لأقواله وأفعاله وأحواله يعلمون من ذلك علماً لا يشكون فيه مما لا شعور لغيرهم به البتة ، فخير أبي بكر ، وعمر ابن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، وابن مسعود (رضي الله عنهم أجمعين) ونحوهم يفيد العلم الجازم الذي يلتحق عندهم بقسم الضروريات ، وعند الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام لا يفيد علماً ، وكذلك يعلمون بالضرورة أن رسول الله ﷺ أخبر أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة ، وعند الجهمية رسول الله ﷺ لم يقل ذلك ، ويعلمون بالضرورة أن نبيهم ﷺ أخبر عن خروج قوم من النار بالشفاعة ، وعند المعتزلة والخوارج لم يقل ذلك ، وبالجمله فهم جازمون بأكثر الأحاديث

الصحيحة قاطعون بصحتها عنه ، وغيرهم لاعلم عنده بذلك . والمقصود أن هذا القسم من الأخبار يوجب العلم عند جمهور العقلاء .^(١)

وبناء على ماسبق فإن الذي يترجح هو إفادة خبر الواحد العلم متى ما كان عدلاً ضابطاً عن مثله حتى ينتهي به إلى النبي ﷺ . فمتى ما صح الخبر وتلقته الأمة بالقبول من غير نكير منها عليه ، أو طعن فيه فإنه يفيد العلم واليقين . وأما ما تنازعت الأمة فيه ، فصحة بعض العلماء وضعفه آخرون فإنما يفيد عند من صححه الظن الغالب فحسب . والله أعلم .^(٢)

ولعلماء المسلمين جهودهم في تقرير الاحتجاج بأحاديث الآحاد في إثبات العقائد والرد على المخالفين في ذلك ، ومن هؤلاء العلماء شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — ولنتعرف على جهود شيخنا في هذا المبحث ولكن قبل ذلك نستعرض نماذج من جهود العلماء المعاصرين لشيخنا ؛ ليتضح من خلال ذلك — بإذن الله تعالى — تميز ما قام به من جهد — يرحمه الله — .

^(١) انظر : مجموع الفتاوى ١/ ٢٨٠ و ١١/ ٤٠٨ — ٤١١ و (٣٥٥) وما بعده و ١٣/ ٣٥١ و ١٨/ ٤٠، ٧ و ٢٧/ ٤٢٥ — ٤٢٧ ومختصر الصواعق المرسله لابن القيم : ص ٥٢٥ وما بعدها . وشيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه لعبد الرحمن الفريوائي ١/ ٣١٨ وما بعدها .

^(٢) انظر : مقدمة في مصطلح الحديث لمحمد ناصر الدين الألباني ص ١٦ . وانظر لمزيد من الكلام حول هذا المبحث : فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١٣/ كتاب أخبار الآحاد ، ومختصر الصواعق المرسله لابن القيم : ٢/ ٥١٧ — ٥٨٠ ، وخبر الواحد وحجته لأحمد الشنقيطي : ٦٧ — ١٢٢ ، وأخبار الآحاد في الحديث النبوي لعبدالله الجبرين : ٣٧ — ١٣١ ، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان علي حسن : ١/ ١١٥ — ١٢٩ .

جهود المعاصرين

للعلماء المعاصرين لشيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع — جهدهم المشكور في بيان هذا المبحث ومن هؤلاء :

الشيخ **حافظ الحكمي** (١٣٧٧هـ) يرحمه الله الذي قرر طريقة السلف الصالح في أن ما ثبت من سنة الرسول ﷺ يجب العلم به سواء كان متواتراً أو آحاداً وأن خبر الآحاد إذا صح فهو يوجب العلم والعمل معاً ومن ذلك قوله :

والخبر اعلم منه ما متواتراً
ومنه آحاد إلينا أثراً

فدوا تواتراً به العلم حصل
وثابت الآحاد يوجب العمل
بل يوجب العلم على التحقيق
عند قيام موجب التصديق^(١)

ويقول الشيخ حافظ الحكمي — يرحمه الله — : " أن ما ثبت من سنة الرسول ﷺ يجب العلم به سواء كان متواتراً أو آحاداً وأن خبر الآحاد إذا صح فهو يوجب العلم والعمل معاً "^(٢)

و الشيخ **محمد بن إبراهيم آل الشيخ** (١٣٨٩هـ) يرحمه الله والذي يقول في تقريره : " الراجح أن العلم قد يحصل بغير المتواتر وبغير الحواس الخمس وبغير البديهيات ، فأخبار الآحاد إذا حفت بالقرائن أفادت العلم ليس الظن فقط ، ومن ذلك بعث معاذ وقيام الحجة به على من أخبرهم "^(٣)

^(١) الشيخ حافظ الحكمي حياته ومنهجه في تقرير العقيدة لأحمد مدخلي : ٢٦٣ .

^(٢) المصدر السابق : ٢٦٣ .

^(٣) مجموع فتاوى ورسائل للشيخ : ١١ / ٢

جهود الشيخ حمود :

(١) قرر الشيخ — يرحمه الله — الاحتجاج بأحاديث الآحاد في إثبات العقائد ورد على من خالف في ذلك وبين أن الاحتجاج بها هو طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم وأنهم لم يكونوا يفرقون بين متواتر وآحاد وإنما المدار عندهم على ثبوت الخبر عن النبي ﷺ ومن ثم يكون القبول والعمل بما جاء فيه فهاهو يقرر بأن كل ماصح عن النبي ﷺ أنه أخبر بوقوعه ؛ فالإيمان به واجب على كل مسلم وذلك من تحقيق الشهادة بأنه رسول الله . ويستدل على ماذهب إليه بقوله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ^(١) قال الإمام أحمد — يرحمه الله — : " كلما جاء عن النبي ﷺ إسناده جيد ؛ أقررنا به ، وإذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه ؛ رددنا على الله أمره ؛ قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ^(٢) " . ^(٣)

وقال الموفق أبو محمد المقدسي في كتابه "لمعة الاعتقاد" : " ويجب الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ ، وصح به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا ، نعلم أنه حق وصدق ، وسواء في ذلك ما عقلناه أو جهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه مثل : حديث الإسراء والمعراج ، ومن ذلك أشراط الساعة ... " ^(٤)

وقد قال الشيخ — يرحمه الله : " وليس التواتر في الإخبار عن المغيبات شرطاً لوجوب الإيمان بها ؛ كما قد زعم ذلك بعض أهل البدع ومن تبعهم من المتفهمة المقلدين وغيرهم من جهلة العصريين وزنادقتهم ، بل كل ماصح سنده إلى النبي

^(١) النجم : ٤ .

^(٢) الحشر : ٧ .

^(٣) لم أقف عليه .

^(٤) انظر : شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن عثيمين ص ٦٧ .

ﷺ فالإيمان به واجب ، سواء كان متواتراً أو آحاداً ، وهذا قول أهل السنة والجماعة وقد قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ^(١) فأمر تبارك وتعالى بالثبوت في خبر الفاسق ؛ لأنه محتمل للصدق والكذب ؛ فلا يسارع إلى تصديقه خشية أن يكون كاذباً ، ولا يسارع إلى تكذيبه ؛ خشية أن يكون صادقاً وبالثبوت تتجلى حقيقة خبره . ومفهوم الآية الكريمة دال على قبول خبر الواحد العدل من غير توقف فيه وقال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ^(٢) وهذه الآية الكريمة دالة على قبول خبر الواحد العدل ؛ لأن الطائفة تقع على الواحد فصاعداً . ^(٣) قال ابن الأثير في النهاية : "الطائفة : الجماعة من الناس ، وتقع على الواحد " ^(٤) . وكذا قال ابن منظور في لسان العرب . ويدل على ذلك قوله الله تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ...﴾ الآية ^(٥) ^(٦) . قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه : "ويسمى الرجل طائفة ؛ لقوله تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ فلو اقتتل رجلان ؛ دخلا في معنى الآية " انتهى ^(٧) . ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿وَلِيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٨) . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : " الطائفة الرجل

^(١) الحجرات : ٦ .

^(٢) التوبة : ١٢٢ .

^(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٢٧٢/٣ .

^(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر : ١٥٣/٣ .

^(٥) الحجرات : ٩ .

^(٦) ٢٢٣/٨ .

^(٧) صحيح البخاري مع الفتح ١٣ / ٢٤٤ كتاب أخبار الآحاد

^(٨) النور : ٢ .

فما فوقه "وقال مجاهد وعكرمة: " الطائفة:الرجل الواحد إلى الألف " .وقال إبراهيم النخعي : " أقله رجل واحد فما فوقه " . وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : "الطائفة تصدق على واحد " . ذكره ابن كثير عنه .^(١) ويدل على ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾^(٢) قال القرطبي في تفسيره : " فيه دليل على وجوب العمل بقول الواحد لأنه لا يجب عليه البيان ؛ إلا وقد وجب قبول قوله ، وقال : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾ فحكم بوقوع البيان بخبرهم " انتهى^(٣) وهذه الآية نظائر من القرآن تدل على ما دلت عليه من وجوب العمل بقول الواحد ويدل على ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾^(٤) قال القرطبي في تفسيره : " أمر الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتكن ، ومايرين من أفعال النبي عليه الصلاة والسلام ويسمعن من أقواله ، حتى يبلغن ذلك إلى الناس ؛ فيعملوا ويقتدوا ؛ وهذا يدل على جواز قبول خبر الواحد من الرجال والنساء في الدين . " انتهى^(٥) ويدل على ذلك أيضاً قول النبي ﷺ : ﴿ بلغوا عني ولو آية ... ﴾ الحديث^(٦) والأمر بالتبليغ يعم الواحد فما فوقه ، وهذا يدل على وجوب العمل بأخبار الآحاد ويدل على ذلك أيضاً قوله ﷺ

^(١) انظر تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٤ .

^(٢) البقرة : ١٥٩

^(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٢٥/٢

^(٤) الأحزاب : ٣٤

^(٥) الجامع لأحكام القرآن : ١٣ / ١٢١

^(٦) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء برقم : ٣٢٠٢ .

﴿نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع﴾^(١) وهذا يدل على قبول خبر الواحد . وقد رُوي نحوه عن زيد بن ثابت وأنس وجبير بن مطعم والنعمان بن بشير وغيرهم رضي الله تعالى عنهم . وقد كان رسول الله ﷺ يبعث رسله آحاداً ، ويرسل كتبه مع الآحاد ، ولم يكن المرسل إليهم يقولون : لا نقبل أخبارهم لأنها أخبار آحاد وقد قبل النبي ﷺ خبر تميم الداري عن الدجال ، وروى ذلك عنه على المنبر كما ثبت ذلك في صحيح مسلم وغيره . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعملون بأخبار الآحاد من الثقات . ولما حولت القبلة إلى الكعبة ، خرج رجل ممن صلى مع النبي ﷺ ، فمر على أهل قباء وهم يصلون فقال : " إن رسول الله قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها " ^(٢) متفق عليه ^(٣)

ويقول — يرحمه الله — : " فقد دل كتاب الله تعالى على قبول خبر الواحد العدل ، ودلت على ذلك السنة المطهرة فعلاً منه ﷺ وتقريراً عليه . وقد قبل الصحابة رضي الله عنهم أخبار الآحاد من الثقات ، وعملوا بها في حياة النبي ﷺ ، وكذلك كانوا يفعلون بعد مماته ، ولم ينقل عن أحد منهم إنكار ذلك ، فكان كالإجماع منهم على قبولها . وكذلك كان التابعون ومن تبعهم بإحسان إلى

^(١) أخرجه أحمد برقم : ٢١٠٨٠ ؛ والدارمي في المقدمة برقم : ٢٢٩ ؛ وابن ماجه في المقدمة برقم : ٢٣٠ وفي الزهد برقم : ٤١٠٥ ؛ وأبو داود برقم : ٣١٧٥ ، و الترمذي في العلم برقم : ٢٦٥٧ وقال هذا حديث حسن صحيح ، وقال عنه الألباني : صحيح كما في صحيح سنن ابن ماجه برقم : ١٨٩ وصحيح سنن الترمذي برقم : ٢١٤٠ .

^(٢) أخرجه البخاري في الصلاة برقم : ٣٨٨ ؛ ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم : ٨٢٠ .

^(٣) إتحاف الجماعة : ١ / ٧ — ١٠ .

زماننا لا يتوقفون في قبول أخبار الآحاد إذا كان رواها من أهل الضبط والعدالة ، وإنما خالف في ذلك بعض أهل البدع ، ولا عبرة بخلافهم^(١) .

وقد ذكر ابن القيم — يرحمه الله — في كتاب الصواعق المرسلة: " أنه ذهب جماعة من أصحاب أحمد وغيرهم إلى تكفير من يجحد ما ثبت بخبر الواحد العدل قال والتكفير مذهب إسحاق بن راهويه " . انتهى^(٢)

(٢) وأما دفاعه عن حديث الآحاد فيظهر من خلال رده على من طعن فيه ويتمثل ذلك في رده على من زعم أن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقيدة فقد قال — يرحمه الله — مبيناً بطلان هذا الزعم ، وأنه لا دليل عليه — : " قد دل القرآن والسنة على قبول أخبار الآحاد من غير تفريق بين ما يتعلق بالعقائد وما يتعلق بالأحكام . وإنما خالف في ذلك بعض أهل البدع ومن تبعهم من المتفقهة المقلدين وغيرهم من العصريين المتكلفين فزعموا أن أخبار الآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد وهذا قول لا دليل عليه ، وماليس عليه دليل فليس عليه تعويل ، والأدلة من القرآن والسنة وأفعال الصحابة تقتضي التسوية بين العقائد والأحكام وغيرها مما يتعلق بأمور الدين " (٣)

(٣) وكذلك رد الشيخ — يرحمه الله — على من زعم أن التواتر شرط في صحة الأحاديث ووجوب الإيمان بها ، مبيناً بطلان هذا الزعم ، ومقررراً لما عليه أهل السنة والجماعة من الإيمان بكل ما صح عن النبي ﷺ . يقول — يرحمه الله — :

(١) يعني به الشيخ أن خلافهم لا يؤثر في مقابل ما كان كالإجماع من الصحابة و التابعين وتابعيهم من قبول خبر الواحد العدل ، وإلا فإن خلاف هؤلاء مبني على شبه تعلقوا بها رأوا أن الحق فيها وهم قد استندوا على أدلة في ما ذهبوا إليه بغض النظر عن كونهم جانبوا الصواب في ذلك .

(٢) مختصر الصواعق : ١ — ٢ / ٥٢٦

(٣) الإجابة الجلية ص ٢٥ — ٣٣ .

" ليس التواتر شرطاً في صحة الأحاديث ولا في وجوب الإيمان بها ، كما قد توهم ذلك أبو عبيدة تقليداً لبعض أهل البدع من المتقدمين والعصرين ، والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بكل ماصح سنده إلى النبي ﷺ سواء كان متواتراً أو آحاداً . " (١)

(٤) كما رد — يرحمه الله — على ماقاله الشيخ شلتوت — يرحمه الله — بأن العلماء قد أجمعوا على أن أحاديث الآحاد لاتفيد عقيدة ولايصح عليها في شأن المغيبات (٢) بقوله : " وقد رأيت جواباً لشلئتوت أنكر فيه حياة المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، وزعم أنه قد مات موتة عادية ، وأنكر أن يكون مرفوعاً بجسمه إلى السماء ، وأنه فيها حي إلى الآن ، وأنكر نزوله إلى الأرض في آخر الزمان حكماً عدلاً ، فخالف ما جاء به القرآن وتواترت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ... ثم إن شلتوتاً أتى بخطأ خامس ، فقال : " وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لاتفيد عقيدة ولايصح عليها

(١) إتحاف الجماعة : ٣٣٨/٢

(٢) هذه المسألة بنيت على : أن مسائل الاعتقاد مسائل يقينية لا يطلب فيها إلا القطع فعند المعتزلة لايقبل خبر الواحد في الاعتقادات إلا إذا جاء موافقاً للعقل ، فيستدل به تعصيماً واحتجاجاً ، وإلا رد وحكم ببطلانه ، إلا إذا احتمل التأويل من غير تعسف . وقد وافق المعتزلة على هذا الأصل كثير من متكلمي الأشاعرة . ومذهب جمهور الأشاعرة كما قال الشيخ عبدالرحمن الحمود : " يتلخص في أن أخبار الآحاد — وهي ماعدا المتواتر — إنما تفيد الظن دون العلم ، ومن ثم فلا يحتج بها في العقائد إذا عارضها الدليل العقلي ، والأشاعرة كثيراً ماينسبون إلى جمهور العلماء القول بأن أخبار الآحاد لاتفيد إلا الظن ، ويذكرون هذا عندما يتطرقون إلى هذا الموضوع في مباحث أصول الفقه . " وقد رد الشيخ على هذا الكلام وبين أن الأشاعرة مع قولهم بهذا إلا أنهم يحتجون بها في المسائل العملية التي هي مسائل الأحكام والفروع ، وأنهم يحتجون بها ويقررون بها بعض مسائل العقيدة وإنهم وإن قالوا إن هذه المسائل من قبيل المستفيض المشهور ، إلا أنهم يعترفون بأنها دون المتواتر وهذا تناقض منهم حين يقولون : إن أخبار الآحاد لاتفيد العلم أو إنها لا يحتج بها في العقيدة . انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٧٣٨/٢ . ومابعدها . وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — في الرد على كلامهم .

في شأن المغيبات " والجواب أن يقال : من هؤلاء العلماء الذين أجمعوا على هذا القول الباطل ؟! أهم علماء السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ؟! أم هم أئمة الضلال ورؤوس البدع من الجهمية والمعتزلة و نحوهم فإن كان مراده هذا الفريق الأخير ؛ فنعم هو من أقوالهم التي ابتدعوها وكفي بالرجل جهلاً أن يجعل أقوال أهل البدع ميزاناً للسنة المطهرة ، وأن يحكيها إجماعاً يعتمد عليه !! وإن كان مراده الفريق الأول ؛ فحاشا وكلا ؛ فإنه لا يعرف عن أحد من الصحابة ولا من بعدهم من التابعين وتابعيهم بإحسان أنهم قالوا بهذا القول المبتدع بل المعروف عنهم أنهم كانوا يتلقون أخبار الثقات بالقبول والتسليم ؛ عملاً بها ، وتصديقاً لها ، سواء تواترت أو كانت أخبار آحاد ، وليس هذا موضع ذكرها ...^(١) وقد وافق الشيخ — يرحمه الله — في كلامه هذا ماذهب إليه ابن القيم — يرحمه الله — في رده على التفريق بين العقائد والأحكام في الأخذ بحديث الآحاد حيث يقول : " وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة ، فإنها لم تنزل يحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلمية ، كما تحتج بها في الطلبات العملية ... لم تنزل الصحابة والتابعون ، وتابعوهم ، وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات ، والقدر ، والأسماء والأحكام ، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته ، فأين سلف المفرقين بين البابين ؟ " ^(٢)

(١) إتحاف الجماعة : ٣ / ١٣٥ — ١٣٦ . وانظر ٧ / ١ — ١٢ .

(٢) مختصر الصواعق : ٥٥٦ . ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة : ١ / ١٢٨ .

الخلاصة :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله — في هذا المبحث يتمثل فيما يلي :
تقريره — يرحمه الله — لمسألة الاحتجاج بأحاديث الآحاد في إثبات العقائد كما
هي طريقة أهل السنة والجماعة ، مع دفاعه عن أحاديث الآحاد ورده على من
طعن فيها بزعم أنها لا يؤخذ بها في باب العقائد مع تفنيده لشبههم و بيانه لزيورها
وبطلانها . كل ذلك وفق طريقة أهل السنة والجماعة .

البحث الرابع : وظائف من الصحابة والتابعين وعلماء الملوك ومن مار على طريقهم من العلماء وفيه مطالب

من أصول أهل السنة والجماعة كما يقرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله بقوله تعالى : ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾^(١) وطاعة للنبي ﷺ في قوله : ﴿لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه...﴾^(٢) ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم^(٣) فهم يحبون أصحاب النبي ﷺ ويفضلونهم على جميع الخلق لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ ، ومحبة رسول الله ﷺ من محبة الله ، وألسنتهم سالمة من السب والشتم واللعن والتفسيق والتكفير وما أشبه ذلك مما يأتي به أهل البدع وهي في المقابل تلهج بالثناء عليهم والترضي عنهم والترحم والاستغفار ، وذلك للأمور التالية :

أولاً : أنهم خير القرون في جميع الأمم كما صرح بذلك رسول الله ﷺ : ﴿خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم﴾^(٤).

(١) الحشر : ١٠

(٢) أخرجه البخاري في المناقب برقم : ٣٦٧٣ ؛ ومسلم في فضائل الصحابة برقم : ٢٥٤١

(٣) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية . ص : ١٥٢ وما بعدها .

(٤) أخرجه البخاري في الشهادات برقم : ٢٦٥١ ؛ ومسلم في فضائل الصحابة برقم : ٢٥٣٣ .

ثانياً : أنهم هم الواسطة - بين رسول الله ﷺ وبين أمته فمنهم تلقت الأمة عنه الشريعة .

ثالثاً : ما كان على أيديهم من الفتوحات الواسعة العظيمة .

رابعاً : أنهم نشروا الفضائل بين هذه الأمة . فمن عاش في تاريخهم عرف مناقبهم وفضائلهم وإثناهم واستجابتهم لله ولرسوله ﷺ (١)

ومن هنا كان دفاع أهل السنة والجماعة عن صحابة رسول الله ﷺ الذين هم نقلة هذا الدين فالطعن فيهم طعن في الدين الذي نقلوه لنا كما أنه طعن في النبي ﷺ فهم صحابته رضوان الله عليهم أجمعين الذين تلقوا العلم على يديه ﷺ وتربوا على يديه ﷺ ، وكذلك الدفاع عن التابعين الذين نقلوا هذا الدين عن الصحابة ثم نقله عنهم تابعوهم من علماء سلف هذه الأمة رحمة الله على الجميع . وقد نقل القاضي أبو الحسين في طبقات الحنابلة عن أبي محمد البرهاري أنه قال في (شرح كتاب السنة) : " إذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة وأنس بن مالك وأسيد ابن حضير ؛ فأعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله ، قال : وأعلم أنه من تناول أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فأعلم أنه أراد محمداً ﷺ وقد آذاه في قبره " (٢)

وذكر عن سفيان بن عيينة أنه قال : من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى " (٣)

وقد كان لشيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — جهوده في الدفاع عن سنة الخلفاء الراشدين و طريقة الصحابة ومن سار على طريقتهم من العلماء مع بيان فضلهم ومكانتهم والثناء عليهم ، و بيان تقديم قولهم إذا تعارض مع قول غيرهم

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن عثيمين ص: ٢٤٨ .

(٢) شرح السنة : ٥٤ ؛ طبقات الحنابلة : ٢ / ٣٧ .

(٣) طبقات الحنابلة : ٢ / ١٨ .

كما أنه يبين طريقة علماء السلف ويلتمس العذر لمن أخطأ منهم ويرد مانسب إليهم من باطل ، و دفاعه عمن طعن فيه منهم ويرد على هذا الطاعن ويبين بطلان كلامه ولنتعرف على هذه الجهود ؛ ولكن قبل ذلك لنستعرض نماذج من جهود العلماء السابقين والمعاصرين له ؛ ليتضح من خلال ذلك — بإذن الله تعالى — تميز مقام به من جهد — يرحمه الله — :

جهود السابقين :

من هؤلاء العلماء السابقين لشيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع — ممن كان لهم جهدهم المشكور في بيان هذا المبحث :

إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١٧٩هـ) يرحمه الله في بيانه لعقيدته ، وبيان ما هو عليه ، وأنه موافق في ذلك لما كان عليه سلف الأمة راداً بذلك على من زعم أنه أتى بأمور محدثة لم تكن معروفة من قبل فقال : " وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم ، وأترضى عنهم ، واستغفر لهم ، وأكف عن مساويهم ، وأسكت عما شجر بينهم ، واعتقد فضلهم ، عملاً بقوله تعالى : ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ ^(١) " ^(٢) .

ويقول ابننا الشيخ محمد الشيخ حسين (١٢٢٤هـ) والشيخ عبدالله (١٢٤٢هـ) يرحمهما الله في بيانهما لعقيدة الشيخ محمد — يرحمه الله — رادين بذلك على من استفسر عن عقيدة الشيخ وعن دعوته وما جاء به وهل هو موافق لما كان عليه السلف أم مخالف لذلك؟ : " عقيدة الشيخ محمد — رحمه الله تعالى — التي يدين الله بها ، هي عقيدتنا ، وديننا الذي ندين الله به ؛ وهو عقيدة

^(١) الحشر : ١٠ .

^(٢) الدرر السنية : ١ / ٣٢ .

سلف الأمة وأئمتها، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ؛ وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله ﷺ وعرض أقوال العلماء على ذلك ؛ فما وافق كتاب الله وسنة رسوله قبلناه وأفتينا به ، وماخالف ذلك رددناه على قائله " (١)

ويقول الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٤٢هـ) يرحمه الله مبيناً فضل طريقة السلف وأنها الأسلم والأعلم والأحكم، راداً بذلك على من زعم أن طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم : " مذهبنا في أصول الدين ، مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف ، التي هي الطريق الأسلم ، بل والأعلم والأحكم ، خلافاً لمن قال طريق الخلف أعلم " (٢)

ويقول — يرحمه الله — في بيان ما وقع بين الصحابة ﷺ ، وأنه مع ما وقع بينهم فإنه لم يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد من الصحابة أو تفسيقه ، بل هم ﷺ بين الأجر لمخطئهم والأجرين لمصيبهم : " هذا : وقد رأى معاوية وأصحابه ﷺ منابذة أمير المؤمنين علي ﷺ ، وقتاله ، ومناجزته الحرب ، وهم في ذلك مخطئون بالإجماع ، واستمروا في ذلك الخطأ ، ولم يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد منهم إجماعاً ، بل ولا تفسيقه ، بل أثبتوا لهم أجر الاجتهاد ، وإن كانوا مخطئين ، كما أن ذلك مشهور عند أهل السنة " (٣) وبين — يرحمه الله — في موضع آخر الموقف مما شجر بين الصحابة ﷺ في رده على سؤال من هم المؤمنون الذين أمر الله باتباع سبيلهم؟ حيث يقول : " علي بن أبي طالب ، والحسن ، والحسين ﷺ ، من ساداتهم ، وكذلك طلحة ، والزبير رضي الله عنهما ، ومن معهما من أهل بدر ، وكذلك معاوية بن أبي سفيان ، ومن معه من

(١) الدرر : ١ / ٢١٩ .

(٢) الدرر : ١ / ٢٢٦ .

(٣) الدرر : ١ / ٢٣٦ .

أهل الشام ، من أصحاب رسول الله ورضي الله عنهم أجمعين ؛ فتتولى الجميع ونكف عما شجر بينهم ، وندعوا لهم بالمغفرة، كما أمرنا الله بذلك بقوله:

﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ (١) " (٢)

ويقول الشيخ عبد الله — يرحمه الله — في جواب له عن سؤال يقول : هل يتأكد الأخذ بالإجماع السكوتي عن الصحابة رضي الله عنهم ؟ فأجاب بقوله : " الذي عليه أكثر الفقهاء ، من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، أن الأمر إذا اشتهر بين الصحابة رضي الله عنهم ، فلم ينكره منهم أحد ، كان إجماعاً ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : "إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن " (٣) انتهى . واتباع السلف الصالح ، والأخذ بهديهم وسلوك طريقتهم ، والسكوت عما سكتوا عنه ؛ يزول عن المؤمن شبهات كثيرة ، وبدع وضلالات شهيرة ، أحدثها المتأخرون بعدهم ، كالكلام في تأويل آيات الصفات ، وأحاديثهما بالتأويلات المستكرهة ، التي لم تعهد عن الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، فإنهم سكتوا عن تفسير ذلك ، بالتأويلات الباطلة ؛ وقالوا : أمروها كما جاءت " (٤)

(١) الحشر : ١٠ .

(٢) الدرر السنية : ٢٤٩/١ .

(٣) أخرجه أحمد برقم : ٣٦٠٠ ولفظه : " إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد ؛ فاصطفاه لنفسه ؛ فابتعته برسالته . ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ؛ فجعلهم وزراء نبيه ؛ يقاتلون على دينه ؛ فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيئاً " . وقال عنه الشيخ أحمد شاكر : " إسناده صحيح . وهو موقوف على ابن مسعود " وهو عنده برقم : ٣٦٠٠ .

(٤) الدرر : ٣١ / ٢ — ٣٢ .

ويقول — يرحمه الله —: "مدافعاً عن معتقد القرون المفضلة في باب الأسماء والصفات:" وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق ، أو قائلية ؛ فهذا لا يعتقده مسلم ، عرف حال القوم ؛ ولا يجوز أيضاً : أن يكون الخالفون أعلم من السابقين ، كما قد يقوله بعض الأغبياء — ممن لم يعرف قدر السلف بل ولا عرف الله ورسوله ، والمؤمنين به ، حقيقة المعرفة المأمور بها — : من أن طريقة الخلف : أعلم وأحكم ؛ وطريقة السلف : أسلم ؛ فإن هؤلاء المبتدعة ، الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف ، إنما أتوا من حيث ظنوا : أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان ، بألفاظ القرآن ، والحديث من غير فقه لذلك ؛ بمرتلة الأميين، الذين قال الله فيهم: ﴿ ومنهم أमीون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون ﴾ ^(١) وأن طريقة الخلف ، هي : استخراج معاني النصوص ، المصروفة عن حقائقها ، بأنواع المجازات ، وغرائب اللغات . " ^(٢)

كما أن هناك رسالة للشيخ عبد الله — يرحمه الله — باسم (جواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة والزيديّة) فند من خلالها شبه الشيعة والزيديّة واتهاماتهم الباطلة لسلف هذه الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . ^(٣)

ويقول الشيخ **حمد بن ناصر بن معمر** (١٢٢٥هـ) يرحمه الله مبيناً فضل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم أهل القرون المفضلة في جواب له عندما سئل عن قوله في آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك فقال من جملة جوابه : "فلما قررنا عقيدتنا ، في أول الجواب ، وأوردنا على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة ، أتبعنا ذلك ، بفصل ذكرنا فيه بعض ماورد ، عن الصحابة ، والتابعين ، وتابعيهم ، يؤيد ما ذكرناه ، ويحقق ما قلناه ؛ لأنهم مصابيح الدين

^(١) البقرة : ٧٨

^(٢) الدرر السنية : ٣ / ٤٠ — ٤١ .

^(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية : ٤ / ٤٧ — ٢٢٢ .

، وقدوة العالمين ، وهم أهل اللغة الفصحاء ، واللسان العربي ؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا نزول القرآن ، ونقلوه إلينا ، وفسروه ؛ فهم قد تلقوا ذلك عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وتلقاه عنهم التابعون ؛ فتعلموا من الصحابة ألفاظ القرآن ، ومعانيه ؛ فنقلوا عنهم تأويله ، كما نقلوا تزييله ؛ ونقلوا الأحاديث الواردة في الصفات ، ولم يتأولوها كما تأولها النفاة ، بل أثبتوها صفات حقيقية لرب العالمين ، مژة عن تعطيل المعطلين ، وتشبيه المشبهين ؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم : أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعماها علماً ، وأقلها تكلفاً ؛ وهم : سادات الأمة ، وكاشفوا الغمة ؛ فالمسلمون بهديهم يهتدون ، وعلى منهاجهم يسلكون . " (١)

جهود المعاصرين :

من العلماء المعاصرين لشيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع — ممن كان لهم جهد مشكور في بيان فضل السلف وسلامة طريقتهم ومن سار عليها من العلماء الشيخ عبدالرحمن السعدي (١٣٧٦هـ) يرحمه الله . ومن ذلك بيانه أن أهل السنة والجماعة سلمهم الله من الوقوع في الضلال الذي وقع فيه طوائف البدع في باب أسماء الله وصفاته يقول — يرحمه الله — : " ونجى الله أهل السنة والجماعة من جميع أقواله الباطلة [يعنى الجهم ابن صفوان] فأثبتوا جميع أسماء الله الحسنى ومادلت عليه من الصفات العليا " (٢)

والشيخ حافظ الحكمي (١٣٧٧هـ) يرحمه الله الذي نهج في تقرير العقيدة مذهب السلف الصالح وأشار إلى التزامه هذا المنهج وبين أنه مذهب الفرقة الناجية الذين استمدوا مذهبهم من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو إذ يبين ذلك فإنه يثني عليهم ، ويمتدحهم ، ويوضح منهجهم في العقيدة، حيث يقول :

(١) الدرر : ١٠٨ / ٣ .

(٢) الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح عقيدة السلف لعبدالزاق العباد : ١١٢ — ١١٣ .

" وذلك لأنه لا يعرف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه إلا من طريق سننه المروية ، وآثاره المصطفوية ، التي هي الشريعة الغراء ، والحجة البيضاء ، وهؤلاء من أبعد الناس عنها وأنفرهم منها [يعني الفرق المخالفة] وإنما تصلح هذه الصفة لحملتها وحفاظها ونقادها ^(١) المنقادين لها ، المتمسكين بها ، والذايين عنها ، يقفون عندها ، ويسيروا بسيرها ، ولا ينحرفون عنها يمينا ولا شمالاً ، ولا يقدمون عليها لأحد مقالاً ، ولا يبالون من خالفهم ، ولا من خذلهم ، ولا يضرهم ذلك حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ، أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة ، وجيش دولتها المرابطين على ثغورها ، الحافظين حدودها ، الحامين حوزتها ، وفقهم الله عز وجل للاستضاءة بنورها والاهتداء بهديها القويم ، وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . فآمنوا بما أخبر الله به في كتابه وأخبر به عبده ورسوله محمد ﷺ في سنته ، وتلقوه بالقبول والتسليم ، إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل ، وتزيتهاً بلا تحريف ولا تعطيل ، فهم الوسط في فرق هذه الأمة ، كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم " ^(٢)

والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٩هـ) يرحمه الله حيث عقب على الإمام ابن قدامة — يرحمه الله — في كلام له في (لمعة الاعتقاد) في مسألة إثبات الأسماء والصفات على الحقيقة لفظاً ومعنى ^(٣) ، وأن هذا هو الفهم الحقيقي الموافق لفهم الصحابة رضي الله عنهم الذي تلقوه عن النبي ﷺ يقول ابن قدامة — يرحمه الله — " وجب الإيمان به لفظاً " فعقب الشيخ بقوله : " وأما كلام صاحب اللمعة

^(١) نقاد جمع ناقد والنقد والتَّناقُد في اللغة : تمييز الدراهم وإخراج الزَّيف منها انظر لسان العرب لابن منظور: ٣ / ٤٢٥ مادة نقد . ومن هنا كان إطلاق عبارة (نقاد) على علماء الحديث تشبيهاً لهم بالصيارفة الذين يميزون الدراهم ويخرجون الزيف منها ؛ فكَذلك علماء الحديث يميزون بين صحيحها وسقيمها من الضعيف والموضوع .

(٢) الشيخ حافظ الحكمي حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ، لأحمد مدخلي : ٢٦١ — ٢٦٢ .

(٣) عبارة ابن قدامة يرحمه الله هي: " وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً ، وترك التعرض لمعناه " . ص ٣١

فهذه الكلمة مما لوحظ في هذه العقيدة [يعني لمعة الاعتقاد]، وقد لوحظ فيها عدة كلمات أخذت على المصنف ، إذ لا يخفى أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظاً ومعنى ، واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز ، وأن لها معانٍ حقيقية تليق بجلال الله وعظمته . وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر . ومعاني هذه الأسماء ظاهرة معروفة من القرآن كغيرها لا لبس فيها ولا إشكال ولا غموض ؛ فقد أخذ أصحاب رسول الله ﷺ عنه القرآن ونقلوا عنه الأحاديث لم يستشكلوا شيئاً من معاني هذه الآيات والأحاديث ؛ لأنها واضحة صريحة ، وكذلك من بعدهم من القرون الفاضلة ... أما ما ذكره في (اللمعة) فإنه ينطبق على مذهب المفوضة وهو من شر المذاهب وأخبثها . والمصنف رحمه الله إمام في السنة ، ومن أبعد الناس عن مذهب المفوضة ، وغيرهم من المبتدعة . والله أعلم . و صلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم " (١)

والشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ) يرحمه الله حيث عقد مقارنة بين مذهب السلف والخلف في باب الأسماء والصفات أوضح من خلالها أن طريقة السلف هي الأسلم والأعلم والأحكم ؛ رداً على الزعم الباطل بأن طريقة السلف هي الأسلم وطريقة الخلف هي الأعلم والأحكم يقول — يرحمه الله — : "وصفوا مذهب السلف بأنه أسلم ، وهي صيغة تفضيل ، من السلامة . وما كان يفوق غيره ، ويفضل في السلامة فلا شك أنه أعلم منه وأحكم " (٢)

ويقول : " إن مذهب السلف أسلم وأحكم وأعلم ، وقولهم : مذهب السلف أسلم ؛ إقرار منهم بذلك ؛ لأن لفظ أسلم : صيغة تفضيل من السلامة ، وما كان يفضل غيره ويفوقه في السلامة فهو أحكم منه وأعلم . وبه يظهر أن قولهم :

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ، جمع محمد بن قاسم : ١ / ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : ٤٦ — ٤٧ .

ومذهب الخلف أحكم وأعلم : ليس بصحيح . بل الأحكم والأعلم هو الأسلم كما لا يخفى ^(١)

ثم لنستعرض بعد ذلك جهود شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — في هذا المبحث وسيكون ذلك من خلال تناول المطالب التالية :

(المطلب الأول: بيان فضلهم ونثاره عليهم)

سبق وأن ذكرنا كلام العلماء في وصفهم لأهل السنة والجماعة بأنهم يثنون على الصحابة ويترضون عنهم ويترحمون عليهم ويستغفرون لهم ﷺ . كيف لا وهم يقرون بأنهم خير هذه الأمة بعد نبيها محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وهم الذين نقلوا إلينا هذا النور نور الوحي كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ أضف إلى ذلك أن محبتهم محبة للنبي ﷺ ، ومن محبتهم الشاء عليهم وذكرهم بالجميل ؛ من أجل ذلك كله نجد شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — في كتاباته يبرز فضل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين هم وتابعيهم ومن سار على نهجهم وأقتفى أثرهم ويثنى عليهم ومن ذلك :

(١) بيانه بأنهم أعلم الأمة على الإطلاق بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وتأكيده على ذلك في أكثر من موضع كما في قوله : "أعلم الأمة على الإطلاق علماء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ... ثم التابعون وتابعوهم بإحسان وأئمة العلم والهدى من بعدهم ولاسيما الأئمة الأربعة وأقرانهم من أكابر العلماء فهؤلاء هم الأئمة الأعلام على الحقيقة ..."^(٢)

(١) آداب البحث والمناظرة : ١٣٦/٢ .

(٢) ذيل الصواعق : ١٤

ويقول — يرحمه الله — : " إن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أعلم بتفسير القرآن ممن جاء بعدهم ولا سيما حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما " ^(١) ويقول في موضع آخر : " إن أبي بن كعب رضي الله عنه وغير واحد من أكابر التابعين فسروا الآية بغير ما فسرهما المصنف وهم أعلم بكتاب الله منه والمرجع في التفسير إليهم وإلى أمثالهم لا إلى المتكلف وأمثاله من العصريين " ^(٢) ويقول — يرحمه الله — : " ومن المعلوم الذي لا يشك فيه عاقل له علم ومعرفة بالصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا أعلم الأمة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبما هو موافق لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو مخالف له ... " ^(٣)

(٢) أنهم أجل قدراً من أن يجهلوا شيئاً مما أوضحه القرآن أو مما أعلنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم من العلوم يقول — يرحمه الله — : " والصحابة رضي الله عنهم أجل قدراً من أن يجهلوا شيئاً مما يعلنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم من أنواع العلوم. وقد تلقوا القرآن والسنة من النبي صلى الله عليه وسلم وبلغوهما عنه ، وكانوا أعلم الأمة بكتاب الله تعالى وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله . وقد قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : " من كان مستنئاً فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة " رواه أبو نعيم في الحلية ^(٤) وروى رزين عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعمق هذه الأمة علماً فمحال أن

^(١) إيضاح المحجة : ١٢٠، ١١٨، ١١٠، ١١٠.

^(٢) نفس المصدر : ١٤.

^(٣) الرد على الكاتب المفتون : ٩٧.

^(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : ١ / ٣٠٥ . وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انظر : جامع بيان العلم : ٢ / ١١٩ ونحوه في مشكاة المصابيح للتبريزي باب الاعتصام بالكتاب والسنة أثر رقم : ١٩٣ وقال عنه الألباني : منقطع ، وأعلام الموقعين لابن القيم : ٤ / ١٣٩ .

يعلن النبي ﷺ شيئاً من الحقائق العلمية الخطيرة عن الأرض والقمر ولا يعرفها أحد منهم. ومحال أيضاً أن يعرف الفلكيون في العهد الأخير واتباعهم من العصرين من حقائق القرآن العلمية ما لا يعرفه الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان وأئمة العلم والهدى من بعدهم ^(١) ويقول — يرحمه الله — في موضع آخر: " وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعرق هذه الأمة علماً ؛ فمحال أن يوضح القرآن شيئاً ولا يتمكنهم معرفته وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيها والعمل بهن " ^(٢) وفي الصحيحين عن مسروق قال : قال : عبدالله — يعني ابن مسعود — رضي الله عنه: " والله الذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت وما من آية إلا أنا أعلم فيما نزلت " ^(٣) " ^(٤). ويقول — يرحمه الله —: "... وأن العلماء في القرون الماضية كانوا أعلم بالأمور الكونية من جهلة العصرين المفتونين بتقليد فلاسفة الإفرنج وتفسيرهم يعتمد على ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ثم ما جاء عن التابعين — يرحمهم الله — وأئمة العلم والهدى من بعدهم ، ثم على لغة العرب التي نزل بها القرآن " ^(٥).

^(١) ذيل الصواعق : ٢١٨. يقال هنا : إن كان هذا العلم الذي توصل إليه علماء الفلك وغيرهم في عصرنا الحاضر ، هو من العلوم الدنيوية التي تكتسب عن طريق البحث والعلم والتجربة و هي في نفس الوقت لا تتعارض مع كتاب الله عز وجل أو سنة نبيه ﷺ ، فليس في ذلك أي انتقاص لقدر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أو اتهام لهم بالجهل ، وقد يسر الله لعباده من الوسائل الموصلة إلى حقائق علمية ، لم تكن معروفة بتفصيلاتها على عهد النبي ﷺ وأصحابه من بعده ، و التوصل إلى مثل هذه الحقائق لا يعني أن فيه انتقاص لصحابة رسول الله ﷺ كونهم لم يتوصلوا إليها .

^(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري : ١ / ٣٦ ؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١ / ٤ ؛ سير أعلام النبلاء : ١ / ٤٩٠

^(٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن برقم: ٤٦١٨ ، ومسلم في فضائل الصحابة برقم : ٤٥٠٣ .

^(٤) المصدر السابق : ٢١٧.

^(٥) ذيل الصواعق : ٣٣٣.

(٣) نبه على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم في المسائل المهمة من الدين رضي الله عنهم أجمعين. حيث نقل — يرحمه الله — كلام الإمام ابن القيم — يرحمه الله — بعد إيراد جملة من الأحاديث في القدر السابق : " قال ابن القيم رحمه الله تعالى : فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع من العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجهد والاجتهاد ، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم فإن النبي ﷺ أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليفة بالأسباب (١) " (٢) ويقول : " إن المفاخر كل المفاخر للذين حملوا علم الكتاب والسنة ونشروه في هذه الأمة وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان ، وأئمة العلم والهدى من بعدهم . " (٣)

(٤) يقرر الشيخ — يرحمه الله — بأن الصحابة أعظم الناس إيماناً بأقوال الرسول ﷺ وأخباره وأشدّهم مسارعة إلى تقبل ما يحدثهم به عن الأمور الغيبية ويدعو الله أن يبعد كل من يؤذي الصحابة أو يرميهم بأية نقيصة — ونحن نؤمن على دعائه — يقول — يرحمه الله — : " وقد كان الصحابة ﷺ أعظم الناس إيماناً بأقوال الرسول ﷺ وأخباره ، وأشدّهم مسارعة إلى تقبل ما يحدثهم به عن الأمور الغيبية ؛ فلو أنه رأى العوالم الكبرى التي زعموها وحدث الصحابة عنها ؛ لسارعوا إلى تصديقه وقبول ما يخبرهم به، وقد أخبرهم أنه رأى الجنة والنار ، ورأى جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق ، ورأى سدرة المنتهى ، ورأى البيت المعمور إلى غير ذلك مما رآه

(١) شفاء العليل : ١ / ٧٧ .

(٢) فتح المعبود : ١٠٨ .

(٣) ذيل الصواعق : ١١ .

وماوقع له في ليلة الإسراء والمعراج... وكل واحد مما رآه وماوقع له أعظم بكثير من العوالم الكبرى التي زعموها ، وقد قابل الصحابة رضي الله عنهم أخباره كلها بالإيمان والتسليم ، فأبعد الله من عاب الصحابة ورماهم بضعف العقول " (١)

هـ) وضّح — يرحمه الله — أن الصحابة كانوا أشد الأمة محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وأحرص الناس على الخير وتحصيل العلم النافع وأسبقهم إلى ذلك ، وأشدّهم مسارعة إلى الأعمال التي تستجلب بها محبة الله تعالى ويتعرض بها لنفحاته وكذلك كان حال تابعيهم من بعدهم يقول — يرحمه الله — في معرض تعداد له لأوجه الرد على كلام للشيخ محمد الصواف — يرحمه الله — قال فيه : بأن علم الفلك يبعث الإيمان ويزيده ويدعو إلى تعميق جذوره في قلب الإنسان : " الوجه الرابع أن يقال : لو كان علم الفلك يبعث الإيمان ويزيده ويدعو إلى تعميق جذوره في قلب الإنسان ؛ لكان الصحابة رضي الله عنهم أحرص عليه من غيرهم فإنهم كانوا أحرص على الخير وتحصيل العلم النافع ممن كان بعدهم . وقد كان بعضهم يسافر مسيرة الشهر وأكثر من ذلك في طلب الحديث الواحد وكذلك كان التابعون وتابعوهم بإحسان وأئمة العلم والهدى من بعدهم فإنهم كانوا يسافرون إلى الأقطار البعيدة في طلب العلوم النافعة ... " (٢).

ويقول — يرحمه الله — في معرض رده على الرفاعي (٣) في مسألة الاحتفال بالمولد واستدلال الرفاعي بأنه كون السلف لم يفعلوه ليس بدليل لمن يعترض على الاحتفال بالمولد وإنما هو عدم دليل يقول : " كون السلف الصالح لم

(١) انظر السراج الوهاج : ٧٤ .

(٢) انظر ذيل الصواعق : ٣١٨ . أقول : من علم الفلك ما يبعث الإيمان ويزيده ويدعو إلى تعميق جذوره ؛ وهو ما يوصل إلى معرفة حقائق في هذا الكون تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى .

(٣) هو يوسف بن هاشم الرفاعي من الكويت كتب مقالا يرد به على فتوى الشيخ عبدالعزيز بن باز يرحمه الله في النهي عن الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويرد أيضاً على الذين ينكرون سياقة النساء للسيارات وقد نشر هذا المقال في جريدة السياسة الكويتية .

يفعلوه [يعنى المولد] ليس بدليل للمعترض وإنما هو عدم دليل^(١) فأجاب الشيخ على ذلك بعدة أوجه منها : "الوجه الثاني أن يقال : إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أسبق إلى الخير وأحرص عليه ممن جاء بعدهم ، ومع هذا لم يكونوا يحتفلون بالمولد ويتخذونه عيداً ؛ ولو كان في ذلك خيراً لسبقوا إليه ..."^(٢)

ويقول الشيخ — يرحمه الله — في معرض رده على الكاتب المفتون^(٣) الذي زعم أن المولد إجتماع في ليلة مباركة على أمة محمد ، إجتماع يُستشعر فيه الحب الإلهي ويتعرض فيه لنفحات الرب ، وقد أجاب الشيخ — يرحمه الله — على هذا الزعم من عدة أوجه ومن ضمنها قوله : "الوجه الخامس : أن يقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا أحرص الناس على فعل الخير وأشدّهم مسارعة إلى الأعمال التي تستجلب بها محبة الله تعالى ويتعرض بها لنفحاته ، ومع هذا فلم يكونوا يحتفلون بليلة المولد ولا يخصصونها بشيء من الأعمال دون سائر الليالي ؛ ولو كان في الاحتفال بالمولد شيء من الخير لسبقوا إليه "^(٤)

(٦) نبه على أمر يُرد به على كل من حاول الطعن في روايتهم ونقلهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ هذا الأمر هو أن الصحابة رضي الله عنهم مترهون عن افتراء الكذب وأنهم كلهم عدول باتفاق الأمة يقول — يرحمه الله — : "وإنما يكون الإثم في افتراء الكذب لقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾"^(٥) والصحابة رضي الله عنهم مترهون عن افتراء الكذب

(١)

(٢) الرد القوي : ١٢٦

(٣) هو كاتب وصفه الشيخ بأنه من المفتونين بالبدع كتب مقالاً سيئاً في جريدة الندوة السعودية تهجم فيه على خطباء المساجد وأنكر عليهم ما صرحوا به في خطبهم من إنكار الولائم التي يصنعها أهل الميت للعزاء ، وتهجم أيضاً على الخطيب في المسجد الحرام لإنكاره بدعة المولد .

(٤) الرد على الكاتب المفتون : ١٦٥ — ١٦٦ ، ٢٠٥ .

(٥) النحل : ١٠٥

فكلهم عدول بالاتفاق وأهل صدق وأمانة فرضي الله عنهم وأرضاهم، وأبعد الله من أبغضهم وتنقصهم ومن رماهم بما هم براء منه. " (١)

(٧) أثني على بعض الصحابة والتابعين على وجه الخصوص — رداً على من حاول الانتقاص من قدرهم أو النيل من مكانتهم — ومن هؤلاء الصحابة والتابعين أبي بكر وعمر وأبي هريرة رضي الله عنه، وعمر بن عبدالعزيز — يرحمه الله —

(أ) فقال في بيان منزلة أبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه في العلم ومكانتهم من الصحابة :

أن عمر رضي الله عنه كان أعلم الصحابة بعد أبي بكر رضي الله عنه وأنه لم يكن في زمانه أو بعده أحد يساويه في العلم فضلاً عن أن يكون من يفوقه في العلم رضي الله عنه يقول — يرحمه الله — في رده على الاستدلال بقول عمر رضي الله عنه : (نعمت البدعة هذه) في أن من البدع ماهو حسن ومنها ماهو سيء فرد الشيخ على ذلك من عدة أوجه ومن ضمنها قوله — يرحمه الله — : " الوجه الحادي عشر : أن يقال : إن صاحب المقال الباطل قد انتقص عمر رضي الله عنه ، ونحسه حقه ؛ وذلك في زعمه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا مثل عمر رضي الله عنه في العلم والفقه والمقام من رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وهذا قول باطل مردود على قائله ، فإنه ليس بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه أحد يداني عمر رضي الله عنه في العلم والفقه والمقام من رسول الله صلّى الله عليه وآله فضلاً عن أن يكون فيهم من يماثله ، والأدلة على ذلك كثيرة ... " (٢)

ويقول — يرحمه الله — : " وفي هذا الحديث (٣) فضيلة عظيمة لعمر رضي الله عنه لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله أعطاه فضل شرا به في النوم وشهد له في اليقظة بالعلم ، وقد

(١) الرد القويم : ٢٩٠ .

(٢) انظر الرد على الكاتب المفتون : ١٤٠ .

(٣) يعني به حديث الرؤية الذي قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله : ﴿ بينا أنا نائم أتيت بقدر لبن فشربت حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري ثم أعطيت فضلي لعمر بن الخطاب ﴾ قالوا : فما أولته يارسول الله ؟ قال : ﴿ العلم ﴾ أخرجه البخاري في كتاب العلم برقم : ٨٠ ، ومسلم في فضائل الصحابة برقم : ٤٤٠٤

ظهر أثر هذه الشهادة على عمر عليه السلام فكان أعلم الأمة بعد أبي بكر الصديق عليه السلام، ولم يكن في زمانه ومابعد زمانه أحد يساويه في العلم فضلاً عن أن يكون فيهم من يفوقه فيه " (١)

(ب) وأثنى كذلك على أبي هريرة عليه السلام رداً على من طعن فيه وبين أنه حافظ الأمة على الإطلاق وهو البار الصادق فيما روى يقول — يرحمه الله — : " وقد حاول المؤلف وأبو رية النيل من أبي هريرة عليه السلام والطعن فيه بكثرة ما روى من الحديث فكانا كمن ينطح الجبل العظيم ويظن أنه يضره وإنما يضر نفسه ولا يضر الجبل شيئاً . ومما مثل المؤلف وأبي رية وكلامهما في أبي هريرة عليه السلام إلا كما قال الشاعر : (٢)

وما ضر نور الشمس أن كان ناظراً
إليه عيون لم تزل دهرها عمياً
وكما قال الأعشى : (٣)

كناطح صخرة يوماً ليوهيتها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
وكما قال الحسين بن حميد : (٤)

ياناطح الجبل العالي ليكلمه
أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل
وبعد فإن أبا هريرة عليه السلام حافظ الأمة على الإطلاق ، وهو البار الصادق فيما روى ؛ وإن رغم أنف أبي رية ، وأنف المؤلف ، وأنوف أعداء السنة من الرافضة وأتباعهم " (٥).

(١) الرؤيا : ١٢٤، ١١٩ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) بيت للأعشى من قصيدته المشهورة : " ودع هريرة إن الركب مرتحل " انظر : ديوان الأعشى : ١٤٨ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) الرد القويم : ٢٧٠ .

ويقول في موضع آخر : "...اجتمع في أبي هريرة رضي الله عنه ثلاث خصال حميدة لا ينالها إلا القليل من الناس أحدها : أنه كان من حفاظ القرآن ، الثانية أنه كان من أئمة القراءات ، الثالثة أنه كان أحفظ من روى الحديث في عصره ، وخصلة رابعة أيضاً أنه كان من أئمة الفتوى من الصحابة رضي الله عنهم ... قال ابن سعد في الطبقات : أخبرنا محمد بن عمر أخبرنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن زياد بن ميناء قال : كان ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وعبدالله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبدالله ورافع بن خديج وسلمة ابن الأكوع وأبو واقد الليثي وعبدالله بن بجنة مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا ، والذين صارت إليهم الفتوى منهم ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم انتهى ^(١) فليتأمل الشائقون لأبي هريرة رضي الله عنه ماذكرنا من مناقبه الجلييلة وليتقوا الله إن كانوا مسلمين ، وليحذروا من العقوبات العاجلة أو الآجلة على بهتهم للصحابة ووقعهم في أعراضهم ، فما العقوبة من الظالمين ببعيد " ^(٢).

(ج) وأثنى الشيخ — يرحمه الله — على الخليفة عمر بن عبدالعزيز — يرحمه الله — وبين بأنه كان راشداً مهدياً بقوله : "وعمر بن عبدالعزيز كان مهدياً ، بل هو أولى باسم المهدي منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي﴾ ^(٣) وقد ذهب الإمام أحمد في إحدى الروايتين

^(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢ / ٣٧٢ .

^(٢) الرد القويم : ٢٧٤ .

^(٣) أخرجه الدارمي في المقدمة برقم : ٩٥ ؛ وابن ماجه في المقدمة برقم : ٤٢ ؛ وأبو داود في السنة ٤ / ٤٦٠٧ ؛ والترمذي في العلم برقم : ٢٦٧٦ وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح ؛ والحاكم في العلم وقال : هذا حديث صحيح ليس له علة ووافقه الذهبي ؛ والبيهقي في السنن الكبرى كتاب آداب القاضي :

عنه وغيره إلى أن عمر بن عبدالعزيز منهم ولا ريب أنه كان راشداً مهدياً
...". (١)

(٨) ذكر فضائل الخلفاء الراشدين الأربعة وما امتازوا به من خصائص لم تكن لمن بعدهم من الخلفاء بقوله: "وذلك لأن هؤلاء الأربعة قد امتازوا بخصائص لم تكن لمن بعدهم من الخلفاء منها صحبة النبي ﷺ والجهاد معه وشهادة النبي ﷺ لهم بالجنة وكونهم مع السابقين الأولين من المهاجرين وكون خلافتهم خلافة نبوة وأمر النبي ﷺ بالأخذ بسنته وسنتهم والتمسك بها والعض عليها بالنواجذ وهذه الخصائص هي التي تميزهم عن غيرهم من الخلفاء وتمنع أن يكون أحد في صفهم ولهم من الخصائص والفضائل الكثيرة غير ما ذكرنا ...". (٢)

(٩) أشار الشيخ — يرحمه الله — إلى أن تبشير العشرة من الصحابة بالجنة ثابت عن النبي ﷺ راداً على من زعم أن حديث التبشير لعشرة من الصحابة بالجنة معادلة صعبة تستوجب النظر مع ما شجر بين الصحابة ﷺ يقول — يرحمه الله —: "والجواب عن هذا من وجوه: أحدها: أن يقال: إن تبشير العشرة بالجنة ثابت عن النبي ﷺ وإن رغمت أنوف المبغضين للصحابة المتعرضين لما شجر بينهم، فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن رياح بن الحارث أن المغيرة ابن شعبة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره فجاءه رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة وأجلسه عند رجله على السرير فجاءه رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب وسب فقال: من يسب هذا

١٠ / ١١٤ ، وقال عنه الألباني : صحيح كما في صحيح سنن الترمذي برقم : ٢١٥٧ ، وصحيح سنن أبي داود برقم : ٣٨٥١ .

(١) انظر إتحاف الجماعة : ٢ / ٣٠٥ ؛ والصارم الصقيل : ٥٢. وانظر لمن قال عنه بأنه خليفة راشد : سير أعلام النبلاء : ٥ / ١٣٠ .

(٢) الاحتجاج بالأثر : ٢٣١ .

يامغيرة ؟ قال: يسب علي ابن أبي طالب . قال: يامغيرة بن شعب يا مغيرة ابن شعب ، ثلاثاً ألا أسمع أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك لاتنكر ولا تغير فأنا أشهد على رسول الله بما سمعت أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ فإني لم أكن أروي عنه كذباً يسألني عنه إذا لقيته أنه قال : ﴿أبوبكر في الجنة وعمر في الجنة وعلي في الجنة وعثمان في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبدالرحمن في الجنة وسعد بن مالك في الجنة وتاسع في الجنة لو شئت أن أسميه لسميته فضج أهل المسجد يناشدونه يا صاحب رسول الله من التاسع ؟ قال : ناشدتموني بالله والله العظيم أنا تاسع المؤمنين ^(١) ورسول الله ﷺ العاشر . ثم اتبع ذلك يمينا قال : والله لمشهد شهده رجل يغبر وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح ^(٢) ﴿ (٣)

والخلاصة:

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله — في هذا المطلب يتمثل في :
بيانه لمكانة علم السلف الصالح فهم أعلم الأمة على الإطلاق بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وأجل قدراً من أن يجهلوا شيئاً مما علمه رسول الله ﷺ ، كما نبه على جلاله فقههم ودقة أفهامهم وصحة علومهم في المسائل المهمة من الدين أما فيما يتعلق بإيمانهم فقد قرر أنهم أعظم الناس إيماناً بأقوال الرسول وأخباره ، وأشدّهم مسارعة إلى تقبل ما يحدثهم به عن الأمور الغيبية وهم أشدّ الأمة محبة

(١) يعني به نفسه سعيد بن زيد .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم : ١٥٤٣ ، وابن ماجه في المقدمة ، وأبو داود برقم : ٤٦٤٨ ، والترمذي في المناقب برقم : ٣٧٤٨ و٣٧٥٧ . وقال عنه الألباني : صحيح كما في صحيح سنن الترمذي برقم :

٢٩٤٦ ، ٢٩٤٧ ، ٢٩٥٥ .

(٣) المصدر السابق : ١٨١ .

للنبي ﷺ ، وأحرص الناس على الخير وتحصيل العلم النافع وأسبقهم إلى ذلك ، وهو وإن كان مسبوقاً في ذلك بالعلماء السابقين والمعاصرين له ، إلا أنه قد أضاف على ذلك الكثير ، وحشد النصوص والأدلة التي تبين فضل الصحب الكرام رضوان الله عليه أجمعين والتابعين لهم بإحسان .

المطلب الثاني: نشر فروع إقرارنا بغير قولناهم عن سنة الخلفاء

الراشدين وطريقهم إلى الصحابة

قد تقرر بأن الصحابة رضي الله عنهم هم أعلم الأمة على الإطلاق بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ، وأنهم هم الذين عاصروا التزليل على رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا أشكل عليهم أمر رجعوا إلى رسول الله ﷺ ؛ فبين لهم المراد . ولم يمت النبي ﷺ إلا وقد علمهم كل ما يحتاجون إليه من أمر هذا الدين كما ورد في الأثر عن أبي ذر رضي الله عنه ﴿ لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقرب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً ﴾ ^(١) هذا مع كونهم حريصين على الفهم والاستيعاب الدقيق الكامل لكل ما يتعلمونه من القرآن والحديث ^(٢) وكانت هذه حال التابعين من بعدهم الذين تلقوا علمهم عن الصحابة رضي الله عنهم .

و بناء على ذلك كله لزم أن يقدم قولهم إذا تعارض مع قول غيرهم ، كما إنه يلزم مع ذلك الدفاع عن سنة الخلفاء الراشدين المهديين ممن أمرنا بالتأسي بسنتهم كما في الحديث ﴿ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ﴾ ^(٣) ، وكذلك طريقة الصحابة رضي الله عنهم . وقد

قرر الشيخ — يرحمه الله — هذا الأمر وأوضحه في أكثر من موضع من ذلك:

(١) بيانه بأنه إذا تعارض قول ابن عباس ، ومن ذكر معه من أكابر السلف في تفسير آية وقول غيرهم ؛ فقول غيرهم مردود بلا ريب يقول — يرحمه الله

(١) أخرجه أحمد برقم : ٢٠٣٩٩ .

(٢) انظر قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي لمصطفى حلمي : ٥٢ .

(٣) سبق تخريجه انظر : ص ١٧٥ .

—: " وإذا تعارض قول ابن عباس رضي الله عنهما ومن ذكر معه من أكابر السلف في تفسير الآية الكريمة وقول الألباني فقول الألباني مطّرح مردود بلا ريب ؛ لأن الصحابة والتابعين أعلم بتفسير القرآن ممن جاء بعدهم ولا سيما حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما الذي دعا له رسول الله ﷺ أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل فكان كذلك ببركة هذه الدعوة المستجابة ^(١). " إلى أن قال : " وقد قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه " ^(٢).

(٢) وفي كتاب آخر يذكر الشيخ — يرحمه الله — أنه إذا تعارض قول أحد من الصحابة ومن قال بقوله من أكابر التابعين في إثبات أمر وقول غيرهم فإنه يقدم قول أعلام الأمة ^(٣).

(٣) ويوضح الشيخ — يرحمه الله — بأنه من المقرر عند أهل العلم أن أقوال التابعين في التفسير تقدم على أقوال من جاء بعدهم بقوله : " ولا يشك ذو عدل وإنصاف شم أدنى رائحة من العلم أن الأخذ بأقوال التابعين في التفسير أولى من الأخذ بأقوال من بعدهم من العلماء فضلاً عن ابن حزم وأشباهه ^(٤)، وذلك لأن أقوال التابعين أو غالبها مُتلقًى عن الصحابة رضي الله عنهم. والصحابة رضي الله عنهم تلقوا ذلك ، أو غالبه عن النبي ﷺ " ^(٥).

(١) الصارم المشهور : ٢٥١.

(٢) الصارم المشهور : ٢٥١. والاحتجاج بالأثر : ٢٥٤.

(٣) فصل الخطاب : ١٤٥ .

(٤) يعنى بذلك ما قاله ابن حزم — يرحمه الله — بعد أن أورد مجموعة من الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في تفسير ﴿ هو الحديث ﴾ بأنه الغناء حيث قال : " ولا حجة في ذلك كله لوجوه : أحدها : أنه لا حجة لأحد دون رسول الله ﷺ . والثاني : أنه قد خالف غيرهم من الصحابة والتابعين . والثالث : أن نص

أما دفاعه عن سنة الخلفاء الراشدين وطريقة الصحابة ﷺ فيتضح من خلال النقاط التالية :

(١) بين الشيخ — يرحمه الله — أن فعل عمر رضي الله عنه ليس من المحدثات بل هو من السنن التي يجب الأخذ بها حيث يقول : " والجواب عن هذا من وجوه أحدها : أن يقال إن إلزام عمر رضي الله عنه بالطلاق الثلاث لا يعد من المحدثات التي حذر رسول الله ﷺ منها وأمر بردها وإنما هو من السنن التي يجب الأخذ بها لقول النبي ﷺ ﴿ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ﴾ ^(١) وأيضاً فإن النبي ﷺ قد قال : ﴿ اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر ﴾ . ^(٢) ومن الاقتداء بعمر رضي الله عنه العمل بأمره في الإلزام بالطلاق الثلاث . وأيضاً فإن النبي ﷺ قال : ﴿ إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر يقول به ﴾ ^(٣) ومن الحق الذي جعله الله على لسان عمر

الآية يطل احتجاجهم بها لأن فيها ﴿ ومن الناس من يشتري هو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين ﴾ وهذه صفة من فعلها كان كافراً بلا خلاف إذا اتخذ سبيل الله هزواً . ولو أن امرأة اشترى مصحفاً ليضل عن سبيل الله ويتخذها هزواً لكان كافراً . فهذا هو الذي ذم الله تعالى وما ذم قط عز وجل من اشترى هو الحديث ليلتهي به ويروح نفسه لا ليضل عن سبيل الله تعالى فبطل تعلقهم بقول كل من ذكرنا "فصل الخطاب : ١٩٧ — ١٩٨ .

^(٥) انظر المصدر السابق : ١٦٩ ، وذيل الصواعق : ١٥٧ .

^(١) سبق تخريجه انظر : ص ١٧٥ .

^(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم : ٢٢١٦١ ؛ وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ، وأخرجه الترمذي برقم : ٣٦٦٢ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن و برقم : ٣٨٠٥ وقال عنه : حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقد قال عنه الألباني : صحيح كما في صحيح سنن الترمذي ٣ / ٣٩٢٤ . وصحيح ابن ماجه برقم : ٩٧ .

^(٣) أخرجه أحمد برقم : ٨٩٦٠ ؛ والترمذي في المناقب برقم : ٣٦٨٢ ؛ والحاكم في معرفة الصحابة برقم : ٤٥٠١ وقال عنه : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة وقال الذهبي : على شرط مسلم .

ﷺ إلزامه بالطلاق الثلاث ^(١) ، وفي كل من هذه الأحاديث أبلغ رد على من اعترض على عمر ﷺ وجعل سنته من قبيل المحدثات في الإسلام ^(٢) .

(٢) أوضح الشيخ — يرحمه الله — أنه لاختلاف في أن الصحابة ﷺ كلهم عدول وموثوق بروايتهم عن النبي ﷺ وبروايتهم بعضهم عن بعض عن النبي ﷺ وأنهم كانوا يعظمون السنة غاية التعظيم حيث يقول — يرحمه الله : "وقد كان السلف الصالح يعظمون السنة غاية التعظيم وينكرون أشد الإنكار على الذين يتهاونون بالأحاديث الصحيحة وعلى الذين يعارضونها بأقوال الناس وآرائهم وربما هجروا بعضهم إلى الممات " ^(٣) .

^(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — في الفتاوى : " وأما جمع الثلاث فأقوال الصحابة فيها كثيرة مشهورة : روى الوقوع فيها عن : عمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وعمران بن حصين وغيرهم . وروى عدم الوقوع فيها عن : أبي بكر ن وعن عمر صدراً من خلفته ، وعن علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وابن عباس أيضاً ، وعن الزبير ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين " . ثم قال بعد إيراد حديث ابن عباس رضي الله عنهما : " كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحد ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا أمراً كان لهم فيه أناة ؛ فلو أمضيته عليهم ؛ فأمضاه عليهم " يقول شيخ الإسلام : والذين ردوا هذا الحديث تأولوه بتأويلات ضعيفة ، وكذلك كل حديث فيه : أن النبي ﷺ ألزم الثلاث يمين أوقعها جملة . أو أن أحداً في زمنه أوقعها جملة فألزمه بذلك . " الفتاوى : ٣٣ / ٨٢ — ٨٤ . فشيخ الإسلام يرى أن الثلاث تقع واحدة . ويظهر لنا هنا أن الشيخ حمود قد خالف شيخ الإسلام في هذه المسألة وهذا يعطينا دليلاً على أن شيخنا الشيخ حمود ليس بمقلد لشيخ الإسلام كما قد يتوهم البعض لما يرى من تأثير الشيخ في كتاباته بشيخ الإسلام وإنما الشيخ متبع للدليل يرجح ما رجحه عنده الدليل بغض النظر عن القائل .

^(٢) الرد على الكاتب المفتون : ١٤٩ .

(٣) الرد القويم : ١٣ — ٢٢ .

ويقول : " ولاخلاف أن الصحابة كلهم عدول قال النووي في خطبة شرح مسلم : كلهم مقطوع بعدالتهم عند من يعتد به من علماء المسلمين انتهى ^(١) " (٢)

ويقول — يرحمه الله — في موضع آخر : " وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يروون ماسمعه من النبي ﷺ ويروون ماسمعه بعضهم من بعض عن النبي ﷺ ولا يذكرون الوسطة بينهم وبين النبي ﷺ ؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول بالاتفاق وأهل صدق وأمانة في روايتهم عن رسول الله ﷺ وفي رواية بعضهم عن بعض ، وقد قرر الحافظ ابن حجر في فتح الباري صحة الاحتجاج بمراسيل الصحابة رضي الله عنهم ، قال : لأن الوسطة بين الصحابي وبين النبي ﷺ مقبول اتفاقاً وهو صحابي آخر ، ذكر ذلك في الباب الرابع من كتاب العلم ^(٣) ، وقرر في أول كتاب بدء الوحي أن مرسل الصحابة محكوم بوصله عند الجمهور ^(٤) " (٥)

(٣) أوضح الشيخ — يرحمه الله — بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يخوضون في دقائق المسائل ويسألون النبي ﷺ عما أشكل عليهم حيث يقول — يرحمه الله — ناقلاً كلاماً قيماً للعلامة ابن القيم — يرحمه الله — : " قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على حديث أبي رزين رضي الله عنه وقوله : " كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع ؟! " ^(٦) وإقرار رسول الله ﷺ له على هذا السؤال ؛ رد

^(١) مقدمة شرح صحيح مسلم : ١ / ١٥

^(٢) الرد القويم : ٢٧٩.

^(٣) فتح الباري : ١ / ١٧٤

^(٤) فتح الباري : ١ / ٢٦ .

^(٥) الرد القويم : ٢٨٦.

^(٦) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائد المسند : ٤ / ١٣ ، ١٤ . ويقول عنه الأرنؤوط في تحقيقه للزاد : " وإسناده ضعيف لجهالة عبدالرحمن بن عياش السمعاني ، ودلم بن الأسود ، فإنه لم يوثقهما غير ابن حبان ، وأورده الهيثمي في المجمع : ١٠ / ٣٣٨ ، وزاد نسبه إلى الطبراني " زاد المعاد : ٣ / ٦٧٧ هامش رقم (١)

على من زعم أن القوم لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان بل كانوا مشغولين بالعمليات ، وأن أفراخ الصابئة والجنوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية أعرف منهم بالعلميات ، وفيه دليل على أنهم كانوا يوردون على رسول الله ﷺ ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات ، فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم ... (١) " (٢)

(٤) وأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقلون الرواية عن النبي ﷺ ويتورعون في التحديث بما لم يحفظوه ويضبطوا ألفاظه ، وكانوا يهابون الرواية ويعظمونها ويقللونها فيما لم تدع الحاجة إليه يقول — يرحمه الله — في معرض تعداده لأوجه الرد على قول : أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يتركون التحديث عن رسول الله ﷺ خوفاً من الزيادة أو النقصان في كلامه فرد الشيخ على هذا الإدعاء بعدة أوجه من ضمنها : " الوجه الثاني أن يقال مانقله الحافظ ابن حجر عن ابن بطال وغيره أنهم قالوا : إن كثيراً من كبار الصحابة لا يحدثون عن النبي ﷺ خشية المزيد والنقصان ليس على إطلاقه ، وإنما معناه أنهم يقلون الرواية عن النبي ﷺ ويتورعون عن التحديث بما لم يحفظوه ويضبطوا ألفاظه . والدليل على أنه ليس على إطلاقه أنه ليس أحد من كبار الصحابة إلا وقد روي عنه جملة من الأحاديث التي رواها عن النبي ﷺ فمقل منهم ومكثر ... " (٣)

(٥) كما بين — يرحمه الله — أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أنبه الأمة وأشدهم عناية بأقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وما كانوا يروون عن الكذابين ولاعن المتهمين بالنفاق يقول — يرحمه الله — في رده على الأستاذ رشيد رضا — يرحمه الله — في حديثه عن أشراط الساعة وطعنه فيها كما نقل ذلك عنه أبو رية في

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم : ٣ / ٦٨٠ .

(٢) إتحاف الجماعة : ٣ / ٣٠١ .

(٣) الرد القويم : ١١١، ١٧٦ .

كتاباه الذي أسماه (أضواء على السنة المحمدية) في صفحة ٢٤١ إلى صفحة ٢٤٣^(١) وعلى من زعم بأن كلام رشيد رضا من أهم ما يثبت براءة النبي ﷺ من تلك الأحاديث حيث دافع الشيخ حمود — يرحمه الله — عن تلك الأحاديث وبين بطلان ذلك الزعم وذكر في رده عدة أوجه منها: "الوجه السابع أن يقال: إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أنبه الأمة وأشدهم عناية بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله، وما كانوا يروون عن الكذابين ولا عن المتهمين بالنفاق، وإنما كانوا يروون عن إخوانهم الذين يثقون بهم وثوقهم بأنفسهم، ومن ظن أنهم كانوا يروون عن الكذابين أو عن المتهمين بالنفاق؛ فقد ظن بهم ظن سوء. قال العلامة المحقق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي^(٢) في رده على أبي رية: "لم يمت النبي ﷺ إلا وقد عرّف أصحابه المنافقين يقيناً أو ظناً أو تهمة، ولم يبق أحد من المنافقين غير متهم بالنفاق، ومما يدل على ذلك وعلى قتلهم وذلتهم وانقماعهم ونفرة الناس عنهم أنه لم يحس لهم عند وفاة النبي ﷺ حراك، ولما كانوا بهذه المثابة لم يكن لأحد منهم مجال في أن يحدث عن النبي ﷺ لأنه يعلم أن ذلك يعرضه لزيادة التهمة ويجر إليه مايكره، وقد سمى أهل السير والتاريخ جماعة من المنافقين لا يعرف عن أحد منهم: أنه حَدَّثَ عن النبي ﷺ

^(١) أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث لمحمود أبو رية: ٢٤١ — ٢٤٣. ومن ذلك قوله: " انتهى العلامة السيد رشيد رضا في تفسيره، بعد أن طعن في أحاديث أشراف الساعة وأماراتها — مثل الفتن والدجال والجساسة وظهور وغير ذلك — إلى هذه النتائج القيمة... " ومن المعلوم أن السيد رشيد رضا — يرحمه الله — هو أحد تلامذة الشيخ محمد عبده وهو من رواد المدرسة العقلية، وقد تأثر به السيد رشيد رضا، لكنه في آخر حياته غير من طريقته وبدأ يتجه إلى منهج السلف وطريقتهم وأخذ في العناية بكتب السلف ونشرها.

^(٢) هو العالم المحقق أبو عبدالله عبدالرحمن بن يحيى بن علي بن أبي بكر المعلمي العُتَمي اليماني، ينتسب إلى بني المعلم من بلاد عُتَمَة باليمن، توفي عام ١٣٨٦ هـ بمكة المكرمة. انظر: الشيخ عبدالرحمن المعلمي وجهوده في السنة ورجالها لمنصور بن عبدالعزيز السماري.

، وجميع الذين حدثوا كانوا معروفين بين الصحابة بأنهم من خيارهم انتهى (١) " (٢)

(٦) صور حال عنايتهم ﷺ بحفظ الأحاديث وأنهم كانوا يعتنون بها أشد الاعتناء حيث يقول — يرحمه الله — : " إن الصحابة ﷺ كانوا يعتنون بحفظ الأحاديث أشد الاعتناء . وكان أبوهريرة ﷺ قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء جزءاً لقراءة القرآن وجزءاً ينام فيه وجزءاً يتذكر فيه حديث رسول الله ﷺ . . . وقد كان التابعون وتابعوهم وأئمة العلم والهدى من بعدهم يعتنون بالحديث غاية الاعتناء ويتحفظونه كما يتحفظون القرآن . وقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ عن الإمام أحمد أنه قال : كان قتادة لا يسمع شيئاً إلا حفظه قرأت عليه صحيفة جابر مرة فحفظها، وذكر غيره عن قتادة أنه قرأ مرة سورة البقرة فلم يخطئ حرفاً ثم قال: لأنا لصحيفة جابر أحفظ مني لسورة البقرة (٣) " . (٤)

(٧) وأخيراً فقد نبه الشيخ بأن الصحابة ﷺ لا يجتمعون على شيء من البدع وإنما يجتمعون على السنة، ومن خالف إجماعهم فيخشى عليه من الوعيد الذي توعد الله به من شاق الرسول ﷺ واتبع غير سبيل المؤمنين، وأن إطراح أقوالهم ليس بالأمر الهين يقول — يرحمه الله — : " ومن المعلوم الذي لا يشك فيه عاقل له علم ومعرفة بالصحابة ﷺ أنهم كانوا أعلم الأمة بالكتاب وسنة رسول الله ﷺ وما هو مخالف له ، وعلى هذا فمن خالف إجماعهم على عد الاجتماع إلى

(١) الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السنة) من الزلل والتضليل والمجازفة : ٢٦٠ .

(٢) المصدر السابق : ٣٥٩ .

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ١٢٣

(٤) انظر المصدر السابق : ١٤٤ .

أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة فإنه يخشى عليه من الوعيد الذي توعد الله به من شاق الرسول واتبع غير سبيل المؤمنين^(١).
ويقول — يرحمه الله — في موضع آخر : "وقد أجمع الصحابة عليهم السلام وفيهم من الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما على إقرار ما فعله عمر رضي الله عنه من جمع الناس على إمام واحد في قيام رمضان، والصحابة عليهم السلام لا يجتمعون على شيء من البدع وإنما يجتمعون على السنة".^(٢)

والله اعلم :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله في هذا المطلب يتمثل في :
تقريره لتقديم قول الصحابة — رضوان الله عليهم أجمعين — إذا تعارض مع قول غيرهم ، وكذلك الحال بالنسبة للتابعين وتابعيهم بإحسان .
كذلك فهو يدافع عن سنة الخلفاء الراشدين و طريقة الصحابة ، مبيناً كون فعل عمر رضي الله عنه ليس من المحدثات ، مقررّاً لعدالة الصحابة كلهم وأن روايتهم موثوقة عن النبي صلى الله عليه وسلم و كذلك رواية بعضهم عن بعض ، مشيراً إلى تعظيمهم للسنة غاية التعظيم ، وهم مع ذلك كله يخوضون في المسائل الدقيقة ويسألون النبي صلى الله عليه وسلم عما أشكل عليهم .

كما أنه يوضح حالهم في الرواية من إقلاهم لها مع تورعهم في التحديث بما لم يحفظوه وتعظيمهم للرواية . وهم مع ذلك أنه الأمة وأشدّهم عناية بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله مع امتناعهم للرواية عن كذاب أو متهم بالنفاق .
و هو يصور حالهم مع حفظ الأحاديث واعتنائهم بذلك أشد الاعتناء .

(١) الرد على الكاتب المفتون : ٩٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٢٧ ، ١٤٩ .

وأخيراً نجد الشيخ — يرحمه الله — يبين حال إجتماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فهم لا يجتمعون على شيء من البدع وإنما يجتمعون على السنة.

والمطلب الثالث: ذكر محاصر الصحابة رضي الله عنهم وبما حكم من سيهم

يقول شيخ الإسلام — يرحمه الله — موضحاً موقف أهل السنة والجماعة مما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم: "ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون عن هذه الآثار المروية في مساويهم؛ منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص منه وغير عن وجهه الصريح، والصحيح منه هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيئون، وإما مجتهدون مخطئون" (١)

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكما أنهم يترضون عنهم ويحبونهم ويدافعون عنهم؛ فهم كذلك يكفون عن الخوض فيما شجر بينهم مما وقع بينهم مما أدى إلى القتال بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وهذا وقع عن تأويل واجتهاد، كل منهم يظن أنه على حق وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه: ﴿إِذَا حُكِمَ الْحَاكِمُ فاجتهد ثم أصاب؛ فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر﴾ (٢) فموقفنا منهم الإمساك عما شجر بينهم وألا نتخذ من فعلهم رضي الله عنهم مجالاً للسب والشتم والوقعة فيهم والبغضاء بيننا، والواجب علينا أن نسكت عما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم، وأن لا نطالع الأخبار أو التاريخ في هذه الأمور؛ إلا للمراجعة الضرورية. (٣)

(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام شرح ابن عثيمين ٢/ ٢٨٥-٢٨٧.

(٢) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة برقم: ٧٣٥٢؛ ومسلم في الأفضية برقم: ١٧١٦.

(٣) انظر شرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين ٢/ ٢٨٥-٢٨٦.

ومن هنا كان من جهد الشيخ حمود — يرحمه الله — في الدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم ما بوبه في ذكر محاسن الصحابة والكف عما شجر بينهم وقد أورد فيه الآثار الثابتة عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه في ذكر محاسن عثمان رضي الله عنه وعلى رضي الله عنه يقول — يرحمه الله — باب ذكر محاسن الصحابة والكف عما شجر بينهم عن سعد بن عبيدة قال: " جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنه فسأله عن عثمان رضي الله عنه ، فذكر محاسن عمله ؛ قال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال نعم . قال : فأرغم الله بأنفك ^(١) . ثم سأله عن علي رضي الله عنه ، فذكر محاسن عمله ؛ قال : هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال : لعل ذاك يسوؤك ؟ قال : أجل . قال : فأرغم الله بأنفك . انطلق فاجهد على جهدك " رواه البخاري ^(٢) ... وعن عثمان بن عبدالله بن موهب ؛ قال : جاء رجل من أهل مصر حج البيت ، فرأى قوماً جلوساً ، فقال من ، هؤلاء القوم ؟ قالوا : هؤلاء قريش . قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبدالله بن عمر . قال : يا ابن عمر ! إني سائلك عن شيء ؛ فحدثني عنه : هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم . فقال : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر . قال : ابن عمر رضي الله عنهما : تعال أبين لك : أما فراره يوم أحد ؛ فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر ؛ فإنه كان تحت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ لَكَ أَجْرٌ مِنْ شَهِدٍ بِدْرًا وَسَهْمِهِ ﴾ وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ؛ فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان ؛ لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى : ﴿ هَذِهِ يَدُ عَثْمَانَ ﴾

^(١) أرغم الله أنفه : أي ألزقه بالرغام ، وهو بالتراب ، هذا هو الأصل ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره . لسان العرب : ١٢ / ٢٤٦ .

^(٢) أخرجه البخاري في المناقب برقم : ٣٤٢٨ .

فضرب بها على يده ، فقال : هذه لعثمان ﴿١﴾. فقال له ابن عمر رضي الله عنهما : اذهب بها الآن معك " (١) " (٢)

كما أن الشيخ — يرحمه الله — بين أن من أصول أهل السنة والجماعة الكف عما شجر بين الصحابة ﷺ يقول — يرحمه الله — : "... من أصول أهل السنة والجماعة الكف عما شجر بين الصحابة ﷺ فلا يثير الكلام فيما شجر بينهم إلا من كان يتغني الطعن فيهم من أهل البدع والأهواء المخالفين لما عليه أهل السنة والجماعة ؛ وفي إثارة الكلام فيما شجر بينهم دليل على ما في قلب المتكلم فيهم من الغل والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ وقد قال الله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ (٣) (٤)

ومن جهود الشيخ في هذا الباب بيانه لحكم من سب الصحابة كيف لا وقد ورد النهي من النبي ﷺ عن الوقعة في الصحابة ﷺ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال : ﴿ لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ (٥) وفي الحديث الآخر : ﴿ الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه ﴾ (٦)

(١) أخرجه أحمد برقم : ٥٥١١، ٥٧٣٩ ؛ والترمذي في المناقب برقم : ٣٦٣٩ . وقال عنه الألباني : صحيح

كما في صحيح سنن الترمذي برقم : ٢٩٢٦ .

(٢) انظر إتحاف الجماعة : ١ / ١٨٣ — ١٩٦ .

(٣) البقرة : ١٣٤ ، ١٤١ .

(٤) الرد القويم : ١٨٣ .

(٥) أخرجه البخاري في المناقب برقم : ٣٣٩٧ ، ومسلم في فضائل الصحابة برقم : ٤٦١١ .

(٦) أخرجه أحمد برقم : ١٦٢٠١ ؛ والترمذي في المناقب برقم : ٣٧٩٧ .

ومن هنا كان بيان الشيخ — يرحمه الله — لهذه المسألة في دفاعه عن الصحابة رضي الله عنهم ويتضح ذلك — بإذن الله تعالى — من خلال تناول النقاط التالية :

(١) أوضح — يرحمه الله — أن الواقعة في الصحابة وإساءة الظن بهم ليس بالأمر الهين وأورد الأحاديث التي تنهى عن ذلك وتحذر من الوقوع فيه يقول الشيخ — يرحمه الله — : "والواقعة في الصحابة وإساءة الظن بهم ليس بالأمر الهين ، وقد روى أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ لا تسبوا أصحابي فلو أن أحداكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ ^(١) هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم ﴿ لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحداكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ ^(٢) ."

(٢) أوضح حكم الذم والسب وأن منه ماهو ملحق بالكفر ومنه ماهو فسوق ومنه ماهو جائز يقول — يرحمه الله — : "... من الخطأ الواضح إلحاق الذم والسب بالشرك والكفر على الإطلاق والحكم على الجميع بحكم واحد ، وذلك أنه لا بد من التفصيل بين أنواع الذم والسب ؛ لأن من ذلك ماهو كفر ومنه ماهو فسوق ومنه ماهو جائز . فأما مايلتحق بالكفر فهو أن يسب الله تعالى أو ملائكته أو أنبيائه أو أحداً منهم أو شيئاً من كتب الله وشرائعه لقول الله تعالى ﴿ قل أباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ﴾ ^(٣) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ ^(٣) . وأما ماهو فسوق فسب المسلم بغير حق لحديث

^(١) سبق تخريجه : ص ١٦٢ .

^(٢) انظر الرد القويم : ٢٩ وما بعدها .

^(٣) التوبة : ٦٥ ، ٦٦ .

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ﴿ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ﴾ متفق عليه ^(١) وأعظم هذا النوع سب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهو من الكبائر وقد ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سب الصحابة رضي الله عنهم وهو رواية عن الإمام مالك — يرحمه الله — " ^(٢) .

(٣) أورد الشيخ — يرحمه الله — كلام الإمام مالك — يرحمه الله — الذي نقله البغوي — يرحمه الله — في تفسيره عمن أصبح وفي قلبه غيظ على صحابة رسول الله ﷺ وذلك في معرض رده على من تهجم على أصحاب رسول الله ﷺ ورماهم بالغبوة والتغفيل يقول — يرحمه الله — : " من أقبح الجراة والوقاحة والتهور تهجم المؤلف تبعاً لأبي رية على أصحاب رسول الله ﷺ ورميهم بالغبوة والتغفيل بحيث تروج عندهم الأكاذيب وبحيث يتلقون كل مايلقى إليهم ولا يميزون بين الصدق والكذب ، وهذا صريح في التنقص لأصحاب رسول الله ﷺ والغضب منهم ، ولا يصدر ذلك إلا من منافق يبغض أصحاب رسول الله ﷺ ويغتاظ منهم وقد قال الله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ ^(٣) قال البغوي في تفسير هذه الآية : " قال مالك بن أنس : من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية " وقال ابن كثير في تفسيره : " ومن هذه الآية انتزع

(١) أخرجه البخاري في الإيمان برقم : ٤٦ ؛ ومسلم في الإيمان باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق

وقتاله كفر و برقم : ٩٧ .

(٢) فصل الخطاب : ١٣٧ .

(٣) الفتح : ٢٩ .

الإمام مالك في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة عليهم السلام، قال :
لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة عليهم السلام فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من
العلماء على ذلك ، والأحاديث في فضل الصحابة عليهم السلام والنهي عن التعرض لهم
بمساويهم كثيرة ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم . انتهى (١) " (٢)

(٤) ذكر الشيخ — يرحمه الله — بعضاً من قصص الذين يسبون الصحابة عليهم السلام
والعياذ بالله والعقوبة التي عجلت لهم ، كما ذكر بعضاً من الرؤى التي رأيت
في عقوبات من سب الصحابة عليهم السلام منها على سبيل المثال : قوله — يرحمه الله
— : " ومن قصص الذين يسبون الصحابة عليهم السلام ما ذكره ابن القيم في كتاب
(الروح) عن القيرواني : أنه ذكر في كتاب (البستان) عن بعض السلف قال :
كان لي جار يشتم أبا بكر وعمر — رضي الله عنهما — فلما كان ذات يوم
؛ أكثر من شتمهما ؛ فتناولته وتناولني ؛ فانصرفت إلى متري وأنا مغموم حزين ،
فنمت فتركت العشاء ؛ فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت : يا رسول الله !
فلان يسب أصحابك ، قال : (من أصحابي ؟) ، قلت : أبو بكر وعمر ،
قال : (خذ هذه المدية فأذبح بها) فأخذتها فأضجعت وذبحته ، ورأيت كأن
يدي أصابها من دمه ؛ فألقيت المدية ، وأهويت بيدي إلى الأرض لأمسحها
، فانتبعت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره ؛ فقلت : ما هذا الصراخ ؟ قالوا :
فلان مات فجأة ، فلما أصبحنا جئت فنظرت إليه ، فإذا خط موضع الذبح
و قد ذكر هذه القصة ابن الجوزي في (سيرة عمر بن الخطاب) عن رضوان
السمان (٣) " (٤)

(١) معالم التنزيل : ٧ / ٣٢٨ ؛ وتفسير القرآن العظيم : ٤ / ٢١٩ .

(٢) الرد القويم : ٢٣٠ — ٢٣١ .

(٣) الروح : ٢٨٩ — ٢٩٠ .

(٤) قصص العقوبات والعيبر والمواعظ : ٣٦ .

والمخلص :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله — في هذا المطلب يتمثل في :
 ذكر الشيخ — يرحمه الله — لمحاسن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، مبوباً
 لذلك في كتاباته .
 كما أنه يبين حكم سبهم ، ومن ذلك بيانه أن الواقعة فيهم وإساءة الظن بهم ليس
 بالأمر الهين وقد ذكر الأحاديث الواردة في النهي عن ذلك .
 وهو يوضح أحكام السب وأقسامه ما هو ملحق بالكفر أو الفسوق أو ما هو
 جائز ، كما أنه يقرر قول الإمام مالك — يرحمه الله — في تكفير من أبغض
 الصحابة كالرافضة .
 وأخيراً فالشيخ — يرحمه الله — يورد قصصاً لمن أبغض الصحابة والعقوبة التي
 عجلت لهم محذراً من الوقوع في هذا الإثم العظيم .

الطلب الرابع: بيان طريقة علماء السلف في الاستدلال

من الأمور المهمة التي ينبغي بيانها في معرض الدفاع عن العلماء — يرحمهم الله — من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان طريقتهم في استنباط المسائل والاستدلال عليها أو تقريرها ؛ حتى يتضح بطلان الطعن فيهم والتطاول على طريقتهم أو محاولة الخط من قدرهم سواء أكان ذلك للمخالف ، أو لمن يطالع كلامه وقد يتأثر بشبهاته وتبليسه .

من هنا كانت عناية الشيخ — يرحمه الله — بهذا الجانب في معرض دفاعه عن الصحابة والتابعين وعلماء السلف ويتضح ذلك — بإذن الله تعالى — من خلال تناول النقاط التالية .:

(١) فمن ذلك بيانه لطريقة العلماء — يرحمهم الله — في إيرادهم للأحاديث وأن عمدتهم على الصحاح من الأحاديث والحسان أما الضعيف فهم يذكرونه للاستشهاد لا للاعتماد يقول — يرحمه الله —: " أن الأحاديث التي وردت في المنع من الغناء والمعازف ليست كلها واهية كما زعم ذلك أبو تراب تقليداً لابن حزم . بل فيها الصحيح والحسن والضعيف ، وعمدة أهل الحق على الصحاح منها والحسان . وأما الضعيف فيذكرونه للاستشهاد لا للاعتماد . وأكثر الضعاف التي يذكرونها قد اتفقت معانيها مع تعدد طرقها وتباين مخرجها وهذا يدل على أن لها أصلاً وأيضاً فالأحاديث الصحيحة تشهد لها وتقويها" (١)

(١) فصل الخطاب : ١٥٩ .

ويقول — يرحمه الله — "...أما أهل السنة فإنهم لم يغتروا بكثرة الأحاديث الواردة في المهدي إنما اعتمدوا على الصحاح والحسان منها وماسوى ذلك مما تكلم العلماء في إسناده وإنما يذكرونه للاستشهاد لالاعتماد" (١)

ويقول: "...إن أهل السنة والجماعة لم يكونوا يستندون إلى الأحاديث الضعيفة والواهية ولا يحتجون بها فضلاً عن الأحاديث الموضوعة وإنما تروج الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة على الزنادقة وأهل البدع ومن يحذو حذوهم من جهال العصرين وأغبيائهم ومنهم المؤلف وأبو رية وأضرابهما من المنتسبين إلى العلم وهم بعيدون كل البعد عن العلوم الشرعية النافعة" (٢).

وقد بين الشيخ — يرحمه الله — أنهم في مسألة المهدي مثلاً لم يأخذوا أفكارهم عن الشيعة في مهديهم المزعوم ولم يقتبسوا من عقائدهم الفاسدة وأحاديثهم المكذوبة يقول: "الوجه الرابع أن يقال: إن علماء المسلمين لم يأخذوا من أفكار الشيعة في مهديهم المزعوم، ولم يقتبسوا من عقائدهم الفاسدة وأحاديثهم المكذوبة، وإنما اعتمدوا على ما ثبت عن النبي ﷺ بالأسانيد الصحيحة والحسنة مما لا يردده إلا جاهل أو مكابر أو معاند" (٣).

(٢) نبه الشيخ — يرحمه الله — على طريقتهم في كونهم لا يعبأون بأقوال أهل البدع ولا يذكرونها مع أقوال أهل السنة ولا يعدونها خلافاً يقول — يرحمه الله —: "ومنها أنه [أي الألو سي] أتى في صفحة ٢٥ و ٢٦ بجملة من أقوال أهل البدع وهذيان الصوفية في الكرسي، وقد تعقب ذلك بكلام بارد لا يشفي في ردها، وهذا خلاف ما كان عليه أهل السنة فإنهم كانوا لا يعبأون بأقوال أهل

(١) الاحتجاج بالأثر: ٤٩.

(٢) الرد القويم: ٢١٦.

(٣) الاحتجاج بالأثر: ١٦١.

البدع ، ولا يذكرونها مع أقوال أهل السنة ، ولا يعدون خلافهم خلافاً في الحقيقة ، وإذا ذكروا شيئاً من أقوالهم ذكروه مقروناً بالرد البليغ والإنكار الشديد والتحذير من الاغترار به ، لا بالتلميس والرد الضعيف كما فعله الألوسي^(١) .^(٢)

(٣) ذكر الشيخ — يرحمه الله — في بيان طريقتهم أيضاً : أنهم يؤمنون بما جاء في كتاب الله عز وجل وبما ثبت عن رسول الله ﷺ من أخبار الغيوب الماضية والآتية ولا يحكمون عقولهم في شيء منها يقول — يرحمه الله — :
 "... ما أشار إليه أبو عبيدة من مفهوم الدابة عنده بما يتفق مع عقله ومنطقه ودينه ؛ فإنه مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة ؛ فلا يتفق مع عقولهم ولا مع منطقهم ودينهم ؛ لأنهم يؤمنون بما جاء في كتاب الله تعالى وما ثبت عن

(١) أبو المعالي محود شكري الألوسي المولود ببغداد سنة ١٢٧٣هـ في أسرة معروفة بالعلم والدين وقد اشتهر بعلمه وتأليفه في اللغة والأدب والتاريخ والعلوم الأخرى توفي ببغداد سنة ١٣٤٢هـ وقد ذكر في كتابه (مادل عليه القرآن مما يعضده الهيئة الجديدة القويمة البرهان) من ص ٣٠-٣٣ كلاماً عن تفسير الكرسي في قوله تعالى : ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ ومن ذلك قوله : " والقائلون بالظاهر من الصوفية ، لم يشكل عليهم شيء من أمثال ذلك . وقد ذكر بعض العارفين منهم : أن (الكرسي) عبارة عن تجلي جملة الصفات الفعلية ، فهو مظهر إلهي ، ومحل نفوذ الأمر والنهي والإيجاد والإعدام المعبر عنهما بالقدمين . وقد وسع السماوات والأرض وجود عيني ، ووسع حكمي ؛ لأن وجودهما المقيّد من آثار الصفات الفعلية ، الذي هو مظهر لها . وليست القدمان في الأحاديث عبارة عن قدمي الرجلين ومحل النعلين ، تعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً ، ولا الأطيظ عبارة عما تسمعه وتفهمه في الشاهد ، بل هو إن لم تفوض علمه إلى العليم الخبير إشارة إلى بروز الأشياء المتضادة أو اجتماعها في ذلك المظهر الذي هو منشأ التفصيل والإحكام ، ومحل الإيجاد والإعدام ... " الخ مذكّره من هذيان المتصوفة وقال بعد ذلك كله : " وللصوفية في هذا المقام كلام غير هذا ، ولعلنا نشر إلى بعض منه إن شاء الله تعالى ... وأنا أقول غير مبال بجهول : إن غالب هذه الأقوال ليست برطب إذا عدت ولا يس . والمعول عليه ما أراد الله تعالى ورسوله بظاهر كلامهما ﴿ ربنا ءامنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ آل عمران ٥٣ . " ص ٣٢ — ٣٣ ، تحقيق محمد زهير الشاويش (مصر : المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ) .

(٢) الصواعق الشديدة : ١٢٥ .

رسول الله ﷺ من أخبار الغيوب الماضية والآتية ، ولا يحكمون عقولهم في شيء منها كما يفعله بعض أهل البدع ، ولا يتأولون الآيات والأحاديث على غير تأويلها ...".^(١)

(٤) بين حقيقة طريقة السلف مع القرآن والأحاديث الصحيحة وإجماع الأمة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم بأنهم لا يتأولون القرآن على غير تأويله ويعارضون به الأحاديث الصحيحة ، ولم يكونوا يقولون بحرية الفكر فيما خالف الكتاب والسنة أو الإجماع يقول — يرحمه الله — : "... لم يكن سلف الأمة وأئمتها يتأولون القرآن على غير تأويله ويعارضون به الأحاديث الصحيحة ، ولم يكونوا يقولون بحرية الفكر فيما خالف الكتاب والسنة أو الإجماع أو قول صاحب لم يخالفه قول غيره من الصحابة ، وإنما كانوا يحترمون القرآن والأحاديث الصحيحة وإجماع أهل العلم وأقوال الصحابة رضي الله عنهم ويجتهدون الرأي فيما لم يجدوا فيه دليلاً من القرآن ، أو من السنة ، أو من الإجماع ، أو من أقوال الصحابة رضي الله عنهم ومن سلك سبيلاً غير سبيل السلف الصالح من صدر هذه الأمة فليس من السلفيين ، ودعواهم أو دعوى أتباعهم أنهم سلفيون دعوى على غير حقيقة فلا تقبل ".^(٢)

ويقول — يرحمه الله — في بيان حقيقة السلفيين: "... إن السلفيين هم أهل السنة والجماعة وهم الذين يتمسكون بالقرآن والسنة وهي ما ثبت عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال سواء كانت موافقة للقرآن أو زائدة على مافيه وسواء كانت متواترة أو آحاداً ".^(٣)

(١) إتحاف الجماعة: ٣ / ١٨٦

(٢) الرد القويم: ٥٩ — ٦٠ .

(٣) المصدر السابق: ٦٠ .

والخلاصة :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله في هذا المطلب يتمثل في :
 بيانه — يرحمه الله — لطريقة العلماء في إيرادهم للأحاديث وأن عمدتهم على
 الصحاح والحسان أما الضعيف فيذكرونه للاستشهاد لا للاعتماد .
 و توضيحه لمسألة أن علماء السنة لا يعبؤون بأقوال أهل البدع ولا يذكرونها مع
 أقوال أهل السنة ولا يعدونها خلافاً . كما أنه يبين طريقتهم مع الكتاب والسنة
 فهم يؤمنون بكل ما جاء فيهما ولا يحكمون عقولهم في شيء منها كما يفعله
 بعض أهل البدع . وهم يحترمون القرآن والأحاديث الصحيحة وإجماع أهل العلم
 وأقوال الصحابة ، و يجتهدون الرأي فيما لم يجدوا فيه دليلاً من الأدلة السابقة .

والطلب الخامس: (الدفاع عن علماء السلف ومن دار على طريقته من العلماء)

من طريقة أهل السنة والجماعة أنهم يثنون على من سبقهم من أهل العلم والفضل ويترحمون عليهم ويدافعون عنهم ويلتمسون العذر لهم متى ماورد منهم الخطأ، ويعتقدون أنه لا عصمة لأحد سوى النبي ﷺ أما غيره من هذه الأمة فهم يصيبون ويخطئون فأهل السنة والجماعة يقبلون قول العالم متى ماكان موافقاً للكتاب والسنة ويردونه متى ماكان مخالفاً بغض النظر عن قائله مع التماسهم العذر للعالم المخطئ كيف وقد ورد في الحديث أنه بين الأجر والأجرين فهم كما قال تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ (١)

ومن هنا كان من منهجية الشيخ — يرحمه الله — في دفاعه عن الصحابة والتابعين وعلماء السلف دفاعه عن العلماء والتماس العذر لهم في حال خطأهم ومن ذلك :

(١) بيانه عند الحديث على مسألة نسخ قتل شارب الخمر في المرة الرابعة وما روجه بعض أهل زماننا ممن انتصر لمذهب ابن حزم — يرحمه الله — في هذه المسألة أن ماذكر في هذه الروايات كله من كلام محمد بن المنكدر لا من قول جابر رضي الله عنه حيث بين الشيخ — يرحمه الله — أن محمد بن المنكدر والزهري من أئمة التابعين وهما عالمان بإجماع الصحابة واختلافهم يقول — يرحمه الله — : "وعلى تقدير أن ماذكر من نسخ القتل كله من كلام ابن المنكدر والزهري

(١) الحشر : ١٠ .

فقولهما فيه كفاية في ذكر ما أجمع عليه المسلمون من نسخ القتل في الرابعة؛ لأن ابن المنكدر والزهري إمامان من أئمة التابعين، وعلمان بإجماع الصحابة واختلافهم؛ فخبرهما بإجماعهم على نسخ القتل في الرابعة مقبول، والله أعلم^(١).
(٢) دفاعه عن العلماء الذين أفتوا بحل الدخان، والتماس العذر لهم. حيث قال — يرحمه الله —: "فينبغي أن يعتذر عمن نقل عنهم الإفتاء بالحل من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم؛ بأنهم لم يثبت عندهم إسكار الدخان ولا تفتيره ولا حبه؛ ولم يبلغهم ثبوت ذلك عند غيرهم من العلماء ولو بلغهم ثبوت ذلك عند غيرهم لم يفتوا بحله"^(٢).

(٣) رده على الغماري — يرحمه الله —^(٣) عندما قال: بأن علماء الوقت هم شر من تحت أديم السماء. فقال الشيخ — يرحمه الله —: "والجواب أن يقال هذا الإطلاق خطأ ورجم بالغيب، ومن أين له العلم بأحوال العلماء كلهم حتى يحكم عليهم بأنهم شر من تحت أديم السماء؟ ﴿أطلع الغيب أم أتخذ عند الرحمن عهداً﴾^(٤) والحق أن العلماء ليسوا كلهم مذمومين، لأنهم لم يكونوا على طريقة واحدة، بل منهم المحسنون المستحقون للثناء والمدح، ومنهم المسيئون المستحقون للذم والقبح وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس﴾^(٥) رواه عن النبي ﷺ ثلاثة عشر

(١) الدلائل الواضحات: ١٣٤.

(٢) الدلائل الواضحات: ١٨٤.

(٣) أحمد بن محمد بن أحمد أبو الفيض الغماري الحسني الأزهري. متفقه شافعي مغربي، من نزلاء طنجة. توفي عام ١٣٨٠ هـ. انظر: الأعلام للزركلي: ١ / ١ / ٢٥٣.

(٤) مريم: ٧٨.

(٥) أخرجه البخاري في الاعتصام باب قول النبي ﷺ: ﴿لا تزال طائفة من أمتي﴾؛ ومسلم في الإمارة برقم

من الصحابة عليهم السلام، وكلها أحاديث صحيحة والمراد بالطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة . وجزم البخاري في صحيحه أنهم أهل العلم . وقال ابن المبارك وابن المديني وأحمد بن سنان وابن حبان : هم أصحاب الحديث . وقال يزيد ابن هارون وأحمد بن حنبل : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ؟ قال القاضي عياض : إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث انتهى . ^(١) وفي هذه الأحاديث رد لما جزم به المصنف في علماء الوقت ؛ لأن الطائفة المنصورة لم تنقطع من الأرض ولا تنقطع منها حتى يأتي أمر الله بهبوب الريح الطيبة التي تقبض روح كل مؤمن وإذا كانت الطائفة المنصورة باقية إلى الآن فلا بد أن يكون فيها علماء مصلحون لما أفسد الناس ، وأولئك من خير من تحت أديم السماء لا ما يقول المصنف أنهم شر من تحت أديم السماء " . ^(٢)

(٤) وهما هو يقول عن الإمام الزهري — يرحمه الله — عند قولهم : إن الزهري وهم في الحديث من خاتم الذهب إلى خاتم الورق : "وقال آخرون لاوهم فيه وتأولوه . ومسلك التأويل في هذا أولى من مسلك التوهيم ولا سيما في حق الزهري وأمثاله من أكابر الأئمة المعروفين بمزيد من الحفظ والإتقان والأقرب في هذا أن يحمل ما رواه الزهري على ما ذكره الإمام أحمد في رواية أبي طالب أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم خاتم من حديد عليه فضة فرمى به . وإخبار أنس رضي الله عنه عن الخاتم المطروح بأنه من ورق لا ينفي أن يكون باطنه حديداً وتكون الفضة ملوثة عليه كما في حديث معقيب رضي الله عنه فلعل أنساً رضي الله عنه سماه ورقاً باعتبار ظاهره والله أعلم " . ^(٣)

^(١) فتح الباري : ١٣ / ٣٠٦ .

^(٢) إيضاح المحجة : ١٨٨ — ١٨٩ .

^(٣) الإيضاح والتبيين : ١٦٨ .

ومن دفاع الشيخ — يرحمه الله — عن علماء السلف ومن سار على طريقتهم من العلماء رده مانسب إليهم من باطل فإنه ما فتى أعداء هذا الدين وأهل الشبه والضلال يُلبسون على الناس ويحاولون جاهدين تزييف باطلهم وتزيينه للناس لكي يقبلونه ومن ذلك نسبته إلى أهل العلم وزعم أنهم يقرون بذلك الباطل ؛ ومن هنا كانت أهمية أن يبين أهل العلم والفضل هذا الباطل ويذبون عن أعراض العلماء — يرحمهم الله — والناظر في هذا المطلب يجد كثرة مانسب إلى أهل العلم من باطل سواء أكانوا من الصحابة رضي الله عنهم أو تابعيهم من الأئمة المعترين — يرحمهم الله — وقد قام الشيخ — يرحمه الله — بجهد مشكور في هذا الباب ورد هذا الباطل على أصحابه بالحجة والبرهان سواء أكان ذلك في مسائل عقدية أو غيرها من المسائل الشرعية . وسأكتفي بضرب أمثلة على ذلك مما يتعلق بالمسائل العقدية :

- (١) مسألة إنكار النفخ في الصور وزعم أبي عبيدة أن هذا قول فريق من علماء المسلمين فرد عليه الشيخ — يرحمه الله — بقوله : "حاشا وكلا ؛ فلا يظن بأحد من علماء المسلمين أن يقول بهذا القول الباطل المعارض لنصوص القرآن والسنة ؛ ومن قال بهذا القول فهو من علماء الزيغ والضلال".^(١)
- (٢) مسألة المهدي وما ألصقه الشيخ عبدالله بن محمود — يرحمه الله — بالعلماء المتقدمين يرحمهم الله بقوله : "لهذا وقبل ذلك تنبه العلماء من المتقدمين والمتأخرين لرد الأحاديث التي يتلوها ويموهون بها على الناس فأخضعوها للتصحيح والتمحيص وبينوا مافيها من الجرح والتضعيف ، وكونها مزورة على الرسول من قبل الزنادقة والكذابين" ^(٢)

(١) إتحاف الجماعة : ٣ / ٢٦٣ .

(٢) لامهدي ينتظر بعد الرسول ﷺ خير البشر لعبدالله بن محمود : ١٩ .

وقد أجاب عليه الشيخ — يرحمه الله — بقوله: "وأما قوله وكونها مزورة على الرسول ﷺ من قبل الزنادقة والكذابين. فجوابه من وجوه أحدها أن أقول: لأعلم عن أحد من العلماء المتقدمين أنه رد الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في المهدي ولا أعلم عن أحد منهم أنه أخضع الأحاديث الثابتة فيه لما زعم ابن محمود أنه تصحيح وتمحيص ومعناه في الحقيقة الرد والاطراح لها والاستخفاف بشأنها. ولا أعلم عن أحد منهم أنه قال في الأحاديث الثابتة في المهدي إنها مزورة على الرسول ﷺ من قبل الزنادقة والكذابين فما ألصقه ابن محمود بالعلماء المتقدمين فهو من القول عليهم ولا صحة له. وإنا نطالب ابن محمود أن يذكر أسماء العلماء المتقدمين الذين زعم أنهم أخضعوا أحاديث المهدي للتصحيح والتمحيص الذي معناه الرد والاطراح لها، وأنهم حكموا عليها بأنها مزورة على الرسول ﷺ من قبل الزنادقة والكذابين، وأن يذكر الكتب التي ذكروا ذلك فيها، وأن يذكر مواضعها من صفحات الكتب؛ ولن يجد إلى ذلك سبيلاً".^(١)

كما رد الشيخ — يرحمه الله — على تقول ابن محمود على الحافظ المنذري — يرحمه الله — حيث قال: "وقد تعقب صاحب تهذيب السنن على حديث أم سلمة هذا وأعله بالبطلان"^(٢) يقول الشيخ — يرحمه الله —: "فجوابه أن يقال هكذا يكون التحقيق الذي حث ابن محمود على الرجوع إليه وزعم أنه تحقيق معتبر ولا مزيد عليه. وأقول لاشك أنه لا مزيد عليه في التخليط والتقول على العلماء، ومن طالع (تهذيب السنن) للمنذري لم يخف عليه ذلك. وأنا أذكر كلام المنذري بالنص ثم أبين ما وقع في كلام ابن محمود من التخليط

^(١) الاحتجاج بالأثر: ١٣٠ — ١٣١.

^(٢) لامهدي ينتظر بعد الرسول ﷺ خير البشر لعبدالله بن محمود ص ٤٤. والحديث هو: ﴿المهدي من عترتي ومن ولد فاطمة﴾ وقد ذكره ابن محمود في كتابه بقوله ﴿المهدي من عترتي ومن فاطمة﴾

والتقول على المنذري وغيره ، قال المنذري في تهذيب السنن : وفي حديث أبي داود قال عبدالله بن جعفر — وهو الرقي — وسمعت أبا المليح — يعني الحسن ابن عمر الرقي — يثني على علي بن نفيل ويذكر منه صلاحاً ، وقال أبو حاتم الرازي : علي بن نفيل جد النفيلي لأبأس به ، وقال أبو جعفر العقيلي عن ابن نفيل ، حراني ، هو جد النفيلي عن سعيد بن المسيب في المهدي لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به ، وساق هذا الحديث ، وقال في المهدي أحاديث جواد من غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ ، بلفظ « رجل من أهل بيته » على الجملة مجملاً . هذا آخر كلامه ، وفي إسناد هذا الحديث أيضاً زياد بن بيان قال الحافظ أبو أحمد بن عدي : زياد بن بيان سمع علي بن نفيل جد النفيلي وفي إسنادة نظر سمعت ابن حماد يذكره عن البخاري وساق الحديث وقال : والبخاري إنما أنكر من حديث زياد بن بيان هذا الحديث ، وهو معروف به ، هذا آخر كلامه ، وقال غيره : وهو كلام معروف من كلام سعيد بن المسيب ، والظاهر أن زياد بن بيان وهم في رفعه .^(١) انتهى كلام المنذري وقد زعم ابن محمود أن صاحب تهذيب السنن تعقب على حديث أم سلمة وأعله بالبطلان . وأقول هذا من القول على المنذري ؛ فإنه لم يقل إن الحديث باطل ولا أشار إلى ذلك . ألا يتقي الله ابن محمود فيما ينقل عن العلماء .^(٢)

(١) مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري : ٦ / ١٥٩ — ١٦٠ وهو كما أثبتته الشيخ حمود يرحمه الله . أقول : الذي يظهر من كلام الحافظ المنذري — يرحمه الله — أنه قد نقل كلام من وثق ابن نفيل و من ضعفه ، وكذلك الحال بالنسبة لزياد بن بيان الذي أنكر البخاري حديثه هذا في المهدي ؛ و ابن محمود محق في أن المنذري تعقب هذا الحديث ؛ و لكن الحافظ المنذري في نفس الوقت يصحح أحاديث أخر وردت في المهدي ، و لم يشير إلى ذلك ابن محمود ، و الشيخ حمود يرد على كلام ابن محمود من جملة كلام يرد فيه ابن محمود أحاديث ، و يزعم عدم ثبوتها .

(٢) الاحتجاج بالأثر : ٢٥٠ — ٢٥١ .

كما رد الشيخ على مانسبه ابن محمود — يرحمه الله — إلى ابن القيم — يرحمه الله — بقوله : " فصل من كلام ابن القيم في كتابه (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) ... " ^(١) يقول الشيخ حمود — يرحمه الله — : " وقال ابن محمود في صفحة ٥٣ فصل من كلام ابن القيم في كتابه (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) ثم ذكر أربعة من الأحاديث الضعاف التي ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى وأعرض عن الأحاديث التي صححها في صفحة (١٤٣) و صفحة (١٤٤) و صفحة (١٤٥) و صفحة (١٤٧) و صفحة (١٤٨) فالأول عن ابن مسعود رضي الله عنه والثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والثالث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، والرابع عن أم سلمة رضي الله عنها ، والخامس عن جابر رضي الله عنه . وأعرض أيضاً عن قول ابن القيم في صفحة (١٤٨) بعد أن ساق بعض الأحاديث الواردة في المهدي ، وهذه الأحاديث أربعة أقسام : صحاح وحسان وغرائب وموضوعة ، وأعرض أيضاً عما نقله في صفحة (١٤٢) عن أبي الحسين الآبري ^(٢) أنه قال : قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي وأنه من أهل البيت ، وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلاً ، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه . وقد أقر ابن القيم قول الآبري ولم يتعقبه بشيء ^{(٣) (٤)}

^(١) لامهدي ينتظر بعد الرسول ﷺ خير البشر ص ٥٣ .

^(٢) الشيخ الإمام الحافظ محدث سجستان أبو الحسن (الحسين) بن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم السجستاني الآبري ، مصنف كتاب (مناقب الشافعي) توفي عام ٣٦٣ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي : ١٦ / ٢٩٩ .

^(٣) المنار المنيف لابن القيم : ١٠٨ ، (الطبعة الجديدة) وهو كما ذكره الشيخ حمود — يرحمه الله — .

^(٤) الاحتجاج بالأثر : ٢٧٣ — ٢٧٤ .

و رد — يرحمه الله — على كلام لابن محمود يقول فيه : " فلا حاجة للمسلمين في أن يهربوا عن واقعهم ، ويتركوا واجبهم ، لانتظار مهدي يحدد لهم دينهم ، ويسط العدل بينهم فيركنوا إلى الخيال ، والمخالات ، ويستسلموا للأوهام والخرافات . ثم يفرض عليهم علماؤهم التحجر الفكري ، والجمود الاجتماعي ، على اعتقاد ماتربوا عليه في صغرهم ، وماتلقوه عن آبائهم ومشايخهم ، أو على رأي عالم ، أو فقيه يوجب الوقوف على رأي مذهبه ، وعدم الخروج عنه وعلى أثره يوجب عليهم الإيمان بشخص غائب ، هو من سائر البشر يأتي في آخر الزمان ، فينقذ الناس من الظلم والطغيان " ^(١) وقد أجاب الشيخ حمود — يرحمه الله — على هذا الكلام من عدة أوجه من ضمنها : " الوجه الرابع : أن يقال : إن علماء المسلمين مترهون عما رماهم به ابن محمود من فرض التحجر الفكري والجمود الاجتماعي على غيرهم من المسلمين وإلزامهم باعتقاد مالميس بحق مما تربوا عليه في صغرهم وماتلقوه عن آبائهم ومشايخهم ، أو على رأي بعض العلماء أو بعض الفقهاء ، فكل هذا مما يتره عنه علماء أهل السنة . وأما حث الناس على الإيمان بما أخبر به رسول الله ﷺ من أنباء الغيب ومنها خروج المهدي في آخر الزمان فليس ذلك من فرض التحجر الفكري والجمود الاجتماعي كما زعم ذلك ابن محمود ؛ وإنما هو من النصيحة الواجبة على المسلمين بعضهم لبعض ، ومن الدعاء إلى الخير، والتعاون على البر والتقوى " ^(٢)

(٣) في مسألة يأجوج ومأجوج رد الشيخ — يرحمه الله — على مانسبه ابن محمود — يرحمه الله — إلى الشيخ عبدالرحمن السعدي — يرحمه الله —

^(١) لامهدي ينتظر بعد الرسول ﷺ خير البشر ص ٨٥ .

^(٢) الاحتجاج بالأثر : ٣٠٣ — ٣١٠ .

بقوله: " فبينما هم كذلك في غمرة من الجهل ساهون إذ طلع عليهم نور هداية ودلالة يحمله علامة القصيم الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي — رحمه الله — ويخبرهم عن حقيقة فتح يأجوج ومأجوج قائلاً: لاتبعوا النظرة ،ولاتسرحوا في الفكرة ، فإن يأجوج ومأجوج عن أيمانكم ، وعن شمائلكم ، ومن خلفكم،فما هم إلا أمم الكفر على اختلاف أجناسهم،وأوطانهم " ^(١) وقد أجاب الشيخ — رحمه الله — بقوله : " فجوابه من وجوه أحدها : أن يقال : هذا الكلام بهذا السياق غير موجود في رسالتي ابن سعدي اللتين كتبهما في خروج يأجوج ومأجوج ،والظاهر أن ابن محمود أخذه من مضمون كلام ابن سعدي ثم نسب له ، ولو أن ابن محمود نسبته إلى نفسه وذكر أنه أخذه من مضمون كلام ابن سعدي لكان أولى وأوفق للأمانة في النقل .الوجه الثاني : أن يقال : ما ذكره ابن محمود في يأجوج مأجوج أنهم أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ؛ فهو قول مخالف لما أخبر الله به عن ذي القرنين أنه جعل بين الناس وبين يأجوج ومأجوج سداً من حديد وأن يأجوج ومأجوج ما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ، وأنه إذا جاء وعد الرب تبارك وتعالى جعله دكاء وحينئذ يخرجون على الناس في آخر الزمان عند اقتراب الساعة ...ولا يخفى ما في الكلام الذي نسبته ابن محمود لابن سعدي من المخالفة لما أخبر الله به في كتابه ، وما كان كذلك فهو باطل وضلال ، ومن زعم أنه نور هداية ودلالة ؛ فلا شك أنه لا يعرف الفرق بين نور الهداية والدلالة وبين ظلام الضلال والإضلال ...الوجه التاسع : أن يقال : ما قرره الشيخ ابن سعدي في رسالته من أن يأجوج ومأجوج ما هم إلا أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ؛ فهو مخالف لما قرره في تفسيره

(١) لامهدي ينتظر بعد الرسول ﷺ خير البشر لابن محمود : ٧٥ .

لسورة الأنبياء؛ فقد قرر فيها أن يأجوج مأجوج إنما يخرجون في آخر الزمان^(١)... وفيما نقلته من كلام ابن سعدي في تفسيره أبلغ رد على ابن محمود حيث تعلق بالرسالة التي قد قرر ابن سعدي في الجزء الخامس من تفسيره خلاف ما قرر فيها^(٢)

(٤) في مسألة القول بخلق القرآن رد الشيخ — يرحمه الله — على الشيخ عبدالفتاح أبو غدة — يرحمه الله — في قوله نقلاً عن الكوثري: "ولم يحل قتل جهنم"^(٣) دون ذبوع رأيه في القرآن فافتتن به أناس فشايعه مشايعون، ونافروه منافرون؛ فحصلت الحيدة عن العدل إلى إفراط وتفريط، من غير معرفة كثير منهم لمغزى هذا المبتدع. أناس جاروه في نفي الكلام النفسي. وأناس قالوا في معاكسته بقدم الكلام اللفظي. "^(٤) فرد الشيخ — يرحمه الله — هذا الكلام مدافعاً عن أكابر علماء أهل السنة وراداً على مانسبه الكوثري إليهم من باطل حيث قال: "وأقول إن الأكابر من علماء أهل السنة قد عرفوا مغزى جهنم حق المعرفة؛ ولذلك نافروه، وكفروه، ونافروا أتباعه، وكفروهم، واستدلوا على تكفيرهم وبطلان أقوالهم في القرآن؛ بالأدلة الكثيرة من الكتاب

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن بن سعدي: ٤٨٠ تفسير آية ٩٦.

(٢) الاحتجاج بالأثر: ٣١٦ — ٣٥٩. وفي ص ٣٣٦ رد على زعم ابن محمود بأن العلماء وافقوا ابن سعدي في رسالته وبيان أن ذلك كلام باطل، وأنهم كلهم مجمعون على إنكارها والتحذير من الاعتراض بها وص ٣٥٨ بيان من الشيخ حمود — يرحمه الله — أن إنكاره لما توهمه ابن سعدي في أمر السد ويأجوج ومأجوج وما كتبه في التنبيه على أخطائه لا يمنعه من الثناء عليه والدعاء له بالمغفرة والرحمة فقد خلف رحمه الله علماً كثيراً في مؤلفاته وعند تلاميذه، فأما ما كتبه في رسالته في السد ويأجوج ومأجوج فهو من الزلات المغمورة في جنب فضائله ومحاسنه.

(٣) هو أبو محرز الجهنم بن صفوان السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمن صغار التابعين، وما علمته روي شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً. وكان قتله سنة ٢٢٨ هـ. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي: ٤٢٦/١.

(٤) مسألة خلق القرآن لأبي غدة: ٧.

والسنة . وذلك مبسوط في الكتب المصنفة في السنة والرد على الجهمية ، وليس في إنكار أهل السنة على الجهمية وردهم على أقوالهم الباطلة حيدة عن العدل إلى الإفراط أو التفريط ، كما قد زعم ذلك الكوثري ، بل إن أهل السنة لم يزلوا على العدل واتباع الحق . ومن أنكر ذلك فلا شك أنه هو الذي قد حاد عن العدل وكابر في رد الحق ، وأما الذين تابعوا جهماً وجاروه في نفي الكلام عن الله تعالى وفي زعمه أن القرآن مخلوق ؛ مثل بشر المريسي ^(١) ، وثامة ابن أشرس ^(٢) ، وأحمد بن أبي دؤاد ^(٣) وأضرابهم من الزنادقة ؛ فهؤلاء هم الذين حادوا عن العدل إلى الإفراط والتفريط ، بل إلى الكفر الصريح . وقد رد عليهم الإمام أحمد وغيره من أكابر العلماء ، وحذروا من أقوالهم ^(٤) المشتعلة على الكفر والزندقة " ^(٥)

وفي نفس هذه المسألة رد على زعم محمد بن عمر الصانع المكنى نفسه بأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري ^(٦) الذي قال فيه : إن مذهب ابن حزم —

^(١) هو بشر بن غياث المريسي مبتدع ضال ، تفقه على أبي يوسف فبرع ، وأتقن علم الكلام ، ثم جرد القول بخلق القرآن ، وناظر عليه ، ولم يدرك الجهم بن صفوان ؛ إنما أخذ مقالته ، واحتج لها مات سنة ٢١٨ هـ . قال أبو زرعة الرازي : بشر المريسي زنديق . انظر : ميزان الاعتدال للذهبي : ١ / ٣٢٢ — ٣٢٣ .

^(٢) هو ثامة بن أشرس أبو معن النميري النصيري ، من كبار المعتزلة ، ومن رؤوس الضلالة . انظر : ميزان الاعتدال للذهبي : ١٠ / ٣٧١ — ٣٧٢ .

^(٣) تقدمت ترجمته انظر :

^(٤) لفظة : (أقوالهم) : تشير إلى ما هو متقرر عند أهل السنة والجماعة من أن الحكم على الفعل بالكفر لا يعني الحكم على فاعله أو ما يعرف بالمعين إذ لابد من توفر شروط وانتفاء موانع حتى تتمكن بذلك من الحكم على المعين كما هو معلوم .

^(٥) تنبيه الإخوان : ٧ — ٨ .

^(٦) هذا كاتب معاصر له كتابات أدبية في الصحف ، وهو يتبنى آراء ابن حزم بل ويتعصب لها ، وقد رد عليه الشيخ في كتاب اسماء (الرد الجميل على أخطاء ابن عقيل) ثم رد عليه في مؤلف آخر لم يكمله ، واسمها (الصارم

يرحمه الله — في القرآن هو مذهب الإمام أحمد ابن حنبل — يرحمه الله —
 ، وأن ابن تيمية نص على ذلك في نقض المنطق .^(١) وقد رد الشيخ — يرحمه
 الله — بقوله : " وهذا من الغلط الواضح . بل من الكذب على الإمام أحمد
 وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى " ويقول في موضع آخر : " والجواب
 أن يقال : من زعم أن مذهب ابن حزم في القرآن هو مذهب الإمام أحمد رحمه
 الله تعالى فقد قال ظلماً وزوراً وجنى على الإمام أحمد رحمه الله تعالى جناية
 عظيمة ؛ وذلك لأن ابن حزم قال في أول الجزء الثالث من كتابه
 (الفصل في الملل والأهواء والنحل) أن المحفوظ في الصدور والمثبت في
 المصاحف منه والمسموع من تلاوة التالين والمفهوم من ذلك كله مخلوق
 .^(٢) وهذا من أقوال الجهمية . فأما أهل السنة والجماعة فإنهم ينكرون القول

الصقيل على هامة ابن عقيل) وهو المؤلف الذي نقلت منه هذه المسائل ، و هو رد وتعقيب على مسائل ذكرها
 ابن عقيل في كتابه (تحرير بعض المسائل على مذهب الأصحاب)

^(١) تحرير بعض المسائل على مذهب الأصحاب : ٧٣. ، وقد رجعت إلى نقض المنطق ووقفت على كلام
 شيخ الإسلام حيث يقول — يرحمه الله — : " ويقول إنه موافق للإمام أحمد في مسألة القرآن وغيرها ، ولا
 ريب أنه موافق له ولهم في بعض ذلك ، لكن الأشعري ونحوه أعظم موافقة للإمام أحمد بن حنبل ومن قبله
 من الأئمة في القرآن والصفات " ١٧ — ١٨ .

^(٢) يقول الإمام ابن حزم — يرحمه الله — بعد أن ذكر خمسة معان يعبر عن كل معنى منها بأنها قرآن ، و
 بأنه كلام الله تعالى وهي : الصوت المسموع وهو يسمى قرآناً حقيقة و المفهوم من صوت القارئ و هو
 يسمى قرآناً و كلام الله على الحقيقة و المصحف كله يسمى قرآناً و كلام الله و المستقر في الصدور يسمى
 قرآناً و علم الله تعالى لم يزل و هو كلامه غير مخلوق و ليس هو غير الله تعالى ثم قال بعد ذلك : " ولما
 كان اسم القرآن يقع على خمسة أشياء وقوعاً مستويماً صحيحاً ، منها أربعة مخلوقة ، وواحد غير مخلوق ؛ لم
 يجز لأحد البتة أن يقول : القرآن مخلوق ، ولا أن يقول : إن كلام الله تعالى مخلوق لأن قائل هذا كاذب
 ... " ٣ / ١٧ يقول الدكتور أحمد الحمد في تعليقه على هذا الكلام : " تبين لنا من عرض مذهب ابن
 حزم في كلام الله تعالى أنه قريب من مذهب السلف حيث قال : إن القرآن هو كلام الله تعالى على الحقيقة
 بلا مجاز و يعبر به عن خمسة أشياء : الصوت المسموع ، والمفهوم من الصوت ، والمصحف كله ، والمستقر
 في الصدور ، وعلم الله وهو كلامه . و بين اشتغال الأربعة الأولى على ما هو مخلوق مما هو من صفات

بخلق القرآن أشد الإنكار ويكفرون من قال ذلك . والإمام أحمد رحمه الله تعالى من أشد العلماء إنكاراً على الجهمية . وقد امتحن بسببهم وأوذي أذي كثيراً . وكلامه في تكفيرهم كثير جداً ... " (١)

٥) في مسألة معية الله تعالى لخلقه أوضح — يرحمه الله — جملاً لأهل العلم منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — والإمام ابن القيم — يرحمه الله — والحافظ ابن كثير — يرحمه الله — والحافظ ابن رجب — يرحمه الله — تعلق بها من ذهب إلى أن معية الله لخلقه معية ذاتية وظن أن فيها ما يؤيد مازعمه من أن معية الله لخلقه معية ذاتية وهذه الجمل هي:

قول شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — : " أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماساة أو محاذاة عن يمين أو شمال ؛ فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى ، فإنه يقال : مازلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا . ويقال : هذا المتاع معي لجامعته لك ؛ وإن كان فوق رأسك . فالله مع خلقه حقيقة ، وهو فوق عرشه حقيقة ، ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال : ﴿ يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها ﴾ إلى قوله : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (٢) دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه

العباد ، وهو بهذا موافق لمذهب السلف فهم لا يقولون بأن ما هو من أفعال العباد غير مخلوق . ولكنهم لا يطلقون الحكم جزافاً لما في النفي والإثبات من الإجمال ، وكل ما ذكر ابن حزم عند التفصيل أنه مخلوق فالسلف لا يخالفونه فيه . ولكنهم لا يقولون كقوله بأن الأربعة الأشياء التي يعبر بالقرآن عنها مخلوقة بل يفصلون : فما كان فعلاً للعبد فمخلوق ، وما ليس بفعل له فغير مخلوق . ويخالفون ابن حزم في قوله : إن القرآن ليس غير الله ... ويخالفونه في قوله : إن الله ليس متكلاً . ويوافقهم في قوله الآخر : إنه لم يزل متكلاً " انظر : ابن حزم وموقفه من الإلهيات للدكتور أحمد الحمد : ٢٥٥ — ٢٥٦ .

(١) الصارم الصقيل على هامة ابن عقيل : ١٠ ، ٨٦ .

(٢) الحديد : ٤

مطلع عليكم ، شهيد عليكم ، ومهيمن عالم بكم . وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه . وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته . " (١)

والجواب أن يقال : ليس في هذه الجملة ما يتعلق به من زعم أن معية الله لخلقه معية ذاتية ، وإنما الرد فيها عليه ؛ لأن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى قد صرح أن المعية المذكورة في قول الله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ قد دل ظاهر الخطاب على أن حكمها ومقتضاها أنه مطلع عليكم ، شهيد عليكم ، ومهيمن

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٥ / ١٠٣ — ١٠٤ ويجدر التنبيه هنا إلى أن قول شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — : " فالله مع خلقه حقيقة ، وهو فوق عرشه حقيقة " يتضح من خلال الوقوف على كلام لشيخ الإسلام يوضح فيه المراد بقوله (حقيقة) يقول — يرحمه الله — : " الحقيقة هو اللفظ المستعمل فيما وضع له ، وقد يراد بها المعنى الموضوع للفظ الذي يستعمل اللفظ فيه ... وهذه الأسماء والصفات لم توضع لخصائص المخلوقين عند الإطلاق ، ولا عند الإضافة إلى الله تعالى ولكن عند الإضافة إليهم . فاسم العلم يستعمل مطلقاً ويستعمل مضافاً إلى العبد كقوله ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾ ، ويستعمل مضافاً إلى الله كقوله : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ فإذا أضيف العلم إلى المخلوق لم يصلح أن يدخل فيه علم الخالق سبحانه ، ولم يكن علم المخلوق كعلم الخالق ... فمن ظن أن (الحقيقة) إنما تتناول صفة العبد المخلوقة المحدثة دون صفة الخالق كان في غاية الجهل ؛ فإن صفة الله أكمل وأتم وأحق بهذه الأسماء الحسنى . " ٥ / ٢٠٠ ويقول : " والجاهل يظن أن اسم الحقيقة إنما يتناول المخلوق وحده ، وهذا ضلال معلوم الفساد بالضرورة في العقول والشرائع واللغات " ٥ / ٢٠٢ ويقول : " فإذا قال : وجود الله ، وذات الله ، وعلم الله ، وقدرة الله ، وسمع الله ، وبصر الله وإرادة الله ، وكلام الله ورحمة الله ، وغضب الله ، واستواء الله ونزول الله ، ومحبة الله وإرادة الله ، ونحو ذلك ، كانت هذه الأسماء كلها حقيقة لله تعالى من غير أن يدخل فيها شيء من المخلوقات ، ومن غير أن يماثله فيها شيء من المخلوقات . " ٥ / ٢٠٧ ويقول : " وقد قال أبو عمر بن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بما وحملها على الحقيقة لا على المجاز ؛ إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك . " ٥ / ١٩٨ . ومن خلال هذا الكلام لشيخ الإسلام — يرحمه الله — يتضح أنه لم يرد بقوله " فالله مع خلقه حقيقة ، وهو فوق عرشه حقيقة " بأن معية الله لخلقه معية ذاتية بل إن شيخ الإسلام يقول في نهاية الكلام : " وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته "

عالم بكم ، قال : وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه . قال : وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته . انتهى ^(١)

ويقول — يرحمه الله — : " الجملة الثانية من الجمل التي تعلق بها المردود عليه قول شيخ الإسلام ابن تيمية في جواب له في صفحة ٢٣١ من المجلد الخامس من مجموع الفتاوى : فهو سبحانه مع المسافر في سفره ، ومع أهله في وطنه ، ولا يلزم من هذا أن تكون ذاته مختلطة بذواتهم — إلى أن قال : فالله عالم بعباده وهو معهم أينما كانوا ، وعلمه بهم من لوازم المعية ، ثم قال : فمدلول اللفظ مراد منه ، وقد أريد أيضاً لازم ذلك المعنى ، فقد أريد ما يدل عليه اللفظ في أصل اللغة بالمطابقة وبالالتزام ، فليس اللفظ مستعملاً في اللازم فقط ، بل أريد به مدلوله الملزوم وذلك حقيقة . والجواب أن يقال : إن المردود عليه قد اختصر كلام شيخ الإسلام ، وترك جملة من أوله فيها بيان المراد من كلامه في المعية ، وأنه معية العلم لعموم العباد ، ومعية النصر والتأييد والكفاية لأنبياء الله وأوليائه . وهذا نص كلام شيخ الإسلام قال : وأما القسم الرابع فهم سلف الأمة وأئمتها أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة ، فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كله من غير تحريف للكلم ، أثبتوا أن الله تعالى فوق سماواته ، وأنه على عرشه بائن من خلقه ، وهم منه بائون . وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه ، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية . وهو أيضاً قريب مجيب ففي آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم ، وكان النبي ﷺ يقول : ﴿ اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل ﴾ ^(٢) فهو سبحانه مع المسافر في سفره ، ومع أهله في وطنه ، ولا يلزم

^(١) إثبات علو الله ومبيانه لخلقه : ١٢٨ — ١٢٩ .

^(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج برقم : ٢٣٩٢ .

من هذا أن تكون ذاته مختلطة بذواتهم — إلى أن قال : فالله تعالى عالم بعباده ، وهو معهم أينما كانوا ، وعلمه بهم من لوازم المعية . انتهى . وفي قوله : إن الله تعالى فوق سمواته ، وأنه على عرشه بائن من خلقه ، وهم منه بائون ، وأنه مع العباد عموماً بعلمه ، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية أبلغ رد على من زعم أن معية الله لخلقه معية ذاتية ، وكذلك قوله : إن في آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم فيه أيضاً رد عليه " ^(١) وقال — يرحمه الله — : " الجملة الثالثة من الجمل التي تعلق بها المردود عليه قول شيخ الإسلام ابن تيمية في (العقيدة الواسطية) وكل هذا الكلام الذي ذكره الله تعالى من أنه فوق العرش ، وأنه معنا حق على حقيقة لا يحتاج إلى تحريف ، وقال في الفصل الذي يليه : وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته ، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته ، وهو عليّ في دنوه ، قريب في علوه . ^(٢)

والجواب أن يقال : إن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى لم يقل إن معية الله لخلقه معية ذاتية حتى يكون للمردود عليه تعلق بكلامه . وقد تقدم في الجواب عن الجملة الثانية مانقله شيخ الإسلام عن سلف الأمة وأئمتها أنهم أثبتوا أن الله تعالى فوق سمواته ، وأنه على عرشه بائن من خلقه ، وهم منه بائون ، وأنه مع العباد عموماً بعلمه ، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية ، وأن في آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم . فكلام شيخ الإسلام في (الفتاوى) يوضح كلامه في (العقيدة الواسطية) ويبين أنه أراد بالمعية معية العلم ، ولم يرد المعية الذاتية التي تستلزم مخالطة الخلق في كل مكان . وأما قول شيخ الإسلام : وهو

^(١) إثبات علو الله ومبانيته لخلقه : ١٣٠ - ١٣١ .

^(٢) شرح العقيدة الواسطية : ٢ / ٨٥ ، ٩٢ .

عليّ في دنوه ، قريب في علوه ، فمراده بالدنو نزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير كما جاء ذلك في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ^(١) . وكذلك دنوه من أهل الموقف عشية عرفة ... " (٢)

أما دفاعه عن ابن القيم — يرحمه الله — فبقوله: " الجملة الرابعة من الجمل التي تعلق بها المردود عليه قول ابن القيم في (مختصر الصواعق) المثل التاسع مما أدعي فيه المجاز قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾^(٣) وذكر آيات فيها المعية ، ثم قال : قالت المجازية : هذا كله مجاز يمتنع حمله على الحقيقة ، إذ حقيقته المخالطة والمجاورة وهي منتفية قطعاً فإذا معناها معية العلم والقدرة والإحاطة ، ومعية النصر والتأييد والمعونة . وكذلك القرب قال أصحاب الحقيقة : والجواب عن ذلك من وجوه — إلى أن قال : الوجه الرابع أنه ليس ظاهر اللفظ ولا حقيقته أنه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها — إلى أن قال : وغاية ما تدل عليه (مع) المصاحبة والموافقة والمقارنة في أمر من الأمور وذا الاقتران في كل موضع بحسبه يلزمه لوازم بحسب متعلقه . فإذا قيل: الله مع خلقه بطريق العموم ، كان من لوازم ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم ، وإذا كان خاصاً كقوله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾^(٤) كان من لازم ذلك معيته لهم بالنصر والتأييد والمعونة . قال : وقد أخبر الله

(١) يعني بذلك حديث : ﴿ يتزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول : من يدعوني فاستجب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفري فأغفر له ﴾ أخرجه البخاري في التوحيد برقم : ٦٩٤٠ وفي الجمعة برقم : ١٠٧٧ ، ١٢٦١ — ١٢٦٥ ، ومسلم في صحيحه في صلاة المسافرين وقصرها برقم : ١٢٦١ — ١٢٦٣ .

(٢) إثبات علو الله ومبياتته لخلقته : ١٣٢ — ١٣٣ .

(٣) الحديد : ٤ .

(٤) النحل : ١٢٨ .

تعالى أنه مع خلقه مع كونه مستوياً على عرشه — إلى أن قال : فعلوه لا يناقض معيته ، ومعيته لا تبطل علوه ، ثم تكلم عن قرب الله تعالى وقال : فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته قريباً ليس له نظير ، وهو سبحانه مع ذلك فوق سمواته على عرشه ، كما أنه سبحانه يقرب من عباده في آخر الليل ، وهو فوق عرشه ويدنو من أهل عرفة عشية عرفة وهو على عرشه . قال : وهو سبحانه قريب في علوه عال في قربه . قال : والذي يسهل عليك فهم هذا معرفة عظمة الرب وإحاطته بخلقه ، وأن السموات السبع في يده كخردلة في يد العبد ، وأنه سبحانه يقبض السموات بيده ، والأرض بيده الأخرى ، ثم يهزهن فكيف يستحيل في حق من هو هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه ، ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش . أهـ .^(١) والجواب عن هذا من وجهين : أحدها أن يقال : إن أهل السنة والجماعة أجمعوا على أن الله تبارك وتعالى مستو على عرشه ، وعلمه وقدرته وتدبيره بكل ما خلقه ، وأجمعوا على أن معنى قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾^(٢) ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه ، وأن الله تعالى فوق السموات بذاته ، مستو على عرشه كيف شاء ، وقد نقل ابن القيم هذا الإجماع في كتابه المسمى ب (اجتماع الجيوش الإسلامية)^(٣) والعمدة على هذا الإجماع ولا عبرة بما خالفه من أقوال الناس . الوجه الثاني : أن أقول : إني لم أر في شيء من كتب ابن القيم التصريح بأن معية الله لخلقه معية ذاتية ، وإنما كان كلامه يدور على إثبات معية العلم والقدرة والإحاطة والرؤية لعموم الخلق ، وعلى معية النصر والتأييد والكفاية لأنبياء الله وأوليائه ، وذكر في كتابه المسمى ب (اجتماع الجيوش الإسلامية) آيات كثيرة في

(١) مختصر الصواعق : ٢ / ٤٥٣ وما بعدها .

(٢) الحديد : ٤

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية : ٩٦ .

إثبات علو الرب تبارك وتعالى واستوائه على عرشه ومنها قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق السموات في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ ^(١) ثم قال : فذكر عموم علمه ، وعموم قدرته ، وعموم إحاطته ، وعموم رؤيته . وذكر أيضاً في كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية) عن القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني أنه قال : في قول الله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ ^(٢) يعنى بالحفظ والنصر والتأييد ، ولم يرد أن ذاته معهم . قال وقوله تعالى : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ ^(٣) محمول على هذا التأويل ، وقوله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ ^(٤) يعنى أنه عالم بهم وبما خفي من سرهم ونجواهم . انتهى ^(٥) وقد أقره ابن القيم على هذا القول ؛ وذلك يدل على الرضا به والموافقة عليه . وفيه رد لما تشبث به المردود عليه من كلام ابن القيم في كتاب (الصواعق المرسلة) وقد قال ابن القيم في كتاب (الصواعق المرسلة) قبل كلامه الذي نقله المردود عليه بأقل من صفحة : الوجه الثاني أن الله سبحانه قد بين في القرآن غاية البيان أنه فوق سمواته ، وأنه مستو على عرشه ، وأنه بائن من خلقه ، وأن الملائكة تعرج إليه وتترل من عنده ، وأنه رفع المسيح إليه ، وأنه يصعد إليه الكلم الطيب ، إلى سائر ما دلت عليه النصوص من مباينته لخلقه وعلوه علي عرشه ، وهذه نصوص محكمة فيجب رد التشابه إليها .

(١) الحديد : ٤ .

(٢) النحل : ١٢٨ .

(٣) طه : ٤٦ .

(٤) المجادلة : ٧ .

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية : ٤٠ .

انتهى^(١). قلت : وفي النصوص المحكمة الدالة على علو الله تبارك وتعالى فوق سمواته ، ومباينته لجميع خلقه أبلغ رد على من زعم أن معية الله لخلقه معية ذاتية ؛ لأن هذا القول الباطل يستلزم الحلول مع الخلق في أماكنهم وذلك من أبطل الباطل " (٢)

ويقول — يرحمه الله — دفاعاً عن الحافظ ابن رجب — يرحمه الله — :

" الجملة الخامسة من الجمل التي تعلق بها المردود عليه : قول ابن رجب في شرح الحديث التاسع من الأربعين النووية ، فهذه المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة ، بخلاف المعية العامة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ إلى قوله : ﴿ إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ (٣) إلخ فإن هذه المعية تقتضي علمه وإطلاعه ومراقبته لأعمالهم أهد (٤) والجواب أن يقال : إن كلام ابن رجب رحمه الله تعالى موافق لما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من أن المعية العامة معية العلم والإطلاع والمراقبة ، وأن المعية الخاصة معية النصر والتأييد والحفظ والإعانة ، وليس في كلامه ما يتعلق به من زعم أن معية الله لخلقه معية ذاتية . " (٥)

كما أنه دافع عن الحافظ ابن كثير — يرحمه الله — بقوله : " الجملة السادسة من الجمل التي تعلق بها المردود عليه : قول ابن كثير في تفسير سورة الحديد : أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في ليل أو نهار . الجميع في علمه على السواء وتحت سمعه وبصره ، فيسمع

(١) مختصر الصواعق : ٢ / ٤٥٥ .

(٢) إثبات علو الله ومباينته لخلقه : ١٣٤ — ١٣٧ .

(٣) المجادلة : ٧ .

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم : ١ / ٣٦٩ .

(٥) إثبات علو الله ومباينته لخلقه : ١٣٩ — ١٤٠ .

كلامكم ، ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم وقال في سورة المجادلة ، وقد حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه ، ولا شك في إرادة ذلك ، ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء . أهـ ^(١) . والجواب أن يقال : ليس في كلام ابن كثير ما يتعلق به من زعم أن معية الله لخلقه معية ذاتية ، وفيما ذكره ابن كثير من الإجماع على أن المعية معية العلم أبلغ رد على صاحب الزعم المخالف للإجماع . " ^(٢)

٦) وفي مسألة القول بفناء النار ونسبة ذلك إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى فقد بين الشيخ عدم ثبوت تلك النسبة إليهما ، مع أنه روي في ذلك آثار عن بعض الصحابة والتابعين . فهاهو يرد على من قال : " وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية قال بفناء النار فكانت شطحة إمام " ^(٣) يقول الشيخ حمود — يرحمه الله — : " فجوابه من وجوه أحدها أن أقول إني لم أر في كتب شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى أنه قال بفناء النار جازماً بذلك . فلا يبعد أن يكون ابن عقيل قد وهم فيما ذكره عن شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى ؛ فإن كان صادقاً فيما نسبته إلى شيخ الإسلام فليذكر الكتاب الذي جزم فيه شيخ الإسلام بفناء النار وليذكر موضع ذلك من الكتاب حتى ينظر فيه . " ^(٤)

^(١) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٣٢٦ .

^(٢) إثبات علو الله ومباينته لخلقه : ١٤٠ .

^(٣) تحرير بعض المسائل على مذهب الأصحاب لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري : ٧٩

^(٤) يقول فضيلة الشيخ الدكتور / عبدالله الدميحي عند تحقيقه لكتاب الشريعة للأجري تعليقاً على باب ذكر الإيمان بأن أهل الجنة خالدون فيها أبداً ، وأن أهل النار من الكفار والمنافقين خالدون فيها أبداً : " و القول السابع و هو القول بفناء النار قد نسب لشيخ الإسلام ابن تيمية و تلميذه ابن القيم أنهما يقولان به . أما شيخ الإسلام ابن تيمية فلم نقف له على شيء من ذلك في كتبه الكثيرة المطبوعة ، و لافتاواه المجموعة —

الوجه الثاني: أن أقول على سبيل الفرض والتقدير لو أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قال بفناء النار فليس ذلك شطحة كما زعم ذلك ابن عقيل؛ لأن القول بفناء النار قد روي فيه آثار عن بعض الصحابة والتابعين. روى بعضها ابن جرير في تفسيره^(١) وروى عبد بن حميد وحرب ابن إسماعيل بعضاً آخر. وقد

وكم افترى عليه وعلى أمثاله، ونسب إليه من المقولات ما لم يقله — بل إن الموجود عكس المنسوب إليه، وهو القول بدوامها ودوام عذابها على الكافرين، كما سيأتي بيانه. وغاية ما في الأمر أن ابن القيم ذكر عن شيخه شيخ الإسلام أنه قال عن هذه المسألة: ط فيها قولان معروفان عن السلف والخلف، والتراع في ذلك معروف عن التابعين (حادي الأرواح ص ٢٤٨). ثم قال ابن القيم: "قلت: هاهنا أقوال سبعة...". ثم قال عند القول السابع: "وهو قول من يقول بفنائها... فذكره ثم قال: "قال شيخ الإسلام: وقد نقل هذا القول عن عمر و ابن مسعود و أبي هريرة و أبي سعيد و غيرهم...". المرجع نفسه (ص ٢٤٩). كما أن الشيخ الألباني ذكر في مقدمته لكتاب (رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار) للأمير الصنعاني والذي ألفه للرد على الشيخين في هذه المسألة، ذكر أنه وقف في مخطوطات المكتب الإسلامي على ثلاث صفحات في ورقتين.. من رسالة ابن تيمية في الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ثم نقلها بنصها. وهي تشبه تماماً ما نقله ابن القيم في حادي الأرواح حينما نقل عن شيخ الإسلام... انظر مقدمة رفع الأستار: ص ٩. وهذه الرسالة لو سلّم جدلاً بصحة نسبتها إليه فإنه ليس فيها دلالة على القول بفناء النار. علماً بأنها مبتورة، ومجهولة النسخ، ومجهولة تاريخ النسخ. فلا يعتمد عليها في مثل هذه الحال لخلوها من أوليات التوثيق العلمي، وليست موجودة في شيء من كتبه ولا في مجموع الفتاوى التي جمعها الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، كما ذكر الألباني في المقدمة المذكورة (ص ١٤).

بل الموجود والثابت عنه ما يناقض ذلك تماماً. فنجد أنه يقول في مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٨): "قد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين... إلخ" كتاب الشريعة للآجري: ٣ / ١٣٧٢ — ١٣٧٣ وقد نقل الشيخ عبد الله بعد ذلك كلاماً عن شيخ الإسلام يرد فيه كله على من قال بفناء النار ثم قال بعد ذلك: "من هذا كله نخلص أنه ليس هناك ثمة دليل يثبت أن شيخ الإسلام ابن تيمية يخالف الجمهور في قولهم بأبديّة النار. وأن ما شاع واستفاض من ادعاء بأنه يقول بفناء النار دعوى تحتاج إلى دليل. والبيئة على المدعي، والله أعلم" ٣ / ١٣٧٤. قلت: وهذا هو نفس كلام شيخنا الشيخ حمود — رحمه الله —

^(١) جامع البيان: ١٢ / ١١٨.

ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)^(١) وفي كتابه : (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة)^(٢) وقد رد في كتابه (حادي الأرواح) على من عد القول بفناء النار من أقوال أهل البدع ؛ مع أنه لم يختار القول بفنائها ؛ بل اختار في كتابه (حادي الأرواح) الوقوف والانتهاء إلى قول الله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَاعِلٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾^(٣) ، واختار في كتاب : (الوابل الصيب في الكلم الطيب) أن الذي يفنى من النار دار العصاة من الموحدين ، فأما دار الخبيث المحض وهم : الكفار والمنافقون ؛ فلا تفنى " ^(٤)

وهذا نص كلامه قال : " ولما كان الناس على ثلاث طبقات طيب لا يشوبه خبيث . وخبيث لا طيب فيه . وآخرون فيهم خبيث وطيب ؛ كانت دورهم ثلاثة . دار الطيب المحض . ودار الخبيث المحض . وهاتان الداران لا تفنيان . ودار لمن معه خبيث وطيب وهي الدار التي تفنى . وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا

^(١) ص : ٤٣٥ ، يقول — يرحمه الله — عند تعدادهِ للأقوال في أبدية النار ودوامها : " السابع : قول من يقول : بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى ، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ، ثم تفنى ويزول عذابها . قال شيخ الإسلام : وقد نقل هذا القول عن عمر ، وابن مسعود ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد وغيرهم ... " .

^(٢) مختصر الصواعق : ١ / ٢٦٤ .

^(٣) هود : ١٠٧ .

^(٤) ص : ٤٧١ يقول — يرحمه الله — بعد استعراضه للأقوال من ص ٤٣٣ — ٤٧١ : " فإن قيل إلى أين تنتهي قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن — التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟ قيل : إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَاعِلٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وإلى هذا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء ، وقال : ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء " .

الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض . انتهى كلامه وفيه أبلغ رد على ابن عقيل " (١)

أو كان دفاعاً عن علماء أهل السنة فيما يتعلق برواية الحديث عن النبي ﷺ وما نسب إليهم من باطل في ذلك كزعم أن الصحابة رضي الله عنهم يناقض بعضهم بعضاً في الرواية فبين الشيخ — يرحمه الله — أن هذا زعم كاذب ورد على قائله . (٢)
كما رد على الطعن في أبي هريرة رضي الله عنه وهي طريقة معروفة عند أعداء هذا الدين لما اشتهر به ﷺ من كثرة روايته لأحاديث النبي ﷺ . (٣)
أو كان ممانسب إلى النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والتابعين والأئمة من أنهم قد استحسنوا شيئاً من البدع أفتوا بها وأثنوا عليها . (٤)

(١) تحرير بعض المسائل : ١٢٠ ؛ وانظر سجل رقم (٣) ص ٤٢ تعليق الشيخ — يرحمه الله — على كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح عند قوله : " فإن قيل فإلى أين ينتهي قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن... " ص ٢٣٧ طبعة فرج الله زكي الكردي في مصر مطبوع مع إعلام الموقعين في أعلى الصفحة .
(٢) انظر الرد القويم : ١٧٩ وص ١٥٦ الرد على مانسبه المؤلف إلى رواية الحديث من الإضافة والحذف إلى الأحاديث وص ١٨٦ الرد على رمية علماء الحديث بالسلبية وص ١٩٠ الرد على زعم أن من أهل السنة من وضع أحاديث كثيرة لنصرة مذهبه ودفاعه عن الشافعي ومانسب إليه من حديث باطل وص ١٩٢ دفاعه عن المالكية وص ٢٠٩ رد مانسب إلى معاوية رضي الله عنه من باطل بأنه وضع حديثاً لما عاد من العراق إلى الشام وص ٢٣٠ الرد على قول الزنديق (وأين للصحابة أن يفتنوا لتمييز الصدق من الكذب من أقوالهم ...)

(٣) انظر الرد القويم : ص ٢٧٨ الرد على مانسب إلى شعبة من قول باطل في أبي هريرة وص ٢٨٠ تكذيب مانسب إلى عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم من أنهم قد كذبوا أبي هريرة رضي الله عنه وص ٢٨٧ مانسب إلى عائشة رضي الله عنها من تكذيب أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) انظر الرد القوي : ص ٢٣ وص ٨٩ الرد على زعم أنهم استحسنوا بدعة المولد وص ٢٥ بيان أن سرور أهل الإيمان إنما يكون بإحياء السنن وإماتة البدع ، وص ٤٤ الرد على ما ذكر عن الشافعي وبيان أنه ليس فيه دليل على تحسين بدعة المولد ولا غيرها من البدع بل هو ذم للمولد لمخالفته للكتاب والسنة والأثر وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها ؛ وانظر رسالة في الرد على محمد عبده يمان ص ١ الرد على تقوله على الصحابة والتابعين في مسألة المولد .

أو مانسب إلى العلماء — يرحمهم الله — في مسائل التحليل والتحريم ومن ذلك زعم أنهم كانوا يستمعون الغناء المحرم والموسيقى ويحضرون مجالسهما^(١)، ومانسب إلى بعضهم من الرخصة في الغناء وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على هذا الباطل وبين بأن الحق خلاف ما ذكر وأن الأدلة من الكتاب والسنة والآثار الواردة كلها على خلاف ذلك.^(٢)

أو مانسب إليهم في مسألة ربا الفضل وقد بين الشيخ — يرحمه الله — رجوع من كان يقول به كابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما.^(٣) ونجد أن دفاع الشيخ — يرحمه الله — عن علماء السلف ومن سار على طريقته من العلماء يأخذ منحى آخر بحيث يرد على الطعن فيهم ويدافع عن طعن فيه من العلماء يرحمهم الله.

(١) هذا كلام مفتي مجلة العربي الصادرة في الكويت حيث يقول: "روي عن النبي ﷺ ثم عن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء الأجلاء — وهم أجل وأكثر ورعاً من فقهاء هذا الزمان — أنهم كانوا يستمعون إلى الغناء والموسيقى، ويحضرون مجالسهما الرثية من المحرم والمجون".

(٢) انظر فصل الخطاب: ٢٤٣، ٢٢٥، ٢٠٢، ١٥٩، ١٤٩؛ والرسالة البديعة: ٦٣، ٥٥؛ وانظر الرد الجميل: ص ٤٩، ٦٤ الرد على مانسب إلى ابن عباس رضي الله عنه وفقهاء المدينة السبعة وغيرهم من العلماء والأئمة من التصابي وحاشاهم أن يفعلوا شيئاً مما أشاع به ابن حزم عن نفسه في طوق الحمامة والرد على وعم ابن عقيل أنه لو أراد لجمع مجلدات ضخمة ولم يبق أماناً من يوثق بعدالته وص ٦٥ الرد على مانسبه إلى أبي الدرداء رضي الله عنه من قوله: «اجمعوا النفوس بشيء من الباطل ليكون عوناً لها على الحق».

(٣) انظر الصارم البتار: ص ٤٧ رجوع ابن عباس رضي الله عنه، وص ٥١ رجوع ابن مسعود رضي الله عنه عن جواز المفاضلة وص ٥٣ رجوع معاوية رضي الله عنه عن مخالفته لقول عمر رضي الله عنه وص ٧٩، ٨٣ دفاعه عن ابن رشد ومازعمه الفتان من أنه كان يحاول الكسر من حدة التطرف والتشدد في الربا وص ٨٤ الرد على تقول الفتان على ابن القيم في مسألة ربا الفضل وص ٨٦ بيان قول منسوب إلى الإمام أحمد لاتصح نسبته يدل على أن ماسوى ربا الجاهلية فكله مشكوك فيه وص ١٠٠ دفاعه عن ابن عمر وأسماء بن زيد وعبدالله بن الزبير وزيد بن أرقم والبراء ابن عازب ومعاوية رضي الله عن الجميع وص ١١٤ دفاعه عن سيد قطب ومانسب إليه من باطل في مسألة الربا وص ١١٩ دفاعه عن الهيتمي ومانسب إليه من باطل وص ١٣٤ دفاعه عن ابن القيم وماتعلق به الفتان من كلامه وص ١٨٢ دفاعه عن الشافعي وبيان التلبيس على الناس والتقول عليه.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم من التابعين وعلماء الأمة هو في حقيقته طعن في الدين الذين حملوه ونقلوه إلينا لأننا إذا طعنا في هؤلاء فبالتالي لن تكون هناك ثقة فيما نقلوه ؛ ومن هنا كانت خطورة الطعن في علماء الأمة وانتقاصهم والخط من قدرهم وكانت غيبتهم من أشد أنواع الغيبة لما يترتب على ذلك من مفسدات عظيمة بحيث يحرم الناس من الخير الذي معهم؛ ولذلك كانت جهود أهل العلم والفضل في الدفاع عن علماء الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتابعيهم ومن سار على طريقتهم من أئمة الدين رحمة الله على الجميع وكان رد العلماء على الطعن في هؤلاء الأئمة أياً كان هذا الطعن والانتقاص لقدرهم ومن أي شخص صدر كائناً من كان ونجد لشيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — جهداً طيباً مباركاً في هذا الباب يتضح للناظر في مؤلفاته — يرحمه الله — فهو يرد على رميهم بفساد الاعتقاد. ^(١)

كما أنه يرد على الطعن في طريقتهم في الأحاديث ويدافع عن المحدثين ويبين عدالتهم وحرصهم على حديث النبي ﷺ ويرد على اتهامهم بالغفلة وقبول التلقين والتساهل في أخذ الحديث وروايته. ^(٢)

^(١) انظر : الإحتجاج بالأثر ص ١٨٦ ؛ والرد القويم : ص ٥٠ ؛ والإجابة الجلية : ص ٢٣ الرد على إطلاق بعضهم صفة الجهل على من ينقد الأخطاء في عقيدة الأشاعرة واتهامه بالتكفير لأئمة الإسلام .

^(٢) انظر الإحتجاج بالأثر : ٤٩، ٧٤، وأنهم لم يغتروا بكثرة الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ وإنما هم يعتمدون على الأحاديث الصحيحة والحسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وص ٧٩ أنهم ليسوا أهل تقليد ينقلون القول على علته تقليداً لمن سبقهم . وص ١٥٥ بأنه ليس الأمر كما زعم ابن محمود من أن العلماء المتقدمين يغلب عليهم حسن الظن بمن يحدثهم ويستبعدون تعمد الكذب وأن من عادتهم التساهل فيما يرد من أحاديث أشراط الساعة . و ص ٢٠١ رد على زعم ابن محمود بأن الأئمة المحققين من أئمة الحديث لم يتعرضوا لأحاديث الفتن وأشراط الساعة بالتصحيح والتمحيص .؛ والرد القويم : ص ٤٣ دفاعه عن رجال الحديث ورواته وأن رجال الجامع الصحيح كلهم ثقات وعدول من لدن الصحابة ﷺ إلى شيوخ البخاري وليس فيهم كذاب ولا وضاع ولا متهم ولا مجروح بجرح يؤثر في حديثه وليس فيهم أحد من الأغبياء المغفلين الذين يقبلون التلقين . وص ١١٤ الرد على زعم أن الصحابة ﷺ كانوا يتفاوتون في صدق الرواية عن

كما أنه يرد على من أزرى بالصحابة عليهم السلام. ^(١) أو طعن في شخصهم ^(٢). أو انتقص من قدرهم وعلمهم ^(٣). أو طعن في عدالتهم ^(٤). كما أنه دافع عن أمة الإسلام وبين أنها خير أمة أخرجت للناس ^(٥).

أما دفاعه عمن طعن فيهم سواء أكانوا من الصحابة عليهم السلام أو من التابعين أو من الأئمة المعترين — يرحمهم الله —

ف نجد هذا الدفاع سواء أكان الطعن في أشخاصهم باهتمامهم بشيء ليس فيهم من تضعيف لأحد الأئمة أو نسبة باطل إليهم سواء في أمور عقدية كما في زعمهم

بعضهم فرد عليه الشيخ بأن الصحابة كلهم عدول عليهم السلام وأهل صدق وأمانة وليس فيهم من يتهم بالكذب في الرواية وص ١٢٠ الرد على زعم أن الصحابي عليه السلام إذا روى بواسطة صحابي آخر ولم يذكر الوسطة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك يكون من الدس الإسرائيلي و ص ١٦١، ١٣١ دفاعه عن المحدثين كالبيهقي والبخاري والبخاري يرحمهم الله و ص ٣٣٣ الرد على اتهام المؤمنين بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم عباد الأسانيد .

^(١) انظر ذيل الصواعق : ص ٢١٧ حيث بين الشيخ أن من أعظم الإزراء بالصحابة عليهم السلام أن يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم أعلن بينهم شيئاً من الحقائق العلمية الخطيرة فلم يعرفوها وعرفها أفراد غيرهم من أعداء الله من الفلكيين وأهل الهيئة الجديدة . و الرد القوي : ص ٢١٤ قول ابن علوي الذي يلزم منه أن ترك الصحابة للقيام للنبي صلى الله عليه وسلم عند رؤيته قد يفسر بسوء الأدب وقلة الذوق أو جمود الإحساس .

^(٢) انظر الرسالة البديعة : ص ٨٥، ٨٦ ماجاء في كلام العطار (من لم يتأثر برقيق الأشعار . تتلى بلسان الأوتار . على شطوط الأنهار . في ظل الأشجار . فهو جلف الطبع حمار) فهل يقول مفتي المجلة أن هذا الكلام ينطبق على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة عليهم السلام والتابعين وتابعيهم الذين لهم آثار كثيرة في ذم الغناء

^(٣) انظر تنبيه الإخوان : ص ٣٥ عند قول أبو غدة (ليس لها كبير فائدة بل هي من فضول العلم) فبين الشيخ أنه لا يخفى ما في هذا الكلام من الغضب من كلام الإمام أحمد وغيره من أكابر العلم في الرد على الجهمية . و ص ٣٧ الرد على طعن أبي غدة في الإمام أحمد وغيره من أكابر العلماء .

^(٤) انظر الرد القويم : ص ١١٤ . و ص ٢٠٩، ١٩٦ دفاعه عن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز يرحمه الله وخطيب الحرم .

^(٥) انظر المصدر السابق : ص ٢٢٠ رده على كلام ابن خلدون بأن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية

أن من العلماء من كان يرى جواز الاحتفال ببدة المولد . أو نسبة تحليل محرم إليهم كما في مسألة الغناء .^(١)

^(١) انظر فصل الخطاب : ١٨٢ الرد على تضعيف ابن حزم لمعاوية بن صالح وإتحاف الجماعة : ج ١ ص ٦٣ دفاعه عن نعيم بن حماد ورد كلام الذهبي في تضعيفه وبيان توثيق أحمد وابن معين له والعجلي وكذلك تنبيه الإخوان : ٥٢ — ٥٦ ، وانظر الانتصار : ١٥ وإتحاف الجماعة ج ٣ ص ١٣٣ الدفاع عن كعب الأحبار وبيان أخذ الصحابة عليهم السلام عنه وعدم تجريح العلماء له والرد على طعن الزنديق فيه وإتهامه له بالكيد للإسلام ص ٣٤٨، ٢٩٥، ٢٤٦ وانظر الرد القويم : ص ٢٤٦، ٢٤٠، ٢٢٥، وانظر ص ٢٢٨ وإتحاف الجماعة ج ٣ ص ١٣٣ والرد القويم ص ٢٢٨ دفاعه عن وهب بن منبه وكون البخاري ومسلم اتفقا على إخراج حديثه .

وانظر في الرد على من طعن فيه من الصحابة فتح المعبود : ١٤٤، ١٤٣ الرد على قول ابن محمود : "وهو حديث طويل جداً لا يتحمل أبو ذر حفظه مع طوله " والدفاع عن ابن عباس ومجاهد وجميع الذين صرحوا بالتفريق بين النبي والرسول ص ١٥٩ وانظر الرد القويم : الدفاع عن عبدالله بن سلام الذي شهد له النبي ﷺ بالجنة ص ٢٣٥، ٢٢٤، ٦٨ وعن أنس بن مالك الذي دعا له النبي ﷺ بالجنة ص ٦٨ وعن عائشة رضي الله عنها وفضلها كما ثبت وفاطمة رضي الله عنها حيث إنها سيدة نساء الجنة ص ٨٠ والرد على قصة سجن عمر رضي الله عنه بعض الصحابة بسبب اختلافهم فيما رواه عن النبي ﷺ ص ١٠٢ ودفاعه عن ابن عباس رضي الله عنه ص ١١٧ ودفاعه عن أبي هريرة رضي الله عنه ونسبة حديث كذب إليه ص ٢٧٥، ٢٤٨، ٢٠٨ ورد زعم أن الصحابة طعنوا فيه رضي الله عنه ودفاعه عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنه في تعلمهما من كعب الأحبار ص ٢٤٤ ودفاعه عن الصحابة كما في تنزيه القرآن ص ٢٧ . وانظر دلائل الأثر : ص ١١٠ دفاعه عن عمر رضي الله عنه في مسألة قتل شاربه ، وفصل الخطاب : ص ٢٣٠ دفاعه عن ابن عمر وزعم أنه قد سمع الغناء وسعى في بيع المغنية

وانظر في الرد على من طعن فيه من الأئمة فصل الخطاب : ص ٢٣٧ لعب سعيد بن جبير بالشرطنج وبيان سبب ذلك وص ٢٣٩ عدم ثبوت ذلك عن ابن سيرين ودفاع عن ابن حجر في كلام اختصره أبو تراب وانظر التنبيهات على رسالة الألباني في الصلاة : ص ١٨، ١٩ دفاع عن الإمام أحمد في مسألة قبض اليدين بعد الرفع من الركوع . وفصل الخطاب : ص ٤ — ٦، ٤٤، ٤٢، ٣٠ دفاعه عن عمر بن عبدالعزيز وزعم أنه كان يُغنى قبل الخلافة ويصنع الألحان وص ٤٥، ٤٦ دفاعه عن الإمام مالك وكذلك الرسالة البديعة ص ٧٧ وما ذكر أنه كان يتغنى بأبيات . ، وانظر : الاحتجاج بالأثر : ص ٨١ دفاعه عن الشافعي وأحمد يرحمهما الله وص ١٠٢ عن ابن تيمية وابن القيم يرحمهما الله وص ٩٢ عن الذهبي وعلى القاري يرحمهما الله وص ٣١٦ دفاعه عن السفاريني والرد على اتهام ابن محمود له بأنه حاطب ليل يجمع الغث والسمين لذكره أحاديث يأجوج ومأجوج ، وانظر : الرد القويم ص ٩٥ دفاعه عن الأئمة الثلاثة مالك وأبي حنيفة والشافعي يرحمهم الله وبيان أنهم كانوا يعظمون الأحاديث الصحيحة غاية التعظيم وص ٢٩٣ دفاعه

كما أن الشيخ — يرحمه الله — قد دافع عن كتب السلف الصالح ورد على من تطاول عليها أو حاول التقليل من شأنها .

والله اعلم :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله — في هذا المطلب يتمثل في :
دفاعه — يرحمه الله — عن العلماء مع التماسه العذر لهم في حال خطئهم . كما أنه يرد ما نسب إليهم من باطل سواء أكان هذا المنسوب إلى الصحابة رضوان الله عليهم أو إلى التابعين أو تابعيهم من الأئمة — رحم الله الجميع — هذا من ناحية .

عن أبي حنيفة يرحمه الله ورد زعم الزنديق بأنه قال أن الصحابة كلهم عدول ماعدا رجلاً وعد منهم أباهريرة وأنس ابن مالك . وانظر : الرد القوي ص ١٥٦ دفاعه عن ابن الحاج وزعم أن حاصل كلامه مدح ماكان في المولد وص ٢٣٥، ١٩٨، ١٧٥ دفاعه عن ابن كثير يرحمه الله ورد مانسب إليه من القول بجواز بدعة المولد وص ١٩٦ دفاعه عن شيخ الإسلام يرحمه الله وبيان التلبس والتضليل بأنه يرى جواز الاحتفال ببدعة المولد وانظر : تنبيه الإخوان ٢٤ بيان كذب أبي غدة على البخاري يرحمه الله وص ٤٧ كذبه على الإمام أحمد يرحمه الله وص ٥٠ دفاعه عن أبي ثور يرحمه الله وانظر : السراج الوهاج ص ١١٢ دفاعه عن ابن كثير يرحمه الله ضد افتراءات الشلبي وانظر : القول البليغ ص ١٣٨ دفاعه عن شيخ الإسلام يرحمه الله والرد على من فضل النقشبندی عليه وانظر : الصارم الصقيل ص ٧٨ دفاعه عن العلماء الذين تكلموا في ابن حزم ورده على ابن عقيل وص ٩٢ دفاعه عن الترمذي وإسماعيل الصفار والبغوي وأبي العباس الأصم وشيخ الإسلام يرحمهم الله ورد كلام الهيثمي عنهم وص ١٣١ دفاعه عن الإمام مالك وص ١٣٢ دفاعه عن ابن أبي ذئب وص ١٤٠، ١٣٣ عن ابن العربي والرد على اتهامه بأنه أشعري يرحمه الله وص ١٤٣ دفاعه عن علماء المسلمين وأئمتهم وانظر في دفاعه عن أئمة الدعوة : إيضاح المحجة ص ٧٥، ١٣٢—١٦٧ والقول البليغ ص ٧٧ وانظر : تعليق على إصلاح المجتمع لليحاني ص ٣٢ بيان سبب تسميتهم وهابية وأن عداءهم لهم بسبب تمسكهم بالكتاب والسنة . وانظر : الصواعق الشديدة ص ١٠٦ وذيل الصواعق ص ٣٤٣ دفاعه عن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز يرحمه الله ضد طعن الصواف فيه والطنطاوي وبيان أن مذهب إليه الشيخ عبدالعزيز ليس مجرد رأي بل هو مؤيد بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع

ومن ناحية أخرى نجده — يرحمه الله — يرد على من طعن فيهم ، و يدافع عن العلماء المطعون فيهم .

وأخيراً فهو يدافع عن كتب السلف الصالح برده على من تطاول عليها أو حاول التقليل من شأنها .

الفصل الثاني

منهجه في تقرير

مقيدة السلف الصالح

نظراً لكون هذا الفصل يتعلق بمنهجية الشيخ — يرحمه الله — وكونه قد التزم بهذه المنهجية في سائر مؤلفاته ؛ وقد تم التوصل إلى هذه النتيجة من خلال استقراء مؤلفات الشيخ — يرحمه الله — وكتابات ؛ فقد اكتفيت بالحديث في هذا الفصل عن الشيخ دون استعراض لجهود سابقة أو معاصرة ؛ وإن كانت هذه المنهجية التي سار عليها الشيخ — يرحمه الله — متقررة عند كل من سار من العلماء على طريقة السلف واتباع منهجهم .

ولم يجرئ الأول : ولا يخر بما ورد في الكتاب والسنن وما أوجب عليه سلف الأولين

وفي حمره مطالب :

المطلب الأول : (الإيمان بما جاء في الكتاب والسنن والالتزام بها)

من منهج السلف الصالح اقتصارهم في مصدر التلقي على الوحي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الصحيحة وذلك لأنهم يعتقدون اعتقاداً جازماً أنه لا يتحقق رضا الله تبارك وتعالى والفوز بجنته والنجاة من عذابه إلا بالإيمان بهما والعمل بما جاء به ، وما يترتب على هذا من وجوب أن يعيش المسلم حياته كلها اعتقاداً وعملاً وسلوكاً ، مستمسكاً ومعتصماً بهما ، لا يزيغ عنهما ولا يتعدى حدودهما ومن مستلزمات هذا أن يتحاكم إليهما عند التنازع والاختلاف ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴿^(١) وقال تعالى: ﴿ فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما
قضيت ويسلموا تسليماً ﴾^(٢)

كما أنهم يعتقدون أن هذا الدين كامل كما قال تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم
دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(٣) ويقول سبحانه
وتعالى: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين ﴾^(٤) وقال: ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات
إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾^(٥)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله —: "ومثل هذا في القرآن كثير، مما
يبين الله فيه أن كتابه مبين للدين كله، موضح لسبيل الهدى، كاف لمن اتبعه
، لا يحتاج معه إلى غيره يجب اتباعه دون اتباع غيره من السبل "^(٦)
ونتيجة لهذا الإيمان الراسخ بكمال الدين وشموليته؛ كان منهج الشيخ — يرحمه
الله — الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة والالتزام بهما في كل تقريراته وردوده
، وبالأحرى في كل ما كتب؛ وهذا يتضح متى ما استعرضنا كتابات الشيخ —
يرحمه الله — ومن ذلك:

^(١) النساء: ٥٩

^(٢) النساء: ٦٥.

^(٣) المائدة: ٣.

^(٤) النحل: ٨٩.

^(٥) المائدة: ١٥، ١٦.

^(٦) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود ٥١/١ وما بعدها

(١) بيانه لما يتم به تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ وهو الإيمان بكل ماصح عن النبي ﷺ وعدم التكذيب بشيء مما ثبت عنه ﷺ وأن هذا التصديق يزيد في الإيمان، وأن من رد الأحاديث الصحيحة الثابتة فهذا عين المحادة لله ولرسوله ﷺ يقول — يرحمه الله —: "وكل ماصح عن النبي ﷺ أنه أخير بوقوعه، فالإيمان به واجب على كل مسلم، وذلك من تحقيق الشهادة بأنه رسول الله" (١) ويقول: "ومن كذب بشيء مما ثبت عن النبي ﷺ فهو ممن يشك في إسلامه" (٢) فإنه لم يحقق الشهادة بأن محمداً رسول الله، ومن تحقيقها تصديقه ﷺ فيما أخبر به (٣) ويقول — يرحمه الله — راداً على من زعم أن الإيمان بالأحاديث الصحيحة — التي يزعم هو أنها ضعيفة — لا يزيد في الإيمان، ولا في صالح الأعمال، ويوقع في الناس الإفتتان بين مصدق ومكذب: "التصديق بما أخبر به النبي ﷺ يزيد في الإيمان، وفي صالح الأعمال بلا شك، كما أن التكذيب بما أخبر به النبي ﷺ ينقص الإيمان وربما يحبط الأعمال الصالحة كلها" (٤) ويقول: "إن العالم من يخشى الله ويتقيه ويعتقد أن كل ماجاء عن الله وتعالى وماثبت عن الرسول ﷺ فهو حق لاشك فيه قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾" (٥). وقال تعالى:

(١) إتحاف الجماعة: ٦/١ وإقامة البرهان: ٤، والسراج الوهاج: ٧.

(٢) الشيخ — يرحمه الله — يعني بقوله: يشك في إسلامه: أي أنه ليس بمسلم أصلاً وذلك بدليل قوله: لأنه لم يحقق الشهادة بأن محمداً رسول الله، ومن لم يحققها فليس بمسلم ويقول في موضع آخر ناقلاً لكلام محمد بن نصر المروزي: "من بلغه عن رسول الله ﷺ خبر يقر بصحته، ثم رده بغير تقية؛ فهو كافر" وقول البرهاري: "ومن رد حديثاً عن رسول الله ﷺ؛ فقد رد الأثر كله وهو كافر بالله العظيم"

(٣) الرد القويم: ٢

(٤) الاحتجاج بالأثر: ١١٩.

(٥) فاطر: ٢٨.

﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط

العزیز الحمید﴾ ^(١) " (٢)

ويقول في معرض رده على الكاتب سيد صالح أبي بكر: " أن المؤلف قد وقع في شر مما فر منه فإنه قد فر من خطيئة الشرك العلمي كما زعم ذلك ووقع فيما يهدم الإسلام من أصله وذلك في أمور وقعت منه : أحدها : مناقضته لشهادة أن محمداً رسول الله فإنه قد كذب بكثير مما ثبت عن النبي ﷺ برواية الثقات الأثبات ومن كذب بشيء مما ثبت عن النبي ﷺ فهو لم يحقق الشهادة بأن محمداً رسول الله . ومن لم يحققها فليس بمسلم . ولا بد في تحقيقها من أربعة أمور : أحدها : طاعته ﷺ فيما أمر ، والثاني : تصديقه فيما أخبر ، والثالث : اجتناب ما عنه نفى وزجر ، والرابع : أن لا يعبد الله إلا بما شرع. " ^(٣)

ويقول — يرحمه الله — : " ومن زعم أن النبي ﷺ بريء مما هو ثابت عنه فلا شك أنه معاند مكابر يحاول رد الأحاديث الصحيحة وإطراحها وإبطال السنن الثابتة عن النبي ﷺ وهذا عين المحادة لله ولرسوله ﷺ وقد قال الله تعالى : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ ^(٦) " (٧)

^(١) سبأ : ٦ .

^(٢) الدلائل الواضحات : ١٨٤ .

^(٣) الرد القويم : ٣٥ .

^(٤) المجادلة : ٥ .

^(٥) المجادلة : ٢٠ .

^(٦) العنكبوت : ٦٨ .

^(٧) الرد القويم : ١٢٦ .

(٢) وأوضح بأن أهل الإيمان يؤمنون بكل ما ثبت عن النبي ﷺ ولا يتركون من الأحاديث الصحيحة شيئاً إلا حديثاً جاء عن النبي ﷺ آخر يخالفه^(١) فيأخذون بالأصح منهما أو يجمعون بينهما إذا أمكن الجمع . يقول — يرحمه الله — راداً على من طعن في الأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ زاعماً بأنها من الإسرائيلية : " الوجه الرابع أن يقال : إذا كان المؤلف لا يصدق بالأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ مما خرجه البخاري في صحيحه ، وما خرجه غيره من أهل الصحاح والسنن والمسانيد ويزعم أنها أحاديث إسرائيلية ، وأنها تخالف كلام الله وهدى رسوله ﷺ ؛ فأهل الإيمان على خلاف ما هو عليه ؛ فهم يؤمنون بكل ما ثبت عن النبي ﷺ ولا يردون من ذلك شيئاً ولا يتركون من الأحاديث الصحيحة شيئاً إلا حديثاً جاء عن النبي ﷺ آخر يخالفه فيأخذون بالأصح منهما ، أو يجمعون بينهما إذا أمكن الجمع " (٢) وينقل كلام الإمام الشافعي — يرحمه الله — مقررأً له بقوله : " وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : إذا حدث الثقة عن الثقة إلى أن ينتهي إلى رسول الله ﷺ ؛ فهو ثابت عن رسول الله ، ولا يترك لرسول الله ﷺ حديث أبداً إلا حديث وجد عن رسول الله ﷺ آخر يخالفه انتهى " (٣) وكلام الإمام أحمد — يرحمه الله — : " وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى كل ما جاء عن النبي ﷺ إسناده جيد أقرنا به ، وإذا لم نقر بما جاء به الرسول ﷺ ، ودفعناه ، ورددناه ؛ رددنا على الله أمره قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾

(١) الشيخ يعني هنا بالمخالفة المخالفة في الظاهر ، أو ما يعرف بالتعارض الظاهري ، كما هو معلوم ، ومتقرر عند أهل العلم وإلا فإنه لا يمكن أن تتعارض أحاديث النبي ﷺ بعضها مع بعض كيف وهي وحي من العليم الخبير كما قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾

(٢) انظر الرد القويم : ٣٥ .

(٣) المصدر السابق : ٢ . وانظر لكلام الإمام الشافعي — يرحمه الله — : المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي :

وما نهاكم عنه فانتهوا ﴿١﴾ " وقول الإمام أحمد : " من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة " (١)

وكلام الإمام إسحاق بن راهويه الذي ذكره محمد بن نصر المروزي ونقله عنه ابن حزم في الأحكام — رحمهم الله جميعاً — حيث يقول : " من بلغه عن رسول الله ﷺ خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر " (٢). " (٣) وكلام الإمام البرهاري الذي أوضح فيه أهمية السنة بقوله : " إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها ، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ فاقممه على الإسلام فإنه رجل رديء المذهب والقول ، وإنما يطعن على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه ؛ لأننا إنما عرفنا الله وعرفنا رسوله ﷺ ، وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار ، وأن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن " .

وقوله : " أن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن معناه أن السنة تفسر القرآن وتبين معانيه ، وما أراد الله به ؛ فلهذا كان القرآن محتاجاً إلى السنة قال الله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ (٤) " (٥)

وقوله أيضاً : " ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل أو يرد شيئاً من آثار رسول الله ﷺ أو يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام " . (٦)

وقال البرهاري أيضاً : " من رد آية من كتاب الله فقد رد الكتاب كله ، ومن رد حديثاً عن رسول الله ﷺ فقد رد الأثر كله ، وهو كافر بالله العظيم " (٧)

(١) الرد القويم : ٢ — ٣ .

(٢) الأحكام في أصول الأحكام : ١ / ٨٩ .

(٣) الرد القويم : ٣ ، وإقامة البرهان : ٤

(٤) النحل : ٤٤ .

(٥) شرح السنة : ٣٥ .

(٦) ٣١ .

وقال : " واعلم أنه ليس بين العبد وبين أن يكون كافراً إلا أن يجحد شيئاً مما أنزل الله أو يزيد في كلام الله أو ينقص أو ينكر شيئاً مما قال الله عز وجل أو شيئاً مما تكلم به رسول الله ﷺ " ^(١) وقوله كذلك : " وإذا سمعت الرجل تأتية بالآثر فلا يريده ويريد القرآن ؛ فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة فقم من عنده ودعه " ^(٢). وقوله : " ومن جحد أو شك في حرف من القرآن أو في شيء جاء عن رسول الله ﷺ لقي الله مكذباً " . انتهى ملخصاً . مما ذكره صاحب طبقات الحنابلة . (٣) " . (٤)

(٣) وقد بين الشيخ يرحمه الله ما يدل على قوة الإيمان في قلب العبد و ما يدل على ضعفه أو عدمه بالكلية وذلك من خلال موقفه من الأحاديث الصحيحة وأورد الحكم الفاصل في ذلك يقول — يرحمه الله — : " والأخذ بالأحاديث الصحيحة وتعظيمها دليل على قوة الإيمان في قلب العبد . والتهاون بها ونبذها وإطراحها دليل على ضعف الإيمان أو عدمه بالكلية قال الله تعالى ﴿ : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ ^(٥) فأقسم سبحانه وتعالى بنفسه الكريمة المقدسة على نفي الإيمان عمن لم يحكم الرسول ﷺ عند التنازع ويرض بحكمه ويطمئن إليه قلبه ولا يجد في نفسه حرجاً مما قضى به ويسلم له تسليماً وينقاد له ظاهراً وباطناً وهذه الآية هي الحكم الفاصل في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ ؛ فمن قبلها واطمئن قلبه إليها وانقاد لما قال الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً فهو مؤمن . ومن

(٧) ٤٣ .

(١) شرح السنة : ٤٦ .

(٢) ٥٤ .

(٣) الرد القويم : ٣ — ٤ ، وإقامة البرهان : ٥ ، وقصص العقوبات : ١٩ ، وتغليظ الملام : ٩٢ .

(٤) الرد القويم : ٤ ، وتغليظ الملام : ٩٣ .

(٥) النساء : ٦٥ .

قابلها بالرد والإنكار فليس بمؤمن قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾^(٢) (٣)

وبيين — يرحمه الله — في رده على إباحة الربا بأنه لا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ : " قلت : قد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بالمماثلة بين الذهب والذهب وبين الفضة والفضة وينهي عن المفاضلة بينها . وتقدم ذلك في الحديث الرابع عشر وما بعده من الأحاديث فلتراجع ، وليتمسك بها المؤمن ولا يلتفت إلى ما خالفها من أقوال الناس وآرائهم فإنه لا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ . قال مجاهد : ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ . رواه البخاري في (جزء رفع اليدين) بإسناد صحيح^(٤) . وقال سالم ابن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : سنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع ، رواه البخاري في جزء رفع اليدين بإسناد صحيح^(٥) ، وقال الأوزاعي : كتب عمر ابن عبدالعزيز إنه لا رأي لأحد في كتاب ، وإنما رأي الأئمة فيما لم يتزل فيه كتاب ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ ولا رأي لأحد في سنة سنّها رسول الله ﷺ رواه الدارمي بإسناد جيد^(٦) ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْمِنَةٍ إِذَا

(١) القصص : ٥٠ .

(٢) الأحزاب : ٣٦ .

(٣) الرد القويم : ٢٢ ؛ والإيضاح والتبيين : ٢٩ .

(٤) وهو جزء مستقل ألفه الإمام البخاري — يرحمه الله — واسمه (قرة العينين برفع اليدين في الصلاة) : ص

٧٣ .

(٥) قرة العينين برفع اليدين في الصلاة : ٧٢ .

(٦) الصارم المشهور : ١١١ . ودلائل الأثر : ٦٤ . وقد أخرجه الدارمي في المقدمة برقم : ٤٣٢ .

قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً^(١)

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : " أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد ^(٢) ". ^(٣)

(٤) وقد بين الشيخ يرحمه الله أن المرجع في جميع الأحكام إلى الكتاب والسنة وهما الميزان العدل الذي توزن به أقوال الناس وأعمالهم ونظرياتهم وتفكيراتهم فما وافقهما فهو حق مقبول وما خالفهما فهو باطل مردود على صاحبه كائناً من كان وأن كل ما خالفهما فهو من المنكرات بالإجماع، وهو من الحرام البين يقول الشيخ — يرحمه الله — : "أن المرجع في جميع الأحكام إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فهما الميزان العدل الذي توزن به أقوال الناس وأفعالهم ؛فما وافقهما فهو حق مقبول ممن جاء به سواء كان مسلماً أو كافراً ؛وما خالفهما فهو باطل مردود على صاحبه كائناً من كان ". ^(٤) ويقول — يرحمه الله — في مزيد من البيان لهذا المعنى : "ليست الكفاية في أقوال الرجال وآرائهم ؛ وإنما الكفاية في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فهما الميزان العدل الذي توزن به أقوال الرجال وآرائهم ؛فما وافقهما فهو حق مقبول ،وما خالفهما فهو باطل مردود " ^(٥) وقد قال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ^(٦) قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية ﴿ فليحذر

^(١) الأحزاب : ٣٦ .

^(٢) الصارم البتار : ٥١ ؛ دلائل الأثر : ٦٤ ؛ الرد على من أجاز حلق اللحية : ١٠ ؛ وانظر لقول الإمام

الشافعي إعلام الموقعين لابن القيم : ٢ / ٢٣٩ .

^(٣) الصارم البتار : ٥١ / دلائل الأثر : ٦٤، ٦٣ .

^(٤) دلائل الأثر : ٧١ — ٧٢

^(٥) الصواعق الشديدة : ١٧٤ .

^(٦) النور : ٦٣ .

الذين يخالفون عن أمره ﴿ أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : ﴿ من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ ^(١) ، أي فليحذر وليخش من يخالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ﴿ أن تصيهم فتنة ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿ أو يصيهم عذاب أليم ﴾ أي في الدنيا بقتل أو حد ﷺ أو حبس أو نحو ذلك . انتهى (٢) " (٣)

وأوضح — يرحمه الله — أن نصوص النبي ﷺ تقدم على أقوال غيره من الناس ولا تعارض بها كائناً من كان صاحب هذا القول ؛ لأنه ﷺ أعلم بكتاب الله تعالى من غيره يقول الشيخ — يرحمه الله — : " ونصوص النبي ﷺ لا تعارض بأقوال غيره من الناس كائناً من كان ؛ لأنه ﷺ أعلم بكتاب الله تعالى من غيره ، وهو الذي يبين مراد الله من كتابه كما قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ ^(٤) " (٥) . وأنه إذا تعارض رأي الصحابي وروايته ؛ فالحجة فيما روى لافيما رأى لأن الرواية عن النبي ﷺ أما رأيه فهو غير معتبر إذا خالفه غيره من الصحابة فكيف إذا خالف رأيه قول النبي ﷺ يقول الشيخ — يرحمه الله — : " وإذا تعارض رأي الصحابي وروايته فالحجة فيما روى لافيما رأى ... الوجه الثاني : أن قول الصحابي حجة عند بعض العلماء كالإمام أحمد رحمه

^(١) أخرجه البخاري في الإعتصام باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود ، ومسلم في الأقضية برقم : ٣٢٤٣ .

^(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٣١٨ — ٣١٩ .

^(٣) الرد القوي : ٧ ، والرد على الكاتب المفتون : ١١٧ .

^(٤) النحل : ٤٤ .

^(٥) فتح المعبود : ٩٤ ، ذيل الصواعق : ١٥٤ ، ١٢٧ .

الله تعالى ما لم يخالفه غيره من الصحابة ؛ فإن خالفه غيره من الصحابة فليس بحجة عند جميع العلماء . وإذا بطل الاحتجاج بقول الصحابي من أجل مخالفة غيره له ؛ فكيف إذا خالف قول أحدهم حديثاً ثابتاً عن النبي ﷺ فهذا القول المخالف لما ثبت عن النبي ﷺ لا يجوز لمسلم أن يعمل به ؛ بل الواجب أن يرده على قائله كائناً من كان ؛ لأنه لا قول لأحد مع رسول الله ﷺ قال الله تعالى :

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ ^(١) وقال تعالى :

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ ^(٢)

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : " أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد " ^(٣) . وروى الدارمي في سننه عن الأوزاعي رحمه الله تعالى : أنه لا رأي لأحد في كتاب وإنما رأي الأئمة فيما لم يترل فيه كتاب ولم تمض به سنة من رسوله ﷺ ولا رأي لأحد في سنة سنّها رسول الله ﷺ . ^{(٤) (٥)}

٥) وأن الله تعالى أمر المؤمنين عند التنازع في الأشياء أن يردوا الحكم فيها إلى الكتاب والسنة ، وأن من لم يرد إلى الكتاب والسنة ويتحاكم إليهما في محل التّراع فليس بمؤمن بالله ولا باليوم الآخر . ^(٦) يقول — رحمه الله — : "وقد قال

^(١) الأحزاب : ٣٦ .

^(٢) الحشر : ٧ .

^(٣) سبق تخريجه انظر : ص ٢٣٩

^(٤) أخرجه الدارمي في المقدمة : ٤٣٢

^(٥) دلائل الأثر : ٦٣ — ٦٤ .

^(٦) هذا الكلام يتوجه إلى من رفض التحاكم إلى كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ، وتحاكم إلى الطاغوت وهو كل من حكم بغير شرع الله تعالى .

الله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ^(١) قال البغوي في قوله ﴿ فردوه إلى الله والرسول ﴾ أي إلى كتاب الله وإلى رسوله مادام حياً ، وبعد وفاته إلى سنته . والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما ؛ فإن لم يوجد فسيبيله الاجتهاد ^(٢) وقال ابن كثير في قوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ^(٣) . قلت قد رواه ابن جرير في تفسيره عن مجاهد وميمون بن مهران وقتادة والسدي ^(٤) قال ابن كثير : " وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه ؛ أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ ^(٥) فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة ؛ فهو الحق . وماذا بعد الحق إلا الضلال . ولهذا قال تعالى ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ، ولا يرجع إليهما في ذلك ؛ فليس بمؤمناً بالله ولا باليوم الآخر انتهى ^(٦) " ^(٧)

^(١) النساء : ٥٩ .

^(٢) معالم التنزيل : ٢ / ٢٤٢ .

^(٣) ١ / ٥٣١ .

^(٤) جامع البيان : ٨ / ٥٠٥ .

^(٥) الشورى : ١٠ .

^(٦) ١ / ٥٣١ .

^(٧) إقامة الدليل : ٤٧ ؛ وذيل الصواعق : ٢٥ ؛ والرد على الكاتب المفتون : ٥٧ .

ثم بين الشيخ — يرحمه الله — بعد ذلك متى يكون الاجتهاد وأنه لا يجوز العمل بالرأي مع وجود النص في المسألة؛ وإنما يجوز اجتهاد الرأي فيما لم يوجد له حكم في الكتاب أو السنة أو الإجماع وأن السلف الصالح كانوا يعتمدون في قضائهم وإفتائهم على ما جاء في القرآن، وإذا لم يجدوا الحكم في القرآن رجعوا إلى السنة، وإذا لم يجدوا في السنة اجتهدوا آرائهم يقول الشيخ: "لا يجوز العمل بالرأي مع وجود النص في المسألة، وإنما يجوز اجتهاد الرأي فيما لم يوجد له حكم في الكتاب أو السنة، ويدل على هذا ما جاء في حديث معاذ ابن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعثه إلى اليمن قال: ﴿كيف تقضي إذا عرض لك قضاء﴾ قال: أقضي بكتاب الله قال: ﴿فإن لم تجد في كتاب الله﴾ قال: أقضي بسنة رسول الله، قال: ﴿فإن لم تجد في سنة رسول الله﴾ قال: اجتهد رأيي ولا آلو، قال فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: ﴿الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله﴾ رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والدارمي والدارقطني والبيهقي.^(١) وروى الدارمي أيضاً والنسائي والبيهقي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى شريح بنحو ما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه. وروى الدارمي والنسائي والبيهقي أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إذا سئلت عن شيء فانظروا في كتاب الله، فإن لم تجدوه في كتاب الله ففي سنة رسول الله، فإن لم تجدوه في سنة رسول الله، فما أجمع عليه المسلمون، فإن لم يكن فيما اجتمع عليه المسلمون فاجتهد رأيك" وقد رواه الحاكم بنحوه وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه^(٢). وروى البيهقي

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم: ٢١٥٠٢؛ والدارمي في المقدمة؛ وابن ماجه في الأحكام برقم: ٢٣١٤؛ وأبو داود في الأقضية برقم: ٣٥٩٢؛ والترمذي في الأحكام برقم: ١٣٢٧؛ وقال عنه الألباني: صحيح كما في صحيح سنن ابن ماجه برقم: ٢٣١٤.

(٢) أخرجه الدارمي برقم: ١٦٥؛ والنسائي في آداب القضاة برقم: ٥٣٩٧؛ والبيهقي في السنن الكبرى في آداب القاضي ١٠ / ١١٥؛ والحاكم في مستدركه برقم: ٧٠٣٠؛ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال عنه الألباني: صحيح كما في صحيح سنن النسائي برقم: ٤٩٨٧.

أيضاً عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال لمسلمة بن مخلد : " اقضِ بكتاب الله عز وجل ، فإن لم يكن في كتاب الله ، ففي سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فادع أهل الرأي ثم اجتهد " (١) (٢)

(٦) كما نبه الشيخ يرحمه الله على قضية مهمة طالما حصل الخلل بسببها عند التطبيق و تصدير الأحكام ، وهي قضية الإقرار بأن المرجع في الأحكام إلى الكتاب والسنة لا إلى الرأي والنظر واستحسان الناس ومقاييسهم ، وعاداتهم التي وجدوا عليها آباءهم وشيوخهم الذين ليسوا من ذوي البصائر في الدين . وأن الحل والحرمة إنما تستفاد من نصوص الكتاب والسنة ومن إجماع المسلمين يقول الشيخ — يرحمه الله — : " المرجع في الأحكام إلى الكتاب والسنة لا إلى الرأي والنظر ؛ فما وافق الكتاب والسنة ؛ فهو حق مقبول ، وما خالفهما فهو باطل مردود " . (٣)

ويقول — يرحمه الله — : " وإنما يستفاد الحل أو الحرمة في جميع المعاملات من نصوص الكتاب والسنة ومن إجماع المسلمين . فما شهد له الكتاب والسنة ، أو الإجماع بالحل ؛ فهو حلال ، وما شهدت الأصول الثلاثة أو أحدها بحرمة ؛ فهو حرام " (٤)

و من مزيد بيانه — يرحمه الله — لهذه المسألة و تقريره لها قوله : " الحكم في جميع الأمور مردود إلى الكتاب والسنة لا إلى آراء الناس واستحساناتهم

(١) السنن الكبرى : ١٠ / ١١٥ .

(٢) تحريم التصوير : ٧٢ — ٧٣ ، والرد على الكاتب المفتون : ٥٧ .

(٣) الرد على من أجاز حلق اللحية : ٣٠ .

(٤) الصارم البتار : ١٥٨ .

ومقاييسهم وعاداتهم التي وجدوا عليها آباءهم وشيوخهم الذين ليسوا من ذوي البصائر في الدين " (١)

ويوضح الشيخ — يرحمه الله — أن ما أحله الله في كتابه أو أحله رسوله ﷺ فهو حلال، وما حرمه الله في كتابه أو حرمه رسول الله ﷺ فهو حرام ، وليس لآراء والاستنتاجات حق في التحليل والتحريم ، ويقول : " إن التحليل والتحريم لا يستند فيهما إلى الرأي والتقليد ؛ وإنما يستند فيهما إلى الكتاب والسنة . ومن أقدم على التحليل والتحريم بمجرد رأيه أو رأي غيره ؛ فقد افترى على الله الكذب وقال عليه بغير علم وذلك من أعظم المحرمات وأظلم الظلم قال الله تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ (٣) .

(٧) وأخيراً فقد أوضح الشيخ — يرحمه الله — بأن الله سبحانه وتعالى قد جعل للمسلمين في كتابه وسنة رسوله ﷺ كفاية وغنية عما سواهما ، وأن من تمسك بهما حصلت له الهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة يقول — يرحمه الله — :
" وقد جعل الله سبحانه وتعالى للمسلمين في كتابه وسنة رسوله ﷺ كفاية وغنية عما سواهما من أقوال الناس وآرائهم وتخصاتهم قال الله تعالى : ﴿ أو لم يكفهم

(١) الرد على الكاتب المفتون : ٩٩ .

(٢) الأعراف : ٣٣ ..

(٣) النحل : ١١٦، ١١٧ .

أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴿^(١)﴾ وقال تعالى : ﴿ تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴿ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ﴾ ﴿ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ ﴿ وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾ ^(٤) " (٥)

ويقول — يرحمه الله — : "فمن تمسك بالكتاب والسنة حصلت له الهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة . ومن أعرض عنهما وتمسك بظنون الناس وتخروصاتهم فقد ضل وشقى في الدنيا والآخرة " . ^(٦)

والخلاصة :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله — في هذا المطلب يتمثل في :
بيانه — يرحمه الله — أن الإيمان بكل ما صح عن النبي ﷺ وعدم التكذيب بشيء مما ثبت عنه هو الذي يتم به تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ .

^(١) العنكبوت : ٥١ .

^(٢) آل عمران : ١٠١ .

^(٣) الأعراف : ٣ .

^(٤) طه : ١٢٣ — ١٢٧ .

^(٥) الصواعق الشديدة : ص ٤٥ وما بعدها .

^(٦) ذيل الصواعق : ٦٤ .

كما أن أهل الإيمان يؤمنون بكل ما ثبت ولا يتركون من الأحاديث الصحيحة شيئاً إلا حديثاً جاء عن النبي ﷺ آخر يخالفه ، فيأخذون بالأصح أو يجمعون بينهما إذا أمكن الجمع .

وهو مع ذلك يوضح ما هو دلالة على قوة الإيمان ألا وهو الأخذ بالأحاديث الصحيحة وتعظيمها . هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى يقرر بأن المرجع في جميع الأحكام هو الكتاب والسنة وهما الميزان العدل الذي توزن به أقوال الناس وأعمالهم ونظرياتهم وتفكيراتهم .

إضافة إلى تنبيهه على قضية مهمة طالما حصل الخلل بسببها عند التطبيق في تصدير الأحكام والتمشي بها هذه القضية هي أن المرجع في الأحكام إلى الكتاب والسنة لا إلى الرأي والنظر واستحسان الناس ومقاييسهم وعاداتهم .

وأخيراً بيانه — يرحمه الله — أن في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ كفاية وغنية عما سواهما ، وأن من تمسك بهما حصلت له الهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة

المطلب الثاني : موقفه من العقل وبإياه منزله وبيان ثبوت البشري

خلق الله عز وجل الإنسان في أحسن تقويم كما قال تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ ^(١) وميزه على غيره من المخلوقات بنعمة عظيمة هي نعمة العقل البشري التي يتوصل بها مع الفطرة السليمة إلى اتباع الحق الذي جاءه من عند الله عز وجل . عن طريق أنبياء الله ورسله عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

هذه النعمة العظيمة وقف الناس منها على طرفي نقيض ما بين غال فيها إلى درجة تقديسها وجعلها هي الأساس في كل شيء بل هي المهيمنة حتى على نصوص الوحي التي تُحاكم إلى هذا العقل وهذا هو حال الجهمية والمعتزلة ومن سار في ركبهم ممن تأثر بالمناهج الفلسفية الموروثة عن الإغريق والرومان .

وفي الطرف الآخر نجد من عطل هذه النعمة ، وأصبحت القضية عندهم قضية مكاشفات كما هو حال غلاة المتصوفة ومن سار في ركبهم الذين أصبح الدين عندهم خزعبلات وخرافات و زعم الكشف كما يسمونه .

أما دين الإسلام فقد أثبت للعقل البشري مكانته ومزلته وأن له دوره بل إن الإنسان مطالب بإعمال هذا العقل كما جاء بذلك نصوص الوحي في آيات كثيرة : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ ﴿ أفلا يتدبرون ﴾ ﴿ أفلا تبصرون ﴾ فهذه جميعها نصوص تحث على إعمال العقل لكي يُوصل الإنسان إلى الحق ، ولكن في نفس الوقت فإن الدين الإسلامي جعل لهذا العقل حدوداً

^(١) التين : ٤ .

لا يتجاوزها ، وجعل لعمله ضوابط شرعية يلتزم بها ومجالاً يعمل فيه وهو في ذلك كله تابع لنصوص الوحي ويسير في ركبها . بل إنه مع الوحي كالعالمي المقلد مع المفتي العالم كما يقول شيخ الإسلام — يرحمه الله — بل ودون ذلك بمراتب كثيرة لا تحصى لأن المقلد يمكنه أن يصير عالماً ، ولا يمكن للعالم أن يصير نبياً أو رسولاً .^(١) كما بين شيخ الإسلام — يرحمه الله — ونقل ذلك عنه ابن القيم — يرحمه الله — بأنه لو قدر تعارض الشرع والعقل لوجب تقديم الشرع ؛ لأن العقل قد صدق الشرع ومن ضرورة تصديقه له قبول خبره ، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ، ولا العلم بصدق الشرع موقوف على كل ما يخبر به العقل . وكما قال بعض أهل الإيمان : يكفيك من العقل أن يعرفك صدق الرسول ، ومعاني كلامه ، ثم يخلي بينك وبينه . وقال آخر : العقل سلطان ولّى الرسول ، ثم عزل نفسه .^(٢)

هذا مع أن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح أبداً كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — وتلميذه ابن القيم — يرحمه الله — .^(٣) وأنه على فرض وقوع التعارض فإننا مأمورون بالرد إلى الله والرسول كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾^(٤)

^(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١ / ١٣٨ ، والصواعق المرسلة : ٣ / ٨٠٨ .

^(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١ / ١٣٨ ، والصواعق المرسلة : ٣ / ٨٠٧ ؛ ومختصر الصواعق : ١ / ١٠٧ .

^(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ١ / ١٤٧ وما بعدها ؛ والصواعق المرسلة : ٣ / ٨٢٩ وما بعدها ؛ ومختصر الصواعق : ١ / ٩١ .

^(٤) النساء : ٥٩ .

وهذا يوجب تقديم السمع ، وهذا هو الواجب إذ لو ردوا إلى غير ذلك من عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم وبراهينهم لم يزددهم هذا الرد إلا اختلافاً واضطراباً ، وشكاً وارتياباً .^(١)

يقول الإمام ابن القيم — يرحمه الله — : " إن هذه المعارضة بين العقل والنقل هي أصل كل فساد في العالم ، وهي ضد دعوة الرسل من كل وجه ؛ فإنهم دعوا إلى تقديم الوحي على الآراء والعقول ، وصاروا خصومهم إلى ضد ذلك ؛ فأتباع الرسل قدّموا الوحي على الرأي والمعقول ، وأتباع إبليس أو نائب من نوابه قدموا العقل على النقل " ^(٢)

ويقول الإمام الشهرستاني — يرحمه الله — في كتابه (الملل والنحل) : " اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس — لعنه الله — ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص ، واختياره الهوى في معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التي خلق منها — وهي النار — على مادة آدم ﷺ — وهي الطين — ! انشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليقة " ^(٣)

من هنا كان ما يعرف بالمدرسة العقلانية أو العصرانيين الذين هم عبارة عن ورثة للمعتزلة القدماء أو يصح تسميتهم بالمعتزلة المعاصرين .

والعقلانية كما بينها شيخنا الأستاذ محمد قطب تعني : التفسير العقلاني لكل شيء في الوجود ، أو تمرير كل شيء في الوجود من قناة العقل لإثباته أو نفيه ، أو تحديد خصائصه . ^(٤)

^(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١ / ١٤٦ — ١٤٧ .

^(٢) مختصر الصواعق المرسلة :

^(٣) الملل والنحل : ١ / ٢٣ .

^(٤) مذاهب فكرية معاصرة : ٥٠٠ .

وقد يُقال في تعريفها : " العقلانية : يراد بها عموماً : المذهب الفلسفي الذي يرى أن كل ماهو موجود يُرد إلى مبادئ عقلية ، وخصوصاً : الاعتداد بالعقل ضد الدين بمعنى عدم تقبل المعاني الدينية إلا إذا كانت مطابقة للمبادئ المنطقية والنور الفطري " (١)

فالعقلانية في حقيقتها : " إلغاء النص أمام النظر العقلي المجرد — أو الهوى المجرد — الذي يستقبح اليوم ما كان حسناً بالأمس ، ويستقبح في وقت ما كان حسناً عنده في وقت سابق " (٢)

وهم كما ذكر ورثة للمعتزلة القدماء الذين حَكَمُوا العقل أكثر من تحكيمهم للشرع ، بل جعلوا الأدلة العقلية مقدمة على الأدلة الشرعية فكذبوا ما لا يوافق العقل من الحديث وإن صح ! وأولوا ما لا يوافقه من الآيات وإن وضحت ! بل حاولوا إخضاع عبارات القرآن لآرائهم وتفسيرهم لها تفسيراً يتفق مع مبادئهم ، وقالوا بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح ، ولو لم يرد بهما شرع ، ورتبوا على ذلك أن الإنسان مكلف قبل ورود الشرائع ، أو إذا لم تبلغه دعوة الرسل — بما يدل عليه العقل — . (٣)

يقول الفخر الرازي في (أساس التقديس) : " اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ، ثم وجدنا أدلة نقلية يُشعر ظاهرها بخلاف ذلك ؛ فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة :

- إما أن يُصدق مقتضى العقل والنقل — فيلزم تصديق النقيضين وهو محال — .
- وإما أن تُكذب الظواهر النقلية ، وتصدق الظواهر العقلية .
- وإما أن تُصدق الظواهر النقلية وتكذب الظواهر العقلية — وذلك باطل — .

(١) معجم المصطلحات الفلسفية يوسف خياط :

(٢) في فقه الواقع لعبد السلام بسيوني : ٢٩ .

(٣) منهج المدرسة العقلية : ٥٣-٥٤

لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر العقلية ، إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع ، وصفاته ، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ ، وظهور المعجزات على يد محمد ﷺ " ويقول : " [ولما كان العقل أصلاً للنقل] ثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل ، يُفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً ، وهذا باطل . ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يُقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل العقلية إما أن يقال : إنها غير صحيحة ، أو يقال : إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها .

ثم إن جوزنا التأويل : اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر التأويلات على التفصيل ، وإن لم نجوز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى ، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات ، وبالله التوفيق ^(١) " ^(٢)

و الجدير بالذكر أن رموز المدرسة العقلية يتفاوتون تفاوتاً كبيراً في موقفهم من النص الشرعي ، ولكنهم يشتركون في الإسراف في تأويل النصوص ، سواء كانت نصوص العقيدة ، أو نصوص الأحكام ، أو الأخبار المحضة ، وفي رد ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل .

وأبرز معالم المدرسة العقلية المعاصرة كما بينها فضيلة الشيخ سلمان العودة — وفقه الله — :

- ١ — رد السنة النبوية كلياً أو جزئياً .
- ٢ — التوسع في تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث بكافة جوانبه ، ولو أدى ذلك إلى استحداث أقوال مجانبة لتراكيب الآيات القرآنية من الناحية اللغوية ، وغير موافقة للمنقول عن السلف ﷺ .

^(١) أساس التقديس : ٢٢٠ — ٢٢١ .

^(٢) العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون لعلي حسن عبد الحميد : ٤٦ ، ٥٨ — ٦٠ .

٣ — التهوين من شأن الإجماع ، إما برفضه كلياً ، أو بتقييده بقيود غير معروفة عند العلماء .

٤ — الحرية الواسعة في الاجتهاد مع غرض النظر عن الشروط المطلوبة في المجتهد ، ومع غرض النظر أيضاً عن الأطر العامة التي يجب أن تضبط هذا الاجتهاد .

٥ — الميل إلى تضيق نطاق الغيبيات ما أمكن ، وذلك تأثراً بالتيار المادي الذي يسود الحضارة المعاصرة ، ومن هنا جاء إقحام العقل في المسائل الغيبية .

٦ — تناول الأحكام الشرعية العملية تناولاً يستجيب لضغوط الواقع ، ومتطلباته فهذه هي المدرسة المسماة " بالمدرسة العقلانية " وقد يسميها البعض " بالمدرسة العصرية " نسبة إلى العصر الذي خضعت لظروفه وتأثرت به . وهي تدمر رواقها اليوم على عدد من المدارس ، والجماعات ، والأشخاص ، والمعاهد التي تقيم بالفكر الإسلامي في عدد من البلاد الإسلامية ، وفي بلاد أخرى غربية في أمريكا وأوروبا ، وغيرها من البلدان .^(١)

وبناء على ماتقرر لدى السلف الصالح من مكانة العقل ودوره نجد كتابات الشيخ حمود — يرحمه الله — فيما يتعلق بموقفه من العقل وبيان منزلته ويتضح ذلك من خلال تناول النقاط التالية :

(١) فهو يبين كيفية معرفة المعقول الصريح من خلال نقله لكلام شيخ الإسلام — يرحمه الله — والذي قرر فيه عدم التعارض بين المعقول الصريح والمنقول الصحيح ، وأن نصوص الوحي هي الأصل الذي يجب الرجوع إليه فهي الحكم وهي الميزان للقبول أو الرد يقول — يرحمه الله — : " والمعروف من كلام شيخ الإسلام — يرحمه الله تعالى — قوله : إن المعقول الصريح لا يمكن أن يخالف المنقول الصحيح . وتقرير قوله هذا : أن نصوص الكتاب والسنة هي الأصل الذي

^(١) انظر : الشيخ سلمان بن فهد العودة في حوار هاديء مع الغزالي ص ٩ وما بعدها .

يجب الرجوع إليه ، وأن المعقولات تعرض على نصوص الكتاب والسنة؛ فما وافقهما فهو معقول صريح معتبر وما خالفهما فهو فاسد يجب إطرأحه (١) " (٢) .

(٢) يرشد الشيخ — يرحمه الله — إلى أن العقل السليم لا ينكر شيئاً مما ثبت عن النبي ﷺ بل يتلقاه بالقبول والتسليم ، بخلاف العقل السقيم الذي قد رانت عليه ظلمات البدع والشكوك . يقول — يرحمه الله — راداً على من أنكر ماورد في قصة المعراج وتردد النبي ﷺ بين ربه وموسى عليه السلام في شأن الصلاة : " والجواب أن يقال : أما العقل السليم فإنه لا ينكر نصيحة موسى عليه الصلاة والسلام لنبينا محمد ﷺ وإشارته عليه أن يراجع ربه ، ويطلب منه التخفيف عنه وعن أمته من عدد الصلوات ، فكل هذا ثابت عن النبي ﷺ ، والعقل السليم لا ينكر شيئاً مما ثبت عن النبي ﷺ ؛ بل يتلقاه بالقبول والتسليم ، وأما العقل السقيم الذي قد رانت عليه ظلمات البدع والشبه والشكوك فإنه لا يقيم وزناً للأحاديث الثابتة ولا يبالي بردها وإنكارها ومقابلتها بالاعتراضات والآراء الفاسدة " (٣) .

(٣) بيانه أن العقول السليمة قادت أصحابها من المسلمين إلى رد الأحاديث المكذوبة والموضوعة التي وضعها أهل البدع والأهواء ؛ فميزوا الأحاديث الصحيحة من الضعيفة والموضوعة ، وميزوا الثقات من رجال الأحاديث من المجروحين . وقد خالفهم أهل العقول الناقصة . يقول — يرحمه الله — راداً على زعم مضمونه أن أصحاب العقول الناضجة من المسلمين عليهم أن ينفضوا عن دينهم ، وعن عقائدهم غبار الزيف الذي ران على الجمال الإسلامي والجمال المحمدي ؛ حتى ملأ المراجع الدينية بما لا يقتضيه عقل من القصص الخيالي والتشريع

(١) درء تعارض العقل والنقل : ١ / ١٣٨ .

(٢) انظر : ذيل الصواعق ، ص ٣٥٧ .

(٣) انظر : السراج الوهاج ، ص ٩٤ .

المبتدع . وأن أصل ذلك الحديث الباطل فرد عليه الشيخ بقوله — يرحمه الله — : " والجواب أن يقال : إن أصحاب العقول السليمة من المسلمين ؛ قد نفضوا عن دينهم ، وعن عقائدهم غبار الزيف الذي أحدثه أهل الأهواء والبدع من الخوارج ^(١) ، والروافض ^(٢) ، والقدرية ^(٣) ، والجهمية ^(٤) ، والمعتزلة ^(٥) ، والفلاسفة ^(٦) ، وغيرهم من أهل الكلام الباطل الذي ذمه السلف وحذروا منه . ونفض أصحاب العقول السليمة من المسلمين عن أحاديث النبي ﷺ ما ليس منها من أحاديث الكذابين والوضاعين . وميزوا الثقات من رجال الأحاديث من المجروحين ، فجزأهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فقد تركوا الأمر واضحاً جلياً لمن أراد الله هدايته . وقد خالفهم أهل القلوب المريضة ، والعقول الناقصة من العصريين ومنهم المؤلف الجاهل وأشياخه الذين يعتمد علي أقوالهم في

^(١) هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة ، أو كان بعدهم ، ويدخل فيهم الوعيدية وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة ، وتخليده في النار . انظر : الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ١٣١ .

^(٢) هم الإمامية القائلون بإمامة علي عليه السلام بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً ، وبقيناً صادقاً ، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين . انظر : الملل والنحل ١ / ١٨٩ .

^(٣) القدرية : نسبة إلى القدر وهم زعموا أن العبد مستقل بإرادته وقدرته ليس لله في فعله مشيئة ولا خلق . وهم يقولون : لا قدر وأن الأمر أنف ، وأن الله لم يكن عالماً بشيء قبل وقوعه . انظر : الملل والنحل ١ / ٥٦ .

^(٤) سبق التعريف بهم انظر : ص ١٢١ .

^(٥) اتباع وأصل بن عطاء ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية والعدلية ، والذي يعمهم من الاعتقاد : القول بأن الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، ونفوا الصفات القديمة أصلاً فقالوا : هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حي بذاته ، لا يعلم وقدرة وحياة . واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل . انظر الملل والنحل : ١ / ٥٦ .

^(٦) سبق التعريف بهم انظر : ص ٩٣ .

معارضة الأحاديث الصحيحة ورفضها وتنفير الناس منها ^(١).

(٤) بيانه أنه ليس كل عقل ينفع صاحبه بل إن من العقول مايودي بصاحبه إلى التهلكة والعياذ بالله وذلك بأن يلتمس صاحبه رضا الناس بسخط الله عز وجل، وأن من علامة نقص العقل والدين المداهنة، وأنها ربما كانت سبباً لفتنة القلب وموته والعياذ بالله . يقول الشيخ — يرحمه الله — : " فينبغي للمؤمن أن يقدم رضا الله تعالى على كل شيء وإن سخط عليه الناس ؛ فإن من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها ^(٢) . وهذا هو العقل النافع . وأما المداهنة فإنها نقص في العقل والدين ، وربما كانت سبباً لفتنة القلب وموته كما تقدم في حديث حذيفة والأثرين عنه وعن ابن مسعود رضي الله عنهما ^(٣) " . ^(٤)

(٥) أوضح أن ما يعرف به ضعف العقل أو ذهابه بالكلية في مجال الإيمان بالله ورسوله هو : عدم احترام الأسانيد الثابتة والأحاديث الصحيحة ؛ على أن العكس من ذلك مقتضى العقل الصحيح وهو عنوان على الإيمان بالله ورسوله ﷺ يقول — يرحمه الله — : " احترام الأسانيد الثابتة والأحاديث الصحيحة هو

(١) انظر : الرد القويم ، ص ٤٤ — ٤٥ .

(٢) أخرج ابن حبان في صحيحه حديث عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ﴾

(٣) يعني بذلك ما أخرجه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : " سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ؛ حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض . والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً ، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ﴾

أما الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو قوله : " أن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه و يخرج وما معه دينه " قيل : كيف ؟ قال : " يرضيه بما يسخط الله "

(٤) انظر : القول المحرر ، ص ٩١ .

مقتضى العقل الصحيح ، كما أنه عنوان على الإيمان بالله ورسوله ﷺ ؛ وأما عدم احترامها فإنه دليل على ضعف العقل أو ذهابه بالكلية، كما أنه عنوان على زيغ القلب وبعده عن الإيمان بالله ورسوله ﷺ " . (١)

(٦) حذر الشيخ — يرحمه الله — مما يفسد العقول ويفسد الدين أيضاً؛ وهو معارضة الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ ، وتكذيبها ، ومخالفتها ، والاستخفاف بها يقول الشيخ — يرحمه الله — : "ليس في الأحاديث الثابتة في المهدي ما يفسد العقول بوجه من الوجوه ، وإنما الذي يفسد العقول ويفسد الدين أيضاً معارضة الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ وتكذيبها ، والخوض في ردها بمجرد التفكير الذي هو غاية في الجهل وقد قال الله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ " (٢) قال الإمام أحمد : أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ، وقال أحمد أيضاً : من رد أحاديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة " . (٣) ويقول — يرحمه الله — في موضع آخر : "الذي أفسد العقول عند بعض الناس هو مخالفتهم للأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ واستخفافهم بها ، وتمسكهم بأقوال المنحرفين عن السنة من العصريين ؛ وهم الذين يعتمدون على النظريات والأفكار الخاطئة ، ولا يبالون برد الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ إذا كانت مخالفة لنظرياتهم وأفكارهم " (٤)

(٧) رده على من زعم أن احترام الأسانيد يعد إلغاء للعقول وأن ذلك الشلل الإرادي للعقول يعدونه من التعبد المطلوب . وقد أجاب الشيخ على هذه

(١) الرد القويم : ص ٥٥ .

(٢) النور : ٦٣ .

(٣) الاحتجاج بالأثر : ص ١٧٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٧٥ — ٢٧٦ .

الدعوى الباطلة من عدة أوجه من ضمنها قوله : " الوجه الثالث أن يقال : إن المؤلف هو الذي شل عقله في الحقيقة حينما نصب نفسه لعداوة الأحاديث الصحيحة وتعصب لآراء أبي رية وأشباهه من الزائغين الذين يعارضون الأحاديث الصحيحة بالآراء والشبهات ولا يبالون برفض الأسانيد الثابتة وتكذيب ما ثبت عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال والمعجزات والكرامات . وما أشبه هذا الضرب الرديء بالذين قال الله تعالى فيهم ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فممن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ ^(٢) . " ^(٣)

٨) بيانه أن قصور العقل يكمن في جعل العقول والآراء الفاسدة ميزاناً للأحاديث فما وافقها فهو مقبول وما خالفها يضرب به عرض الحائط يقول الشيخ — يرحمه الله — : " وليعلم أيضاً أن الاستهزاء بالنبي ﷺ يشمل الاستهزاء به في كل شيء من أخلاقه وأقواله وأفعاله . ومن ذلك الاستهزاء بالأحاديث الثابتة عنه ﷺ ؛ كما يفعله بعض المتحذلقين ^(٤) الذين غلب عليهم التيه والعجب بأنفسهم وبكتاباتهم الخاطئة . فهذا الضرب الرديء قد جعلوا عقولهم القاصرة وآراءهم الفاسدة ميزاناً للأحاديث ؛ فما وافق عقولهم وآراءهم قبلوه ونصروه ولو كان ضعيفاً أو موضوعاً ، وما خالف عقولهم وآراءهم ضربوا به عرض

^(١) فاطر : ٨ .

^(٢) الجاثية : ٢٣ .

^(٣) الرد القويم : ٥٥ .

^(٤) الحذقة : التصرف بالظرف ، والمتحذلق : المتكئس ، وقيل : المتحذلق : هو المتكيس الذي يريد أن يزداد على قدره . ويقال : حَذَلَّ الرجل وتحذلق : إذا أظهر الحذق وادعى أكثر مما عنده . لسان العرب : ٣ /

الحائط ، ولم يبالوا برده ورفضه واطراحه ، ولو كان في الصحيحين أو في أحدهما .^(١)

٩) أوضح — يرحمه الله — بأن العقل في باب الحب والبغض والموالات والمعاداة عقلا ن : أحدهما : مسدد موفق قاهر للهوى والنفس ؛ وذلك متى كان الحاكم عليه الكتاب والسنة .

والآخر : معيشي نفاقي مخذول قهرته النفس الأماره بالسوء وحاكمه الهوى وذلك الإيضاح في معرض رده على المنتسبين إلى أهل العلم ممن أنكر الحب في الله والبغض في الله ، والموالات في الله والمعاداة في الله ، وهجر أهل المعاصي لله والاكفهرار في وجوههم من أجل ما ارتكبه من المعاصي وتجد هذا المنكر في المقابل يحث في خطبه وقصصه على حسن السلوك مع الناس كلهم واستجلاب مودتهم ومحبتهم ، ويرغبون في إظهار البشاشة لكل أحد سواء الصالح والطالح من الناس ، وربما صرح بعضهم أن هذه الأفعال من حسن الخلق ، ومن مقتضيات العقل فأجاب الشيخ على ذلك كله بقوله : " فيقال لهؤلاء الحيارى المغرورين العقل في باب الحب والبغض والموالات والمعاداة عقلا ن : أحدهما : عقل مسدد موفق قاهر للهوى والنفس الأماره بالسوء قد استنار بنور الإيمان ، وصار الحاكم عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ؛ فهذا العقل يقتضي من أصحابه أن لا يقدموا على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ شيئا أبداً . ويقتضي من أصحابه أن يحبوا في الله ويبغضوا في الله ، ويوالوا في الله ويعادوا في الله ، ويعطوا لله ويمنعوا لله ، ويسارعوا إلى كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ؛ سواء رضي الناس أو سخطوا لا تأخذهم في الله لومة لائم . وما أقل هذا العقل في هذه الأزمان المظلمة . والعقل الآخر : عقل معيشي نفاقي مخذول قد قهرته النفس

(١) قصص العقوبات : ١٨ ، ٦٠ .

الأمارة بالسوء، وأسرتة الحظوظ الدنيوية، والشهوات النفسية، وصار الحاكم عليه الهوى؛ فمحبته لهواه، وبغضه لهواه، وموالاته لهواه، ومعاداته لهواه، وبذله لهواه، ومنعه لهواه. فهذا العقل يقتضي من أربابه: أن يتملقوا لسائر أصناف الناس بالسنتهم، ويحسنوا السلوك مع الصالح والطالح. وهذا العقل هو الغالب على أهل زماننا، عامتهم وخاصتهم. وما أكثره في المنتسبين إلى العلم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١)

ونقل بعد ذلك — يرحمه الله — كلاماً نفيساً للإمام ابن القيم — يرحمه الله — يوضح فيه حقيقة العقل كل العقل: "قال ابن القيم رحمه الله تعالى في وصف أهل هذا العقل: ظن أربابه أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون. فإنهم يرون العقل: أن يرضوا الناس على طبقاتهم ويسالموهم، ويستجلبوا مودتهم ومحبتهم، وهذا مع أنه لا سبيل إليه؛ فهو إثارة للراحة والدعة على مؤنة الأذى في الله، والموالاتة فيه، والمعاداة فيه. وهو وإن كان أسلم عاجلة؛ فهو الهلاك في الآجلة؛ فإنه ما ذاق طعم الإيمان من لم يوال في الله، ويعاد فيه. فالعقل كل العقل ما أوصل إلى رضا الله ورسوله والله الموفق^(٢) " (٣)

(١) تحفة الإخوان: ٣٦، ٣٥.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تحفة الإخوان: ٣٧.

بيان حقيقة العصريين

أوضح الشيخ — يرحمه الله — حقيقة العصريين وأشار إلى سماقتهم، وما يتعلق بتفسيرهم لكلام الله ﷻ وموقفهم من السنة النبوية الشريفة، ونبه على بعض كتاباتهم من خلال تناوله للمسائل التالية :

١ — افتتاحهم بآراء الإفرنج وتخرساتهم وظنونهم الكاذبة، ومخالفتهم لما جاء في الكتاب والسنة وإجماع المسلمين. يقول الشيخ — يرحمه الله — : " وكثير من العصريين المفتونين بتخرصات أهل الهيئة الجديدة وظنونهم الكاذبة يرومون الجمع بين ما أخبر الله به ورسوله ﷺ وبين تخرصات أهل الهيئة الجديدة وظنونهم الكاذبة ؛ وذلك بحمل الآيات والأحاديث على غير محاملها ؛ لتتفق مع ظنون أهل الهيئة الجديدة وتخرساتهم ؛ فيجمعون بين قبول الباطل وبين الإلحاد في آيات الله تعالى وتخريف الكلم عن مواضعه . " (١) ويقول — يرحمه الله — : " ولا عبرة بهؤلاء العصريين المفتونين بآراء الإفرنج وتخرساتهم وظنونهم الكاذبة " (٢) وقوله : " وقد خلف من بعد العلماء العاملين بالأحاديث خلف من العصريين المفتونين بأفكار الغربيين ؛ فتهجموا على الأحاديث الصحيحة والأحاديث الحسنة ، وتجرعوا في الكلام فيها وفي روايتها ، ولم يبالوا بردها واطراحها ولا سيما إذا خالفت أفكارهم أو أفكار من يعظمونه من الغربيين وتلاميذهم المفتونين بما يسمونه حرية الفكر وتقديم الأفكار على الأحاديث الصحيحة والأحاديث الحسنة " (٣)

(١) ذيل الصواعق لحو الأباطيل والمخارق : ٦٥ — ٦٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٥٨ .

(٣) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر : ٣٥، ٥٠، ٧٣ .

ويقول — يرحمه الله — : " فأما المتأخرون من العصرين فلا تستغرب منهم المكابرة في رد الأحاديث الثابتة والحكم عليها بالوضع ؛ لأن كثيراً منهم أهل جراءة على الكلام في الأحاديث والقدح فيها بغير حجة ولا سيما إذا خالفت أفكارهم أو أفكار من يعظمونه من الغربيين وغير الغربيين ، ومن طالع كتبهم وتعاليتهم على الكتب رأى من ذلك الشيء الكثير ، ومن زعم أنهم محققون في الحديث ؛ فهو لا يعرف التحقيق ولا المحققين " ^(١). ويقول : " ومن هؤلاء الأغبياء المغفلين أبو رية والمؤلف وأشباههما من جهلة العصرين الذين يعتمدون على ترهات جولدزبيرج اليهودي ^(٢) وإخوانه من المستشرقين ؛ الذين قد شرقوا بالإسلام وأهله ، وملؤوا كتبهم من الطعن في الإسلام والقرآن والنبى ﷺ وأصحابه ، ويعتمدون أيضاً على نهيق الروافض ونباحهم في ثلب أصحاب رسول الله ﷺ ، والطعن فيهم ؛ بكل ما يرون أنه يشينهم . " ^(٣)

٢ — هذيانهم بحرية الفكر حتى فيما يتعلق بالإيمان والعقيدة ومن ذلك قولهم : " إن الله تعالى لم يجعل إيماننا وعقيدتنا مربوطاً بعلم عصر من العصور بحيث إذا تغير هذا العلم وتبدل اضطر الإنسان إلى أمرين : إما أن يؤمن بالله تعالى وينكر صحة العلم . أو يكفر بالله تعالى ويؤمن بصحة العلم . " يقول الشيخ — يرحمه الله — راداً على هذا الكلام : " هذه إحدى الكبر ... حيث قرر ما يهدوا به

^(١) الإحتجاج بالأثر : ٩٨ ، ١٢١ ؛ الرد القويم : ٢٥٨

^(٢) جولدزبيرج أحد كبار المستشرقين وقد حاول إثبات زعمه بأن الحديث في مجموعه من صنع القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، وليس من قول الرسول ﷺ وقد عرفت أبحاثه عن الإسلام بالتجني والتحامل وهي مليئة في نفس الوقت بالأخطاء التاريخية والعلمية . ومما عرف عنه بأنه صاحب رسالة في الدس على الإسلام والكيد له وتشويه حقائقه . وهو مؤسس المدرسة الاستشراقية التي تبني حكمها في التشريع الإسلامي على وقائع التاريخ نفسه . انظر : أجنحة المكر الثلاثة للدكتور عبدالرحمن بن حبنكة الميداني : ١٤١ هـ . وانظر لمزيد من البيان : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم للدكتور مصطفى السباعي

^(٣) الرد القويم على المجرم الأثيم : ٢٣١ .

جهلة العصريين من حرية الفكر حتى فيما يتعلق بالإيمان والعقيدة . وهذا القول من أبطل الباطل . والحق أن الإيمان والعقيدة مربوطان بعلم العصر النبوي وهو علم الكتاب والسنة . وهذا العلم لا يتغير ولا يتبدل إلى يوم القيامة . " (١)

٣- حملهم لصحاح الأحاديث النبوية وتفسير الآيات القرآنية الكريمة بما يناسب الواقع ويواكب المنطق ويتسق وفطرة الحياة كما قال قائلهم وأن ذلك أولى من السبح في أجواء من الخيال . وقد أجاب عليه الشيخ - يرحمه الله - بقوله : " الواجب على المسلم أن يؤمن بما جاء في كتاب الله تعالى ، وبما ثبت عن رسول الله ﷺ من أخبار الغيوب الماضية والآتية ، ولا يجوز لأحد أن يرد ما خفي عليه منها ، وما لا يحتمله عقله ، ولا أن يحمل الآيات والأحاديث على غير ظاهرها من غير دليل من الكتاب أو السنة أو ما يدل على ذلك . " (٢)

٤- أوضح الشيخ - يرحمه الله - حال العصريين في بحوثهم : فهم في التفسير يؤولون آيات الصفات بما يوافق أقوال المعتزلة . وفي الكلام على المعجزات وخوارق العادات إما أن ينكروها أو يؤولوها بما يتفق مع أفكارهم أو أفكار من يعظمونه من الغربيين واتباع الغربيين . وفي الكلام على السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم يتمسكون بما قاله أهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الغربيين . وفي الكلام على أشراط الساعة تجدد بعضهم ينكروها وبعضهم يؤولها أو يؤول بعضها على ما يوافق تفكيره ورأيه . وأما الأحاديث الواردة في المهدي فتجد بعضهم ينكروها ويطعن فيها ولا فرق عندهم بين الصحيح والحسن منها وبين الضعيف والموضوع فكلها عندهم على حد سواء . ومنهم من يؤيد عبادة القبور والغلو في الأموات ولهم في ذلك مصنفات معروفة . ومنهم من ينكر وجود الجن ووجود السحر . ومنهم من يزعم أن قرين ابن آدم من الملائكة وقرينه من

(١) ذيل الصواعق : ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٢) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة : ٣ / ١٨٣ - ١٨٦ .

الجن عبارة عن نوازع الخير والشر في الإنسان . ومنهم من يزعم أن خروج الدجال عبارة عن انتشار الشر وأن نزول عيسى عليه السلام عبارة عن انتشار الخير إلى غير ذلك من توهّمات العصريين وتخريصاتهم كما بين الشيخ أن كثيراً من ضعفاء البصيرة من العصريين يعتمدون على كتابات المستشرقين عن الإسلام وهي مما لا يعتمد عليها .^(١)

هـ — أنهم أهل قلوب مريضة وعقول ناقصة وليس كما زعم من زعم أنهم أصحاب عقول ناضجة ينفضون عن دينهم غبار الزيف الذي ران على الجمال الإسلامي والصفاء الحمدي حتى ملأ المراجع الدينية بما لا يقتضيه عقل من القصص الخيالي والتشريع المبتدع . وأصل ذلك الحديث الباطل الذي أصابنا بغباره القبيح في عقائدنا ، وعبادتنا ، وما سنه الله لنا من تشريع . وقد أجاب الشيخ — يرحمه الله — على ذلك بقوله : " إن أصحاب العقول السليمة من المسلمين قد نفضوا عن دينهم وعن عقائدهم غبار الزيف الذي أحدثه أهل الأهواء والبدع من الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجهمية والمعتزلة والفلاسفة وغيرهم من أهل الكلام الباطل الذي ذمه السلف وحذر منه . ونفض أصحاب العقول السليمة من المسلمين عن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس منها من أحاديث الكذابين والوضاعين وميزوا الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وميزوا الثقات من رجال الأحاديث من المجروحين ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فقد تركوا الأمر واضحاً جلياً لمن أراد الله هدايته . وقد خالفهم أهل القلوب المريضة والعقول الناقصة من العصريين ... " ^(٢) .

^(١) انظر : الاحتجاج بالأثر ١٦٦ - ١٦٧ .

^(٢) الرد القويم على المجرم الأثيم : ٤٤ - ٤٥ .

٦ — ما وضعوه لأنفسهم من قاعدة سيئة تتضمن إنكار ما خالف آراءهم أو آراء شيوخهم من الأحاديث الصحيحة التي لا مطعن فيها بوجه من الوجوه . يقول الشيخ — يرحمه الله — : " فتارة يزعمون أنها من الدس الإسرائيلي . وتارة يزعمون أنها تخالف القرآن . والواقع في الحقيقة أنها تخالف عقولهم الفاسدة ، وآراءهم الكاسدة ، وعقائدهم التي تلقوها من الإفرنج وتلاميذ الإفرنج ومن يعظمهم ويحذو حذوهم ، ويتبع آراءهم التي تخالف الكتاب والسنة . " ^(١) كما بين الشيخ أنهم هم في الحقيقة ضحايا الدس الإسرائيلي لتأثرهم بخزعبلات جولدزيهر وإخوانه من المستشرقين الذين قد ملؤوا كتبهم من الطعن في الإسلام والقرآن والنبى ﷺ وأصحابه . ^(٢)

٧ — بيان حالهم في دعوى الإمامة في الدين كما زعم ذلك من زعم وأنهم في حقيقتهم : كثيروا الخطب والكلام ، أصحاب تفكير عصري ، وثقافة غريبة واتباع لأهل الكلام المذموم . وهم يتأولون الآيات القرآنية على غير تأويلها ويحملونها على غير محاملها وما يراد بها ، ويطعنون في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ ويكذبونها ويردونها ، ويحاولون التوفيق بين العلوم الشرعية وأقوال فلاسفة المسلمين وملاحدة الإفرنج . ومنهم من شهدوا له بالإمامة كالشيخ محمد عبده وهو كما وصفه الشيخ عبدالله بن علي يابس ^(٣) — يرحمه الله — في رده على الشيخ محمود شلتوت ^(٤) — يرحمه الله — : " رجل رضع من ثدي باريس وعب

^(١) المصدر السابق : ٧٧ .

^(٢) المصدر السابق : ١٢٠ .

^(٣) هو عبدالله بن علي بن يابس : متفقه حنبلي نجدى ، من أهل القويعة ، من قبيلة بني زيد . أقام في مصر نحو ٤٠ عاماً ، ورحل إلى مدينة الرياض فتوفي بها عام ١٣٨٩ هـ . الأعلام للزركلي :

^(٤) هو محمود شلتوت : فقيه مفسر مصري . يقول عنه الزركلي : " وكان داعية إصلاح ، نير الفكرة ، يقول : بفتح باب الاجتهاد . وسعى إلى الإصلاح في الأزهر ؛ فعارضه بعض كبار الشيوخ ؛ وطرد هو ومناصروه ، ثم عاد إليه وتولى مشيخته عام ١٩٥٨ م إلى وفاته عام ١٣٨٣ هـ . الأعلام للزركلي : ٧ /

من فلسفة الرازي ، والغزالي ، وصاحب المواقف ، وقل نصيبه في علوم الدين ؛ فإذا جاء يكتب فيه : جاء بأقوال ممزوجة بشبه ملاحدة الغرب وفلاسفة الإسلام ، وذلك الرجل هو محمد عبده . (١) " (٢)

وكذلك الحال بالنسبة لمحمد رشيد رضا — يرحمه الله — وقد نقل الشيخ كلام الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة^(٣) — يرحمه الله — أحد تلامذة السيد رشيد رضا — يرحمه الله — في بيان حاله حيث يقول : " ونقول كلمة وجيزة في سبب هذا التشكيك من السيد رشيد : تخرج على أستاذه الإمام الشيخ محمد عبده الذي تمهر في فلسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر ورضعا جميعاً لبان فلسفة جوستاف لوبون ، وكانت ، ومنتشة ، وسبسر وغيرهم من أساطين الفلسفة المادية التي تقول بجبرية الأسباب والمسببات ، وأن العالم يسير بنواميس لا يمكن أن تتخلف أو أن ينفك مسبب عن سببه عقلاً . فلم تتسع الفلسفة المادية في تفكيرهما للإيمان بالمعجزات والخوارق من انفلاق البحر لموسى والعصا له وآيات عيسى بن مريم ورفعته للسماء ... (٤) " (٥)

١٧٣ . أقول : هو أحد تلامذة محمد عبده الذي يعد أحد رواد المدرسة العقلية ، وقد تأثر بفكر شيخه و منهجه العقلي ، وقد الدكتور الرومي عند تعداد له لرجال المدرسة العقلية .

(١) هو محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني . يقول عنه الزركلي : " مفتي الديار المصرية ، ويعد من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام كما يقال عنه ، وقد تصوف وتفلسف بعد تعلمه بالأزهر ، والتقى في باريس بشيخه جمال الدين الأفغاني . و توفي عام ١٣٢٣هـ . الأعلام : ٦ / ٢٥٢

(٢) الرد القويم : ١٨٥ .

(٣) هو محمد بن عبدالرزاق حمزة : مدرس في الحرم المكي ، ولد بمصر ، ودرس بالأزهر ، ثم انتقل إلى مكة ، وتولى خطابة الحرم النبوي وإمامته ، ونقل بعد ذلك إلى الحرم المكي مدرساً للحديث والتفسير . وصنف كتباً مطبوعة منها (ظللمات أبي ريا) نقد لكتابه (أضواء على السنة المحمدية) وتوفي بمكة عام ١٣٩٢ هـ . الأعلام : ٦ / ٢٠٣ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) الإحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر : ٢٨٨

كما نقل كلام العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر — يرحمه الله — عن السيد رشيد رضا حيث يقول: "ولكنه كان متأثراً أشد التأثر بجمال الدين^(١) ومحمد عبده وهما لا يعرفان في الحديث شيئاً بل كان هو بعد ذلك أعلم منهما ، وأعلى قدماً ، وأثبت رأياً لولا الأثر الباقي في دخيلة نفسه ، والله يغفر لنا وله . (٢) " (٣) ويقول — يرحمه الله — مبيناً حال الناس في هذا العصر وأثر التربية الإفرنجية عليهم ومن ذلك العصرانيين: "فإن التربية الإفرنجية الملعونة جعلتهم لا يرضون بالقرآن إلا على مضض ، فمنهم من يصرح ، ومنهم من يتأول القرآن أو السنة ليرضي عقله الملتوى لا ليحفظهما من طعن الطاعنين " (٤)

(١) هو جمال الدين الأفغاني : محمد بن صفدر الحسيني . يصفه الزركلي بأنه : فيلسوف الإسلام في عصره ، ولد بأفغانستان ونشأ بها ، ثم ارتحل إلى مصر . ويقول عنه : "فقصد مصر ، فنفع فيها روح النهضة الإصلاحية في الدين والسياسة . ونفته الحكومة المصرية ، فاستقر في باريس ، ومات بالأستانة عام ١٣٥١ هـ . ١٦٨/٦ أقول : هو أحد رواد المدرسة العقلية الحديثة و هم من حاولوا التوفيق بين الدين والعلم ، وقالوا بأن الدين الإسلامي هو دين العقل والحرية والفكر ، وذهبوا إلى تبين ذلك المنهج للناس و تقييم الدين الإسلامي على العقل الذي لا يقر أرباب الثقافة الغربية غيره حكماً . و قد سميت نهضة هؤلاء بالنهضة الإصلاحية و كان لهذه المدرسة آراء كثيرة تخالف رأي السلف ، و شطحات ما كانوا ليقعوا فيها لولا مبالغتهم الشديدة في تحكيم العقل في كل أمور الدين حتى جاوزوا الحق و الصواب ، و قد شكك بعض رجال الفكر الإسلامي الحديث في نزاهة المؤسسين لهذه المدرسة و هم جمال الدين الأفغاني و تلميذه محمد عبده ؛ مستدلين على ذلك ببعض علاقاتهم مع أعداء الدين من اليهود والنصارى ، و بما ورد في كتاباتهم ، و يكفي أن تعرف بأن جمال الدين الأفغاني كان أحد أبرز أعضاء المحفل الماسوني بالقاهرة ن بل تم اختياره بعد ثلاث سنوات من انضمامه رئيساً للوج كوكب الشرق . و انظر لمزيد من البيان منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي : ص ٦٨ و ما بعدها .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) الإحتجاج بالأثر : ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٤) الرد القويم : ٣١٦ .

وكلام الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي — يرحمه الله — في كتابه :
(المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية) والذي يبين فيه حال
الشيخ جمال الدين الأفغاني والذين تخرجوا عن تخرج عنه حيث يقول : " تقدم
لنا أن الذين تخرجوا على الشيخ جمال الدين الأفغاني ، والذين تخرجوا عن تخرج
عنه يفسرون القرآن برأيهم ، وينكرون بعض ما ثبت في الشرع ، ويعتمدون
على أقوال الكفار ، ويهجرون قول الله وقول رسوله ﷺ وقول الراسخين في
العلم من المسلمين . وعندهم كلام الله تعالى ككلام البشر يتصرفون فيه بغير علم
؛ فيحق عليهم الوعيد . (١) " (٢)

٨ — بين الشيخ — يرحمه الله — سبب طعنهم في رواية الأحاديث الثقات
الأبرياء وهو كونهم لم يجدوا مستنداً صريحاً في تشكيكهم وردهم للأحاديث .
يقول — يرحمه الله — : " ولا شك أن المؤلف وأبا رية وأشباههما من العصرين
المنتطعين أولى بالأوصاف الذميمة من عبدالله بن سلام وكعب الأحبار ووهب
ابن منبه ؛ لأن العصرين قد جدوا واجتهدوا في رد بعض الأحاديث الصحيحة
والتشكيك فيها بأنواع من الأباطيل والترهات ؛ ولما لم يجدوا مستنداً صحيحاً
يعتمدون عليه في رد بعض الأحاديث الصحيحة لجأوا إلى الطعن في الثقات
الأبرياء ورموهم بالافتراء وبث الأكاذيب والترهات في الدين الإسلامي ... " (٣)
ومن ذلك أيضاً طعنهم في الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه .

يقول — يرحمه الله — : " إن شرار العصرين قد جعلوا أبا هريرة رضي الله عنه غرضاً
لسهامهم الخبيثة ؛ فأكثرُوا الوقعة فيه والتنقص له وروموه ظلماً وزوراً بكل ما
يرون أنه يشينه ويقدح فيه ، وقد تولى كبر ذلك أبو رية ونشره في كتابه الذي

(١) المسائل الكافية : ١٢٠ .

(٢) الإحتجاج بالأثر : ٢٩٠ .

(٣) الرد القويم : ٢٢٩ .

هو ظلمات بعضها فوق بعض ، ونقل أقوال الشائنين لأبي هريرة رضي الله عنه من الروافض ومشايخ أبي رية وغيرهم من متشدقة العصرين ... " (١)

١٠) أوضح الشيخ — يرحمه الله — طرق طعنهم في السنة النبوية الشريفة وهي : إما زعمهم مخالفتها للقرآن الكريم ، أو أنها أخبار آحاد ، أو أنها من الدس الإسرائيلي ، أو بصرفها عن ظاهرها وتأولها على غير المراد منها .

كل ذلك تقليداً للإفرنج. يقول — يرحمه الله — : " إن كتب السنة كانت محترمة عند علماء أهل السنة والجماعة منذ زمان تأليفها إلى أثناء القرن الرابع عشر من الهجرة فحينئذ ظهرت فئة من تلاميذ الإفرنج ومقلديهم والمتزلفين إليهم بالطعن في الأحاديث الصحيحة والتشكيك فيها . ومنهم المؤلف (٢) وأبو رية وبعض مشايخه الذين بثوا في المسلمين كثيراً مما يراه الإفرنج ويعتقدونه مما يخالف للقرآن والأحاديث الصحيحة : فتارة يطعنون فيها بأنها تخالف القرآن ؛ وإنما يقولون ذلك لقصور فهمهم للأحاديث الصحيحة وحملهم القرآن على غير محامله . وتارة يطعنون فيها بأنها أخبار آحاد . وتارة يزعمون أنها من الدس الإسرائيلي . وتارة يصرفونها عن ظاهرها ويتأولونها على غير المراد بها مما يوافق آراءهم أو آراء من يعظمونهم من الإفرنج وتلاميذ الإفرنج " (٣)

والخلاصة :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله في هذا المطلب يتمثل في :
تقريره لما بينه شيخ الإسلام من أن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح

(١) المصدر السابق : ٢٥٥ .

(٢) يعني به سيد صالح أبي بكر صاحب كتاب (الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية و تطهير البخاري منها) وقد تهجم في كتابه على الصحيحين وطعن في الأحاديث الصحيحة الثابتة فيهما .

(٣) المصدر السابق : ٦٧-٦٨ ، ٧٧ .

وأن نصوص الوحي هي الأصل الذي يجب الرجوع إليه فهي الحكم والميزان للقبول أو الرد .

ثم بيانه أن سلامة العقل تعني عدم رده لما ثبت عن النبي ﷺ بل هي تدفع صاحبها لتلقي ذلك بالقبول والتسليم .

و هو يوضح أن العقول السليمة قادت أصحابها من المسلمين إلى رد الأحاديث المكذوبة والموضوعة لا العكس كما يفعل أصحاب العقول السقيمة .
ومن ناحية أخرى ينبه على أنه ليس كل عقل ينفع صاحبه بل إن من العقول ما يودي بصاحبه إلى التهلكة .

ثم هو يبين الميزان الذي يعرف به ضعف العقل أو ذهابه بالكلية في مجال الإيمان هذا الميزان هو احترام الأسانيد الثابتة و الأحاديث الصحيحة ، وأن رد هذه الأحاديث هو الذي يفسد العقول والدين . وليس في احترام الأسانيد إلغاء للعقول كما زعم ذلك من زعم .

كما أنه يبين ما به يعرف قصور العقل ألا وهو جعله هو والآراء الفاسدة ميزاناً للأحاديث في قبولها ورفضها .

ونجده يوضح أن العقل في باب الحب والبغض والموالة والمعاداة عقلان أحدهما مسدد موفق قاهر للهوى والنفس وذلك متى كان الحاكم عليه الكتاب والسنة .
وأخيراً فهو يبين عن حقيقة العصريين مشيراً إلى سماقتهم وما يتعلق بتفسيرهم لكلام الله ﷻ وموقفهم من السنة النبوية الشريفة .

ويطلب الثاني: بيان الأدلة من الكتاب والسنة مع التأويل مع نصوصها

الناظر في مؤلفات الشيخ حمود — يرحمه الله — يرى فيها سمة واضحة قد برزت وهي: كما أن الشيخ يرحمه الله كان سلفياً في عقيدته فهو كذلك كان سلفياً في تأليفه؛ فطريقة الشيخ يرحمه الله في إيراد الأدلة وترتيبها وطريقة عرضها هي نفس ما نجده مدوناً في كتب سلفنا الصالح رحمة الله عليهم أجمعين فهو يبدأ بذكر الأدلة الواردة في كتاب الله عز وجل، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ، ثم الآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم، ثم أقوال التابعين رحمهم الله أجمعين، ثم يذكر أقوال الأئمة رحمهم الله في المسألة، وينبه إن كان هناك إجماع في المسألة.^(١) كما ذكر ذلك سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز — يرحمه الله — في تقديمه لكتاب (الصارم البتار) حيث يقول: "فألفيته رداً قيماً قد أوضح فيه كاتبه الحق وكشف فيه الشبهات التي أوردها إبراهيم المذكور بالأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة والآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم".^(٢)

والشيخ يرحمه الله ممن تميز بقوته في الاستدلال واستحضاره للآيات والأحاديث وليست القضية مجرد سياقه للأدلة من الكتاب والسنة بل إنه مع ذلك كما هو منهج أهل السنة والجماعة الأدب مع نصوص الكتاب والسنة وهذا ناشئ من اقتصارهم في مصدر التلقي على الوحي فهم يستغنون بالكتاب والسنة ويعتمدون عليهما ويوقنون أن الخير كل الخير في الالتزام بهما، وقد بلغ هذا

(١) انظر على سبيل المثال: فصل الخطاب: من ص ١٤ وما بعدها، والإيضاح والتبيين: ٢٥، ٢٤، و

(٢) الصارم البتار: ٣-٤.

الحرص إلى حد عدم تجاوز الألفاظ الشرعية الموجودة فيهما ، والاستعاضة عنها بألفاظ من وضع البشر ؛ فيكون حال من يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . فطالما أن اللفظة المحتاج إليها موجودة في الكتاب أو السنة فلا يعدل عنها ، وإن احتيج إلى ألفاظ فينبغي أن تكون ألفاظاً مشروعة بحيث لا يخالف الكتاب والسنة هذا بصفة عامة ، أما في مسائل الاعتقاد بخاصة فالباب توقيفي لا يتجاوز فيه ماورد من النصوص ولا تستخدم الألفاظ والمصطلحات الموهمة غير الشرعية .^(١)

وكانت هذه هي منهجية الشيخ يرحمه الله ويتضح ذلك من خلال مطالعة مؤلفاته وسأضرب أمثلة لذلك — بإذن الله تعالى — من خلال استعراض النقاط التالية :

(١) تعقيبه — يرحمه الله — على القائل : " وبذلك تأكدت نبوة محمد ﷺ وتقررت رسالته " يعنى بظهور مصداقية بعض الأحاديث وكرر هذه العبارة عشر مرات فبين الشيخ يرحمه الله أن الواجب تغييرها بالقول في كل جملة إنها من آيات النبوة وأعلامها بدلاً من القول بأن تحقق وقوع هذه الأحاديث تأكيد لنبوة محمد ﷺ يقول — يرحمه الله — : " فهذه الجمل العشر ينبغي تغييرها بالقول في كل جملة : إنها من آيات النبوة وأعلامها حيث وقعت طبق ما جاء في الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ . فأما التعبير بتأكد النبوة والرسالة وتحققهما وتقررهما وثبوتهما فلا ينبغي لأن النبوة قد تأكدت ، وتحققت ، وتقررت ، وثبتت : بتزول أول سورة : (اقرأ) على النبي ﷺ وأما الرسالة فإنها تأكدت وتحققت وتقررت وثبتت بتزول أول سورة المدثر " .^(٢)

^(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة : ٥٥ .

^(٢) انظر : تنبيهات على رسالتين : ٤٣-٤٥ . وليست القضية هنا مخالفة وإنما هي وجهة نظر قد لا تصيب

(٢) تعقيب الشيخ — يرحمه الله — على قول: "ثم هي — يعني الأمة الإسلامية — إذا لم يتداركها الله تعالى بتوبة يوفقها إليها، ويقبلها منها آثلاً أمرها إلى أحد شيئين: المسخ أو النسخ...". فبين الشيخ — يرحمه الله — بطلان هذا القول لمخالفته الصحيح الثابت عن النبي ﷺ يقول الشيخ — يرحمه الله —: "وأقول: إن المسخ الكلي أو النسخ الكلي للأمة الإسلامية لا يكون أبداً لأن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً﴾ (٣)... وأيضاً فقد جاء في أحاديث كثيرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس﴾ (٤) " (٥)

(٣) أشار الشيخ إلى ماورد عن الإمام أحمد أن من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع. فبين الصابوني يرحمه الله أن المراد أن السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال إليه. أي أنهم يقتصرون على الوارد من الألفاظ المشروعة دون ابتداع شيء من ذلك". (٦)

(٣) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة برقم: ٢٨٨٩.

(٤) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ ﴿لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون﴾ وهم أهل العلم؛ ومسلم في الإيمان برقم: ١٥٦ وفي الإمارة باب قوله ﷺ: ﴿لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم﴾.

(٥) انظر: المصدر السابق: ٣٢، ٣٣.

(٦) انظر تنبيه الإخوان: ٣٢.

٤) عقب على من قال بأن الملك هو الذي وحد البلاد العربية فأوضح الشيخ أن هذا الإطلاق خطأ كبير لأن الذي وحد البلاد العربية على الحقيقة هو الله وحده لا شريك له ، وقد يسر الله أسباب توحيدها على يدي الملك " (١).

والله اعلم :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله في هذا المطلب يتمثل في :
تعقيبه — يرحمه الله — على الألفاظ التي فيها مخالفة للكتاب والسنة ، موضحاً أن السلف من أهل السنة يقتصرون على الوارد من الألفاظ الشرعية دون ابتداع شيء من ذلك .

(١) انظر الرد على الكاتب المفتون : ١٩٣ .

والطلب والروية : وسئل الله بالأحاديث والضعيفة وكشف عن الأحاديث والضعيفة

والموضوع

سبقت الإشارة إلى أنه من منهج أهل السنة والجماعة اقتصارهم في مصدر التلقي على الوحي : الكتاب والسنة ، واعتمادهم في السنة على الأحاديث الصحيحة فقط ؛ فهم ينبذون الأحاديث الضعيفة والموضوعة ؛ ويتمثل ذلك عندهم بالإنكار على من اعترض على الأحاديث الصحيحة الثابتة ، وذكرهم للأسانيد فيما يروونه ، وبالتالي النظر في هذا الإسناد والحكم على الحديث صحة وضعفاً بعد جمع طرقه ورواياته .^(١)

ومن المتقرر عند أهل العلم أنه لا يجوز رواية الأحاديث الضعيفة إلا مع بيان حالها^(٢) وقد تكلم أهل العلم على العمل بالحديث الضعيف ومتي يكون . أما الأحاديث الموضوعة والمكذوبة على النبي ﷺ فإنه لا يجوز روايتها إلا لبيان حالها والتحذير منها .

من هنا كانت منهجية الشيخ يرحمه الله في استدلاله بالأحاديث الصحيحة وكشفه عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة وهذا يتضح من خلال كتاباته ولنتبين ذلك من خلال تناول النقاط التالية :

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبدالرحمن الحمود : ٦٣ .

(٢) ليس الحديث هنا على مسألة رواية الحديث بإسناده كما هو الحال عند أهل العلم في مصنفاتهم فإنه كما هو معلوم أن من يذكر الحديث إذا اسند فقد برأت عهده ، و لكن الحديث هنا عمن يذكر هذه الأحاديث في التحديث والوعظ وتوجيه الناس ؛ فيذكر أحاديث ضعيفة ولا ينبه عليها .

(١) يبين — يرحمه الله — منهج أهل الحق في إيراد الأدلة وأنهم يعتمدون على الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ وأنهم إذا ذكروا الحديث الضعيف فإنما يذكرونه للاستشهاد فقط فيقول : " وعمدة أهل الحق على الصحاح منها والحسان . وأما الضعيف فيذكرونه للاستشهاد لا للاعتماد . " (١).

ويقول الشيخ — يرحمه الله — في موضع آخر : " وفي الأحاديث الصحيحة غنية عن الأحاديث الضعيفة . " (٢) ويقول — يرحمه الله — عند ذكره لأحاديث المهدي : " وقد جاء في ذكر المهدي أحاديث كثيرة سوى ما ذكرته ههنا ولكن لا تخلو أسانيدُها من مقال ... وفيما ذكرته من الصحاح والحسان كفاية " (٣).

(٢) قرر الشيخ — يرحمه الله — أنه لا يجوز الجزم في شيء من الأحاديث بأنه من قول النبي ﷺ ؛ إلا إذا كان إسناده صحيحاً متصلاً من رواية الأثبات عن الأثبات إلى النبي ﷺ ، فأما إذا كانت في الإسناد علة تمنع من تصحيح الحديث ؛ فإن المحدثين يذكرونه بصيغة التمریض ، فيقولون : (روي عن النبي ﷺ أنه قال : كذا) و (يُروى عن النبي ﷺ أنه قال كذا) و (يذكر عن النبي ﷺ أنه قال : كذا) ، ولا يجزمون بأنه من قول النبي ﷺ لاحتمال أن يكون غير ثابت عنه . (٤)

(٣) ينبه الشيخ — يرحمه الله — على قضية منهجية هامة وهي : أن ميزان الأحاديث ليس هو أقوال الرجال بحيث توزن بها الأحاديث : فما وافقها فهو مقبول . بل إن الميزان هو الأسانيد : فما صح منها فهو مقبول ، وما لم يصح فهو مردود . (٥).

(١) فصل الخطاب : ١٥٩ ؛ والرسالة البديعة : ٢٦ .

(٢) فصل الخطاب : ١٧٩ .

(٣) انظر : الإحتجاج بالأثر ١٧ .

(٤) انظر : القول البليغ ٣٢٢ .

(٥) انظر الإحتجاج بالأثر : ٢٩٠ .

(٤) بين الشيخ — يرحمه الله — أن الأحاديث الضعيفة لا يعمل بها في فضائل الأعمال بانفرادها بل يعتبر بها ويعتضد بها مع غيرها وأنه لا يجوز إثبات حكم شرعي بها لاستحباب ولا غيره لكن يجوز أن تذكر في الترغيب والترهيب فيما علم حسنه أو قبحه بأدلة الشرع فإن ذلك ينفع ولا يضر، والعمل بالضعيف إنما يشرع في عمل قد علم أنه مشروع في الجملة. أما إثبات سنة فلا .^(١)

(٦) أما فيما يتعلق بتنبيهه على الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة فمن ذلك : نقله لكلام شيخ الإسلام — يرحمه الله — عن الأحاديث في زيارة قبور الأنبياء وأنها ضعيفة بالاتفاق .^(٢)

ويقول — يرحمه الله — : " وقد أخرج عبدالرزاق في مصنفه بسند فيه لين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جلد أبا محجن الثقفي في الخمر ثمان مرار . وقوله : " وقد روى ابن منده بإسناد فيه رجل مجهول ... " .

وقوله : " وهذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد فحديث جابر وحديث قبيصة بن ذؤيب يعضدانه ويشهدان له " .^(٣)

ويقول — يرحمه الله — : " ومع ما في هذا الحديث من الضعف في إسناده ففي بعض منه نظر ... " .^(٤)

وقوله : " أما ما ذكر عن سعيد بن المسيب أنه كان يسمع الآذان من قبر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام الحرية فهو غير ثابت عنه ، وقد رواه ابن سعد في الطبقات بإسنادين ضعيفين جداً ، أما أحدهما ففيه عبد الحميد بن سليمان الخزاعي قال ابن معين في رواية عنه : ليس بشيء . وقال في رواية أخرى : ليس بثقة . وقال النسائي في

^(١) انظر الرد القويم : ١٩٣-١٩٤ .

^(٢) انظر الإيضاح والتبيين : ٨٠ .

^(٣) الدلائل الواضحات : ١٣٢، ١٣٠ .

^(٤) فتح المعبود : ١١٦ .

موضع آخر : إنه ضعيف . وضعفه أيضاً ابن المديني وصالح بن محمد والدار قطني والذهبي وأما الإسناد الثاني ففيه الواقدي وهو متروك. " (١)

ويقول — يرحمه الله — : "وأما حديث ﴿ خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ﴾ وفي رواية : ﴿ خذوا شطر دينكم ﴾ فهو حديث لأصل له . قال ابن كثير في (البداية والنهاية) عن هذا الحديث : "... فإنه ليس له أصل ، ولا هو مثبت في شيء من أصول الإسلام ، وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزي ، فقال : لأصل له . انتهى " (٢) . وقال ابن القيم — رحمه الله تعالى — في كتابه (المنار المنيف) : " هو كذب مختلق " (٣) " (٤)

والله اعلم :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله — في هذا المطلب يتمثل في :
بيانه لمنهج أهل الحق في إيراد الأدلة وهو اعتمادهم على الأحاديث الصحيحة
وإذا ذكروا الأحاديث الضعيفة فهم يذكرونها للاستشهاد فقط .

(١) الإجابة الجلية : ١٣ . وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ٥ / ١٠٠ الرواية الأولى : " وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت أذاناً في القبر ، ثم تقدمت فأقمت فصليت ، وما في المسجد أحد غيري " وفي الثانية : " فكنت إذا حانت الصلاة ؛ سمعت أذاناً يخرج من قبل القبر " . يقول الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب : عبد الحميد بن سليمان الخزاعي الضرير ، أبو عمر المدني ، نزيل بغداد ، ضعيف . ت : ٣٧٨٨ . ويقول عن الواقدي : محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، الواقدي ، المدني ، القاضي ، نزيل بغداد ، متروك مع سعة علمه . ت : ٦٢١٥ .

(٢) البداية والنهاية : ١١ / ٣٣٩ .

(٣) ٦٠ ، ٦١ يقول — يرحمه الله : " وكل حديث فيه : (يا حميراء) أو ذكر (الحميراء) فهو كذب

مختلق

(٤) الرد القويم : ١٩٩ .

كما أننا نجد تقريره لعدم جواز الجزم في شيء من الأحاديث بأنه من قول النبي ﷺ إلا مع صحة الإسناد .

ثم نجده يقرر قضية منهجية هامة وهي أن ميزان الأحاديث الأسانيد لا أقوال الرجال .

وهو يبين عدم العمل بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال بانفرادها بل يعتبر بها ويعتضد بها مع غيرها .

وأخيراً فهو ينبه من خلال كتاباته على أحاديث ضعيفة أو موضوعة ومنها ما قد اشتهر على ألسنة الناس ، وهذا كله من نصحه — يرحمه الله — للأمة .

والمطلب الخامس: توكيده على الإجماع والاحتساب وصله بنحوه

أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أن الأصول المعتمدة في إثبات الأحكام، وبيان الحلال والحرام في كتاب الله عز وجل، ثم سنة رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ثم إجماع علماء الأمة.

والإجماع في اللغة: هو العزم والاتفاق قال تعالى: ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾^(١) أي أعزموه ويصح إطلاقه على الفرد والطائفة يقال: أجمع القوم على كذا: أي اتفقوا عليه.

واصطلاحاً: اتفاق مجتهدي الأمة في عصر من العصور على أمرٍ ولو كان الأمر فعلاً اتفاقاً، كائناً بعد النبي ﷺ.^(٢) وهو حجة بدليل الشرع قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٣) وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: ﴿لَا تَجْتَمِعْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَدًا﴾^(٤)

(١) يونس: ٧١.

(٢) انظر الإحكام في أصول الأحكام: ١٢٨، وشرح الكوكب المنير لابن النجار: ٢/٢١١، ٢١٠. ومعالم طريقة السلف في أصول الفقه للدكتور عابد السفياني: ٥٤٤، وموسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي لسعدي أبوحبيب: ١/ ١٩ وما بعدها.

(٣) النساء: ١١٥.

(٤) أخرجه أحمد برقم: ٢٥٩٦٦؛ والدارمي في المقدمة برقم: ٥٤؛ وابن ماجه في الفتن برقم: ٣٩٤؛ وأبو داود في الفتن والملامح برقم: ٣٧١١؛ والترمذي في الفتن برقم: ٢٠٩٣، والحاكم في مستدركه برقم: ٣٩١ وقال: خالد بن يزيد القرني شيخ قديم للبغداديين، ولو حفظ هذا الحديث؛ لحكمنا له بالصحة، ووافقه الذهبي. قال المباركفوري عن حديث الترمذي: "والحديث قد استدلل به على حجية الإجماع، وهو ضعيف، لكن له شواهد"، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص: "قوله: وأمرته معصومة"، لا تجتمع

وعن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً : ﴿ من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ﴾ ^(١) . ^(٢) ومن هنا كان من منهج الشيخ حمود — يرحمه الله — في تقرير عقيدة السلف الصالح توكيده على الإجماع ، واعتماده أصلاً يؤخذ به .
فقد أوضح الشيخ — يرحمه الله — بأن الأدلة ليست مقصورة على الكتاب والسنة ، بل يستدل بهما ، وبالإجماع ، وبقول الصحابي ؛ إذا لم يعرف له مخالف منهم على القول الصحيح ، وبالقياص الصحيح عند جمهور العلماء ، وبغير ذلك مما هو مقرر في كتب الأصول .

فالأدلة عند الشيخ تؤخذ من الكتاب والسنة والإجماع . ^(٣) يقول الشيخ — يرحمه الله — في معرض رده على من أباح بدعة المولد : " فأما بدعة المولد ؛ فقد أطال الرفاعي الكلام فيها ، وخالف القرآن ، والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها والمسلمون جميعاً " ^(٤)

وقد بين الشيخ — يرحمه الله — الإجماع الذي يعتد به عند فقهاء المسلمين وهو إجماع الصحابة وأئمة العلم والهدى من بعدهم . فأما العوام والجهال ؛ فلا عبرة بأقوالهم وأفعالهم . ^(٥) كما بين — يرحمه الله — أن الأدلة لا تؤخذ من أفراح الناس وسرورهم ولا من أحزانهم وغمومهم ، وإنما تؤخذ من القرآن أو السنة أو الإجماع . ^(٦)

على ضلالة " هذا حديث مشهور ، له طرق كثيرة ، لا يخلو أحدها من مقال ... " وقال عنه الألباني : صحيح دون : " ومن شد ... " كما في ضعيف سنن الترمذي برقم : ٣٨٢ .

^(١) أخرجه البخاري في الفتن برقم : ٧٠٥٤ ؛ ومسلم في الإمارة برقم : ١٨٤٩ .

^(٢) انظر : الرسالة للشافعي : ٤٠١ ، وشرح الكوكب المنير : ٢/٢١٨ ، ٢١٥ .

^(٣) انظر : فصل الخطاب : ١٢٩ ، ١٢٨ ، والرد القوي : ٤٤ .

^(٤) انظر الرد القوي : ٦ .

^(٥) انظر المصدر السابق : ٣٥ .

^(٦) انظر المصدر السابق : ٥٦ .

وقد قرر الشيخ — يرحمه الله — : أن ماخالف الإجماع فهو مردود على قائله كائناً من كان .^(١)

وهو — يرحمه الله — ينقل إجماع السلف والأئمة سواء أكان في مسائل عقدية ، أو أحكام شرعية .

ومن ذلك : قوله : " وأما إجماع أهل السنة والجماعة فهو على خلاف مازعمه القائل بأن معية الله لخلقه معية ذاتية " .^(٢)

كما نقل — يرحمه الله — الإجماع على رؤية الله عز وجل يوم القيامة ، وذكر كلام الحافظ ابن كثير — يرحمه الله — في تفسير سورة القيامة بعدما ساق بعض الأحاديث في رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة ؛ قال : " وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة ، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام " .^(٣) .^(٤)

ونقل كذلك الإجماع على نزول عيسى عليه السلام نبياً لكنه بشريعة نبينا ﷺ وأنه يقتل الدجال الذي يخرج في آخر الزمان. وذكر ذلك عن القاضي عياض — يرحمه الله — في شرح مسلم^(٥) ، والمناوي — يرحمه الله — في شرح الجامع الصغير^(٦) ، والسفاريين — يرحمه الله — في شرح عقيدته^(٧) .^(٨)

^(١) انظر إثبات علو الله ومباينته لخلقه: ١٢٨.

^(٢) المصدر السابق: ٣٢.

^(٣) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٤٨٠ .

^(٤) انظر : إتحاف الجماعة: ٣/٣٠٩ .

^(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض : ٨ / ٤٩٢ حيث يقول : " ونزول عيسى المسيح وقتله الدجال : حق صحيح عند أهل السنة ؛ لصحيح الآثار الواردة في ذلك ؛ ولأنه لم يرد ما يطله أو يضعفه " .

^(٦) ٦ / ٤٦٤ ح ١٠٠٢٣ .

^(٧) لوامع الأنوار البهية و سواطع الأسرار الأثرية : ٢ / ٩٤ حيث يقول : " ونزوله ثابت بالكتاب والسنة و إجماع الأمة " .

^(٨) انظر المصدر السابق: ١٣٢، ١٣١، ٩٠، وإقامة البرهان : ٢٠ .

وذكر إجماع الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب .^(١)

وكذلك إجماع أهل الحديث والسنة على الإقرار بما جاء من عند الله ومارواه الثقات عن رسول الله ﷺ وأهم لا يردون من ذلك شيئاً .^(٢)

ونقل كلام الحافظ ابن كثير — يرحمه الله — في الإجماع على أن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز — يرحمه الله — من أئمة العدل ، وأحد الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين .^(٣)

أما نقله الإجماع في مسائل الأحكام :

فقد نقل الإجماع في منع الصور المجسدة ووجوب تغييرها عن غير واحد من العلماء منهم النووي — يرحمه الله — .^(٤)

وذكر الشيخ يرحمه الله الإجماع على تحريم الحرير على الرجال وإباحته للنساء

^(١) انظر فتح المعبود: ٦٥، ٣٤.

^(٢) الرد القويم: ٤.

^(٣) انظر الاحتجاج بالأثر: ١٨؛ والبداية والنهاية: ١٢ / ٦٩٦.

^(٤) انظر: إعلان النكير: ٣٧؛ وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٤ / ٨٢ يقول الإمام النووي — يرحمه الله : " وأجمعوا على منع ما كان له ظل ، ووجوب تغييره . قال القاضي : إلا ما ورد في اللعب بالبنات لصغار البنات ، والرخصة في ذلك " والكلام هنا على ما كان من التماثيل على هيئة كلمة لما فيه الروح لأن غير ذلك فيه الخلاف كما هو معلوم .

(١) ونقل ذلك عن غير واحد من العلماء منهم ابن عبدالبر (٢) والقاضي عياض (٣) — يرحمهما الله — . (٤)

والخلاصة :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله في هذا المطلب يتمثل في :
تقريره — يرحمه الله — أن الأدلة ليست مقصورة على الكتاب والسنة بل يستدل
بهما وبالإجماع والقياس الصحيح عند جمهور العلماء .
وهو مع ذلك يبين الإجماع الذي يعتد به وهو أجماع الصحابة وأئمة العلم
والهدى من بعدهم .
ونجده — يرحمه الله — ينبه على أن ما خالف الإجماع فهو مردود على قائله
كائناً من كان . هذا من ناحية .
ومن ناحية أخرى فهو ينقل الإجماع سواء أكان ذلك في مسائل عقدية أو فقهية
، أو غير ذلك من المسائل .

(١) التحريم هنا عليه أدلة من الكتاب والسنة ، ولكن ذكر الإجماع هو من باب تضافر الأدلة كما هو معلوم

(٢) التمهيد لابن عبدالبر : ١٤ / ٢٤١ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٤ / ٣٢ — ٣٣ .

(٤) انظر الإيضاح والتبيين : ١٤٨ .

والمبحث الثاني: في فضل علم السلف والمروءة بهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في فضلها على ما فوجئ إليه بأقوال السلف،

من منهجية الشيخ رحمه الله تعالى أنه يُصَدَّر في جميع أقواله عن : الكتاب ، والسنة ، وما ثبت عن السلف الصالح رحمهم الله جميعاً . وأنه متى ما ذكر حكماً ، أو قرر مسألة ما ؛ فإنه يستشهد بالأدلة من : الكتاب ، والسنة ، والآثار الثابتة عن الصحابة رضي الله عنهم ، وأقوال الأئمة — يرحمهم الله —

فهو لا يُصَدَّر إلا عن قول أهل العلم وإليك بعض الأمثلة على ذلك :

(١) ما ذكره الشيخ — يرحمه الله — عند حديثه عن ما في الغناء من أنواع المضرات والمفاسد فقال : "فمن ذلك أنه يفسد القلب قاله : الضحاک بن مزاحم وقد تقدم" وقال : "ومنها أنه ينبت النفاق في القلب ، قاله غير واحد من السلف منهم ابن مسعود وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز ومكحول والإمام أحمد" وقال : "ومن أعظم مضار الغناء أنه يسخط الله عز وجل قاله الضحاک ابن مزاحم وعمر بن عبد العزيز" وقال : "ومنها أنه سبب لأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فالحط والجذب وتسليط العدو وولاة السوء .^(١)

(٢) ومن ذلك كلامه عن موالة الكافرين وتحقيق وقوعها عند من ينادي بالقومية العربية ، وأن ذلك من ضمن مفسد هذه القومية حيث تكون موالة الكافرين والمنافقين من العرب وموادتهم واتخاذهم بطانة ووليعة ؛ وذلك ينافي الإيمان ويوجب سخط الله تعالى وأليم عقابه وقد قال الله تعالى : ﴿ لا تجد قومًا يؤمنون

^(١) فصل الخطاب : ١١٩، ١١٤.

بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴿^(١)﴾ قال البغوي — رحمه الله — : " أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين ، وأن من كان مؤمناً لا يوالى من كفر وإن كان من عشيرته " ^(٢) وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية — رحمه الله — : " أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يواد كافر ؛ فمن واد الكافر ؛ فليس بمؤمن . انتهى " ^(٣) وقال : " بين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والني وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم . انتهى " ^(٤)

٣) ومنه كلامه — رحمه الله — عن المصورين ، وبيان أن المصور ملعون متوعد بالنار في الدار الآخرة ، وأنه يدخل في ذلك من أمر بالتصوير أو طلبه أو رضي به ؛ لأنهم في الذنب كفاعله ؛ قياساً على فعل أي ذنب ، والأمر به والرضا به يقول — رحمه الله — : " وكما أن المصور ملعون ومتوعد بالنار في الدار الآخرة ، فكذلك من أمر بالتصوير أو طلبه أو رضي به لأن الأمر والطالب كالمباشر والراضي بالذنب كفاعله " ثم أورد الشيخ بعد ذلك كلام أهل العلم يستدل به على هذا القياس فقال : " وقد روي عن عمر بن عبدالعزيز — رحمه الله تعالى — أنه رفع إليه قوم شربوا خمرًا فأمر بجلدهم ف قيل له إن فيهم صائماً فقال : أبدأوا به أما سمعتم الله تعالى يقول : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهنأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره

^(١) المجادلة : ٢٢ .

^(٢) معالم التنزيل : ٨ / ٦٢ .

^(٣) مجموع الفتاوى : ٧ / ١٤٧ .

^(٤) انظر الإيضاح والتبيين ٦٢-٦٣ .

إنكم إذا مثلهم ﴿^(١)﴾ فاستدل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى بهذه الآية الكريمة على أن الراضي بالذنب كفاعله واعتبر الجلوس مع العصاة رضى بأعمالهم . وقد ذكر عبدالله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد عن عبدالله بن شبيب عن أبيه قال : كان يقول من رضى بالفسق فهو من أهله ^(٢) . قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية — رحمه الله تعالى — من حضر المنكر باختياره ولم ينكره فقد عصى الله ورسوله بترك ما أمره به من بغض المنكر وإنكاره والنهي عنه ... ^(٣) " (٤)

(٤) قول الشيخ — رحمه الله — في مسألة هجر أهل المعاصي والذنوب المصيرين عليها ، ومتى يشرع ، وبيان الهدف من مشروعيتها : " وإنما الخلاف في الوجوب هل هو على الإطلاق أم إذا كان العاصي يرتدع به فأين هذا مما يراه المتهم كون من إبطال الهجر الديني بالكلية ومعاملة الناس كلهم صالحهم وطالحهم باللطف واللين والمودة " ثم استشهد بعد تقريره بأقوال العلماء : " قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : " ذهب الجمهور إلى أنه لا يسلم على الفاسق ولا المبتدع .

وقال النووي : فإن اضطر إلى السلام بأن خاف ترتب مفسدة في دين أو دنيا إن لم يسلم سلم . وكذا قال ابن العربي وزاد : وينوي أن السلام اسم من أسماء الله تعالى فكأنه قال الله رقيب عليكم . وقال المهلب : ترك السلام على أهل المعاصي سنة ماضية ، وبه قال كثير من أهل العلم في أهل البدع وألحق بعض الحنفية بأهل المعاصي من يتعاطى خوارم المروءة ككثرة المزاح واللهو وفحش

(١) النساء : ١٤٠ . وانظر : جامع البيان لتفسير القرآن للطبري ٩ / ٣٢١ عند هذه الآية ما روى عن عمر بن عبدالعزيز — رحمه الله — .

(٢) الزهد لابن أبي عاصم : ١ / ٢٢٩ ؛ حلية الأولياء : ٣ / ١٣٠ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٢٨ / ٢٢٢ .

(٤) إعلان النكير : ٨٢ — ٨٣ ؛ الرسالة البديعة : ١٢ .

القول والجلوس في الأسواق لرؤية من يمر من النساء ونحو ذلك . وحكى ابن رشد قال : قال مالك : لا يسلم على أهل الأهواء . قال ابن دقيق العيد : ويكون ذلك على سبيل التأديب لهم والتبري منهم . وقال البخاري في صحيحه باب المهجر ^(١) . " (٢)

٥) أورد الشيخ -يرحمه الله - في رده على صاحب طنبجة ما ذكر عن بعض الصوفية من أنهم كانوا يبتدئون الذكر بقول لا إله إلا الله ، ثم يقتصرون على الاسم المفرد فيقولون : الله الله ^(٣) ، ثم يعدلون عن ذلك إلى المضمّر : هو هو ويزعمون أن الإتيان بلا إله إلا الله تامة هو ذكر العامة ، وأن الاختصار على الاسم المفرد هو ذكر الخاصة ، وأن الاختصار على المضمّر هو ذكر خاصة الخاصة . وهذا من تلاعب الشيطان بهم ، وفاعل هذا ينبغي زجره عنه وتأديبه إن لم ينته عن هذه البدعة ؛ فإن الاختصار على الاسم المفرد ليس بذكر مشروع ، وإنما هو من بدع الصوفية . واستشهد الشيخ بعد ذلك بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية -

^(١) فتح الباري : ١١ / ٤٣ .

^(٢) تحفة الإخوان : ٤٠ .

^(٣) ليس هذا هو ما جاء ذكره في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده بسند قوي من حديث أنس رضي الله عنه : ﴿ لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله ﴾ وهو عند مسلم في الإيمان برقم : ١٤٨ بلفظ : ﴿ الله الله ﴾ فإن المراد في الحديث هو قول : لا إله إلا الله وانظر لمزيد من البيان : مجموع الفتاوى : ١٠ / ٣٩٦ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٧ . ومن ذلك قوله - يرحمه الله - : " والذكر بالاسم المفرد مظهراً ومضمراً بدعة في الشرع وخطأ في القول واللغة . فإن الاسم المجرد ليس هو كلاماً لا إيماناً ولا كفوفاً " كما أن هناك بحث مهم للعلامة محمد صديق حسن خان - يرحمه الله - في عدم مشروعية الذكر بالاسم المفرد " الله " وأنه لا أصل له في الكتاب ، ولا في السنة ، ولا في أقوال الصحابة - رضي الله عنهم - ولا عن أحد من أهل القرون المفضلة . وأن هناك نصوص يحتجون بها ولا دلالة فيها : منها قوله تعالى : ﴿ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ وحديث أنس رضي الله عنه : ﴿ لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله الله ﴾ والمراد بهذين النصين قوله : ﴿ لا إله إلا الله ﴾ على طريق الإشارة . وقد نبه إلى هذا البحث فضيلة الشيخ العلامة بكر أبو زيد في كتابه معجم المناهي اللفظية ص ١٢٠ .

يرحمه الله - حيث قال : " ومن هؤلاء من يرجح الاسم المفرد كقوله الله الله الله على كلمة الإخلاص التامة وهي قول لا إله إلا الله ، ومنهم من يرجح ذكر المضممر وهو قول هو هو أو يا هو على الاسم المظهر ، وهذا كله من الغلط الذي سببه فساد كثير من السالكين حتى آل الأمر ببعضهم إلى الحلول والاتحاد وكل ذكر علمه الرسول ﷺ لأمته أو قاله إنما هو بالكلام التام لا بالاسم المفرد ولا بالمضممر (١) " (٢)

(١) مجموع الفتاوى : ١٠ / ٥٥٧ - ٥٥٨ .

(٢) إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة : ١٧٣ .

والمطلب الثاني: الرد على حري والمخالفين بهم جميع والشيخ رحمه الله

وهذا من منهجية الشيخ — يرحمه الله — في دفاعه عن الأئمة — يرحمهم الله — وبيان الحق في المسألة ؛ أنه يرد على هذا المخالف الذي لم يكتف بمخالفته لطريقة الأئمة بل حاول أن ينسب هذه المخالفة إلى الأئمة ، وأن يستشهد بكلامهم في غير موضعه ، مدعياً في ذلك كله موافقته لما عليه أئمة الهدى والدين ؛ فالشيخ — يرحمه الله — يرد على ذلك كله ويبين الحق بدليله من كلام هؤلاء الأئمة — يرحمهم الله — ومن أمثلة ذلك :

(١) مذكروه — الشيخ يرحمه الله — رداً على زعم أن علماء أهل السنة أفتوا ببدعة المولد ، وأنها بدعة حسنة ابتدعت في الإسلام قد أثنوا عليها .
فبين الشيخ بطلان هذا الزعم ، وأن علماء أهل السنة كلهم على إنكار البدع في الدين على سبيل العموم يقول — يرحمه الله — : "أما علماء أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم ؛ فكلهم على إنكار البدع في الدين على سبيل العموم . ومن زعم أنهم استحسنوا ^(١) شيئاً من البدع في الدين وأفتوا بها ، واثنوا عليها ؛ فقد تقول عليهم " . ^(٢)

^(١) يقول الحافظ ابن رجب — يرحمه الله — في جامع العلوم والحكم : " وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع ؛ فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية ، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد ، وخرج ورآهم يصلون كذلك فقال : " نعمت البدعة هذه " وروي عنه أنه قال : " إن كانت هذه بدعة ، فنعمت البدعة " وروي أن أبي بن كعب قال له : " إن هذا لم يكن ، فقال : " قد علمت ، ولكنه حسن " ومراده أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت ، ولكن له أصول من الشريعة يُرجع إليها " ٢ / ١٢٨ . ومن المعلوم بأن أهل البدع يحتجون بقول عمر رضي الله عنه : " نعمت البدعة هذه " على تحسين البدع فيجيب عليهم بكلام الإمام الشاطبي في الاعتصام : " فإن قيل فقد سماها عمر رضي الله عنه بدعة وحسناها ، وإذا ثبتت بدعة مستحسنة في الشرع ؛ ثبت مطلق

(٢) أيد القول بالتفريق بين النبي والرسول ، ورد على زعم أن التفريق بين الرسول والنبي ليس معروفاً عند الصحابة والتابعين ولا السلف السابق . فنبه الشيخ على بطلان هذا الإدعاء وأشار إلى ماورد عنهم مما يكذب هذا الإدعاء يقول — يرحمه الله — : "وأما الرابع : وهو ... : أن التفريق بين الرسول والنبي ليس معروفاً عند الصحابة والتابعين ولا السلف السابقين . فجوابه : أن يقال : قد تقدم ذكر التفريق بين الرسول والنبي في تفسير ابن عباس ومجاهد والكلبي والفراء وابن جرير ، وغيرهم من أكابر العلماء المتقدمين ؛ فليراجع ذلك ففيه كفاية في الرد على ابن محمود ، وتقدم أيضاً قول ابن حزم في التفريق بين الرسول والنبي : أنه لاخلاف فيه . " (١)

(٣) رد الشيخ — يرحمه الله — على زعم أن شيخ الإسلام — رحمه الله — لم يذكر في كتاب النبوات فرقاً بين الأنبياء والرسل . فبين الشيخ بطلان هذا الإدعاء وأورد كلام شيخ الإسلام مشيراً إلى موضعه في الكتاب يقول الشيخ — يرحمه الله — : "وأما الثالث وهو ... : أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يذكر في كتاب (النبوات) فرقاً بين الأنبياء والرسل . فجوابه : أن يقال : بل قد ذكر ذلك في صفحة ١٧٢ وما بعدها من كتاب (النبوات) وهذا نص كلامه : " والمقصود

الاستحسان في البدع . فالجواب : إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال ؛ من حيث تركها رسول الله ﷺ ، وأنفق أن لم تقع في زمان أبي بكر ﷺ ، لا أنها بدعة في المعنى ؛ فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار ؛ فلا مشاحة في الأسامي ، وعند ذلك لا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه ؛ لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه " ٢٥٠ / ١ ويقول صاحب كتاب حقيقة البدعة وأحكامها : " يرد استعمال الصحابة بعض المصطلحات الشرعية بمعانيها الأصلية في لغة العرب كقول أبي بن كعب ﷺ للنبي ﷺ : " أجعل لك صلاتي كلها ، قال : ﴿ إذا تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك ﴾ " أقول : ومن هذا الباب قول عمر ﷺ " نعمت البدعة هذه " فهي بدعة لغوية لا شرعية وقد بحث الشيخ سعيد الغامدي صاحب هذا الكتاب هذه المسألة بحثاً مطولاً : ٤١١ / ١ — ٤٢١ .

(٢) الرد القوي: ٢٣.

(١) انظر فتح المعبود: ١٤٣.

هنا الكلام على النبوة فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبيء بما أنبأ الله به ؛ فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليلغيه رسالة من الله إليه فهو : رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشرعية قبله ، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة الله ؛ فهو: نبي وليس برسول ... (١) " (٢)

(٤) رد — يرحمه الله — على زعم أن الحافظ ابن كثير — يرحمه الله — قد ألف في المولد النبوي كتباً عدة ونسبة ذلك إلى صاحب كشف الظنون ، وزعم أن الحافظ ابن كثير قد قال رأيه صراحة في الاحتفال بالمولد النبوي . وقد بين الشيخ أن هذا كله محض افتراء على الحافظ ابن كثير وعلى صاحب كشف الظنون — يرحمها الله — يقول الشيخ — يرحمه الله — : " والجواب أن يقال : أما الحافظ ابن كثير — رحمه الله تعالى — فإنه قد ذكر الآثار الواردة في المولد النبوي في كتابه (البداية والنهاية) ولم يتعرض لذكر الاحتفال بالمولد إلا في ترجمة سلطان إربل الملك المظفر فإنه ذكر : أنه كان يعمل المولد في ربيع الأول ، ويحتفل به احتفالاً هائلاً ، ولم يصرح بجواز ذلك ولا عدم جوازه (٣) . ولابن كثير أيضاً رسالة في المولد مختصرة ذكر فيها الآثار الواردة فيه ، ولم يتعرض فيها لذكر الاحتفال به " ويقول : " أما زعم الكاتب أن ابن كثير قد قال رأيه صراحة في الاحتفال بالمولد النبوي ، فهو من أوهامه وتقوله على ابن كثير ... وأما زعمه أن ابن كثير قد ألف في المولد النبوي كتباً عدة ، فهو قول لا صحة له . وإنما ألف في المولد رسالة مختصرة . وذكر الآثار الواردة فيه أيضاً في كتابه (البداية والنهاية) ولم يتعرض في الرسالة ولا في (البداية والنهاية) لحكم الاحتفال بالمولد . وأما زعمه أن صاحب (كشف الظنون) ذكر عن الحافظ ابن كثير أنه صنف في

(١) كتاب النبوات : ١٧٢ .

(٢) فتح المعبود : ١٤٠ .

(٣) البداية والنهاية : ١٧ / ٢٠٥ — ٢٠٦ .

المولد أجزاء عديدة ، منها (جامع الآثار في مولد النبي المختار) في ثلاث مجلدات ، و(اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق) ؛ فهو من أوهامه على صاحب (كشف الظنون) والذي ذكره صاحب (كشف الظنون) أن هذين الكتابين للحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي ^(١) ... " ^(٢)

٥) تعقيب الشيخ - يرحمه الله - على زعم أن الذي عليه المحققون من السلف أن لله أنبياء كثيرين لا يعلم عددهم إلا الله ، وقالوا : أن من عد الأنبياء فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به ، ومثله قوله في عدد الرسل وأنهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وقد بين الشيخ بطلان ذلك كله ونقل ما ذكره البغدادي في أصول الدين من إجماع أصحاب التواريخ من المسلمين يقول - يرحمه الله - : " لا يخفى ما في هذا القول من المجازفة والقول على السلف بما لم ينقل عن أحد منهم فيما أعلم . الوجه الثاني : قال أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي في كتابه (أصول الدين) : أجمع أصحاب التواريخ من المسلمين على أن عدد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، كما وردت به الأخبار الصحيحة أولهم أبونا آدم عليه السلام وآخرهم نبينا محمد ﷺ ، وأجمعوا على أن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ^(٣) ... وفيما ذكره من إجماع أصحاب التواريخ من المسلمين على عدد الأنبياء والرسل أبلغ رد على ابن محمود " ^(٤)

٦) بيانه لتحريف كلام ابن قتيبة - يرحمه الله - بإنقاصه والزيادة عليه مع عدم نسبة الزيادة إلى صاحبها الحقيقي . يقول الشيخ - يرحمه الله - : " وأما ما نقله المؤلف عن ابن قتيبة فجوابه من وجهين : أحدهما : أن يقال : إن المؤلف قد

^(١) كشف الظنون لحاجي خليفة: ١ / ٥٣٣

^(٢) انظر الرد القوي : ١٩٧-١٩٩ .

^(٣) أصول الدين : ١٥٧ .

^(٤) انظر فتح المعبود : ١٤٩ .

حرف كلام ابن قتيبة وغير فيه ، وهذا نص كلام ابن قتيبة : قال : " وكان كثير من جلة الصحابة ، وأهل الخاصة برسول الله ﷺ كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبدالمطلب يقلون الرواية عنه ، بل كان بعضهم لا يكاد يروى شيئاً كسعید بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة " (١) انتهى كلام ابن قتيبة ، وقد حرف المؤلف قوله : " من جلة الصحابة " بقوله : من عظماء الصحابة ، وقوله : " يقلون الرواية عنه " بقوله : يخافون الرواية ، وقوله : " كسعید بن زيد " بقوله : وكسعید بن الزبير الذي لم يرو شيئاً أبداً ، ثم إن المؤلف نقل كلاماً لأبي رية نقله من ظلماته ، ولم ينسبه إليه وهو قوله : ولو أنت تصفحت البخاري ومسلم إلى آخر كلامه الذي تقدم ذكره ، ولم يفصل بين كلام ابن قتيبة وكلام أبي رية ، وقد تبع أبا رية في ذلك فإن أبا رية لقلة الأمانة عنده ؛ لم يفصل بين كلامه وكلام ابن قتيبة ؛ ليوهم أن الجميع من كلام ابن قتيبة ، وقد قلده المؤلف وسار على إثره كما يسير الأعمى خلف الأعمى ؛ وكأنه يظن أن الجميع من كلام ابن قتيبة ، وهذا من غباوته وكثافة جهله " (٢).

(٧) أوضح — يرحمه الله — حقيقة القول على الإمام الشاطبي — يرحمه الله — والزعم بأنه قد ألحق المهدي والإمامية بأهل البدع . فقد بين الشيخ — يرحمه الله — أن الشاطبي لم يلحق المهدي والإمامية بأهل البدع خاصة ولم يقل إنه لامهدي ولا إمام من غيرهم يقول — يرحمه الله — : " وأما قوله : إن الشاطبي ألحق المهدي والإمامية بأهل البدع . فجوابه أن يقال : هذا من القول على الشاطبي بما لم يقل ، وقد ذكرت عن الشاطبي أنه ذكر المغربي المدعي أنه المهدي وهو ابن التومرت الكذاب المبتدع ذكره في تسعة مواضع من كتاب (الاعتصام) وندد به

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ٣٠ . وهو كما ذكره شيخنا — يرحمه الله — .

(٢) الرد القويم : ١١٢ .

، ولم يلحق المهديّة والإماميّة بأهل البدع خجاسة ، ولم يقل: إنه لامهدي ولا إمام من غيرهم . وأما قوله : ويعني بالمهديّة الذين يعتقدون صحة خروج المهدي . فجوابه أن يقال : هذا من نمط ما قبله من القول على الشاطبي بما لم يقل ^(١) .

(٨) أشار الشيخ — يرحمه الله — إلى تغيير في عبارة السبكي عما كانت عليه في تكملة المجموع مما أفسدها نتيجة للتغيير والزيادة التي هي محض الكذب وهي في نسبة القول بأن الربا لا يكون إلا في النسيئة إلى بعض الصحابة رضي الله عنهم و التابعين رحمهم الله وأنهم كانوا يجيزون ربا النقد . فبين الشيخ — يرحمه الله — تلفيق هذه العبارة ونسبتها إلى السبكي يقول — يرحمه الله — : " والجواب عن هذا من وجوه : أحدها أن يقال: إن الفتان لم يؤد الأمانة فيما نقله عن السبكي ، حيث أنه قد غير عبارته عما كانت عليه في (تكملة المجموع) فأفسدها بما أدخل فيها من التغيير والزيادة التي هي محض الكذب ، فأما التغيير ففي قوله : إن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وعبدالله بن الزبير وأسامة بن زيد وزيد بن أرقم والبراء ابن عازب وكثيراً من التابعين مثل عطاء وطاوس وجابر بن زيد وسعيد بن جبير وعكرمة وفقهاء الأمصار أن هذه الطائفة رأّت أن الربا لا يكون إلا في النسيئة ، وكانوا يجيزون ربا النقد ، هكذا لفق الفتان هذه العبارة ونسبها إلى السبكي ، وقد جمع فيها بين التليس على الجهال وبين الكذب على السبكي ... الوجه الثاني : أن يقال إن الفتان قد أخطأ فيما نقله من كلام السبكي ؛ حيث إنه قد اقتصر على نقل الأقوال التي يرى فيها تأييداً لاتجاهه الباطل الذي لا يحرم إلا ربا الجاهلية ، وأعرض عما ذكره السبكي من الآثار في رجوع ابن عباس وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم عن رأيهم المخالف للسنة . وما ذكره أيضاً من التوقف في صحة ما ذكر عن أسامة بن زيد وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وعبدالله بن

(١) الاحتجاج بالأثر: ١٤٠ — ١٤١

الزبير عليه السلام أنهم كانوا يجيزون ربا النقد، ويرون أن الربا لا يكون إلا في النسيئة، وما ذكره عن معاوية عليه السلام أنه غير قائل بقول ابن عباس مع شذوذ ما قال به أيضاً^(١)، ولا يخفى ما في فعل الفتان من التمويه والتلبيس على الجاهل".^(٢)

(٩) تنبيهه على مانسب إلى ابن عبد البر - يرحمه الله - من موافقته لابن حزم في مسألة إباحة الغناء والمعارف. فقد بين الشيخ بطلان ذلك وأورد ما حكاه ابن عبد البر من الإجماع على تحريم أخذ الأجرة على الغناء والزمير واللعب، والإجماع على تحريم الغناء والآت الملاهي ونقل كلامه في الكافي^(٣) يقول الشيخ - يرحمه الله - : "والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما : أننا لانسلم صحة ما ذكره عن ابن عبد البر . ولو كان ذلك صحيحاً لكان ابن عبد البر يقرر إباحة الغناء والمعارف في كتبه كما فعل ابن حزم ، ولكان العلماء يذكرون ذلك عنه كما ذكروه عن ابن حزم . ومن البعيد جداً أن تخلو كتب الرجل من ذكر ما يراه ويذهب إليه . وعلى تقدير صحة ما ذكره ههنا عن ابن عبد البر فله أسوة بأمثاله من العلماء فيؤخذ من أقواله ما وافق الحق ، ويرد ما خالفه . والقول بإباحة الغناء والمعارف قول مخالف لمذلول الكتاب والسنة فيرد على قوله كائناً من كان . الوجه الثاني : أن أبا عمر قد حكى الإجماع على تحريم أخذ الأجرة على الغناء والزمير واللعب . وقد تقدم كلامه في ذلك في ذكر الإجماع على تحريم الغناء والآت الملاهي".^(٤)

(١) كتاب المجموع شرح المذهب للشيرازي لتقي الدين السبكي : ١٠ / ٢٥ وما بعدها .

(٢) انظر الصارم البتار : ٩٨ - ٩٩ .

(٣) الكافي في فقه أهل المدينة المالكي : ١ / ٤٤٢ .

(٤) انظر فصل الخطاب : ١٦٧، ١٤٤ .

المنهج الثالث: منهجهم في الرد على المخالفين وفيه أربعة مطالب

أهل السنة والجماعة لهم منهج متميز في العقيدة والعمل ، لهم منهج متميز في النظر والاستدلال ، لهم منهج متميز في المناظرة وبيان الحق ، لهم منهج متميز في الدعوة إلى الله تعالى ، وهم كذلك لهم منهج متميز في النقد والحكم على الآخرين سواء : أكان هذا المخالف من أهل السنة ، أو كان ممن خرج عن دائرة السنة وبقي في دائرة الإسلام ، أو كان ممن أرتد عن دين الله ﷻ ، أو كان هذا المخالف من الكفار الأصليين .

فكل له منزلته وكل له تعامله ؛ لكن يبقى رائد أهل السنة في التعامل مع هؤلاء جميعاً قول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) يقول ابن جرير — يرحمه الله — : " يعني بذلك جل ثنائه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم ، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم ، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم ، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي ، واعملوا فيه بأمري . وأما قوله : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا

(١) المائدة : ٨

تعدلوا ﴿ فإنه يقول : ولا يحملنكم عداوة قوم أن لا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم ، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم من العداوة ﴾^(١)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — : " والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل ، لا بجهل وظلم ، كحال أهل البدع ^(٢) " ^(٣)

من هنا كانت منهجية الشيخ حمود — يرحمه الله — في الرد على المخالفين سواء أكانوا من أهل السنة ، أو ممن خرج عن دائرة السنة وبقي في دائرة الإسلام ، أو كانوا من الكفار ؛ فهو يترل كل واحد من هؤلاء مترلته وسيتضح منهج الشيخ — يرحمه الله — بإذن الله تعالى من خلال تناول المطالب الأربعة التالية :

^(١) تفسير ابن جرير : ٩٥/١٠

^(٢) منهاج السنة النبوية : ٤ / ٣٧٧.

^(٣) انظر لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع : منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين ١١٠

ومابعدا ، ٢٣ ومابعدا

الطلب الأول: حرم ذكر اسم المردود عليه إلا إذا اشتهر أو احتج إلى ذلك

من منهجية أهل السنة والجماعة عدم ذكر اسم المردود عليه إلا إذا اشتهر أو احتج إلى ذلك ؛ لأن المراد هو بيان الحق وإيضاحه للناس ، لا المراد الأشخاص والتشهير بهم ؛ فضابط المسألة أنه متى ما احتج إلى التسمية فإنه يسمى المردود عليه وإلا فلا . وهذا داخل في باب الستر على المسلمين فعن أم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها — قالت : قال رسول الله ﷺ : ﴿ اقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود ﴾ ^(١) قال الإمام الشافعي — يرحمه الله — : " ذوو الهيئات الذين يقالون عثراتهم الذين ليسوا يعرفون بالشر فيزل أحدهم بالزلة " ^(٢) وقال الإمام ابن القيم — يرحمه الله — : " والظاهر أنهم ذوو الأقدار بين الناس من الجاه والشرف والسؤدد ، فإن الله تعالى خصهم بنوع تكريم وتفضيل على بني جنسهم ، فمن كان مستوراً مشهوراً بالخير حتى كبا به جواده ، ونبا به غضب صبره ، وأدبل عليه شيطانه ، فلا تسارع إلى تأنيبه وعقوبته ، بل تقال عثرته ما لم يكن حداً من حدود الله ؛ فإنه يتعين استيفاءه من الشريف ، كما يتعين أخذه من الوضيع . وهذا باب عظيم من أبواب محاسن الشريعة الكاملة وسياستها للعالم ، وانتظامها مصالح العباد في المعاش والمعاد . ^(٣) " ^(٤)

^(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم : ٢٤٩٤٦ ؛ و أبو داود في الحدود برقم : ٤٣٧٥ . وقال عنه الألباني :

صحيح ، كما في صحيح سنن أبي داود برقم : ٣٦٧٩ .

^(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الأشربة والحد فيها ، باب الإمام يعفو عن ذوي الهيئات

. ٣٣٤/٨

^(٣) بدائع الفوائد : ٣ / ١٣٩ .

ومن هنا كانت هذه هي منهجية الشيخ حمود — يرحمه الله — في كتاباته ومن أمثلة ذلك :

(١) في رده على من تكلم في مسألة المعية الذاتية من أهل العلم ، و الذي كتب مقالاً زعم في أوله أن معية الله لخلقه معية ذاتية تليق بجلاله وعظمته ، وأنها لا تقتضي اختلاطاً بالخلق ، ولا حلولاً في أماكنهم حيث يقول في آخر مقاله :

" وهكذا نقول في المعية نثبت لربنا معية ذاتية تليق بعظمته وجلاله ، ولا تشبه معية المخلوق للمخلوق ، ونثبت مع ذلك علوه على خلقه ، واستوائه على عرشه ، على الوجه اللائق بجلاله . نجد الشيخ — يرحمه الله — لم يسم هذا المخالف . وإنما اكتفى بالحديث عن المسألة وبيان الحق فيها ؛ وذلك لعدم الحاجة إلى التسمية حيث لم يجد الشيخ مصلحة في تسمية المخالف ، وكون الكلام المردود عليه هو مجرد مقالة وليست كتاب متداول بين الناس . إضافة إلى أن المخالف من علماء أهل السنة ، وهذا خطأ منه وزلة تغتفر في بحر حسناته . (١)

(٢) في بيان بعض التنبيهات على مخالفات وقعت من واحد من أهل العلم والفضل سماه الشيخ — يرحمه الله — للحاجة إلى ذلك حيث إن الرسالة التي نبه على الأخطاء التي وردت فيها قد طبعت وانتشرت وتداولها الناس فكان لزاماً من التسمية بياناً للحق في المسألة ولا شيء غير ذلك ونجد مع ذلك أن الشيخ — يرحمه الله — بدأ الكتابة بشكره لصاحب الرسالة وثنائه عليه وذكره لبعض فضائله ومقام به من أمور محمودة فقال — يرحمه الله — : "أما بعد فهذه تنبيهات على النبذة المسماة (صفة صلاة النبي ﷺ) تأليف الشيخ محمد ناصر الدين

(٤) انظر لمزيد من البيان : نحو منهج شرعي لتلقي الأخبار وروايتها ، أحمد الصويان ٧٦ وما بعدها .

(١) انظر إثبات علو الله ومباينته لخلقه .

الألباني الدمشقي . الطبعة الثانية سنة ١٣٧٥هـ - دمشق . وقبل ذكر التنبيهات نبدأ بشكر الشيخ الألباني على اعتناؤه بالصلاة . وعلى إنكاره على المبتدعين في النية . وعلى رده على من أنكر الصلاة على آل النبي ﷺ . وعلى إنكاره على المحافظين على التوسلات المبتدعة كالتوسل بالجاه والحرمة والحق وغير ذلك مما لا يجوز التوسل به . والله المسؤول أن يجعلنا وإياه من حزبه المفلحين الذين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " (١) .

بل إن الشيخ حمود - يرحمه الله - في بيانه للمخالفات نجده يلتمس العذر لكتابها ومن ذلك : قوله - يرحمه الله - : " أقول قد سهى المؤلف عفا الله عنا وعنه فيما أطلقه من القول بأن الصلاة هي أعظم أركان الإسلام إذ لا بد من تقييد ذلك بما بعد الشهادتين ... وما وقع من المؤلف فهو بلا شك سهو منه وقل من يسلم من ذلك ، ولا معصوم إلا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " (٢) .

ويقول - يرحمه الله - : " ومن تدبر ما قرره الشيخ الألباني في أثناء كلامه لم يشك في حسن عقيدته في باب القدر . وما وقع في أول كلامه وآخره فذلك خطأ في العبارة وقل أن يسلم من الخطأ أحد من البشر . " (٣) .

(١) التنبيهات : ٣ .

(٢) المصدر السابق : ٤ .

(٣) التنبيهات على رسالة الألباني في الصلاة : ١٣، ٤، ٣ .

والمطلب الثاني: الرد من حمرة الوجه وتكرار ردود عليه

الناظر في مؤلفات الشيخ وكتابات يجد له منهجية معينة في طرحه للقضايا وردوده على المخالفين لعقيدة السلف فهو — يرحمه الله — يورد قول المخالف مفصلاً مع أمانة ودقة في النقل ، ويقوم بتنفيذ هذا القول عبارة عبارة بل وكلمة كلمة ويبين مافيه من مخالفة عن طريق الأوجه وهي طريقة معروفة عند علماء السلف والشيخ — يرحمه الله — يظهر تأثيره في هذه الطريقة بشيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — فهو ممن اشتهر عنه هذه الطريقة في ردوده .

وهي طريقة نافعة في بيان الحق في المسألة بياناً شافياً كافياً سواء للناظر في المسألة أو للمخالف نفسه مما يكون مدعاة له للرجوع إلى الحق — بإذن الله تعالى — بعد تبينه له ؛ خصوصاً مع تحضيض الشيخ على ذلك ودعوة المخالف إليه مع بيانه لما في الرجوع إلى الحق من نبل وفضيلة وتحذيره من أن التماذي في الباطل نقص ورديلة . ومن ذلك :

(١) قوله في رده على قول : (الكتاب والسنة لم يحرم الغناء ولا استعمال المعازف والمزامير والاستماع إليها) فرد عليه الشيخ — يرحمه الله — مبيناً بطلان هذه الدعوى ، وما فيها من قلب للحقائق ، وتأيد للباطل ، وإعانة على إظهار المحرم ، وتهيجاً للجهال على استحلاله ، وأن في هذا الكلام كذباً واضحاً على الكتاب والسنة وهو إرضاء للشيطان واستحلاب لسخط الله تعالى . يقول — يرحمه الله — : "والجواب عن هذا من وجوه : أحدها : أن في هذا الكلام من قلب الحقائق ما لا يخفى على من نور الله قلبه بنور العلم... الوجه الثاني : أن في كلام أبي

تراب تهيجاً للجهال على استحلال ما حرمه الله تعالى ورسوله ﷺ... الوجه الثالث : أن في كلامه إعانة على إظهار المعازف والمزامير بين المسلمين وإظهارها بدعة في الإسلام نص على ذلك الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى -... الوجه الرابع : أن في كلام أبي تراب تأييداً للباطل ودفاعاً عنه... الوجه الخامس : أن كلام أبي تراب مما يغذي النفاق وينمي في قلوب المفتونين بحب الملاهي... الوجه السادس : أن كلامه من أعظم الدواعي إلى إفساد قلوب الجهال... الوجه السابع : أن في كلام أبي تراب إرضاء للشيطان وتقرباً إليه لأن الغناء وحيه وقرآنه والمزمار مؤذنه وصوته... الوجه الثامن : أن في كلامه استجلاباً لسخط الله تعالى ومقته والبعد عنه... الوجه التاسع : أن كلام أبي تراب يقتضي تخطئة من قال بدم الغناء وآلات اللهو من علماء الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين. ويستلزم تجهيلهم وتضليلهم في هذه المسألة... الوجه العاشر : أن في كلام أبي تراب كذباً واضحاً على الكتاب والسنة. ويعلم كذبه مما سنذكره من دلالتهم على التحريم... الوجه الحادي عشر : أن الأمر في الحقيقة بخلاف ما زعمه أبو تراب في

عنوان مقاله وحينئذ نقابل قوله بعكس ما قال " (١).

(٢) وقال - رحمه الله - في رده القويم على المجرم الأثيم (٢) الذي تهجم على الأحاديث الصحيحة وصحيح البخاري. وزعم أن كتابه أضواء يلقيها على قضية الحديث وعلى أمثلة من الإسرائيليات الدخيلة على صحيح البخاري. فأجاب عليه الشيخ - رحمه الله - مبيناً أن هذا الكتاب في حقيقته ظلمات، ومدافعاً عن صحيح البخاري موضحاً أنه ليس في صحيح البخاري ولا غيره من الأحاديث الثابتة ما يخالف كلام الله تعالى وهدى رسوله ﷺ، كما أنه ليس فيه

(١) انظر فصل الخطاب : ٨-١٤.

(٢) وهو من يدعى : السيد صالح أبو بكر.

من الأحاديث الدخيلة ، وأن أهل الإيمان يؤمنون بكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ يقول — يرحمه الله — : " والجواب عن هذا من وجوه : أحدها : أن يقال ليس في كتاب المؤلف شيء من الأضواء البتة . وإنما هو ظلمات بعضها فوق بعض أراد بها هدم السنة وتنفير الناس منها .

الوجه الثاني : أن يقال ليس في صحيح البخاري شيء من الأحاديث الدخيلة كما زعمه المؤلف كذباً وزوراً .

الوجه الثالث : أن يقال ليس في صحيح البخاري ولا في غيره من الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ ما يخالف كلام الله تعالى وهدى رسوله ﷺ بوجه من الوجوه ولا غيره .

الوجه الرابع : أن يقال إذا كان المؤلف لا يصدق بالأحاديث الثابتة ويزعم أنها إسرائيلييات فأهل الإيمان على خلاف ما هو عليه فهم يؤمنون بكل ما ثبت عن النبي ﷺ .

الوجه الخامس : أن المؤلف قد وقع في شر مما فر منه فإنه قد فر من خطيئة الشرك العلمي كما زعم ذلك ووقع فيما يهدم الإسلام من أصله .

الوجه السادس : أن المؤلف قد حقق للشيطان مأربه حيث أبعد عن كثير من الحق المتزل من الله تعالى على لسان رسوله ﷺ وحث الناس على الإبعاد عنه .

الوجه السابع : أن الله تعالى أقام للسنة جهابذة نقاداً ميزوا الأحاديث الصحيحة الثابتة من غيرها .

الوجه الثامن : أن يقال : قد اتضح من كلام المؤلف أنه ألد الأعداء لكتب السنة^(١)

(١) انظر الرد القويم : ٣٤-٣٧ .

وطلب الإنصاف: الإنصاف والإنصاف وإنصافكم

العدل والإنصاف من أعظم الميزات لأهل السنة والجماعة، فهم أعدل الناس وأولاهم بامتنال قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ^(١) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ ^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ^(٣) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ^(٤) فهذه جميعها أوامر من الله تعالى بالعدل والإنصاف مع القريب والبعيد مع الموافق كما أنها مع المخالف لأن القضية تدور حول مراقبة الله عز وجل في سائر التعاملات والله عز وجل لا يقبل من عباده إلا العدل والإنصاف ولا يرضى منهم الجور والظلم كيف وقد بين ذلك سبحانه وتعالى في كتابه الكريم يوم أن قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ أَنْ تَأْمَنَهُ بَقِنطَارٍ يُؤْذِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤْذِهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دَمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ^(٥)

(١) النساء: ٥٨

(٢) النساء: ١٣٥

(٣) الأنعام: ١٥٢

(٤) المائدة: ٨

(٥) آل عمران: ٧٥

فإن الله عز وجل في هذه الآية الكريمة ينصف يهود وهم من أشد الناس عداوة للإسلام وأهله وعلى الرغم من ذلك فإن الله عز وجل بين ما لهم وما عليهم .
 كما أن الناظر في سيرة النبي ﷺ يجد التطبيق العملي لهذا المنهج منهج العدل والإنصاف مع البعيد فضلاً عن القريب ومع العدو فضلاً عن الصديق والحبيب ، ومن هنا كان منهج أهل السنة والجماعة العدل والإنصاف مع الجميع حتى وإن كان من المخالفين . ^(١) وفي ذلك يقول شيخ الإسلام — يرحمه الله — " وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق ويرحمون الخلق ؛ يتبعون الرسول فلا يتدعون . ومن اجتهد فأخطأ خطأ يعذره فيه الرسول عذروه ... " ^(٢) ويقول :
 " والله يحب الكلام بعلم وعدل ويكره الكلام بجهل وظلم " ^(٣) . وفي هذا المعنى يقول الأستاذ / سيد قطب — يرحمه الله — عند كلامه على قول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا حُكِمَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ : " فأما الحكم بالعدل بين الناس فالنص يطلقه هكذا عدلاً شاملاً بين الناس جميعاً لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب . ولا عدلاً مع أهل الكتاب ، دون سائر الناس . وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه إنساناً فهذه الصفة — صفة الناس — هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني . وهذه الصفة التي يلتقي عليها البشر جميعاً : مؤمنين وكفاراً . أصدقاء وأعداء . سوداً وبيضاً . عرباً وعجماً ... " ^(٤)

فمنهج أهل السنة والجماعة إنصافهم للجميع والحكم على الناس بالعدل فهذه السمة وهي سمة العدل والإنصاف سمة من سمات أهل السنة والجماعة ولا تجدد

(١) انظر عقيدة أهل السنة والجماعة لمحمد بن إبراهيم الحمد ص : ٥٥ .

(٢) الفتاوى : ٩٦/١٦ .

(٣) المصدر السابق : ٩٦ .

(٤) في ظلال القرآن : ٢ / ٦٨٩ .

أحداً متصفاً بها سواهم لأنهم يحكمهم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ أما غيرهم فتحكمهم أهوائهم وتسيرهم اتجاهاتهم .

ومن هذا المسلك أخذت منهجية الشيخ الواضحة في كتاباته وردوده الإنصاف مع الجميع ويتضح ذلك للناظر في مؤلفات الشيخ — يرحمه الله — ومن ذلك على سبيل المثال :

(١) إنصاف الشيخ — يرحمه الله — للمخالف ممن هو من العلماء حتى وإن أخطأ في مسائل عقدية فلا يدفعه ذلك إلى غمط حقوقه والتجاوز في بيان أخطائه نجد ذلك في كلامه على الإمام ابن حزم — يرحمه الله — حيث يقول — يرحمه الله — : " وحاصل القول في أبي محمد ابن حزم أنه كغيره من العلماء الذين جمعوا في كتبهم أشياء حسنة وأشياء سيئة فيؤخذ من أقوالهم ما وافق الحق ويرد ماخالفه ولا يثنى عليهم إلا بما يستحقونه من غير إطراء ولا مجازفة " (١).

(٢) إن كان المخالف من أهل السنة والجماعة فالشيخ — يرحمه الله — يعرف له قدره فهاهو يقول عن الشيخ عبدالرحمن بن سعدي — يرحمه الله — : " وما كتبه في التنبيه على أخطائه لا يمنعني من الثناء عليه والدعاء له بالمغفرة والرحمة فقد خلّف رحمه الله تعالى علماً كثيراً في مؤلفاته وعند تلاميذه ، فأما ما كتبه في رسالته في السد ويأجوج ومأجوج فهو من الزلات المغمورة في جنب فضائله ومحاسنه وقد قال الشاعر وأحسن فيما قال :

ومن ذا الذي ترضى سجايه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معاييه " (٢)

(٣) إنصاف الشيخ — يرحمه الله — حتى مع الكفار فهاهو يقول عند حديثه عن الاشتراكيين : " ويعلم أيضاً رجحان عقل كسرى أنوشروان وعقول أتباعه من الأعاجم على عقول طغاة الاشتراكيين في زماننا مع كونهم ينتسبون إلى الإسلام

(١) فصل الخطاب : ١٦٦ .

(٢) انظر الاحتجاج : ٣٥٨ . والبيت هو ليزيد بن خالد المهلي انظر : خزانة الأدب ١ / ٤٥٦ .

وإلى العربية وهم بعيدون كل البعد عنهما. فكسرى مع كفره أعقل وأعدل وأحسن سياسة ونظراً للرعية من طغاة الاشتراكيين" ^(١).

^(١) الإيضاح والتبيين: ٣٥؛ وانظر الصواعق: ١١٥؛ الصارم: ٨٤؛ ذيل الصواعق: ٣٥٦؛ الرد الجميل: ٦٩؛ الاحتجاج بالأثر: ١٤١، ١٥٥، ٣٦١؛ الرد القويم: ٨١؛ الرد القوي: ٢٢٩؛ إثبات علو الله: ١٥٣؛ تحريم التصوير: ٥٥؛ إقامة الدليل: ١٥.

الطلب الرابع: حرص على الأخلاق ونهت عنه ما حذر به الله عز وجل ووجهه

للرجوع إلى الحق وبما فضله فليس مع وجهه له بأشرفه

سبقت الإشارة إلى كلام شيخ الإسلام — رحمه الله — بأن أهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق ويرحمون الخلق. ^(١) ومن هنا كان حرص الشيخ — رحمه الله — على هداية المخالف فنجد في كتاباته دائماً ما يُذكر المخالف بالله عز وجل ويدعوه للرجوع إلى الحق ويبين له فضيلة ذلك ويدعو له فوق ذلك كله بالهداية لأنه هذا هو الهدف أصلاً والغاية المنشودة هداية البشر إلى الطريق القويم باتباع كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ .

(١) من ذلك قوله — رحمه الله — محذراً من ذهب إلى القول بجواز سفور النساء ، وتكشفهن ، مذكراً لهم بالوقوف بين يدي الله ﷻ ، منبهاً على ما يترتب على ذلك القول من مفسد : " فليتأمل ذلك المفتونون بسفور النساء وتكشفهن بين الرجال الأجانب وليتقوا الله في أمورهم عامة وفي نسائهم خاصة ، وليعلموا أنهم مسؤولون عنهن يوم القيامة ، وليحذروا أن يكونوا ممن قال الله تعالى فيهم :

﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ ^(٢) " ^(٣)

(٢) وهاهو يقول في كتابة أخرى في معرض رده على الشيخ محمد الصواف — رحمه الله — محذراً إياه من خطر الأقوال الباطلة ، مذكراً بما يلحق من يتبناها من

(١) انظر ص : ٣٠١ .

(٢) النساء : ١١٥ .

(٣) الصارم المشهور : ٢٠٢ .

ضرر ، وما فيها من محادة لله ولرسوله ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين : "فليستيقظ الصواف من رقدته ولينتبه من غفلته ولايكن كحاطب الليل يضع في خطبه الأفاعي القاتلة وهو لايشعر ؛ بل إن ضرر الأفاعي أهون مما وضعه الصواف في رسالته من الأقوال الباطلة المتضمنة لمحادة الله ورسوله ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين لأن ضرر هذه الأقوال الباطلة على الدين وضرر الأفاعي على البدن وشتان ما بين الضررين . " (١)

(٣) أما دعاؤه للمخالف فهو كما في قوله — يرحمه الله — : " وإذا علم هذا ففي الحديث الذي ذكرنا في عدد الرسل أبلغ رد على ابن محمود في تخطئة من عد الرسل وزعمه أن من عداهم فقد تكلف ما لا علم له به ، وما يدري هداانا الله وإياه ووقفنا جميعا لإتباع الحق أن كلامه هذا يتناول النبي ﷺ ، وما أعظم ذلك وأبشعه وأشد الحكم فيه ، فالواجب عليه أن يبادر إلى التوبة من هذه الزلة العظيمة " (٢).

(٤) ونجد الشيخ — يرحمه الله — يذكر المخالف بالله عز وجل كما في قوله — يرحمه الله — : " ألا تخاف الله وتتقيه يا ابن محمود ، ألا تثبت فيما تقوله في أئمة العلم والهدى وفيما تحكم به على الأحاديث الصحيحة ورواها الثقات أما تعلم أنك موقوف بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ومسؤول عن أقوالك وأعمالك " (٣).

(٥) وهو دائماً ما يكرر — يرحمه الله — عبارة : " أن الرجوع إلى الحق خير من التماسي في الباطل ، وأن الرجوع إلى الحق نبل وفضيلة ، كما أن التماسي في

(١) ذيل الصواعق : ٧٤.

(٢) فتح المعبود : ١٥١ ؛ والاحتجاج : ٤١١ ، ٣٥٩ ، ٣٠٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥١ ، ٢١٠ ، ١٥٩ ، ١٣٦ ، ١٣٣ ؛ والرد القوي : ١٧ ، ٣٩ ؛ والصارم البتار : ٢٣٥ ؛ وإقامة الدليل : ٢٤ ؛ والرد على الكاتب المفتون : ٨٧ ، ٤٤ .

(٣) الاحتجاج بالأثر : ١٣٣ .

الباطل نقص ورذيلة " ^(١) وهو بذلك يحث المخالف ويشجعه ويفتح له باب الرجوع إلى الحق ونبذ الباطل فجزاه الله عن ذلك خير الجزاء هو وعلماء هذه الأمة رحم الله الأموات منهم وبارك في الأحياء إنه سميع مجيب الدعوات .

^(١) تغليظ الملام : ٦٦، والرد القوي : ١٧ .

الفصل الثالث

تقريره لعقيدة

السلف الصالح

البحث الأول : حزمة الإصلاح والإيمان وما يحصل بها

الدين الذي بعث الله به رسله — عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم — ، وأنزل به كتبه ، ورضيه لأهل سمواته وأرضه ، وأمر أن لا يعبد إلا به ، ولا يقبل من أحد سواه ، ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه ، ولا أحسن ديناً ممن التزمه واتبعه هو قول بالقلب واللسان وعمل بالقلب واللسان والجوارح . فهذه أربعة أشياء جامعة لأمر دين الإسلام . قول القلب وهو : تصديقه وإيقانه . وقول اللسان وهو : النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمها . وعمل القلب وهو : النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولازم ذلك وتوابعه . وعمل اللسان : ما لا يؤدي إلا به كتلاوة القرآن الكريم . وعمل الجوارح : ما لا يؤدي إلا بها مثل : القيام والركوع والسجود .^(١)

و الإسلام هو : استسلام القلب لله وإنابته ، والقيام بالشرائع الظاهرة والباطنة .^(٢)

وله في تعريف الشرع حالتان :

الحالة الأولى : أن يطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإيمان . فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله ، كقوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾^(٣)

(١) انظر : معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ٢ / ٤٩٣ - ٤٩٨

(٢) سؤال وجواب في أهم المهمات للشيخ عبدالرحمن بن سعدي : ٥

(٣) آل عمران : ١٩ .

الحالة الثانية : أن يطلق مقترناً بالاعتقاد ، فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴿ (١) (٢) أما الإيمان ففي تعريف الشرع له حالتان أيضاً :

الحالة الأولى : أن يطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله ، كقوله عز وجل : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ (٣)

الحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقروناً بالإسلام ، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في قول الله عز وجل: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ (٤) وكما في حديث جبريل المشهور والذي فيه بيان الإسلام والإيمان والإحسان . والحاصل أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله ، وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في حديث جبريل المشهور . (٥)

يقول الإمام إسماعيل المزني (٦) — يرحمه الله — عند تعريفه للإيمان : " والإيمان قول وعمل مع اعتقاده بالجنان ، قول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان ، وهما سيان ونظامان وقرينان ، لا نفرق بينهما ، لا إيمان إلا بعمل ، ولا عمل إلا بإيمان . والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون ، وبصالح الأعمال هم متزايدون . ولا

(١) الحجرات : ١٤ .

(٢) انظر : معارج القبول لحافظ الحكمي ٢ / ٤٩٩-٥٠٢ .

(٣) البقرة : ٢٥٧ .

(٤) البقرة : ٨٢ .

(٥) انظر : معارج القبول ٢ / ٥٠٣-٥٠٨ .

(٦) الإمام العلامة فقيه الملة علم الزهاد أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري تلميذ الشافعي مات سنة ٢٦٤ هـ . سير أعلام النبلاء : ١٢ / ٤٩٢ .

يخرجون بالذنوب من الإيمان ، ولا يكفرون بركوب كبيرة ولا عصيان ، ولا نوجب لمحسنهم الجنان بعد من أوجب له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا نشهد على مسيئهم بالنار .^(١)

وقد تعددت عبارات السلف — يرحمهم الله — في تعريف الإيمان شرعاً فمنهم من قال : قول وعمل . ومنهم من قال : قول وعمل ونية . ومنهم من قال : قول وعمل ونية واتباع السنة . ومنهم من قال : قول باللسان واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح ، وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — أن كل هذا صحيح وأنه يؤدي إلى معنى واحد يقول — يرحمه الله — : " ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان ، فتارة يقولون : هو قول وعمل ، وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية ، وتارة يقولون : قول وعمل ونية واتباع السنة ، وتارة يقولون : قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، وكل هذا صحيح ، فإذا قالوا قول وعمل ؛ فإنه يدخل في القول : قول القلب واللسان جميعاً ، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ، ونحو ذلك إذا أطلق ... والمقصود هنا أن من قال من السلف : الإيمان قول وعمل ، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر ، أو خاف ذلك ، فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال : قول وعمل ونية ، قال : القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية ، فزاد ذلك ، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة ، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل ، وإنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال ، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط ؛ فقالوا : بل هو قول وعمل . والذين جعلوه أربعة أقسام

(١) إسماعيل بن يحيى المزني ورسائله شرح السنة : ٧٧-٧٨

: ففسروا مرادهم ، كما سئل سهل بن سعد التستري ^(١) عن الإيمان ماهو ؟ فقال : قول وعمل ونية وسنة ، لأن الإيمان إذا كان بلا عمل ، فهو كفر ، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية ؛ فهو نفاق ، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة ؛ فهو بدعة. " ^(٢) ومن المتقرر عند أهل السنة والجماعة أن الأعمال داخلية في مسمى الإيمان ، وأن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية يقول الإمام أبي بكر عبدالله الحميدي ^(٣) — يرحمه الله — : " وأن الإيمان : قول وعمل يزيد وينقص ، ولا ينفع إلا بعمل ، ولا علم ولا قول إلا بنية ، ولا قول وعمل ونية إلا بسنة. " ^(٤) فهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة وتعريفهم للإسلام والإيمان وبيان أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا . وأن الإيمان هو قول وعمل واعتقاد يزيد بطاعة الرحمن وينقص باتباع الهوى والشيطان والأدلة على ذلك من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ والآثار الواردة عن السلف الصالح رضي الله عنهم. ^(٥)

^(١) هو سهل بن عبدالله بن يونس : شيخ العارفين ، أبو محمد التستري ، الصوفي الزاهد له كلمات نافعة ومواعظ حسنة . قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبي حدثنا أبو بكر الجوري ، سمعت سهل بن عبدالله يقول : أصولنا ستة : التمسك بالقرآن ، والافتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكف الأذى [واجتناب الإثم] والتوبة . ١٠ / ١٩٠ . وانظر لترجمته : حلية الأولياء : ١٠ / ١٨٩ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٣ / ٣٣١

^(٢) الإيمان : ١٦٢ . وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام : ٥٠٥/٧ - ٥٠٦ .

^(٣) هو عبدالله بن الزبير بن عيسى بن عبدالله بن أسامة أبو بكر القرشي الأسدي الحميدي المكي ، شيخ الحرم ، وصاحب المسند . قال عنه أحمد بن حنبل : الحميدي عندنا إمام . توفي عام ٢١٩ هـ . سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٦١٦ وما بعدها .

^(٤) أصول السنة : لعبدالله الحميدي : ٣٧-٣٨ .

^(٥) انظر لمزيد من البيان والتفصيل حول هذه المسألة : أصول السنة لعبدالله الحميدي : ٣٧-٣٨ ؛ كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام : ٩ وما بعدها ؛ إسماعيل المزني ورسائله شرح السنة : ٧٧-٧٨ ؛ السنة للحلال : ١-٣ / ٥٦٢ وما بعدها ؛ العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي : ٣١ وما بعدها ؛ شرح السنة للبرهاري : ٧٣ ؛ الشريعة للآجري : ٩٧ وما بعدها ؛ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطه : ٢ / ٦٢٨ وما بعدها ؛ الإيمان لابن مندة : ١ / ٣٢١ وما بعدها ؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي :

وقد خالف في هذا الباب بعض الطوائف وحادوا عن نهج أهل السنة والجماعة وخالفوا طريقتهم فقام العلماء بجهد مشكور في بيان مذهب أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين .

ولنتعرف على جهود شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — في هذا المبحث ، ولكن قبل ذلك لنستعرض نماذج من جهود العلماء السابقين والمعاصرين له ؛ ليتضح خلال ذلك — بإذن الله تعالى — تميزه ما قام به من جهد — يرحمه الله — .

جهود السابقين :

وقد وقفت من جهود العلماء السابقين لشيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع على كلام لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحفيده الشيخ عبدالرحمن ابن حسن — يرحمهما الله — .

فقد تحدث إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١٧٩هـ) يرحمه الله عن بيان معنى الإسلام وأركانه الخمسة وأدلة كل ركن ، ومعنى الإيمان وأركانه ودليله ، والإحسان ودليله كل ذلك كما جاء في حديث جبريل عليه السلام المشهور ^(١) ويقول في بعض تقاريره إن الإيمان الشرعي هو الإيمان بالأصول الستة ويعني بذلك أركان الإيمان الواردة في حديث جبريل عليه السلام المشهور . يقول — يرحمه الله — : " اعلم رحمك الله أن الإيمان الشرعي ، هو الإيمان بالأصول الستة ؛ فمن

٥-٦/٨٨٥ وما بعدها ؛ عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي عثمان إسماعيل الصابوني : ٨٢ وما بعدها ؛ الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للحافظ البيهقي : ٩٨ وما بعدها ؛ الحجة في بيان المحجة للأصبهاني : ١٥٣/٢ وما بعدها ؛ اعتقاد أهل السنة لعدي الهكاري : ٢٦ ؛ القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان تحقيق : سعود الخلف : ١٥١ وما بعدها ؛ المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة لعبدالإله الأحمدى : ٦٣/١ وما بعدها ؛ نوافض الإيمان الاعتقادية لمحمد الوهيبي : ١ / ٣١ وما بعدها .

^(١) انظر : الدرر السنية ١ / ١٣٩ - ١٤١

الإيمان بالله الإيمان بالكتب التي أنزل الله، والإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله ،
ومن الإيمان بهم : معرفة مراد الله في إرسالهم ... " (١)

كما أنه في موضع آخر يجيب على سؤال لسائل يقول فيه : تفكرت في الإيمان وقوته وضعفه ، وأن محله القلب ، وأن التقوى ثمرته ومركبة عليه ، فبقوته تقوى ، وبضعفه تضعف .

فأجاب الشيخ — يرحمه الله — بأن الإيمان محله القلب والجوارح جميعاً (٢) وأنه يزيد وينقص .

يقول — يرحمه الله —: " قولك إن الإيمان محله القلب ؛ فالإيمان بإجماع السلف محله القلب ، والجوارح جميعاً ، كما ذكر الله في سورة الأنفال ، وغيرها ؛ وأما كون الذي في القلب ، والذي في الجوارح يزيد وينقص ، فذلك شيء معلوم ، والسلف : يخافون على الإنسان إذا كان ضعيف الإيمان من النفاق ، أو سلب الإيمان كله "

وسئل أيضاً عن الإيمان ، والإسلام ، هل هما نوع واحد ؟ أو نوعان ؟ فأجاب بأنهما إذا اجتماعا افترقا فيكون الإسلام للأعمال الظاهرة والإيمان للأعمال الباطنة وإذا افترقا اجتماعا .

يقول — يرحمه الله — : " ذكر العلماء أن الإسلام إذا ذكر وحده ، دخل فيه

(١) الدرر: ١ / ١٨١

(٢) يعني بذلك — يرحمه الله — ما أوضحه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي — يرحمه الله — بقوله : الإيمان إذا ذكر مفرداً شمل الأعمال ، وإذا ذكر معه العمل : انصرف إلى الإيمان الأكبر ؛ الذي هو الإيمان القلبي ، و القلب هو موضع الإيمان ، والجوارح تبع له " وهذا بيان معنى قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : فالإيمان بإجماع السلف محله القلب والجوارح جميعاً

الإيمان ، كقوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ ^(١) وكذلك الإيمان إذا أفرد ، كقوله في الجنة ﴿ أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ﴾ ^(٢) فيدخل فيه الإسلام ، وإذا ذكرا معاً كقوله ﴿ إن المسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات ﴾ ^(٣) فالإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة، كما في الحديث: ﴿ الإسلام علانية و الإيمان في القلب ﴾ ^(٤)... وحقيقة الأمر : أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعاً ، وأما الإسلام فقد يستلزمه ، وقد لا يستلزمه " ^(٥) كما أننا نجد — يرحمه الله — يقرر معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان وأنه قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص يقول — يرحمه الله — : " واعتقد أن الإيمان : قول باللسان ، وعمل بالأركان ، واعتقاد بالجنان ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية " ^(٦)

و أيضاً حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن (١٢٨٥ هـ) يرحمه الله الذي أوضح في كلام له عن العلاقة بين الإسلام والإيمان وأنها إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا أوضح بأنه لا يحصل الإسلام على الحقيقة إلا بالعمل بالأركان الخمسة ، والإيمان بالأصول الستة المذكورة في حديث جبريل عليه السلام المشهور ^(٧) يقول — يرحمه الله — : " الكلام في الإسلام ، والإيمان ، في مقامات ، الأول : فيما دل عليه حديث عمر رضي الله عنه ، في سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ أخبرني عن الإسلام ؟ فقال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله الحديث " قال : أخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ،

^(١) آل عمران : ٢٠

^(٢) الحديد : ٢١

^(٣) الأحزاب : ٣٥

^(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم : ١١٩٣٣ .

^(٥) الدرر السنية : ١ / ١٨٧ - ١٨٨

^(٦) الدرر : ١ / ٣٣

^(٧) أخرجه مسلم في الإيمان برقم : ٩ .

وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ﴿ فأخبر : أن الإسلام ، هو الأعمال الظاهرة ، والإيمان يفسر بالأعمال الباطنة ؛ وبذلك يفسر كل منهما عند الاقتران ، فإذا أفرد الإيمان ، كما في كثير من آيات القرآن ، دخل فيه الأعمال الظاهرة والباطنة ... وأما الأركان الخمسة ، فهي : جزء مسمى الإيمان ، ولا يحصل الإسلام على الحقيقة إلا بالعمل بهذه الأركان ، والإيمان بالأصول الستة ، المذكورة في الحديث ؛ وأصول الإيمان المذكورة ، تتضمن : الأعمال الظاهرة والباطنة ؛ فإن الإيمان بالله يقتضي : محبته ، وخشيته ، وتعظيمه ، وطاعته بامثال أمره وترك نهيهِ ؛ وكذلك الإيمان بالكتب ، يقتضي : العمل بما فيها من الأمر والنهي ؛ فدخل هذا كله في هذه الأصول الستة " (١)

ويقول — يرحمه الله — في بيان الفرق بين الإسلام والإيمان وهو الفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق : "إذا عرفت : أن كلاً من الأعمال الظاهرة والباطنة ، من مسمى الإيمان شرعاً ، فكل ما نقص من الأعمال ، التي لا يخرج نقصها من الإسلام ، فهو نقص في كمال الإيمان الواجب ؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ﴿ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا ينتهب هبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم ، حين ينتهبها وهو مؤمن ﴾ (٢) وقوله ﷺ : ﴿ لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ﴾ (٣) ونفى الإيمان عمن لا يأمن جاره بوائقه . فالمنفي في هذه الأحاديث : كمال الإيمان الواجب ؛ فلا يطلق الإيمان على مثل أهل هذه الأعمال إلا مقيداً بالمعصية ، أو بالفسوق ، فيقال : مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فيكون معه من الإيمان ، بقدر ما معه من الأعمال الباطنة والظاهرة ، فيدخل في جملة أهل الإيمان ، على سبيل إطلاق أهل الإيمان كقوله تعالى ﴿ فتحرير رقبة

(١) الدرر : ٣٣٠/١ - ٣٣١

(٢) أخرجه البخاري في المظالم برقم : ٢٢٩٥ ؛ ومسلم في الإيمان برقم : ٨٦ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم : ١٣١٤٥ ، ١٢٧٢٢ ، ١٢١٠٨ ، ١١٩٣٥ .

مؤمنة^(١). وأما المؤمن الإيمان المطلق ، الذي لا يتقيد بمعصية ، ولا بفسوق ، ونحو ذلك ، فهو : الذي أتى بما يستطيعه من الواجبات ، مع تركه لجميع المحرمات ، فهذا هو الذي يطلق عليه اسم الإيمان من غير تقييد ؛ فهذا هو الفرق بين مطلق الإيمان ، والإيمان المطلق ، والثاني هو الذي لا يصير صاحبه على ذنب والأول هو المصر على بعض الذنوب . وهذا الذي ذكرته هنا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة ، في الفرق بين الإسلام والإيمان ؛ وهو الفرق بين مطلق الإيمان ، والإيمان المطلق ...^(٢)

جهود المعاصرين :

قرر العلماء المعاصرون لشيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع — ما عليه أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بمسمى الإسلام والإيمان ، والفرق بينهما ، وأنها إذا اجتمعا افترقا في المعنى فالإسلام ينصرف إلى الأعمال الظاهرة والإيمان إلى الأعمال الباطنة. وإذا افترقا في اللفظ اجتمعا في المعنى فيشمل كل واحد منهما الأعمال الظاهرة والباطنة. وأن الإيمان قول وعمل يزيد بطاعة الرحمن و ينقص باتباع الهوى والشيطان و من وقفت على جهده من هؤلاء العلماء :

الشيخ عبدالرحمن السعدي (١٣٧٦هـ) — رحمه الله حيث ذكر متابعا من سبقه من علماء السلف في تعريفه للإيمان ، ثم أورد الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة يقول — رحمه الله — : " إن من أصول أهل السنة والجماعة : أن الإيمان قول وعمل ؛ قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح . وقد دل

(١) النساء: ٩٢

(٢) الدرر : ١ / ٣٣٢-٣٣٣ ؛ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية : ٢ / ٢

على ذلك نصوص كثيرة في الكتاب والسنة...^(١) ويقول — يرحمه الله —
موضحاً شمولية الإيمان للدين أصوله وفروعه: "الإيمان اسم جامع لعقائد القلب
وأعماله وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان . فجميع الدين أصوله وفروعه داخل
في الإيمان." ويقول في موضع آخر مبيناً حقيقة الإيمان الشرعي عند السلف :

"الإيمان الشرعي عند السلف شامل للعقائد الدينية، وأعمال القلوب وأعمال
الجوارح، وفي هذا من النصوص ما لا يعد ولا يحصى"^(٢)

وفيما يختص بالعلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام قرر بأنهما إذا اجتمعا فإن
الإسلام ينصرف إلى الأعمال الظاهرة والإيمان إلى الأعمال الباطنة يقول —
يرحمه الله — بعد ذكره لمجموعة من النصوص في الإسلام والإيمان مجتمعان
ومتفرقان: "وعلى هذا فإن الإسلام والإيمان إذا أطلق أحدهما؛ شمل الدين كله
أصوله وفروعه، من اعتقاداته، وأقواله، وأفعاله . وأما إذا قرن بينهما وذكرهما معاً
؛ فعند ذلك يفترقان فيراد بالإسلام حينئذ الأعمال والأقوال الظاهرة، ويراد
بالإيمان الاعتقادات الباطنة"^(٣)

أما مسألة زيادة الإيمان ونقصانه فقد بين الشيخ بأن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد
بقوة الاعتقاد، وكثرته، وحسن الأعمال والأقوال، وكثرتها، وينقص بضد
ذلك^(٤)

وفي مسألة الاستثناء في الإيمان قال الشيخ — يرحمه الله — بعد أن عرف الإيمان
، وبين أنه أصل عظيم وأن أهل السنة والجماعة يعتقدون أنه قول وعمل واعتقاد
: "... ويرتبون على هذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان . فيصح أن يقول : أنا

(١) الشيخ عبدالرحمن اسعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبدالزاق العباد : ٣٠٣ وما بعدها

(٢) المصدر السابق : ٣٠٥ - ٣٠٦

(٣) المصدر السابق : ٣٠٦ وما بعدها

(٤) المصدر السابق : ٣٠٩ وما بعدها

مؤمن إن شاء الله ؛ لأنه يرجو من الله تكميل إيمانه فيستثنى من غير شك بحصول الإيمان " (١)

أما الشيخ **حافظ الحكمي** (ت ١٣٧٧هـ) فكان له جهد في هذا الباب بعد تقريره للمسائل السابقة المتعلقة بالإيمان ، ومن ذلك :

شرحه لأركان الإيمان في معارج القبول في قرابة المائتين وعشرين صفحة بحيث عرض هذه الأركان معتمداً على الكتاب والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة السنة. (٢) وذكر بعد ذلك ست مسائل تتعلق بمباحث الدين وهي: الإيمان يزيد وينقص ، وتفاضل أهل الإيمان ، وفاسق أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان، والعاصي لا يخلد في النار ، ولا يكفر المؤمن بالمعاصي إلا إذا استحلبها ، و التوبة إذا استكملت شروطها مقبولة من كل ذنب. (٣)

وقد قرر في ذلك كله معتقد أهل السنة والجماعة وطريقتهم . وأورد الأدلة الكثيرة على ذلك من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وما ثبت عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على طريقتهم من الأئمة رضي الله عن الجميع .

ومن المعاصرين أيضاً الشيخ **محمد الأمين الشنقيطي** (١٣٩٣هـ) يرحمه الله فقد عرّف الإيمان لغة بأنه التصديق في قوله : " أما الإيمان اللغوي : فهو يشمل كل تصديق ، فتصديق الكافر بأن الله ، هو الخالق الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغة مع كفره بالله ، ولا يصدق عليه اسم الإيمان شرعاً " ويقول — يرحمه الله — : " وكذلك الإسلام الموجود دون الإيمان في قوله تعالى : ﴿ قل لم تؤمنوا ولكن

(١) المصدر السابق : ٣١٠

(٢) معارج القبول لحافظ الحكمي : ٢ / ٤٨٣ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق : ٣ / ٨٤٤ وما بعدها

قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم»^(١) ؛ فهو الإسلام اللغوي ؛ لأن الإسلام الشرعي لا يوجد ممن لم يدخل الإيمان في قلبه والعلم عند الله تعالى " ^(٢) أما في الاصطلاح فقد قرر ما عليه أهل السنة والجماعة من أن الإيمان قول وعمل واعتقاد وأن ذلك هو الحق الذي لا شك فيه بقوله : " إن الحق الذي لا شك فيه الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة : أن الإيمان شامل للقول والعمل مع الاعتقاد ... " ^(٣)

ويوضح — يرحمه الله — العلاقة بين الإسلام والإيمان بقوله : " الإيمان إذا ذكر مفرداً : شمل الأعمال . وإذا ذكر معه العمل : انصرف إلى الإيمان الأكبر ؛ الذي هو الإيمان القلبي . والقلب هو موضع الإيمان ، والجوارح تبع له " ^(٤) أما في الفرق بين الإسلام والإيمان فقد قرر ما عليه أهل السنة والجماعة من أنهما إذا اجتمعا في اللفظ افترقا في المعنى فانصرف الإسلام إلى الأعمال الظاهرة والإيمان إلى الأعمال الباطنة وإذا افترقا في اللفظ اجتمعا في المعنى فيشمل كل واحد منهما الأعمال الظاهرة والباطنة . ^(٥)

وفي مسألة زيادة الإيمان ونقصانه قرر ما عليه أهل السنة والجماعة من أن الإيمان يزيد وينقص ؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . ^(٦) وأوضح بعد ذلك مسألة لها تعلق بزيادة الإيمان ونقصانه ألا وهي مراتب المؤمنين فقد بين أنهم ثلاثة أقسام :

(١) الحجرات: ١٤

(٢) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقريره عقيدة السلف لعبد العزيز الطويان : ٥٦٩/٢

(٣) المصدر السابق: ٥٧٠/٢

(٤) المصدر السابق: ٥٧١/٢

(٥) المصدر السابق: ٥٧٣/٢ وما بعدها

(٦) المصدر السابق: ٥٧٦/٢ وما بعدها

"الأول : الظالم لنفسه : وهو الذي يطيع الله ، ولكنه يعصيه أيضاً ، فهو الذي قال الله فيه ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ﴾^(١) والثاني: المقتصد : وهو الذي يطيع الله ولا يعصيه ، ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات

والثالث : السابق بالخيرات : وهو الذي يأتي بالواجبات ، ويجتنب المحرمات ، ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات التي هي غير واجبة . وهذا على أصح الأقوال في تفسير الظالم لنفسه والمقتصد والسابق " ^(٢)

جهود الشيخ حمود :

وبعد ذلك كله لنقف على جهود شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — في هذا المبحث من خلال تناول النقاط التالية :

(١) بيانه لحقيقة الفرق بين الإسلام والإيمان وذلك في معرض رده على القول بالتسوية بينهما وهو : " فإن قيل في قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من نبي ولا رسول إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾ ^(٣) فعطف بالنبي على الرسول بالواو المفيدة للمغايرة فكأن النبي غير الرسول ، ثم أجاب بأن هذا يقع كثيراً في القرآن والسنة يعطف بالشئ على الشئ ويراد بالتالي نفس الأول كما في قوله تعالى ﴿ إن المسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات ﴾ ^(٤) فغاير بينهما بحرف العطف ومعلوم أن

(١) التوبة : ١٠٢

(٢) المصدر السابق : ٥٧٩/٢ - ٥٨٢

(٣) الحج : ٥٢ .

(٤) الأحزاب : ٣٥ .

المسلمين هم المؤمنون والمؤمنين هم المسلمون فلا يقال فلان مسلم وليس بمؤمن ، ولا أنه مؤمن وليس بمسلم ؛ وإنما هو تنوع اسم والمسمى واحد " (١) وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على هذا الكلام موضحاً أن النبي ﷺ قد فرق بين الإسلام والإيمان كما في حديث جبريل المشهور ، ناقلاً لكلام العلماء على هذا الحديث وأن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان ، وأن القول بأفهما واحد هو قول الخوارج والمعتزلة ومن تبعهم وهو قول مخالف لظاهر القرآن والحديث ولما عليه جمهور أهل السنة والجماعة .

وقد نقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — في هذه المسألة وغيره من أكابر العلماء يقول — يرحمه الله — : " الوجه الرابع : أن النبي ﷺ فرق بين الإسلام والإيمان حين سأله جبريل عنهما وصدقه جبريل على ذلك ... ونقل النووي في شرح مسلم عن أبي عمرو بن الصلاح أنه قال : أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان . وأن كل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمناً . قال : وهذا تحقيق وافر بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون ، وما حققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم انتهى " (٢) .

(١) إتحاف الأحفياء برسالة الأنبياء : ٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ١ / ١٤٧ — ١٤٨ ؛ صيانة صحيح مسلم لأبي عمرو بن الصلاح : ١ / ١٣٥ ، ١٥٥ . هذه المسألة وهي عدم التفريق بين الإسلام والإيمان قال بها بعض السلف ، وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — في كتابه الإيمان يقول : " وقد أثبت الله في القرآن إسلاماً بلا إيمان في قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ الحجرات : ١٤ ... فهذا الإسلام الذي نفى الله عن أهله دخول الإيمان في قلوبهم ، هل هو إسلام يثابون عليه ؟ أم هو من جنس إسلام المنافقين ؟ فيه قولان مشهوران للسلف والخلف : أحدهما : أنه إسلام يثابون عليه ، ويخرجهم من الكفر والنفاق ، وهذا مروي عن الحسن ، وابن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، وأبي جعفر الباقر ، وهو قول حماد بن زيد ، وأحمد بن حنبل ، وسهل بن عبدالله التستري ، وأبي طالب المكي ، وكثير من أهل الحديث والسنة والحقائق ... والقول الثاني : أن هذا الإسلام : هو الاستسلام خوف

السيي و القتل ، مثل إسلام المنافقين ، قال : و هؤلاء كفار ، فإن الإيمان لم يدخل في قلوبهم ، و من لم يدخل الإيمان في قلبه فهو كافر ، وهذا اختيار البخاري ، و محمد بن نصر المروزي ، و السلف مختلفون في ذلك ... و الذين قالوا : إن هذا الإسلام هو كإسلام المنافقين ، لا يثابون عليه ، قالوا : لأن الله نفى عنهم الإيمان ، و من نفى عنه الإيمان فهو كافر . وقال هؤلاء : الإسلام هو الإيمان ، و كل مسلم مؤمن ، و كل مؤمن مسلم ، و من جعل الفساق مسلمين غير مؤمنين ، لزمه أن لا يجعلهم داخلين في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ و في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ﴾ و أمثال ذلك ؛ فإنهم إنما دعوا باسم الإيمان ، لا باسم الإسلام ، فمن لم يكن مؤمناً لم يدخل في ذلك .

و جواب هذا أن يقال : الذين قالوا من السلف : إنهم خرجوا من الإيمان إلى الإسلام ، لم يقولوا : إنه لم يبق معهم من الإيمان شيء ، بل هذا قول الخوارج و المعتزلة . و أهل السنة الذين قالوا هذا ، يقولون : الفساق يخرجون من النار بالشفاعة ، وإن معهم إيماناً يخرجون به من النار ، لكن لا يطلق عليهم اسم الإيمان ... و أما الخوارج و المعتزلة ، فيخرجون من اسم الإيمان و الإسلام ، فإن الإيمان و الإسلام عندهم واحد ؛ فإذا خرجوا عندهم من الإيمان خرجوا من الإسلام " ص ٢٢٥ — ٢٢٩ و يقول ناقلاً عن الشالنجي : " قلت لأبي عبدالله : تفرق بين الإسلام و الإيمان ؟ فقال : قد اختلف الناس فيه ، و كان حماد بن زيد زعموا يفرق بين الإيمان و الإسلام ، قيل له : من المرجئة ؟ قال : الذين يقولون : الإيمان قول بلا عمل . قلت : قلت : فأحمد بن حنبل لم يرد قط أنه سلب جميع الإيمان ، فلم يبق معه منه شيء ، كما تقوله الخوارج و المعتزلة ، فإنه قد صرح في غير موضع : بأن أهل الكبائر معهم إيمان يخرجون به من النار ... " ص ٢٤٣ و يقول : " و قد صار الناس في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال : قيل : هو الإيمان و هما اسمان لمسمى واحد ، وقيل : هو الكلمة ، وهذان القولان لهما وجه سندكره ، لكن التحقيق ابتداءً هو ما بينه النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام و الإيمان ، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ، و الإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة ، فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام و الإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ ، واما إذا أفرد اسم الإيمان ، فإنه يتضمن الإسلام ، و إذا أفرد الإسلام ، فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع ، وهذا هو الواجب ... " ص ٢٤٦ ثم تحدث طويلاً في التفريق بين الإسلام و الإيمان ٢٤٦ — ٢٧١ ثم نقل كلاماً عن محمد بن نصر قال فيه : " و استدلووا على أن الإيمان هو ما ذكره بالآيات التي تلونها عن ذكر تسمية الله الصلاة و سائر الطاعات إيماناً و إسلاماً و ديناً ... " ثم قال أبو عبدالله محمد بن نصر : " اختلف أصحابنا في تفسير قول النبي ﷺ : ﴿ لا يزي الزاني حين يزني و هو مؤمن ﴾ فقالت طائفة منهم إنما أراد النبي ﷺ إزالة اسم الإيمان عنه من غير أن يخرج من الإسلام ، ولا يزيل عنه اسمه ، و فرقوا بين الإسلام و الإيمان ... و قالت طائفة أخرى من أصحاب الحديث بمثل مقالة هؤلاء إلا أنهم سموه مسلماً لخروجه من ملل الكفر و لإقراره بالله ، و بما قال و لم يسموه مؤمناً ، وزعموا أنهم مع تسميتهم إياه بالإسلام كافر ، لا كافر بالله ، ولكن كافر من طريق العمل ... " ص ٣٠٠ — ٣٠٧ و نقل كلاماً لابن عبد البر قال فيه : " وقد قال قائلون : إن الإيمان هو الإسلام ، وهذا قد أذهب التفاوت والمقامات ، وهذا يقرب من مذهب المرجئة ، و

(٢) تحدث الشيخ — يرحمه الله — عن مسألة الفرق بين الإيمان المطلق ، ومطلق الإيمان^(١) ، وبين أن الوقوع في المعاصي كالزنى مثلاً يسلب الإيمان المطلق ، ولا يسلب مطلق الإيمان ؛ فأصل الإيمان باقٍ مع العاصي ، وكمال الإيمان منتفٍ عنه وقد نقل بعد ذلك كلاماً للإمام ابن القيم — يرحمه الله — حول سلب الإيمان

قال آخرون : إن الإسلام غير الإيمان و هؤلاء قد ادخلوا التضاد و التغير ، وهذا قريب من قول الإباضية ، فهذه مسألة مشكلة تحتاج إلى شرح و تفصيل ، فمثل الإسلام من الإيمان ، كمثل الشهادتين إحداها من الأخرى في المعنى والحكم ... كذلك الإيمان و الإسلام أحدهما مرتبط بالآخر ، فهما كشيء واحد ، لا إيمان لمن لا إسلام له ، ولا إسلام لمن لا إيمان له ، إذ لا يخلو المسلم من إيمان يصح به إسلامه ، ولا يخلو المؤمن من إسلام به يحقق إيمانه ... " ص ٣١٦ و نقل بعد ذلك كلاماً للإمام الخطابي قال فيه : " ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة ، فأما الزهري فقال : الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل ، واحتج بالآية ، وذهب غيره إلى أن الإسلام و الإيمان شيء واحد ... " ص ٣٤٢ و قد ذكر الخطابي خلافاً بين رجلين من أهل العلم في هذه المسألة و قد سمى شيخ الإسلام أحدهما و هو محمد بن نصر فقال : " أظن أحدهما وهو السابق ، محمد بن نصر ، فإنه الذي علمته بسط الكلام في أن الإسلام و لإيمان شيء واحد من أهل السنة و الحديث ، وما علمت لغيره قبله بسطاً في هذا ... و الذي اختاره الخطابي هو قول من فرق بينهما ، كأبي جعفر ، وحماد ابن زيد ، و عبدالرحمن بن مهدي ، وهوقول أحمد بن حنبل ، وغيره ، وما علمت أحداً من المتقدمين يخالف هؤلاء ، فجعل نفس الإسلام نفس الإيمان ، و لهذا كان عامة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء كما ذكره الخطابي " ص ٣٤٣ قلت : نخلص من ذلك كله أن هناك من السلف من قال بأن الإسلام والإيمان شيء واحد و لم يفرق بينهم وإن كانوا في ذلك بكل تأكيد يختلفون فيما يقصدونه من عدم التفريق عما تقصده الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون مرتكب الكبيرة كون الإيمان عندهم لا يتجزأ .

و بناء على ما سبق فالذي يظهر و العلم عند الله تعالى بأن قول ابن محمود — يرحمه الله — في التسوية بين الإسلام والإيمان إنما هو موافق لمن قال به من السلف كمحمد بن نصر وغيره و إن كان القول الراجح بخلاف ذلك كما بينه شيخ الإسلام ، ولكن المقصود أن ابن محمود في كلامه لا يوافق كلام الخوارج والمعتزلة ، ومن باب أولى من سبقه من الأئمة في هذا القول .

(١) الفرق كما بينه الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ — يرحمه الله — ص ٣١٥ ومن ذلك قوله : " فكل ما نقص من الأعمال التي لا يخرج نقصها من الإسلام ؛ فهو نقص في كمال الإيمان الواجب . فالمنفي في حديث : ﴿ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ﴾ وغيره من الأحاديث هو كمال الإيمان الواجب أو ما يقال له مطلق الإيمان فلا يطلق على هؤلاء الإيمان إلا مقيداً بالمعصية أو بالفسوق ، أما المؤمن الإيمان المطلق أي الغير مقيد ؛ فهو الذي أتى بما يستطيعه من الواجبات ، مع تركه لجميع الحرمات " .

المطلق عن الزاني حين يزني كما في الحديث ولا يسلب عنه مطلق الإيمان يقول — يرحمه الله — : " وقد عقد ابن القيم — رحمه الله تعالى — في كتابه (روضة المحبين) فصلاً ذكر فيه أن الزنى يجمع خلال الشر كلها ثم ذكر أنواعاً مما فيه الشر — إلى أن قال — ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال ﴿ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ﴾ ^(١) فسلبه اسم الإيمان المطلق ، وإن لم يسلب عنه مطلق الإيمان ، وسئل جعفر بن محمد عن هذا الحديث : فخط دائرة في الأرض وقال : هذه دائرة الإيمان ، ثم خط دائرة أخرى خارجة عنها ، وقال : هذه دائرة الإسلام . فإذا زنى العبد ؛ خرج من هذه ولم يخرج من هذه ، ولا يلزم من ثبوت جزء ما من الإيمان له أن يسمى مؤمناً ^(٢) ، كما أن الرجل يكون معه جزء من العلم والفقه ؛ ولا يسمى به عالماً فقيهاً ، ومعه جزء من الشجاعة والجود ولا يسمى بذلك شجاعاً ولا جواداً ، وكذلك يكون معه شيء من التقوى ، ولا يسمى متقياً ونظائره ، فالصواب إجراء الحديث على ظاهره ولا يتأول بما يخالف ظاهره والله أعلم انتهى ^(٣) .

(٣) حديثه عن مسألة الاستثناء في الإيمان حيث قرر الشيخ — يرحمه الله — الاستثناء في مسألة الإيمان وأن هذا ما ذهب إليه كثير من علماء السلف وأوضح حقيقة هذا الاستثناء في الإيمان كما بينها الإمام الآجري — يرحمه الله — وهي : أن هذا الاستثناء ليس على جهة الشك — والعياذ بالله — بل هو خوف من التزكية للنفس بأنها قد استكملت الإيمان ؛ لأن العبد لا يدري إن كان ممن

^(١) أخرجه البخاري في المظالم والغصب برقم : ٢٢٩٥ ، ومسلم في الإيمان برقم : ٨٧ .

^(٢) يعني بذلك والله أعلم أنه لا يسمى مؤمناً الإيمان المطلق ، أما مطلق الإيمان فهو يتسمى به كما هو معتقد أهل السنة والجماعة أنه مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته والإيمان يزيد وينقص كما هو متقرر ومعلوم من النصوص الشرعية .

^(٣) انظر : روضة المحبين ٣٥٩ .

يستحق حقيقة الإيمان أم لا ؟ . كل ذلك في معرض رده على قول الشيخ عبدالله ابن محمود — يرحمه الله — بالجزم بالإيمان بدون استثناء فقد بين الشيخ — يرحمه الله — سقوط الحديثين اللذين استدل بهما ابن محمود . وأن المعتمد في هذا ما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره من أكابر العلماء : من إنكار الجزم بالإيمان بدون استثناء . يقول الشيخ — يرحمه الله — : " الوجه السابع : أن ابن مسعود رضي الله عنه عاب على الذين أدعوا لأنفسهم الإيمان ، قال عبدالله بن الإمام أحمد في (كتاب السنة) : حدثني أبي حدثنا يحيى حدثنا شعبة حدثني مغيرة عن أبي وائل قال : قال رجل : عند عبدالله إني مؤمن . قال : قل إني في الجنة . إسناده صحيح على شرط الشيخين^(١) . . . وهذا القول من ابن مسعود رضي الله عنه ظاهر في التفريق بين مسمى الإسلام ومسمى الإيمان ؛ لأنه عاب على الذين قالوا : إنهم مؤمنون ، ولم ينقل عنه ولا عن غيره من العلماء أنهم عابوا على من قال : إنه مسلم ؛ فدل على أن الإسلام والإيمان متغايران . وقد كان كثير من علماء السلف يرون الاستثناء في الإيمان ، ويعيرون على من لا يستثني ، قال عبدالله بن الإمام أحمد في (كتاب السنة) : حدثني أبي حدثنا علي بن بحر سمعت جرير بن عبد الحميد يقول : الإيمان قول وعمل قال : وكان الأعمش ومنصور ومغيرة وليث وعطاء بن السائب وإسماعيل بن أبي خالد وعمارة ابن القعقاع والعلاء بن المسيب وابن شبرمة وسفيان الثوري وأبو يحيى صاحب الحسن وحمزة الزيات يقولون : نحن مؤمنون إن شاء الله ، ويعيرون على من لا يستثني^(٢) . وقد رواه أبو بكر الآجري في كتاب

(١) كتاب السنة : ١ / ٣٢٦ ؛ وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الإيمان : ١١ / ٢٨ ؛ وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد للطبراني : ١ / ٥٥ وقال : رجاله ثقات ؛ وأخرج نحوه أبو عبيد في الإيمان : ٦٧ وعلق عليه الألباني بأن رجال إسناده ثقات إلا أنه منقطع بين الحسن وابن مسعود . (تخريج أثر رقم : ٦٥٥ .

(٢) السنة : ١ / ٣٣٥ .

(الشريعة) عن أبي نصر محمد بن كردي عن المروزي عن الإمام أحمد فذكره بمثله^(١) ... وروى القاضي أبو الحسين في طبقات الحنابلة عن محمد بن الحسن ابن هارون بن بدينا قال: سألت أبا عبدالله — يعني أحمد بن حنبل — عن الاستثناء في الإيمان فقال: نعم، قد استثنى ابن مسعود وغيره، وهو قول الثوري؛ استثناء على غير شك مخافة واحتياطاً للعمل، قال أبو عبدالله، قال الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ﴾^(٢) قال أبو عبدالله: قال النبي ﷺ: ﴿إِنِّي لأرجو أن أكون أتقاكم لله﴾^(٣) " (٤).

وذكر القاضي أبو الحسين أيضاً في ترجمة عيسى بن جعفر الوراق قال: قال عيسى سألت أبا عبدالله عن الاستثناء في الإيمان فقال: أذهب فيه إلى قول الله عز وجل ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ فقد علم أنهم داخلون واستثنى، وإلى قوله عز وجل ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^(٥) وقول النبي ﷺ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ﴾^(٦) فقد علم النبي ﷺ أنه لاحق بهم واستثنى. (٧)

ويقول الشيخ — يرحمه الله —: "قال أبو بكر الآجري في كتاب (الشريعة): من صفة أهل الحق الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشك نعوذ بالله من الشك في الإيمان، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟ وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا

(١) الشريعة للآجري: ٢ / ٦٦٣.

(٢) الفتح: ٢٧.

(٣) أخرجه مسلم في الصيام برقم: ١٨٦٨.

(٤) طبقات الحنابلة: ١ / ٢٨٩.

(٥) يوسف: ٩٩.

(٦) أخرجه مسلم في الطهارة برقم: ٣٧٦ والجنائز برقم: ١٦١٨.

(٧) طبقات الحنابلة: ١ / ٢٤٨.

سُئِلُوا : أمؤمن أنت ؟ قال : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وأشباه هذا ، فالناطق بهذا والمصدق بقلبه مؤمن ، وإنما الاستثناء في الإيمان لا يدري أهو ممن يستوجب ما نعت الله عز وجل به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا ؟ هذا طريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ، عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق بالقلب ، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان ، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون ، به يتوارثون ، وبه يتناكحون ، وبه تجري أحكام ملة الإسلام ؛ ولكن الاستثناء منهم على حسب ما بيننا وبينه العلماء من قبلنا . قال الله عز وجل : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ ^(١) وقد علم الله عز وجل أنهم داخلون ، وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم المقبرة فقال ﴿ السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ﴾ ^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله ﴾ ^(٣) .

قال محمد بن الحسين : وهذا مذهب كثير من العلماء ، وهو مذهب أحمد بن حنبل . واحتج أحمد بما ذكرنا ، واحتج بمسألة الملكين في القبر للمؤمن ، ومجاوبتهما له فيقولان له ﴿ على اليقين كنت ، وعليه مت وعليه تبعث يوم القيامة إن شاء الله تعالى ويقال للكافر والمنافق على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله ﴾ ^(٤) ^(٥) . فإن قيل فقد روى ابن المبارك في الزهد عن معمر بن صالح ابن مسمار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحارث بن مالك الأنصاري : ﴿ يا حارث بن مالك كيف أصبحت ؟ ﴾ قال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال :

(١) الفتح : ٢٧ .

(٢) سبق تخريجه انظر : ص ٣٦٥ .

(٣) سبق تخريجه انظر : ص ٣٦٥ .

(٤) أخرجه أحمد برقم : ٢٣٩٣ ؛ وابن ماجة في الزهد برقم : ٤٢٥٨ . وقال عنه الألباني : صحيح كما

في صحيح سنن ابن ماجة برقم : ٣٤٤٣ .

(٥) الشريعة : ١ / ٦٥٦ — ٦٥٨ .

﴿ إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ ﴾ قال : عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظلمات فها ري وكأني أنظر إلى عرش ربي ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أسمع عواء أهل النار فقال ﴿ مؤمن نور الله قلبه ﴾ ^(١) وروى أبو أحمد العسكري من طريق أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان الداراني سمعت شيخنا بساحل دمشق يقال له : علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث قال : " وفدت على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي فأعجبه سمعنا وهدينا ، قال ﴿ ما أنتم ﴾ قلنا : مؤمنون ، قال : ﴿ فما حقيقة إيمانكم ﴾ قلنا خمس عشرة خصلة ، خمس أمرتنا بها رسولك أن نؤمن بها ، وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية ، فذكر الحديث بطوله ، وقد ساقه ابن كثير في (البداية والنهاية) فقال : ذكر أبو نعيم في كتاب (معرفة الصحابة) والحافظ أبو موسى المديني من حديث أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان الداراني قال : حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال : حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث فذكره ^(٢) ، قد أورد ابن محمود هذين الحديثين في بعض رسائله ، واعتمد عليهما في الجزم بالإيمان بدون استثناء ، وقال في الكلام على حديث الحارث بن مالك الأنصاري : فلم ينكر النبي ﷺ جزمه بإيمانه بدون استثناء ، وقال في الكلام على حديث سويد بن الحارث : أن النبي ﷺ أقرهم على الجزم بالإيمان ، ولم ينكر عليهم . والجواب : أن يقال : كل من الحديثين منكر لا يصلح للاستشهاد به ، فضلاً عن الاحتجاج به ، فأما حديث الحارث بن مالك الأنصاري فقال الحافظ ابن حجر

^(١) الزهد لابن المبارك : ١٠٦ ح ٣١٤ . قال ابن الوراق : قال ابن صاعد : ولا أعلم صالح بن مسمار أسند إلا حديثاً واحداً . قال المحقق حبيب الرحمن الأعظمي : زاد الحافظ عن ابن صاعد : وهذا الحديث لا يثبت موصلاً .

^(٢) البداية والنهاية : ٧ / ٣٧٠ ؛ وأخرجه أبو نعيم في الحلية : ٩ / ٢٧٩ .

في (الإصابة) : هو معضل^(١)، قال : ورواه البيهقي في الشعب من طريق يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف جداً ، قال البيهقي : هذا منكر . وقال ابن صاعد : هذا الحديث لا يثبت موصولاً انتهى^(٢) . . . وأما حديث علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي فهو أضعف مما قبله . قال الحافظ الذهبي في الميزان : علقمة بن يزيد بن سويد عن أبيه عن جده لا يعرف وأتى بخبر منكر فلا يحتج به^(٣) .

وكذا قال الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان)^(٤) . وإذا علم سقوط الحديثين اللذين احتج بهما ابن محمود على الجزم بالإيمان بدون استثناء ؛ فليعلم أيضاً أن المعتمد في هذا ما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره من أكابر العلماء من إنكار الجزم بالإيمان بدون استثناء وليس مع من خالفهم دليل يصلح لمعارضتهم " ^(٥)

(٤) حديثه عن مسألة زيادة الإيمان ونقصانه وتقريره ما عليه معتقد أهل السنة والجماعة من أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . فقد أوضح الشيخ — يرحمه الله — بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ومن أعظم الطاعات التي تزيد في الإيمان والأعمال الصالحة تصديق النبي ﷺ في كل ما أخبر به من أنباء الغيب ، كما أن التكذيب ينقص الإيمان وربما أحبط الأعمال الصالحة كلها، وأن ذلك التكذيب من أعظم المعاصي والعياذ بالله . وأن من الأمور ما يدل على قوة الإيمان في قلب العبد ومن ذلك الأخذ بالأحاديث الصحيحة وتعظيمها وضده دليل على ضعف الإيمان أو عدمه بالكلية. يقول الشيخ — يرحمه الله — : " يزيد

^(١) الحديث المعضل : هو الذي سقط من إسناده اثنان فصاعداً مع التوالي . انظر : النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر ١١٢ .

^(٢) الإصابة في تمييز الصحابة : ١ / ١٧٤ ت : ١٤٠٧٥ ؛ شعب الإيمان للبيهقي : ٧ / ٣٦٢ وقد قال البيهقي : " هذا منقطع "

^(٣) ٣ / ١٠٨ ت : ٥٧٦٢ .

^(٤) ٤ / ١٨٨ ت : ٥٠١ .

^(٥) فتح المعبود : ١٧٦ — ١٨٥

الإيمان بالطاعة وينقص بالمعصية، ومن أعظم الطاعات تصديق النبي ﷺ في كل ما أخبر به من أنباء الغيب مما مضى وقوعه، وما سيقع بعد، ومن أعظم المعاصي تكذيب ما أخبر به رسول الله ﷺ، ورد الأحاديث الثابتة عنه. " (١)

ويقول — يرحمه الله —: "التصديق بما أخبر به النبي ﷺ يزيد في الإيمان وفي صالح الأعمال بلا شك، كما أن التكذيب بما أخبر به النبي ﷺ ينقص الإيمان، وربما أحبط الأعمال الصالحة كلها" (٢)

ويقول — يرحمه الله —: "والأخذ بالأحاديث الصحيحة وتعظيمها؛ دليل على قوة الإيمان في قلب العبد. والتهاون بها ونبذها وإطراحها؛ دليل على ضعف الإيمان، أو عدمه بالكلية قال الله تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ (٣) فأقسم سبحانه بنفسه الكريمة المقدسة على نفي الإيمان عمن لم يحكم الرسول ﷺ عند التنازع، ويرض بحكمه ويطمئن إليه قلبه ولا يجد في نفسه حرجاً مما قضى به ويسلم له تسليماً وينقاد له ظاهراً وباطناً. " (٤)

(٥) بيان الشيخ — يرحمه الله — لحقيقة الإيمان وأنه ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل كما جاء في الحديث يقول الشيخ — يرحمه الله —: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدفته الأعمال" (٥)، وأن الإيمان المشروع مبني على ستة أركان قد جاء بيانها في سؤال جبريل وهو الذي يملأ قلوب المؤمنين في كل زمان ومكان ومن زاد

(١) الاحتجاج بالأثر: ١٢٥-١٢٦

(٢) المصدر السابق: ١١٩

(٣) النساء: ٦٥.

(٤) الرد القويم: ٢٢؛ تغليظ الملام: ٩٥.

(٥) إيضاح المحجة: ٩٣.

عليه شيء فزيادته مردودة عليه يقول — يرحمه الله — : "الإيمان المشروع مبني على ستة أركان قد جاء ببيانها في سؤال جبريل حيث قال للنبي ﷺ : "أخبرني عن الإيمان ؟ فقال رسول الله ﷺ ﴿ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ قال : صدقت " ^(١) رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن وغيرهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . فهذا الإيمان الذي نص عليه رسول الله ﷺ وصدقه عليه جبريل هو الذي يملأ قلوب المؤمنين في كل زمان ومكان ، ومن زاد عليه شيئاً لم يأمر به الله ولا رسوله ﷺ فزيادته مردودة عليه ؛ لأنها من الشرع الذي لم يأذن به الله " ^(٢) . وأن الواجب على المسلم أن يؤمن بما جاء في الكتاب والسنة من أخبار الغيوب الماضية والآتية حتى وإن خفي عليه الأمر أو لم يحتمله عقله ، وأنه هو الذي يعطي الراحة والفرح والأمان والاطمئنان والسلامة من الزعازع والافتتان ، وأن الله تعالى قد فرض الإيمان به وبرسوله ﷺ ومن الإيمان بالله وبرسوله ﷺ الإيمان بكل ما ثبت من الأوامر والنواهي والأخبار ، وأن هذا هو حال أهل الإيمان وأنهم لا يدعون شيئاً مما ثبت إلا لحديث آخر يخالفه فيأخذون بالأصح أو الجمع إن أمكن ذلك يقول — يرحمه الله — : " كل ما ثبت عن النبي ﷺ أنه أخبر بوقوعه فيما مضى قبله أو أخبر أنه سيقع فيما بعده ؛ فالإيمان به واجب وهو من عقائد المسلمين " ويقول : " أن الذي يعطى القلوب الراحة والفرح والاطمئنان والسلامة من الزعازع والافتتان ؛ هو الإيمان بكل ما جاء عن الله تعالى ، وبكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ ، والبعد عن الشكوك والأوهام فيما أخبر الله به ورسوله ﷺ من أنباء الغيب مما كان وما سيكون " ^(٣)

^(١) سبق تخريجه انظر :

^(٢) الصارم البتار : ١٩٠

^(٣) الاحتجاج بالأثر : ٢١٧، ١٨٥-٢١٨

و يقول : " إذا كان المؤلف لا يصدق بالأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ مما خرجته البخاري في صحيحه وما خرجته غيره من أهل الصحاح والسنن والمسانيد ، ويزعم أنها أحاديث إسرائيلية ، وأنها تخالف كلام الله وهدى رسوله ﷺ فأهل الإيمان على خلاف ما هو عليه ؛ فهم يؤمنون بكل ما ثبت عن النبي ﷺ ولا يردون من ذلك شيئاً ولا يتركون من الأحاديث الصحيحة شيئاً إلا حديثاً جاء عن النبي ﷺ آخر يخالفه ؛ فيأخذون بالأصح منهما ، أو يجمعون بينهما إذا أمكن الجمع " ^(١) كما أوضح الشيخ — يرحمه الله — بأن الذي يؤمن بما جاء في القرآن الكريم ولا يؤمن بما ثبت عن النبي ﷺ فهو من الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله يقول — يرحمه الله — : " ومن آمن بما جاء في القرآن ، ولم يؤمن بما ثبت عن النبي ﷺ ؛ فهو من الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله قال الله تعالى ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ﴾ أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ ^(٢) " ^(٣) ، وأن كمال الإيمان يقضي بالمسارعة إلى القبول والتسليم لما جاء عن رسول الله ﷺ .

وبين أن السعادة بالنبي ﷺ حقاً تعني إثبات الإيمان ونفي الكفر وذلك في معرض رده على الزعم بأنه قد سعد بالنبي ﷺ كل موجود يقول الشيخ — يرحمه الله — : " وهذا الإطلاق خطأ كبير لأنه يلزم منه إثبات الإيمان لجميع الإنس والجن ونفي الكفر عن الكافرين منهم وهم الأكثرون . وهذا خلاف ما أخبر الله به في

^(١) الرد القويم : ٣٥ .

^(٢) النساء : ١٥٠ — ١٥٢ .

^(٣) الرد القويم : ٥٤ .

آيات كثيرة من القرآن كقوله تعالى ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾^(٢)... إلى غير ذلك من الآيات الدالة على قلة السعداء وكثرة الأشقياء ، ولو كان الموجودون كلهم قد سعدوا بالنبي ﷺ كما قد زعم ذلك الذين يهرفون بما لا يعرفون ؛ لكان الناس كلهم على الإسلام والإيمان ، وكانوا جميعاً من أهل الجنة ...^(٣)

ورد الشيخ — يرحمه الله — على من زعم أن الإيمان هو القول وأن الأعمال شرائع وبين بأنه مرجيء^(٤) ، وكذلك القول بأن الإيمان يزيد ولا ينقص فهو قول المرجئة ، ومن لم ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجيء . وكذلك من زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة .

يقول الشيخ — يرحمه الله — : " ومن زعم أن الإيمان هو القول ، والأعمال شرائع ؛ فهو مرجيء . ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص ؛ فقد قال بقول

^(١) يوسف : ١٠٣ .

^(٢) الفرقان : ٤٤ .

^(٣) الرد القوي : ٦٣-٦٤ .

^(٤) الإرجاء : يقول الإمام محمد بن جرير الطبري في تهذيب الآثار : المرجئة هم قوم موصوفون بإرجاء أمر مختلف فيما ذلك الأمر ؟ فأما إرجاؤه فتأخيره ، وهو من قول العرب : أرجأ فلان هذا الأمر فهو يرجئه إرجاء فأما الأمر الذي بتأخيره سميت المرجئة مرجئة ؛ فإن ابن عيينة كان يقول فيما حدثني عبدالله بن عمير الرازي قال : سئل ابن عيينة عن الإرجاء ؟ فقال : الإرجاء على وجهين : قوم أرجوا أمر علي وعثمان ، فقد مضى أولئك . فأما المرجئة اليوم فهم يقولون : الإيمان قول بلا عمل . فلا تجالسوهم ولا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصلوا معهم ولا تصلوا عليهم " . ٢ / ١٨١ . وانظر لمزيد من البيان : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي للدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي .

المرجئة . ومن لم ير الاستثناء في الإيمان ؛ فهو مرجيء . ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجيء^(١) .

وأخيراً فقد أكد الشيخ — يرحمه الله — على ما جاء في الحديث من أن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله يقول — يرحمه الله — : " والحب في الله والبغض في الله والموالاتة في الله والمعاداة في الله من أهم أمور الدين وأوثق عرى الإيمان ... وروى الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : " كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال : ﴿ أي عرى الإسلام أوثق ﴾ قالوا : الصلاة قال : ﴿ حسنة وما هي بها ﴾ قالوا : صيام رمضان قال ﴿ حسن وما هو به ﴾ قالوا : الجهاد قال ﴿ حسن وما هو به ﴾ قال : ﴿ إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله ﴾^(٢) ورواه أبو داود الطيالسي وابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الإيمان بنحوه^(٣) " (٤)

^(١) سجل رقم (٥) : ص ٩ تعليق على طبقات الخنابلة عند تعليق في الحاشية على كلام لأحمد عبيد يقول فيه : " لا يصح الإطلاق في رمي القائلين بهاته الأقوال بالإرجاء ؛ لأن الماتريدية وكثير من الأشاعرة يرون أن الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق باللسان ويجعلون العمل من الشرائع لا من الإيمان . وذهب مشايخ الحنفية إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وإلى أنه لا يصح الاستثناء في الإيمان . وهم يرون أن الإيمان واحد وأهله في أصله سواء ، والتفاضل بالخشية والتقوى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى " .

^(٢) أخرجه أحمد برقم : ١٧٧٩٣ وهو بلفظ : ﴿ أي عرى الإسلام أوسط ﴾ .

^(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود برقم : ٣٧٨ بلفظ : ﴿ الولاية في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله ﴾ ؛ وابن أبي شيبة في مصنفه برقم : ٣٤٣٣٨ ؛ والبيهقي في السنن الكبرى : ١٠ / ٢٣٣ ؛ وفي شعب الإيمان : ١١ / ٤٦ . وقال عنه الألباني : حسن لغيره كما في صحيح الترغيب والترهيب برقم : ٣٠٣٠ .

^(٤) تحفة الإخوان : ٣١-٣٢ .

والله اعلم :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله في هذا المبحث يتمثل في :
استناده — يرحمه الله — على أدلة الكتاب والسنة وأقوال الأئمة في التفريق بين
الإسلام والإيمان وأتھما يجتمعان ويفترقان .

وكذلك الحال في التفريق بين الإيمان المطلق و مطلق الإيمان . هذا من ناحية ومن
ناحية أخرى فهو يقرر الاستثناء في الإيمان على طريقة السلف وهذا الاستثناء
متعلق بالتركية لا الشك .

كما نجده — يرحمه الله — يقرر زيادة الإيمان ونقصانه، وأنه ليس بالتحلي ولا
بالتمني ولكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل . وهو مع ذلك كله يرد على من
خالف هذه المسائل مفنداً للشبه موضحاً للحق بدليله متبعاً لمنهج السلف الصالح
رضوان الله عليهم أجمعين .

والجدير بالذكر أنه قد سبقه في بيان هذه المسائل العلماء السابقون والمعاصرون له
لكنه أضاف إلى ذلك المزيد من البيان والإيضاح وحشد العديد من الأدلة
والنقولات عن السلف الصالح — رحم الله الجميع — .

المبحث الثاني: الإيمان بالله عز وجل وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: التوحيد والتمسك به

خلق الله عز وجل الثقلين لعبادته سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ^(١) والعبادة تعني التذلل بالطاعة لله عز وجل ، ومن طاعته أن يُوحَّد سبحانه وتعالى ؛ فهذه هي الحكمة من خلق الجن والإنس . يقول الإمام ابن القيم — يرحمه الله —: "... إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به ، داعية إليه . فإن القرآن : إما خبر عن الله ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ فهو التوحيد العملي الخيري . وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع كل ما يعبد من دونه ؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي . وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره ؛ فهي حقوق التوحيد ومكملاته . وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيد وطاعته ، وما فعل بهم في الدنيا ، وما يكرمهم به في الآخرة ؛ فهو جزاء توحيد . وإما خبر عن أهل الشرك ، وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبى من العذاب ؛ فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد " ^(٢)

والتوحيد في اللغة : الإيمان بالله وحده لا شريك له . والله الواحد الأحد . قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر

^(١) الذاريات : ٥٦ .

^(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٤٦٨/٣ — ٤٦٩

وقال الأزهري : وأما اسم الله عز وجل أحد فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره. (١)

فالتوحيد مصدر وحد يوحد توحيداً ، أي : جعله واحداً ، وسمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له ، ووحد في ذاته وصفاته لا نظير له ، ووحد في إلهيته وعبادته لا ند له ، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله . (٢)

والتوحيد في الشرع : إفراد الله ﷻ بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات . وهو ينقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة :

١ — توحيد الربوبية ٢ — توحيد الألوهية ٣ — توحيد الأسماء والصفات

وقد اجتمعت هذه الأقسام الثلاثة في قوله تعالى : ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾ (٣) فهذه الأقسام الثلاثة مأخوذة من خلال التتبع والاستقراء للنصوص. (٤)

ولنتعرف على جهود شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — في بيان هذا المطلب ولكن قبل ذلك لنستعرض نماذج من جهود العلماء السابقين والمعاصرين له ؛ ليتضح من خلال ذلك — بإذن الله تعالى — تميز ما قام به من جهد الشيخ — يرحمه الله — .

(١) انظر لسان العرب لابن منظور : ٤٥٠/٣ — ٤٥١ ، والمصباح المنير للفيومي : ٦٥٠/٢ .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله ص ٣٢ .

(٣) مريم : ٦٥

(٤) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن عثيمين ١/١١ ، وانظر للتقسيم التدمرية لشيخ الإسلام : ٤ — ٥ ؛ مدارج السالكين لابن القيم : ٣٣/١ .

جهود السابقين

من العلماء السابقين لشيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع — ممن كان لهم جهد مشكور في بيان هذا المطلب :

إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١١٧٩هـ) — رحمه الله والذي يقول في جواب له موضحاً رأس الأمر وأساسه في هذا الدين وهو إخلاص الدين لله عز وجل : " والذي قلب الناس علينا : الذي قلبهم على سيد ولد آدم ﷺ وقلبهم على الرسل من قبله ^(١) ﴿ كلما جاء أمة رسولها كذبوه ﴾ ^(٢) ومثل ما قال ورقة للنبي ﷺ : " والله ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي " ^(٣) ؛ فرأس الأمر عندنا وأساسه : إخلاص الدين لله ، نقول : ما يدعى إلا الله ، ولا ينذر إلا لله ، ولا يذبح قربان إلا لله ، ولا يخاف خوف الله إلا من الله ، فمن جعل شيئاً من هذا لغير الله ، فنقول : هذا الشرك بالله ، الذي قال الله فيه : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ ^(٤) " ^(٥)

ويقول — رحمه الله — في موضع آخر موضحاً حقيقة التوحيد وأنه دين الرسل الذي أرسلوا به جميعاً : " واعلم أن التوحيد هو : إفراد الله سبحانه بالعبادة ،

^(١) يعني بذلك — رحمه الله — أن كل من دعا إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ، وأراد تصحيح عقائد الناس ؛ كانت هذه الدعوة سبباً في إنقاذهم عليه .

^(٢) المؤمنون : ٤٤ .

^(٣) سيرة ابن هشام : ١ — ٤ / ٢٢٩ .

^(٤) النساء : ٤٨ .

^(٥) الدرر السنية : ١ / ٥٩ .

وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده " (١)
ويقول — يرحمه الله — مبيناً تفاضل الناس في التوحيد وأنهم في ذلك على درجات في دخولهم للجنة بحسب تحقيقهم للتوحيد: "... أن الناس يتفاضلون في التوحيد ، تفاضلاً عظيماً ، ويكونون فيه على درجات بعضها أعلى من بعض ، فمنهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كما دلت عليه النصوص الصريحة الصحيحة ؛ ومنهم : من يدخل النار ، وهم العصاة ، ويمكثون فيها على قدر ذنوبهم ، ثم يخرجون منها لأجل ما في قلوبهم من التوحيد والإيمان ، وهم في ذلك متفاوتون ؛ كما في الحديث الصحيح ، لقول النبي ﷺ ﴿ أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله ، وفي قلبه من الخير ما يزن برة ﴾ وفي لفظ ﴿ حبة خردل من إيمان ﴾ . (٢)

ويقول — يرحمه الله — : " وليعلم الواقف على هذا الكلام من أهل العلم — أعزهم الله — أن الكلام في مسألتين ؛ الأولى : أن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ لإخلاص الدين لله ، لا يجعل معه أحد في العبادة ، والتأله ، لا ملك ، ولا نبي ، ولا قبر ، ولا حجر ، ولا شجر ، ولا غير ذلك ؛ وأن من عظم الصالحين بالشرك بالله ، فهو يشبه النصارى ؛ وعيسى عليه السلام : بريء منهم ... " (٣)

ومنهم حفيد الشيخ محمد الشيخ سليمان بن عبدالله (١٢٣٣هـ) يرحمه الله الذي تحدث في شرحه لكتاب التوحيد المسمى (تيسير العزيز الحميد) عن هذه المسألة مبيناً أن دين الإسلام سمي توحيداً كونه مبيناً على توحيد الله بأنواع التوحيد الثلاثة التي جاء بها الأنبياء والمرسلين وهي أنواع متلازمة . يقول — يرحمه الله — : "وسمي دين الإسلام توحيداً ؛ لأن مبناه على أن الله واحد في

(١) المصدر السابق : ١ / ٦٧ .

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان برقم : ٢١ ، ومسلم في الإيمان برقم : ٢٦٩ .

(٣) الدرر السنية : ٢ / ٥٤ .

ملكه ، وأفعاله ، لا شريك له ، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له ، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له ؛ وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله ، وهي متلازمة ، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر ، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر ؛ فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب ، وإن شئت قلت : التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد في الطلب و القصد وهو : توحيد الإلهية والعبادة .^(١)

ومن العلماء السابقين الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد ابن عبدالوهاب (ت ١٢٨٥هـ) الذي بين أن أصل هذا الدين وأساسه وعماد الإيمان هو توحيد الله عز وجل يقول — يرحمه الله — : " أصل دين الإسلام وأساسه ، وعماد الإيمان ورأسه ، هو توحيد الله تعالى الذي بعث به المرسلين ، وأنزل به كتابه المحكم المبين قال تعالى ﴿ آلر ﴾ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴿ أن لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير ﴾^(٢) وهذا هو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله . فإن أصل دين الإسلام أن لا يعبد إلا الله ، وأن لا يعبد إلا بما شرع ، لا بالأهواء والبدع . وقد قال شيخنا رحمه الله تعالى إمام الدعوة الإسلامية ، والداعي إلى الملة الحنيفية : أصل الدين وقاعدته أمران : الأمر بعبادة الله وحده والتحري على ذلك والموالاته فيه ، وتكفير من تركه . والنهي عن الشرك بالله في عبادته ، والتغليظ فيه ، وتكفير من فعله . والمخالف في ذلك أنواع ذكرها رحمه الله تعالى . وهذا التوحيد له أركان وفروع ومقتضيات

(١) تيسير العزيز الحميد : ٣٢ — ٣٣ .

(٢) هود : ١ — ٣ .

وفرائض ولوازم ؛ لا يحصل الإسلام الحقيقي على الكمال والتمام إلا بالقيام بها علماً وعملاً . وله نواقض ومبطلات تنافي ذلك التوحيد . " (١)

جهود المعاصرين

ومن العلماء المعاصرين لشيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع — ممن كان له جهده في بيان هذا المطلب :

الشيخ عبدالرحمن السعدي (١٣٧٦هـ) يرحمه الله حيث أوضح في رده على ظاهرة الإلحاد أن هذا الدين الحق قد بني وأسس على التوحيد والتأله لله وحده لا شريك له يقول — يرحمه الله — : " فهذا الدين الحق الذي دعت إليه الرسل عموماً وخاتمهم محمد ﷺ خصوصاً قد بني وأسس على التوحيد ، والتأله لله وحده لا شريك له حباً وخوفاً ورجاء وإخلاصاً وانقياداً وإذعاناً لربوبيته ، واستسلاماً لعبوديته ؛ قد دل على هذا الأصل الذي هو أكبر جميع الأصول الأدلة العقلية والفطرية ، وقد دلت عليه جميع الكتب السماوية ، وقرره جميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من أهل العلوم الراسخة ، والألباب الرزينة ، والأخلاق العالية ، والآداب السامية ؛ كل أولئك اتفقوا على أن الله منفرد بالوحدانية منعوت بكل صفة كمال موصوف بغاية الجلال والعظمة والكبرياء والجمال ، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور ، وأنه متره عن كل صفة نقص وعن مماثلة المخلوقين ، لا يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر إلا هو ، فالدين الإسلامي على هذا الأصل أسس وعليه قام واستقام . " (٢)

والشيخ حافظ الحكمي (١٣٧٧هـ) يرحمه الله الذي تحدث في مقدمة كتابه (معارج القبول) عن هذا المطلب وأوضح الأمر الذي خلق الله من أجله العباد

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٤ / ٢٨٩

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبدالرزاق العباد : ٩٠ — ٩١ .

وهو معرفة الله ﷻ بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك . يقول —
يرحمه الله — : " لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة
في الدارين ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروض
عليهم والعمل به ؛ وهو الأمر الذي خلقهم الله ﷻ له وأخذ عليهم الميثاق وبه
أرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم ، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة
والنار وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وفي شأنه تنصب الموازين وتتطأير
الصحف وفيه تكون الشقاوة والسعادة وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار ، ومن
لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، وذلك الأمر هو معرفة الله ﷻ بإلهيته
وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك ، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك
والتعطيل ، والتشبيه واجتناب ذلك ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
وبالقدر على خيره وشره . وتوحيد الطريق إلى الله ﷻ بمتابعة كتابه ورسوله
والعلم على وفق ما شرعه الله ﷻ ورسوله ﷺ ، ومعرفة ما يناقضها من البدع
المضلة ، ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبه ويعوذ بالله منها . " (١)

ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٩هـ) يرحمه الله الذي كتب
نصيحة ذكر فيها نوعي التوحيد ، وأن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي في
الإسلام يقول — يرحمه الله — : " ومعناه [أي توحيد الألوهية] إفراد الله تعالى
بجميع أنواع العبادة : بأن لا يدعى إلا هو ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يرجى ولا
يخاف إلا هو ، ولا يذبح ولا ينذر إلا له . إلى غير ذلك من أنواع العبادة وهي
كثيرة ؛ فإن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال
الظاهرة والباطنة . ومجرد الإقرار بتوحيد الربوبية من أن الله هو الخالق الرازق
المدبر وحده لا يكفي في عصمة الدم والمال ، ولا يكون به الرجل مسلماً حتى

(١) معارج القبول : ١ / ١٤ .

يوجد الله تعالى في العبادة ؛ فإن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما قال تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ ^(١) والآيات في هذا المعنى كثيرة . وكانوا مع إقرارهم بذلك كفاراً مشركين حلال الدم والمال، لشركهم بالله في العبادة . " ^(٢)

والشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ) يرحمه الله الذي قرر تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام وقال — يرحمه الله — : " دل استقراء القرآن العظيم على أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول : توحيده في ربوبيته ؛ وهذا النوع جبلت عليه فطرة العقلاء .

الثاني: توحيده جل وعلا في عبادته . وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى " لا إله إلا الله " ، وهي مترتبة من نفي وإثبات . الثالث : توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته . " ^(٣)

ثم لنقف بعد ذلك على جهود شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — في بيان هذا المطلب .

جهود الشيخ حمود :

الناظر في كتابات الشيخ حمود — يرحمه الله — يجده قد تطرق لهذه المسألة من جوانب عدة نقف عليها من خلال تناول النقاط التالية :

^(١) يونس : ٣١ .

^(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، جمع محمد بن عبد الرحمن بن قاسم : ٨٠/١ .

^(٣) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف لعبد العزيز الطويان : ٩٣/١ .

(١) بيانه — يرحمه الله — أن تقسيم التوحيد إلى قسمين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وترك القسم الثالث وهو توحيد الأسماء والصفات مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة من تقسيم التوحيد إلى الأقسام الثلاثة وموافق للجهمية والمعتزلة الذين لم يعبأوا بتوحيد الأسماء والصفات يقول الشيخ — يرحمه الله — في تنبيهه على أخطاء وقعت في مسائل تتعلق بالتوحيد: "التنبيه الأول: في الحاشية من صفحة (١٦) قسم المؤلف التوحيد إلى قسمين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وترك القسم الثالث من أقسام التوحيد، فلم يذكره وهو توحيد الأسماء والصفات. وتقسيم التوحيد إلى الأقسام الثلاثة هو قول أهل السنة والجماعة. وقد خالفهم الجهمية والمعتزلة فلم يعبأوا بتوحيد الأسماء والصفات. فالجهمية ينفونها والمعتزلة يؤولونها ويصرفونها عن ظاهرها".^(١)

(٣) فيما يتعلق بتعريف (لا إله إلا الله) بين الشيخ — يرحمه الله — معناها كما فسره المحققون من أهل العلم بأنه لا معبود بحق إلا الله وأنها قد اشتملت على النفي والإثبات فنفت الإلهية عن جميع المعبودات التي تعلق بها المشركون من دون الله وأثبتت الإلهية لله وحده.

و نبه على أنه لا بد من تقييد التعريف بقولك لا معبود (بحق) إلا الله فلا بد من القيد (بحق) لأن عدم التقييد يوافق قول الإتحادية يقول — يرحمه الله —: "كان ينبغي لك أن تقيّد هذا الإطلاق (يعني قوله: لا معبود سواه) فتقول: لا معبود

^(١) تنبيهات على الأخطاء الواقعة في الكتاب المسمى بالجواب المفيد: ١ (مخطوط) كلام الشيخ هنا متوجه إلى من قسم التوحيد إلى قسمين: توحيد ربوبية وألوهية وأهل القسم الثالث وهو توحيد الأسماء والصفات من أهل البدع ولا يعني به من قال بالقسمين من علماء أهل السنة والجماعة لأن التقسيم إلى قسمين هو الذي كان معروفاً في السابق، وهو يشتمل على الأقسام الثلاثة في نفس الوقت فالقسم الأول: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي وهو توحيد الألوهية والقسم الثاني: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله عز وجل وتزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتزيهه عن صفات النقص وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

بحق سواء ؛ فأما عدم التقييد فيوافق قول الاتحادية الذين يزعمون أن الرب تعالى هو عين الموجودات كلها " (١)

(٤) أشار إلى أمر مهم وهو فصل النفي عن الإثبات في شهادة (أن لا إله إلا الله) فهو يقتضي نفي الألوهية عن الله عز وجل كما أنه نوع من الاستهزاء بالله تعالى وبذكره يقول — يرحمه الله — بعد بيانه لهذا النوع وأنه ذكر (لا إله) ست مئة مرة ثم (إلا الله) : " ولا شك أن هذا من الاستهزاء بالله وبذكره ، ولا يخفى على من له علم ، وفهم أن فعلهم هذا يتضمن الكفر ست مئة مرة ؛ لأن فصل النفي عن الإثبات في قول (لا إله إلا الله) بزمن متراخ بين أول الكلمة وآخرها على وجه الاختيار ؛ يقتضي نفي الألوهية عن الله تعالى ست مئة مرة ، وذلك صريح الكفر ، ولو أن ذلك وقع من أحد مرة واحدة ؛ لكان كفراً صريحاً ؛ فكيف بمن يفعل ذلك ست مئة مرة في مجلس واحد ؟! ثم إتيانهم بكلمة الإثبات بعد فصلها عن كلمة النفي بزمن متراخ لا يفيدهم شيئاً ، وإنما هو من التلاعب بذكر الله والاستهزاء به . " (٢)

(٥) فيما يتعلق بحقيقة الاستمسك بالعروة الوثقى وهي كما بينها الشيخ — يرحمه الله — بأنها : الإيمان وقيل : الإسلام ، وقيل : لا إله إلا الله ، وقيل : الحب في الله والبغض في الله . قال ابن كثير في تفسيره : " وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها " . (٣) وأوضح الشيخ بأن حقيقة الإستمسك بهذه العروة الوثقى له

(١) سجل رقم (٤) وفيه رسالة إلى أحد الخطباء المتكلمين في خطبهم : ٣٩ . (مخطوط)

(٢) القول البليغ : ٩ . وقد نقل الشيخ ذلك عن بعض العلماء ممن يقول بأن هذا من ذكر التبليغيين . ولم ينقل عن أحد بعينه بحيث يمكن الرجوع إلى كلامه ، وتوثيق النقل منه ، إنما هو مجرد قول لأحد الأشخاص يقول بأنه سمعهم يذكرون بهذا الذكر في مجلس من مجالسهم ، ولم أقف على أحد ينسب ذلك إليهم من خلال كتاباتهم أو أقوالهم .

(٣) ٣١٩ / ١

شرطان لا بد من تحقيقهما قد دلت عليهما الآية أحدهما : الكفر بالطاغوت والثاني : الإيمان بالله تعالى يقول الشيخ — يرحمه الله — : " وقد دلت الآية الأولى [يعنى بها قول الله تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ ^(١)] على أن الاستمسك بالعروة الوثقى له شرطان لا بد منهما : أحدهما : الكفر بالطاغوت. والثاني : الإيمان بالله . فمن أتى بهذين الشرطين ؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن لم يأت بهما ، أو ترك واحداً منهما ؛ فليس له حظ من الاستمسك بالعروة الوثقى . ^(٢)

٦) وإذا نظرنا إلى جانب تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله فقد بين الشيخ — يرحمه الله — أن من أعظم حقوقها تصديق ما أخبر به الله في كتابه واعتقاد أن ذلك هو الحق وما خالفه فهو الباطل يقول الشيخ — يرحمه الله — : " ومن أعظم حقوق لا إله إلا الله تصديق ما أخبر الله به في كتابه واعتقاد أن ذلك هو الحق وما خالفه فهو باطل " ^(٣).

٧) أما تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ . فمن حقوقها تصديق ما أخبر به ﷺ واعتقاد أن ذلك هو الحق وما خالفه من أقوال الناس فهو باطل يقول الشيخ — يرحمه الله — : " ومن حقوق الشهادة بأن محمداً رسول الله تصديق ما أخبر به ﷺ واعتقاد أن ذلك هو الحق ، وما خالفه من أقوال الناس فهو باطل " ^(٤). كما قرر الشيخ — يرحمه الله — أن كل ما أخبر به رسول الله ﷺ فالإيمان به متعلق بالعقيدة لأنه لا يتم الإيمان بالرسول ﷺ إلا بالإيمان بأخباره يقول — يرحمه الله — : " كل ما ثبت عن النبي ﷺ أنه أخبر بوقوعه فيما مضى قبله أو أخبر أنه

^(١) البقرة : ٢٥٦ .

^(٢) القول البليغ : ١٤١٥٣ .

^(٣) الصواعق الشديدة : ٩٧ .

^(٤) المصدر السابق : ٩٧ .

سيقع فيما بعده ؛ فالإيمان به واجب وهو من عقائد المسلمين سواء ذكره العلماء في كتب العقائد أو لم يذكروه".^(١) ويقول — يرحمه الله — : " كل ما أخبر به رسول الله ﷺ فالإيمان به متعلق بالعقيدة ، لأنه لا يتم الإيمان بالرسول ﷺ إلا بالإيمان بأخباره ، ومن لم يؤمن بأخباره فهو فاسد العقيدة ، وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه أن عصمة الدم والمال إنما تكون لمن آمن بما جاء به الرسول ﷺ " (٢)

وتحقيقها لا بد له من أربعة أركان وهي : طاعة أوامره ﷺ وتصديق أخباره ﷺ واجتناب ماعنه نهي وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع . فمن حقق هذه الأركان الأربعة فقد حقق الشهادة بالرسالة ، ومن ترك العمل بها فليس بمسلم ، ومن أعرض عن شيء منها فهو ممن يشك في إسلامه يقول الشيخ — يرحمه الله — : " ومن كذب بشيء مما ثبت عن النبي ﷺ فهو لم يحقق الشهادة بأن محمداً رسول الله . ومن لم يحققها فليس بمسلم . ولا بد في تحقيقها من أربعة أمور : أحدها : طاعته ﷺ فيما أمر . والثاني : تصديقه فيما أخبر ، والثالث : اجتناب ما عنه نهي وزجر . والرابع : أن لا يعبد الله إلا بما شرع ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به ؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم ؛ إلا بحقها . وحسابهم على الله ﴾ (٣) . (٤)

فتحقيق أصل الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يكون لمن لم يعبد إلا الله ، ولم يخرج عن شريعة رسول الله ﷺ التي بلغها عن الله فهذان

(١) الاحتجاج بالأثر : ١٨٥ .

(٢) إقامة البرهان : ١٦ .

(٣) أخرجه البخاري في الإيمان برقم : ٢٤ ؛ ومسلم في الإيمان برقم : ٣٣ ، وهذا لفظ مسلم .

(٤) الرد القويم : ٣٥ ؛ الرد على من أجاز تهذيب اللحية : ٣٩ .

أصلان عظيمان بهما يكون تحقيق الشهادة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام يرحمه الله .^(١)

وقد قرر الشيخ — يرحمه الله — في مواضع عدة من كتبه أن كل ماصح عن النبي ﷺ وجب الإيمان به وقبوله دون تردد ، وليس هو من باب التعصب ، بل هو من تحقيق الشهادة . فكل ما أخبر به النبي ﷺ أنه قد وقع فيما مضى أو سيقع بعده إلى قيام الساعة ، وما سيكون بعدها إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة والنار النار وما يكون بعد ذلك يجب الإيمان به طالما أنه ثبت عن الصادق المصدوق .

والمدار على صحة الأسانيد فالأحاديث الثابتة بالإيمان بها والتسليم لها والإذعان لأحكامها واجب على كل مسلم ، وهو يقابلها بالقبول والتسليم .^(٢)

٨) أما ما ينافي تحقيقها فقد نبه الشيخ — يرحمه الله — على ذلك مراراً وحذر منه ومن تلك الأمور التي ينبغي الحذر منها :

أ) الإعراض عن الأحاديث وترك العمل بها طاعة للشيطان واتباعاً للهوى والعياذ بالله تعالى يقول الشيخ — يرحمه الله — : " وفي صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي ﴾ قالوا : يا رسول الله ومن أبي ؟ قال ﴿ من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي ﴾^(٣) . وإن لم تحظ بالتوفيق لهذا الأمر الجليل فلا بد لك من ارتكاب الأمر الثاني ؛ وهو الإعراض عن هذه الأحاديث ، وترك العمل بها طاعة للشيطان واتباعاً للهوى وإيثارا لهدي المجوس وطوائف الإفرنج الذي هو شر

^(١) الرد القوي : ٧٣-٧٥ . و مجموع الفتاوى : ١ / ٣٣٣ .

^(٢) انظر : إتحاف الجماعة ١ / ٦ ، ٣ / ٥٨ ، ١٤٣ ؛ الاحتجاج بالأثر : ٥٦ ، ٧٥ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٣ ، ٢١٥ ، ١٨١ ، ١٦٨ ؛ الرد القويم : ٣٥٦ ، ٣٣٣ ، ١٢١ ، ٢٥ ، ٢ ؛ إقامة الدليل : ١٣ ؛ السراج الوهاج : ٢٤ ، ٥٧ ، ٨٣ ؛ الصارم البتار : ١٠٦ ؛ قصص العقوبات : ٢١ ؛ تغليظ الملام : ١١٢ ؛ الدلائل الصريحة : ٣ .

^(٣) أخرجه البخاري في الإعتصام برقم : ٦٧٣٧ .

هدي و أحبته . وفاعل هذا الأمر الذميم لم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله ، وفيه شبه من الذين أخبر الله عنهم أنهم قالوا سمعنا وعصينا " (١)

(ب) إنكار ما صح أن الرسول ﷺ أخبر به ، أو الشك فيه يقول الشيخ — يرحمه الله —: "ومن بلغ به الأمر إلى إنكار ما أخبر به رسول الله ﷺ أو الشك فيه ؛ فهو بلا شك لم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله ؛ لأن من لازم تحقيقها تصديقه ﷺ فيما أخبر به من الغيوب الماضية والآتية قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٢) . " (٣)

(ج) أطراح الأحاديث وعدم الإيمان بها ، وهو عنوان على عدم تحقيق الشهادة بالرسالة للنبي ﷺ . يقول الشيخ — يرحمه الله —: " والإيمان بما جاء في الأحاديث الصحيحة عنوان على تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ، كما أن أطراحها وعدم الإيمان بما جاء فيها عنوان على عدم تحقيق الشهادة بالرسالة " (٤)

(د) رد قول النبي ﷺ ومعارضته بالشبه العقلية . يقول الشيخ — يرحمه الله — مبيناً بطلان هذا المسلك: " إن كلام ... ظاهر في رد قول النبي ﷺ ، ومعارضته بالشبه التي رآها بعقله ، ومن سلك هذا المسلك الذميم ؛ فهو ممن يشك في تحقيقه لشهادة أن محمداً رسول الله ؛ لأن معناها : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع " (٥)

(هـ) تصديق النبي ﷺ فيما أخبر به من الغيوب الماضية أو المستقبلية لازم من لوازم تحقيق الشهادة بأن محمداً رسول الله ﷺ فمن لم يأت باللائم ؛ فقد انتفى

(١) دلائل الأثر : ٣٣ .

(٢) النجم : ٣ — ٤ .

(٣) إتحاف الجماعة : ٣ / ٣٨ .

(٤) المصدر السابق : ٣ / ٥٨ .

(٥) المصدر السابق : ٣ / ٦٣ .

الملزوم . يقول الشيخ — يرحمه الله — : " والأحاديث الصحيحة مما ذكرته تضرب في نخور المنكرين لخروج الدجال ، وتنادى على كثافة جهلهم ، بل تنادى على عدم تحقيقهم لشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ لأن من لازم تحقيقها تصديقه ﷺ فيما أخبر به من الغيوب الماضية والآتية " (١)

(و) من كذب بشيء مما ثبت عن النبي ﷺ وهذا ممن يشك في إسلامه ، أي أنه ليس بمسلم أصلاً، يقول الشيخ: "ومن كذب بشيء مما ثبت عن النبي ﷺ فهو ممن يشك في إسلامه ؛ لأنه لم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله " (٢).

(ز) من خرج عما أمر به الرسول ﷺ من الشريعة وتعبد بالبدعة ، فهو بذلك لم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ يقول الشيخ — يرحمه الله — ناقلاً لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — : " وأصل الإسلام أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله . فمن طلب بعبادته الرياء والسمعة ؛ فلم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله ، ومن خرج عما أمره به الرسول من الشريعة ، وتعبد بالبدعة ؛ فلم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله " (٣) . (٤)

(٩) فيما يتعلق بمصدر العقيدة الصحيحة فقد أوضح الشيخ — يرحمه الله — أن العقائد الصحيحة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة. يقول — يرحمه الله — : " العقائد الصحيحة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة فكل ما جاء في الكتاب والسنة من أنباء الغيوب الماضية والآتية ؛ فالإيمان به واجب ، وهو من عقائد أهل السنة " (٥).

(١) إتحاف الجماعة : ٣ / ٨٧.

(٢) المصدر السابق : ٣ / ١٤٠، ١٤٤، ٢٢٣؛ الاحتجاج بالأثر : ٣٦، ١٢٧؛ الرد القويم : ٢٠، ٢٥، ١٢١؛ إقامة البرهان: ١٠؛ السراج الوهاج : ٥، ١٢١؛ الصارم البتار : ١٠٦؛ تغليظ الملام : ١١٢.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/٦١٧-٦١٨.

(٤) الرد القوي : ٧٥.

(٥) الاحتجاج بالأثر : ٢٦.

(١٠) نبه على أن مخالفة أدلة الكتاب والسنة مخالفة للعقيدة الصحيحة التي تعنى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ . يقول الشيخ — يرحمه الله — : " ومن خالف الكتاب والسنة ونبذها وراء ظهره ، ولم يعبأ بها ؛ فلا شك أنه قد خالف العقيدة الصحيحة ، وهي طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ وتحكيم الكتاب والسنة في محل النزاع " .^(١)

(١١) قرر بأن الاستقامة الحقة على العقيدة الصحيحة تكون بامثال أمر الرسول ﷺ باجتناب المحدثات وردّها ، أما من خالف أمره وارتكب نهيّه ولم يبال بتحذيره من المحدثات فهو مخالف للعقيدة الصحيحة . يقول — يرحمه الله — في رده على بدعتي المآثم و الموالد : " وقد كان رسول الله ﷺ يحذر في خطبه من محدثات الأمور ، ويبالغ في التحذير منها ، ويصفها بالشر والضلالة ، ويقول : إنها في النار ، ويأمر بردها وكل من بدعتي المآثم و المولد ؛ من محدثات الأمور الداخلة في عموم ما حذر منه رسول الله ﷺ وأمر برده ، فمن امتثل أمر الرسول ﷺ باجتناب المحدثات ، وامتثل أمره بردها ؛ فقد استقام على العقيدة الصحيحة . ومن خالف أمره وارتكب نهيّه ، ولم يبال بتحذيره من المحدثات ؛ فهو مخالف للعقيدة الصحيحة شاء أم أبى " .^(٢)

(١٢) أوضح الشيخ — يرحمه الله — المعنى الصحيح لمحبة الله تعالى وأنها إنما تنال بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وذلك بالعمل بأمر الله وأمر رسوله ﷺ واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ . يقول الشيخ — يرحمه الله — : " محبة الله تعالى والتعرض لنفحاته ؛ إنما تنال بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ؛ وذلك بالعمل بما أمر الله به ورسوله ﷺ ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ ، وتحقيق المتابعة

(١) الرد على الكاتب المفتون : ٨٨ .

(٢) الرد على الكاتب المفتون : ٨٩ .

للرسول وتحكيمه في كل مآنازع الناس فيه والتمسك بسنته وتقديم هديه على هدى غيره وعلى أهواء النفس وشهواتها " (١)

(١٣) بيانه أن أداء حق النبي ﷺ لا يتم إلا بطاعته واتباع هديه والتمسك بسنته ونشر دعوته ، والبعد عن كل ماخالف أمره يقول الشيخ — يرحمه الله — :
 " ...أداء حق النبي ﷺ لا يتم إلا بطاعته واتباع هديه والتمسك بسنته ونشر دعوته والبعد عن كل ما خالف أمره ، وليس لأداء حقه وقت مخصوص ، بل هو واجب في جميع الأوقات . " (٢)

(١٤) فيما يتعلق بفساد العقيدة فقد أوضح الشيخ — يرحمه الله — النقاط التالية :
 أ) أن المسلمين في العقائد على قسمين أهل السنة والجماعة ، وأهل البدعة والضلالة يقول — يرحمه الله — راداً على زعم أن الناس انحرفوا في عقائدهم بسبب أخذهم بالأحاديث الصحيحة الثابتة المخالفة للقرآن فرد الشيخ على هذا الزعم مبيناً بطلانه من عدة أوجه ومن ذلك : " الوجه الثالث : أن يقال : إن المسلمين في العقائد على قسمين : القسم الأول : أهل السنة والجماعة . والقسم الثاني : أهل البدعة والضلالة ، فأما أهل السنة والجماعة فإنهم لم يزلوا على عقيدة نبيهم ﷺ وعقيدة أصحابه والتابعين لهم بإحسان ، وأما أهل البدعة والضلالة ؛ فهم الذين انحرفت عقائدهم عن عقيدة نبيهم وأصحابه وهم متفاوتون في الانحراف فمستقل منه ومستكثر ، وقد ذكر الله القسمين في قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة

(١) المصدر السابق: ١٦٧.

(٢) الرد القوي: ٧٨.

وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴿١﴾ (٢)

(ب) بين الشيخ — يرحمه الله — متى يكون انحراف العقائد ومتى يكون رسوخها وأن ذلك متعلق بالإيمان بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المطهرة فمن آمن بكل ما جاء فيهما رسخت عقيدته، ومن رد شيئاً مما ثبت انحرفت عقيدته وزاغ قلبه يقول الشيخ — يرحمه الله — : " انحراف العقائد وزيف القلوب ؛ لا يكون بالإيمان بالأحاديث الصحيحة وإنما يكون بنبذها وإطراحها " ويقول : " رسوخ العقيدة الصحيحة وثباتها واستقامة القلوب إنما يكون بالإيمان بما جاء في القرآن والأحاديث الصحيحة . فمن آمن بما جاء في القرآن والأحاديث الصحيحة ؛ رسخت العقيدة الصحيحة في قلبه وثبتت واستقام قلبه . ومن رفض شيئاً مما جاء في القرآن أو الأحاديث الصحيحة ؛ فلا بد أن تنحرف عقيدته ويزيغ قلبه . " (٣)

(ج) نبه الشيخ — يرحمه الله — على أن إفساد العقائد أعظم ضرراً من إفساد الأجساد يقول — يرحمه الله — راداً على من قال بأن كتابته مغذية للروح والجسد : " وأقول : أما غذاء الأجساد فإنما يكون بالطعام والشراب لا غير . ومن زعم أن شيئاً من الكلام يغذي الأجسام ؛ فقله خارج عن حدود العقل . وأما غذاء الأرواح فإنما يكون بدوام ذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وكثرة تلاوة القرآن بتدبر وحضور قلب ، وكثرة الاستغفار والدعاء بالأدعية الماثورة

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) الرد القويم : ٤٨ ؛ إقامة البرهان : ١٦ ؛ السراج الوهاج : ٨٩ ؛ الاحتجاج بالأثر : ١٧٧

(٣) المصدر السابق : ٦٩ - ٧٠

عن النبي ﷺ ، والإكثار من الأعمال الصالحة ، فهذا هو الذي يغذي الأرواح ، ويفتح القلوب ، وينور البصائر " (١)

ولا يفوتني أن أنبه إلى أن الشيخ — يرحمه الله — كان في كل نقطة من تلك النقاط التي تناولناها غالباً ما يضرب مثلاً بواقعة معينة أو بشيء معين ، ولم أشأ أن أثبتها ؛ ليكون كلامه عاماً يشملها ، ويشمل غيرها .

والله اعلم :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله — في هذا المطلب يتمثل في : أنه — يرحمه الله — قد قرر تقسيم التوحيد إلى الأقسام الثلاثة على طريقة أهل السنة وهو في ذلك موافق لمن سبقه وعاصره من العلماء . كما أنه يرد على من أهمل توحيد الأسماء والصفات موافقة للجهمية والمعتزلة .

و هو يدلل و ينبه على كون الشهادة هي أهم أركان الإسلام لا الصلاة التي تأتي بعدها في المرتبة الثانية .

ثم هو يفسر لا إله إلا الله كما هو تفسير المحققين من أهل العلم ، وهو في ذلك متابع لمن سبقه أو عاصره من العلماء . مع تنبيهه على خطورة فصل النفي عن الإثبات عند النطق بها . هذا من ناحية التعريفات .

ومن ناحية أخرى تتعلق بالتحقيقات فهو — يرحمه الله — يبين شرطي تحقيق التمسك بالعروة الوثقى وكيفية تحقيق الشهادتين مع بيانه لما ينافي ذلك .

وأخيراً فهو يوضح مصدر العقيدة الصحيحة ومتى تكون الاستقامة ومتى يكون فساد العقيدة والانحراف عن منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

(١) التنبيهات المهمة على ما في بعض مؤلفات الصوف من الأخطاء الجمة : ١٥ (مخطوط)

المطلب الثاني: ترجمير الربوبية

الربوبية في اللغة كما يقول ابن منظور في اللسان : مأخوذة من الرب وهو الله عز وجل ، هو رب كل شيء أي مالكة ، وله الربوبية على جميع الخلق ، لا شريك له ، وهو رب الأرباب ، ومالك الملوك والأملاك ، ولا يقال الرب في غير الله ، إلا بالإضافة . ورب كل شيء : مالكة ومستحقه ؛ وقيل : صاحبه . والرب يطلق في اللغة على : المالك ، والسيد ، والمدبر ، والمربي ، والقيّم ، والمنعم .^(١)

وتوحيد الربوبية في الاصطلاح هو : إفراد الله عز وجل بالخلق، والملك، والتدبير فإفراده بالخلق: أن يعتقد العبد أنه لا خالق إلا الله ؛ كما قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾^(٢). وأما إفراده بالملك : فأن يعتقد العبد أنه لا يملك الخلق كلهم إلا خالقهم ؛ كما قال تعالى : ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾^(٣). وأما إفراد الله بالتدبير : فهو أن يعتقد العبد أنه لا مدبر إلا الله وحده ؛ كما قال تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾^(٤) فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون

^(١) لسان العرب لابن منظور : ٣٩٩/١ .

^(٢) الأعراف: ٥٤ .

^(٣) آل عمران: ١٨٩ .

^(٤) يونس: ٣١ .

وهذا القسم من التوحيد وهو توحيد الربوبية لم يعارض فيه أحد من المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ بل كانوا مقرين به ، قال تعالى : ﴿ وَلئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ ^(١) . إلا ما كان من الدهريين الذين قالوا : ﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ ^(٢) . بل إنه لم يجحد أحد من البشر هذا التوحيد ، إلا ما حصل من فرعون ، الذي أدعى الألوهية ، وهو مع ذلك صنع ما صنع من إنكار الربوبية للخالق وأدعائها لنفسه على سبيل المكابرة ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ ^(٣) ؛ ولذا قال له موسى عليه السلام وهو يناظره كما حكى الله عنه بقوله : ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشبوراً ﴾ ^(٤) فهو في نفسه مقرر بأن الرب هو الله عز وجل .

وما حصل من المجوس من إنكار لهذا التوحيد على سبيل التشريك ، حيث قالوا : إن للعالم خالقين هما الظلمة والنور ، ومع ذلك جعلوا إله النور خير من إله الظلمة . ^(٥)

بل إننا نجد أن إبليس وهو أضل الخلق على الإطلاق ؛ يقر بهذا التوحيد ، ويعترف به : ﴿ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون ﴾ ^(٦) ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن

^(١) الزخرف: ٩ .

^(٢) الجاثية : ٢٤ .

^(٣) النمل: ١٤ .

^(٤) الإسراء : ١٠٢ .

^(٥) انظر لمزيد من البيان : القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد العثيمين ١١/١-١٦ .

^(٦) الحجر : ٣٦ .

لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين»^(١) ﴿قال ءأسجد لمن خلقت طيناً﴾^(٢) فهو يقر ويعترف بأن الله هو الرب ، وأنه الخالق المدبر .
وبالجملة هذا النوع من التوحيد لا ينكره إلا مكابر أو معاند . كما قال تعالى :
﴿ وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾^(٣) إذاً هذا القسم من أقسام التوحيد لم يكن بإجمال^(٤) محل نزاع بين الأنبياء والرسل — عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم — وبين من بعثوا فيهم من أقوام ؛ لأن الإقرار بربوبية الخالق سبحانه وتعالى أمر قد استقر في فطر البشر منذ أن أخذ الله عليهم الميثاق ؛ كما قال تعالى: ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ وكذلك فصل الآيات ولعلمهم يرجعون﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾^(٦)

(١) الحجر : ٣٩ .

(٢) الإسراء : ٦١ .

(٣) يس : ٧٨ .

(٤) قلت : بإجمال ؛ لأنه قد وقع نزاع في حالات استثنائية في هذا التوحيد و من ذلك على سبيل المثال ما ذكره الله ﷻ في سورة البقرة من حال النمروذ مع إبراهيم عليه السلام : ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي و أميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر و الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ البقرة : ٢٥٨ .

(٥) الأعراف : ١٧٢-١٧٤ .

(٦) الروم : ٣٠ .

وفي الحديث: ﴿كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه﴾^(١)

وعلى ذلك فالإقرار بهذا التوحيد فقط لا ينفع صاحبه ولا يدخله في دائرة الإسلام بل لا بد من الإقرار بتوحيد الألوهية يقول شارح الطحاوية: "فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية"^(٢) وقد كان للعلماء — يرحمهم الله — جهودهم في بيان هذا التوحيد وما يتعلق به من مسائل. ولنتعرف على جهود شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — في بيان هذا المطلب، ولكن قبل ذلك لنستعرض نماذج من جهود العلماء السابقين والمعاصرين له؛ ليتضح من خلال ذلك — بإذن الله تعالى — تميز ما قام به الشيخ من جهد.

جهود السابقين:

من هؤلاء العلماء السابقين لشيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع — ممن كان لهم جهدهم المشكور في بيان هذا المطلب:

إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١٧٩هـ) يرحمه الله الذي كان له جهده في بيان هذا المطلب ومن ذلك:

بيانه لأنواع التوحيد وأنه نوعان: ربوبية وألوهية، وأنه لا يدخل العبد الإسلام إلا إقراره بتوحيد الألوهية يقول — يرحمه الله —: "التوحيد نوعان: توحيد الربوبية، وهو: أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير، عن الملائكة، والأنبياء، وغيرهم؛ وهذا حق لا بد منه؛ لكن لا يدخل الرجل في الإسلام؛ بل أكفر

^(١) أخرجه البخاري في الجنائز برقم: ١٢٩٦؛ ومسلم في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين و برقم: ٤٨٠٣.

^(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي: ٨٣.

الناس مقرون به ، قال الله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض آمن بملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ ^(١) . وأن الذي يُدخل الرجل في الإسلام ، هو توحيد الإلهية ، وهو ألا يعبد إلا الله ، لا ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلًا ، وذلك أن النبي ﷺ بعث ، والجاهلية تعبد أشياء مع الله ، فمنهم من يعبد الأصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة ؛ فنهاهم عن هذا ، وأخبرهم أن الله أرسله ليوحّد ، ولا يُدعى أحد ، لا الملائكة ، ولا الأنبياء ، فمن تبعه ووجد الله ، فهو الذي يشهد أن لا إله إلا الله ؛ ومن عصاه ، ودعا عيسى ، والملائكة ، واستنصرهم ، والتجأ إليهم ، فهو الذي جحد لا إله إلا الله ، مع إقراره أنه لا يخلق إلا الله ؛ وهذه جملة لها بسط طويل ؛ ولكن الحاصل : أن هذا مجمع عليه بين العلماء . " ^(٢)

وهو في موضع آخر يتكلم عن هذا التوحيد من خلال ذكره أن الله تعالى أفعالاً لا ينازع في الإقرار بما له لا كافر ولا مسلم . يقول — يرحمه الله — : " أن الله تعالى أفعالاً ، وللعبيد أفعالاً ، فأفعال الله : الخلق ، والرزق ، والنفع ، والضرر ، والتدبير ؛ وهذا أمر ما ينازع فيه ، لا كافر ، ولا مسلم ؛ وأفعال العبد ، العبادة : كونه ما يدعو إلا الله ، ولا ينذر إلا الله ، ولا يذبح إلا له ، ولا يخاف خوف السر إلا منه ، ولا يتوكل إلا عليه ؛ فالمسلم : من وجد الله بأفعاله سبحانه ، وأفعاله بنفسه ؛ والمشرِك : الذي يوحد الله بأفعاله سبحانه ، ويشرك بأفعاله بنفسه " ^(٣)

^(١) يونس : ٣١

^(٢) الدرر السنية : ١ / ٦٥-٦٦ .

^(٣) المصدر السابق : ١ / ٦٢ . يعني بقوله : (أفعاله سبحانه) أي توحيد الربوبية ، و (أفعاله بنفسه) أي توحيد الألوهية أي أفعال العبد .

ويقول — يرحمه الله — في جواب له عن سؤال ورد إليه يتعلق بفهم توحيد الربوبية فأجاب الشيخ — يرحمه الله — موضحاً أهمية توحيد الربوبية، وأنه الأصل ولا يغلط في الألوهية إلا من لم يعط هذا الأصل حقه . بقوله: "فأما توحيد الربوبية، فهو الأصل ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه ، كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ ^(١) . ومما يوضح لك الأمر : أن التوكل من نتائجه ، والتوكل من أعلى مقامات الدين ، ودرجات المؤمنين ؛ وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منياً إليه ﴾ الآية ^(٢) . وأما عبادته سبحانه بالإخلاص دائماً ، في الشدة والرخاء ، فلا يعرفونها ، وهي نتيجة الإلهية ، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر ، والإيمان بالكتب ، والرسول وغير ذلك ؛ وأما الصبر والرضا ، والتسليم والتوكل ، والإنابة ، والتفويض ، والمحبة ، والخوف ، والرجاء ، فمن نتائج توحيد الربوبية ، وكذلك توحيد الإلهية ، هو أشهر نتائج توحيد الربوبية ؛ وهذا وأمثاله لا يعرف إلا بالتفكر ، لا بالمطالعة ، وفهم العبارة . " ^(٣)

ومن العلماء السابقين الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ — يرحمه الله — الذي تناول هذا الموضوع في شرحه لكتاب التوحيد ، وقرر ما ذكره الشيخ محمد ابن عبد الوهاب . يقول — يرحمه الله — مبيناً أن لازم توحيد الربوبية الإتيان بتوحيد الألوهية : " وهذا التوحيد [أي توحيد الربوبية] لا يكفي العبد في

^(١) الزخرف : ٨٧ .

^(٢) الزمر : ٨ .

^(٣) الدرر السنية : ٦٤/٢ - ٦٥ .

حصول الإسلام ، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الألوهية ، لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده ... " (١) والشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (١٢٨٥هـ) يرحمه الله الذي تحدث في شرحه لكتاب التوحيد عن مسألة مهمة تتعلق بتوحيد الربوبية نبه عليها شيخ الإسلام ابن تيمية — يرحمه الله — وهي أن أهل الكلام والمتصوفة ظنوا أن التوحيد مجرد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم ، وأنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل ؛ فقد أثبتوا غاية التوحيد . يقول — يرحمه الله — ناقلاً لكلام شيخ الإسلام : " ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل ؛ فقد أثبتوا غاية التوحيد ، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه ؛ فقد فنوا في غاية التوحيد ، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ، ونزهه عن كل ما يتره عنه ، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء : لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده . فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة : ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له . " (٢) " (٣)

جهود المعاصرين :

من العلماء المعاصرين لشيخنا الشيخ حمود — رحم الله الجميع — ممن كان لهم جهدهم في بيان هذا المطلب :

الشيخ عبدالرحمن السعدي (١٣٧٦هـ) يرحمه الله . فقد عرّف توحيد الربوبية تعريفاً جامعاً مانعاً بقوله : " هو اعتقاد أن الله سبحانه هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : ٣٣ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل : ١ / ٢٢٥ .

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ١٢ — ١٣ .

الأضرار ، الذي له الأمر كله ويبيده الخير كله ، القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك ، وأنه الذي ربى جميع خلقه بالنعم ، وربى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة ، والأخلاق الحميدة والعلوم النافعة والأعمال الصالحة . وهداهم إلى تحقيق عبادته وطاعته ، وهذه التربية هي النافعة المثمرة للسعادة في الدنيا والآخرة " ^(١) . كما أن الشيخ — يرحمه الله — تحدث عن دلالات هذا التوحيد في تفسيره فذكر منها : دلالة الفطرة ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) يقول — يرحمه الله — : " إن جميع أحكام الشرائع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها . فوضع في قلوبهم محبة الحق ، وإيثار الحق ، وهذا حقيقة الفطرة ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي ﷺ : ﴿ كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبْوَاهُ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً أَوْ مَجْسَانِيَّةً ﴾ ^(٣) " ^(٤)

كما أنه — يرحمه الله — كان له جهده في الرد على أهل الإلحاد في الأزمنة المتأخرة ، حيث تناول هذه الطائفة في مؤلفاته ، وأظهر زيغها وفساد معتقدها . ومن ذلك قوله — يرحمه الله — : " وقد نبغت في هذه الأزمان المتأخرة : فرقة خبيثة ، هم من أضل الخلق وأجهلهم ، وأعظمهم غروراً ، وهم الماديون الملحدون " ثم بين سبب ضلالهم وهو ما أوغلوا فيه من علوم الطبيعة . فقال إنهم

^(١) الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة : ٧٥ .

^(٢) الروم : ٣٠ .

^(٣) سبق تخريجه انظر : ص ٣٥٥ .

^(٤) المصدر السابق : ٧٧ .

: " ... اغتروا لما عرفوا بعض العلوم الطبيعية ، ووقفت عقولهم عندها ، وقالوا لا تثبت إلا ما وصلت إليه معارفنا وعقولنا وما سوى ذلك ننفيه ولا نعترف به " وقد بين الشيخ أن عندهم أصولاً كثيرة ينون عليها عقائدهم وأن هذه الأصول ترجع إلى أصل خبيث فاسد ، وبين مصدره . فقال : " أعظمها عندهم أصل خبيث منقول عن معلمهم الأول أرسطو ^(١) اليوناني المعروف بالإلحاد والجدد لرب العالمين ... وهو أنه من أراد الشروع في المعارف الإلهية فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات ، وليسع في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره ، وليشك في الأشياء ، ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه .

وأكملوا هذا الأصل الخبيث ، بحصرهم للمعلومات بالمحسوسات ، وما سوى ما أدركوه بحواسهم نفوه " ويقول — يرحمه الله — : " إن هؤلاء الملحدون حصروا العلوم المدركة في دائرة ضيقة ، فما أدركوه بحواسهم وتجاربهم أثبتوه ، وما لم يدركوه بذلك نفوه وأنكروه ؛ فأنكروا من أجل ذلك علوم الغيب كلها ، وجحدوا ربوبية الله وأفعاله ، وعطلوه من صفاته وأفعاله ؛ إذ لم يدخل ذلك تحت مداركهم القاصرة . وهذا باطل شرعاً وعقلاً ... " ^(٢)

والشيخ حافظ الحكمي (١٣٧٧هـ) يرحمه الله الذي يقول في بيان أحدية الله ﷻ في ربوبيته وما تعنيه هذه الأحدية ، مع ذكره لصور من خصائص الربوبية : " فكما أنه الأحد الفرد في ذاته وإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ؛ فهو المتفرد في ملكوته بأنواع التصرفات من : الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والخلق والرزق والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال والإسعاد والإشقاء والخفض والرفع والعطاء والمنع والوصل والقطع والضر والنفع . فلو اجتمع أهل

^(١) من متأخري حكماء اليونان أرسطوطاليس من أهل أسطوخرا ، وهو المقدم المشهور ، والمعلم الأول ، والحكيم المطلق عندهم .

^(٢) الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة : ٨٤ وما بعدها .

السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما على إماتة من هو محييه ، أو إعزاز من هو مذلّه ، أو هداية من هو مضله ، أو إسعاد من هو مشقيه ، أو خفض من هو رافعه ، أو وصل من هو قاطعه ، أو إعطاء من هو مانعه ، أو ضر من هو نافعه ، أو عكس ذلك ؛ لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم ، وأنى لهم ذلك والكل خلقه وملكه وعبيده وفي قبضته وتحت تصرفه وقهره ، ماض فيهم حكمه ، عدل فيهم قضاؤه ، نافذ فيهم مشيئته ، لا امتناع لهم عما قضاه ، ولا خروج لهم من قبضته ، ولا تحرك ذرة في السموات والأرض ولا تسكن إلا بإذنه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . فسحقاً لأصحاب السعير كيف جحدوا آياته ، وأشركوا في ألوهيته وربوبيته من هو مخلوق مربوب مثلهم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، واتخذوهم من دونه أرباباً وأنداداً سووهم به وعدلوهم به ، واعتقدوا أنهم متصرفون معه في ملكوته ، وعبدوهم من دونه ... " (١)

والشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ) يرحمه الله الذي بين أن الإقرار بتوحيد الربوبية أمر فطري ؛ فطر الله عليه الخلق وتعرفه النفوس . يقول — يرحمه الله —: " هذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء ؛ قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ الآية (٢) ، وقال : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ (٣) " (٤) . كما أن الشيخ — يرحمه الله — نبه على أمر هام وهو أن إنكار هذا النوع من التوحيد

(١) معارج القبول : ١ / ٩٠ — ٩١ .

(٢) الزخرف : ٨٧ .

(٣) يونس : ٣١ .

(٤) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف : ٩٩/١ .

؛ إنما هو عناد ومكابرة من عارف يقول: "أما تجهل فرعون — لعنه الله — لربوبيته جل و علا في قوله تعالى ﴿: قال فرعون وما رب العالمين﴾^(١) فإنه تجهل عارف؛ لأنه عبد مربوب؛ كما دل عليه قوله تعالى: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾^(٢) الآية، وقوله: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾^(٣) " (٤) ويبين في موضع آخر أن الإتيان بهذا النوع من التوحيد لا يفيد إلا إذا ضم إليه توحيد الألوهية يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾^(٥):" صرح الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الكفار يقرون بأنه جل وعلا هو رهم الرازق المدبر للأمر، المتصرف في ملكه بما يشاء وهو صريح في اعترافهم بربوبيته ومع هذا أشركوا به جل وعلا، والآيات الدالة على أن المشركين مقرون بربوبيته جل وعلا ولم ينفعهم ذلك لإشراكهم معه غيره في حقوقه جل وعلا كثيرة كقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾^(٦) وقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾^(٧) وقوله: ﴿فقل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾ سيقولون لله ﴿إلى قوله : ﴿فأني تسحرون﴾^(٨) إلى غير ذلك من الآيات ،

(١) الشعراء : ٢٣ .

(٢) الإسراء : ١٠٢ .

(٣) النمل : ١٤ .

(٤) جهود الشيخ محمد الأمين في تقرير عقيدة السلف لعبد العزيز الرميان : ٩٩ .

(٥) يونس : ٣١ .

(٦) الزخرف : ٨٧ .

(٧) الزخرف : ٩ .

(٨) المؤمنون : ٨٤-٨٩ .

ولذا قال تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ ^(١). والآيات المذكورة صريحة في أن الاعتراف بربوبية جل وعلا ، لا يكفي في الدخول في دين الإسلام إلا بتحقيق معنى (لا إله إلا الله) نفيًا وإثباتًا . " ^(٢) ثم لنقف بعد ذلك على جهود شيخنا الشيخ حمود — يرحمه الله — في هذا المطلب . .

جهود الشيخ حمود :

للشيخ حمود — يرحمه الله — جهده المتميز في هذا الباب فقد تحدث في كتاباته عن توحيد الربوبية مبيناً خصائص الربوبية وركز في حديثه على خصيصة الخلق وأنها لله وحده لا يشركه فيها أحد سبحانه وتعالى ، كما تناول قضية علم الغيب وأنه لله وحده عز وجل ، وكذلك تحدث عن شرك الربوبية متناولاً لبعض النماذج الواقعة لهذا الشرك في وقتنا الحاضر. وهذا كله يتضح — بإذن الله تعالى — من خلال تناول النقاط التالية :

أولاً : ما يتعلق بخلق الله عز وجل :

(١) أرشد إلى البعد عن كل ما هو من خصائص الرب جل وعلا ؛ فأوضح — يرحمه الله — بأن التصوير أو صناعة التماثيل مضاهاة لخلق الله تعالى وأورد على ذلك الأحاديث وكلام أهل العلم عليها يقول — يرحمه الله — : " وأما الأحاديث فالأول منها ما رواه الإمام أحمد والشيخان عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال : " دخلت مع أبي هريرة دار مروان بن الحكم ، فرأى فيها تصاوير وهي تُسبى ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقول الله ﷻ : ﴿ ومن أظلم ممن ذهب

^(١) يوسف : ١٠٦ .

^(٢) جهود الشيخ محمد الأمين في تقرير عقيدة السلف لعبد العزيز الرميان : ١٠٠-١٠١ .

يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة^(١) هذا لفظ أحمد .
ولفظ مسلم نحوه ولفظ البخاري قال : دخلت مع أبي هريرة داراً بالمدينة فرأى
في أعلاها مصوراً يصور . فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقول الله ﷻ :
﴿ ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة ﴾^(٢)
وروى أيضاً المرفوع منه في موضع آخر من صحيحه بنحو رواية أحمد ومسلم .
ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : ﴿ قال الله ﷻ : ﴿ ومن أظلم ممن يخلق كخلقي فليخلقوا
بعوضة أو ليخلقوا ذرة ﴾^(٣) . وقال الحافظ ابن حجر في (فتح
الباري) قوله: ﴿ كخلقي ﴾ التشبيه في فعل الصورة وحدها لا من كل الوجوه .^(٤)
قلت : والأخير أقرب والله أعلم " ^(٥)

٢) الرد على من زعم أن بني آدم قد يقدرّون على خلق الإنسان وغيره من
الحيوان . وبيان أن ذلك مما يخرج من الإسلام ، وأنه لا يشك مسلم في تفرد
الرب تبارك وتعالى بخصائص الربوبية أبداً ، وأن من شك في وحدانية الله تعالى
وتفردّه بالربوبية ؛ فهو ضال كافر . يقول الشيخ — يرحمه الله — في استعراضه
لل فوائد المستنبطة من الحديث القدسي ﴿ ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ﴾
: " الثامنة : فيه الرد على صاحب الأغلال ^(٦) وأضرابه من الزنادقة المارقين من

^(١) أخرجه مسلم في اللباس والزينة برقم : ٢١١١ .

^(٢) أخرجه البخاري في اللباس برقم : ٥٩٥٣ ، وفي التوحيد برقم : ٧٥٥٩ .

^(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم : ٧٤٦٩ .

^(٤) ٣٩٩ / ١٠ .

^(٥) إعلان النكير على المفتونين بالتصوير : ٢٥ وما بعدها .

^(٦) صاحب الأغلال هو : عبدالله القصيمي كان من الدعاة البارزين ومعروفاً بالعلم واتباعه لمذهب السلف
الصالح ، وكانت تصانيفه مشحونة بنصر الحق ، والرد على المبتدعين والملحدّين ، وكانت له عند الناس سمعة
حسنة وذكر طيب ؛ ولكنه بعد ذلك كله انقلب رأساً على عقب — والعياذ بالله — فصار عدواً لدوداً

دين الإسلام ؛ فقد زعم عدو الله أن بني آدم قد يقدرّون على خلق الإنسان ، وغيره من الحيوان . قال في الصفحة السابعة والتسعين من أغلاله : وإنا لنخشى أو نرجوا — وقد تحقق الأيام أي الأمرين أحسن — أن يأتي الزمن الذي يقال فيه الإنسان الصناعي والحيوان الصناعي . وهذا ما لا يزال العلم أمامه حيران عاجزاً ولكنه لم يعترف بالعجز ، ولم يفكر بالاستسلام للإخفاق ؛ بل ما فتى يهاجم ، ويناضل بعزم من يعلم أنه منتصر لا محالة . هذا لفظه بحروفه . والجواب أن يقال له ما قال الله تعالى لأشباهه وسلفه : ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾ ^(١) . ويقال أيضاً : قد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على أن خلق جميع الأشياء ، وإيجاد الحياة في كل مخلوق ، من خصائص الرب تبارك وتعالى التي لا يشاركه فيها أحد ، وهذا مما لا يشك فيه مسلم . وجميع الأديان السماوية متفقة على هذا . وقد كان المشركون الأولون مقرّين به كما أخبر الله تبارك وتعالى بذلك عنهم في آيات كثيرة من كتابه ؛ فهم أحسن حالاً

للإسلام ، فأصبح يرى أن الدين سبب لتأخر المسلمين وضعفهم ، وصار الدين عنده كالأغلال التي تعوق الإنسان عن مراده ، وزاد على ذلك فأنكر الخالق ، وزعم أنه لافرق بين الخالق والمخلوق ، وإن من فرق بينهما من الأنبياء والرسول وأهل الأديان فهو غلط ضال . وزعم أن الطبيعة تتفاعل وتتطور ، وتدبر أمر العالم ، وتنظم الأمور الجليلة والدقيقة ، وأنكر قضاء الله وقدره ، أرجع ذلك إلى العلم بانتظام الطبيعة . كما أنكر الرسالة والمعاد والملائكة والجن ، وسخر من علماء المسلمين ، وأخذ يدعو إلى الإباحية والتحليل والانسلاخ من الدين ، ويمدح الأوروبيين والمستعمرين لبلاد الإسلام ، ويدعو إلى تعظيمهم وإدخالهم في البلاد الإسلامية . إلى غير ذلك من الترهات والضلالات التي دعا إليها وروجها في كتبه ومن ذلك كتاب : (هذى هي الأغلال) ويقصد بها أوامر الله ونواهيه والتمسك بالدين الإسلامي . وقد قام جماعة من العلماء بالرد عليه وبيان ضلاله منهم : الشيخ إبراهيم السويح في (بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال) والشيخ عبدالله بن يابس في (الرد القويم على ملحد القصيم) والشيخ عبدالرحمن بن سعدي في رسالته (تنزيه الدين وحملة ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله) . وانظر لهذه الترجمة : الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبدالرزاق العباد : ٨٨ — ٨٩ .

^(١) الكهف : ٥٠ .

من صاحب الأغلال وأضرابه من الرنادقة ، الذين يدندنون حول تشريك المخلوقين مع الخالق في خصائص الربوبية . ويقال أيضاً لصاحب الأغلال : لا يشك مسلم أن ظنك كاذب ، وأن رجاءك خائب ؛ فلن يأتي الزمن الذي توهمته بعقلك الفاسد أبداً ، ولن يقدر أعداء الله على خلق ذرة ، ولا بعوضة ، ولا حبة شعير ، فضلاً عن خلق الإنسان . ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يخلقوا ذرة واحدة ، أو حبة واحدة ؛ لما قدروا علي ذلك ، ولو جمعوا جميع قواهم وأسبابهم . وقول الخبيث : وهذا ما لا يزال العلم أمامه حيران إلى آخره . يعني بذلك علم أهل الصناعات الكيماوية . وجوابه أن يقال: ولا يزال علمهم كذلك حيران عاجزاً أبداً الأبدية ومن شك في هذا فليس بمسلم . وكيف يكون مسلماً من يشك في تفرد الرب تبارك وتعالى بخصائص الربوبية أبداً كما كان متفرداً بذلك في الأزل ؟ ولا يشك مسلم أن مهاجمة أعداء الله تعالى ، ومناضلتهم في إيجاد الحياة ؛ ستذهب سدى ولو فعلوا من الوسائل والأسباب ما فعلوا فمآلهم إلى العجز والإخفاق لا محالة . ومن شك في عجزهم وإخفاقهم في هذا ؛ شك في وحدانية الله تعالى وتفرده بخصائص الربوبية ؛ ومن شك في وحدانية الله تعالى وتفرده بالربوبية فهو ضال كافر . وقد أقام عدو الله الظنون الكاذبة من الكفرة الفجرة ، مقام العلم المحقق الذي لا بد أن يكون معلومه ، وهذا من تهور الخبيث وجراءته على الله تعالى ، وجهله بعظمته وكبريائه ، وتفرده بالخلق والأمر ، فلا شريك له في ربوبيته ، ولا في ألوهيته ، ولا في أسمائه وصفاته وأفعاله . ومن ظن أو رجا أن يكون لله شركاء في ربوبيته وأفعاله ، يخلقون أناسي وحيوانات مثل مخلوقاته ؛ فما قدر الله حق قدره . ومن أغتر بظنون أعداء الله تعالى ، وجعلها علماً محققاً لا بد أن يكون معلومه ؛ فهو من أحمق الناس ، وأقلهم عقلاً ، وليس وراء جهله وغروره جهل وغرور . فالحمد لله الذي عافاني وإخواني

المسلمين مما ابتلى به صاحب الأغلال وأمثاله . ونسأله تعالى أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب ^(١) " (٣) رد الشيخ — يرحمه الله — على عبارات لا ينبغي إطلاقها ؛ لأنها تؤدي إلى معان شركية — والعياذ بالله — ومنها :

أ — من يزعم أن الإيجاد والتكوين ناشيء عن الطبيعة وهم من يسمون بالطبيعيين أو الماديين ، أو كما سماهم القرآن الدهريين ^(٢) ، ويرددون عبارة تدل على ذلك ومنها : عبارة (العناصر المكونة للشمس) فأوضح — يرحمه الله — بأن هذه العبارة تقرر مذهب الطبيعيين الذين يزعمون أن الإيجاد والتكوين ناشيء عن الطبيعة ؛ وذلك شرك بالله تعالى . يقول — يرحمه الله — : "وأما قوله: العناصر المكونة للشمس . فجوابه أن يقال : ليس للشمس ولا غيرها من المخلوقات خالق ومكون غير الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ ^(٣) . وإضافة التكوين إلى العناصر هو مذهب الطبيعيين ، الذين يزعمون أن الإيجاد والتكوين ناشيء عن الطبيعة ؛ وذلك شرك بالله تعالى ؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق العناصر ، وخلق ما تكون منها فلا يضاف التكوين إلى غيره . " ^(٤)

^(١) إعلان النكير : ٢٩-٣١ .

^(٢) هم معطلة العرب وهم أصناف : منكروا الخالق ، والبعث ، والإعادة . فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة ، وقالوا : بالطبع الحيي ، والدهر المفي . وصنف منهم : أقروا بالخالق ، وابتداء الخلق والإرجاع ، وأنكروا البعث والإعادة . وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة ، وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام ، وزعموا أنهم شفعاءهم عند الله في الآخرة في الآخرة ، وهم الدهماء من العرب . الملل والنحل : ٢ / ٥٨٢ — ٥٨٣ .

^(٣) فاطر : ٣ .

^(٤) ذيل الصواعق : ٩٠-٩١ .

(ب) عبارة (أن الشمس مصدر حياتنا) فبين بأن الحياة مصدرها من الله تعالى لا شريك له في ذلك ، وأن تعظيم الشمس بغير ما جاء في الكتاب والسنة ؛ شعبة من شعب المجوسية ^(١) . يقول — يرحمه الله — : " وأما قوله : ومصدر حياتنا (أي الشمس) فجوابه من وجهين : أحدهما : أن يقال : إن الحياة مصدرها من الله وحده لا شريك له في ذلك ؛ فهو الذي أوجد الخلق من العدم وهياً الأسباب لحياتهم في دار الدنيا ، وفي الدار الآخرة . ومن قال : إن الشمس هي مصدر الحياة ؛ فقد جعلها نداً لله تعالى . والقرآن مملوء من تقرير التوحيد والرد على من جعل لله نداً من خلقه ... وقد جعل الله تبارك وتعالى لقيام المعاش في الدنيا أسباباً كثيرة . ومن أعظمها الماء والليل والنهار والشمس والقمر قال الله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ ^(٢) قال البغوي : أي أحيينا بالماء الذي يترل من السماء كل شيء حي ، أي من الحيوان . ويدخل فيه النبات والشجر . يعني أنه سبب حياة كل شيء . انتهى . ^(٣) . وقال تعالى : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون ﴾ ^(٤) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ ^(٥) وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ ^(٦) وما ذراً لكم في الأرض

^(١) المجوس عبدة النار ويقال لهم : الأكنوا طرية أي : عباد النار ، وقد زعموا أن النار أعظم العناصر جرماً ، وأوسعها حيزاً ، وأعلاها مكاناً ، وأشرفها جوهرًا ، وأنورها ضياءً وإشراقاً ، وألطفها جسماً وكياناً ، والاحتياج إليها أكثر من الاحتياج إلى سائر الطبائع ، ولا كون في العالم إلا بها ، ولا حياة ولا نمو ولا انعقاد إلا بممازجتها . وعلى هذا المذهب أكثر ملوك الهند وعظمائها . الملل والنحل : ٢ / ٦١٣ .

^(٢) الأنبياء : ٣٠ .

^(٣) معالم التنزيل : ٥ / ٣١٦ .

مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ﴿ الآيات إلى قوله تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لَغفور رحيم ﴾ ^(١)

الوجه الثاني : أن تعظيم الشمس بغير ما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ شعبة من المجوسية ؛ لأن المجوس كانوا يعظمون النار والنور والشمس والقمر . وقد قال عبيدالله بن الحسين القيرواني — جد العبيديين ^(٢) — في رسالته إلى سليمان ابن الحسين بن سعيد الجنابي القرمطي ^(٣) : " ومن وجدت مجوسياً اتفقت معه في الأصل في الدرجة الرابعة من تعظيم النار والنور والشمس والقمر " ذكر ذلك عنهم القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ونقله عنه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية — رحمه الله تعالى — في رده على الرافضي . ^(٤) ورسالة عبيدالله

^(١) النحل : ١٠ — ١٨ .

^(٢) يقول عنهم شيخ الإسلام : " فإن مسيلمة الكذاب من أكابر الأئمة الذين كفروا ، وكذلك أمثاله من الملاحدة العبيديين وأمثالهم الذين كانوا يدعون الإلهية والنبوة ، أو يدعي أن الفيلسوف أعظم من الأنبياء " منهاج السنة النبوية : ٦ / ٣٧٨ . ويقول — رحمه الله — : " وإلا فأمر هؤلاء العبيدية المنتسبين إلى إسماعيل ابن جعفر أظهر من أن يخفى على مسلم " ٦ / ٣٤٣ . ويقول عن دعواهم النسب الشريف : " كما كان يسلكه هؤلاء العبيديون ، الذين كانوا يدعون أنهم من ولد علي . وأهل العلم بالنسب يعلمون أن نسبهم باطل ، وأن جدهم يهودي في الباطن والظاهر ، وجدهم ديصاني من المجوس تزوج امرأة هذا اليهودي ، وكان ابنه ربيباً لمجوسي ؛ فانتسب إلى زوج أمه المجوسي ... وأئمة هؤلاء في الباطن ملاحدة زنادقة ، شر من الغالية ، ليسوا من جنس الإثني عشرية " منهاج السنة : ٨ / ١٢ .

^(٣) سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي المَحْرِي ، أبو طاهر القرمطي : ملك البحرين ، وزعيم القرامطة . خارجي طاغية جبار ، قال الذهبي في وصفه : " عدو الله الأعرابي الزنديق " نسبته إلى جنابة من بلاد فارس . وهو الذي أغار على مكة يوم التروية سنة ٣١٧ هـ والناس محرمون ؛ فاقتلع الحجر الأسود ، وأرسله إلى هجر ، ونهب أموال الحجاج ، وقتل كثيرين بلغوا ثلاثين ألفاً ، وقد ردم زمزم بالقتلى ، وكان يصيح على باب الكعبة : أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا [عليه لعائن الله ترى إلى يوم القيامة] الأعلام : ٣ / ١٢٣ .

^(٤) وهو : ابن المطهر الحلي في كتابه (منهاج الكرامة) . انظر : مقدمة المحقق لمنهاج السنة للدكتور محمد رشاد سالم : ١ / ٨٨ .

القرمطي هي التي تسمى عندهم بالبلاغ الأكبر والناموس الأعظم^(١) . أوصاه فيها بدعاء جميع الطوائف إلى مذهبهم الخبيث ، وأمره أن يتقرب إلى كل قوم بما هو معظم عندهم ، وما تميل أنفسهم إليه من العقائد وغيرها .^(٢)

وإذا أضيف إلى تعظيم الشمس ، ما زعموه من كونها مصدر الحياة ؛ فذلك زيادة شر إلى شر ، وضم مجوسية إلى مجوسية أخرى . وكما أن تعظيم الشمس شعبة من شعب المجوسية ؛ فهو أيضاً من دين اليونان المتقدمين ، وغيرهم من الصابئين ؛ الذين يعبدون الشمس والقمر والنجوم ؛ ويزعمون أنها تدبر أمر العالم فينبغي للمسلم أن يبعد غاية البعد عن عقائد المشركين ، ولا يتعلق بشيء منها فيكون منهم وهو لا يشعر . فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ من تشبه بقوم فهو منهم ﴾^(٣) رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وصححه ابن حبان وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : إسناده جيد . وقال الحافظ العراقي : إسناده صحيح . وقال ابن حجر العسقلاني : إسناده حسن . وقد احتج أحمد بهذا الحديث وذلك يقتضي صحته عنده ."^(٤)

(ج) عبارة : (أن الشمس هي التي أبصرت القمر) . فقد بين الشيخ — رحمه الله — بطلان هذا القول وأن إسناده الإبصار إلى الشمس شرك بالله تعالى لأنه إسناده

^(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية : ١٠ / ٧ .

^(٢) يقول عبدالقاهر البغدادي : " الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة ، يقولون بقدوم العالم ، وينكرون الرسل والشرائع كلها ، لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع . والدليل على أنهم كما ذكرناه ما قرأته في كتابهم المترجم : " السياسة والبلاغ الأكيد ، والناموس الأعظم " وهي رسالة عبيدالله بن الحسين القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي " الفرق بين الفرق : ٣١٦ — ٣١٧ .

^(٣) أخرجه أحمد برقم : ٥١١٥ ، ٥٦٦٧ ؛ وأبوداود في اللباس برقم : ٤٠٣١ . وقال عنه الألباني : حسن صحيح كما في صحيح سنن أبي داود برقم : ٣٤٠١ .

^(٤) ذيل الصواعق : ١٤١ — ١٤٥ .

لشيء من أفعال الله تعالى إلى غيره سبحانه وتعالى فالله عز وجل هو الذي جعل الضياء في الشمس وجعله يمتد منها إلى القمر ، وينعكس منه إلى الأرض . يقول — يرحمه الله — : " والجواب أن يقال : بل الله وحده لا شريك له هو الذي جعل الضياء في الشمس ، والنور في القمر . قال تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ ^(١) وقال تعالى مخبراً عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ﴾ ^(٢) وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ^(٣) وقال تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾ ^(٤) (٣) " (٤)

(د) عبارة: " والشهر الكريم قد أظلنا ببركاته وفيوضه " فبين الشيخ — يرحمه الله — بطلان هذه الكلمة لأن البركات والفيوض ليست من الأشهر ولا من غيرها من المخلوقات ؛ وإنما هي من الله وحده لا شريك له ، ومن أضافها لغير الله تعالى فقد جعل ذلك الغير شريكاً لله تعالى فيما هو من خصائص ربوبيته. يقول يرحمه الله : " والجواب أن يقال : ليست البركات والفيوض من الأشهر ، ولا من غيرها من المخلوقات ؛ وإنما هي من الله وحده لا شريك له قال تعالى : ﴿ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ ^(٥)

(١) يونس : ٥ .

(٢) تبارك : ١٥ - ١٦ .

(٣) الفرقان : ٦١ .

(٤) ذيل الصواعق : ٢٠٧-٢٠٨ . أقول : الذي يظهر و العلم عند الله : أن الشيخ الصواف — يرحمه الله — قد خاتمه العبارة هنا و إلا فهو يقصد إضافة الشيء إلى سببه ، وكلام الشيخ حمود هنا يتوجه إلى العبارة الخاطئة التي تشتمل على معنى باطل .

(٥) هود : ٧٣ .

وقال تعالى : ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّنْ مَّعَكَ ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ ﴾ ^(٢) . وفي الحديث الصحيح : ﴿ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُّجِيدٌ ﴾ ^(٣) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ومن أضاف البركات والفيوض إلى غير الله تعالى ؛ فقد جعل ذلك الغير شريكاً لله تعالى فيما هو من خصائص ربوبيته . وحيث إن هذا قد خفي على العطار أحببنا أن ننبه عليه . ^(٤)

(هـ) عبارة قيلت عن تكوين المرأة وهي : " أن الله قد أمسك بتفاحة وبوردة وعسل ويمامة وأفعى وبعض من الشوك والطين ، وعجنها جميعاً بدموع التماسيح ؛ فكانت المرأة " فقد بين الشيخ — يرحمه الله — بأن هذه الكلمة السيئة جداً

^(١) هود : ٤٨ .

^(٢) الصافات : ١١٣ .

^(٣) أخرجه البخاري في تفسير القرآن برقم : ٤٧٩٨ ؛ ومسلم في الصلاة برقم : ٤٠٥ .

^(٤) ذيل الصواعق : ٣٥٨-٣٥٩ . أقول : قد سئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين — يرحمه الله — عن قول العامة تباركت علينا ؟ زراتنا البركة ؟ فأجاب قائلاً : قول العامة : تباركت علينا لا يريدون بهذا ما يريدونه بالنسبة إلى الله ﷻ ، وإنما يريدون أصابنا بركة من حيثك ، والبركة يصح إضافتها إلى الإنسان ، قال أسيد بن حضير لما نزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة الذي ضاع منها قال : " ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر " وطلب البركة لا يخلو من أمرين : الأمر الأول : أن يكون طلب البركة بأمر شرعي معلوم مثل القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ فمن بركته أن من أخذ به وجاهد به حصل له الفتح ، فأنقذ الله به أمماً كثيرة من الشرك ، ومن بركته : أن الحرف الواحد بعشر حسنات وهذا يوفر للإنسان الجهد والوقت . الأمر الثاني : أن يكون طلب البركة بأمر حسي معلوم ، مثل العلم فهذا الرجل يترك بعلمه ودعوته إلى الخير ، قال أسيد بن حضير : " ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر " فإن الله قد يجري على أيدي بعض الناس من أمور الخير ما لا يجريه على يد الآخر " . المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين : الجزء الثاني : فتاوى العقيدة : ٢١٨ — ٢١٩ .

وبناء على ذلك فقول العطار الذي يظهر والله أعلم : " والشهر الكريم قد أظلنا بركاته وفيوضه " داخل في هذا الباب .

فيها ما لا يخفى على من له أدنى علم ومعرفة من الجرأة على الله تعالى والقول عليه بغير علم، فإن الله تعالى قد خلق حواء من آدم كما هو معلوم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله . يقول الشيخ — يرحمه الله — : " وأقول لا يخفى على من له أدنى علم ومعرفة ما في هذه الكلمة السيئة من الجرأة على الله تعالى والقول عليه بغير علم ؛ وذلك من أعظم المحرمات لقول الله تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ ^(١) . قال ابن القيم — رحمه الله — تعالى في كتابه (أعلام الموقعين) : " وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم ، وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها ... " ^(٢) وإذا علم هذا ، فليعلم أيضاً أن حواء وهي أم البشر كلهم ؛ قد خلقت من آدم ، وقد أخبر الله بذلك في آيات من القرآن فقال تعالى في أول سورة النساء : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحد وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ﴾ ^(٣) وقال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ ^(٤) ... " ^(٥)

و — عبارة : " الأولاد أمانة عندك ، فعليك أن تنشئهم أقوياء أصحاء " وقد رد الشيخ — يرحمه الله — على هذه العبارة ، وبين أن الذي يعطي القوة والصحة هو الخالق هو الخالق وَعَلَىٰ رَبِّكَ يُقُولُ — يرحمه الله — : " وهل يقدر أحد أن ينشأ نفسه

^(١) الأعراف : ٣٣ .

^(٢) ١ / ٤٤ وفي العبارة قوله : " في الفتيا والقضا بعد " " بغير علم " .

^(٣) النساء : ١

^(٤) الأعراف : ١٨٩ .

^(٥) سجل رقم (١) : ١٤-١٨ . (مخطوط) رد على مقالة نشرت في جريدة الرياض الصادرة في يوم الأحد ١٠ ذي القعدة سنة ١٤٠٢هـ عدد ٥٢١١ تحت عنوان (أقوال عن المرأة) . أنغام الربيع - الطائف .

قوياً صحيحاً ، فضلاً عن أن ينشأ أولاده أقوياء أصحاباً ؟! وهل من خالق غير الله يقدر على إعطاء القوة والصحة . " (١)

ز — عبارة " أدبوا أولادكم ، وهذبوا أرواحهم " رد الشيخ — يرحمه الله — على هذه العبارة وبين أن الهداية والصلاح بيد الله ﷻ ، وليس الأمر بيد الآباء أو غيرهم من البشر . يقول — يرحمه الله — : " فجعل هداية الأبناء وصلاحهم بأيدي الآباء ، والهداية والصلاح بيد الله ﷻ وحده سبحانه " (٢)

(١) سجل رقم (٤) ص ٣٦ (مخطوط) .

(٢) المصدر السابق : ٣٦ . أقول : قد سأل فضيلة الشيخ محمد العثيمين — يرحمه الله — عن حكم قول : " لولا الله وفلان ؟ فأجاب : قرن غير الله بالله في الأمور القدرية لا يجوز . ففي المشيئة مثلاً لا يجوز أن تقول : ما شاء الله وشئت ؛ لأن هذا قرن لمشيئة الله بمشيئة المخلوق بحرف يقتضي التسوية وهو نوع من الشرك ، لكن لا بد أن تأتي بثم فنقول ما شاء الله ثم شئت ، كذلك أيضاً إضافة الشيء إلى سببه مقرون بالله بحرف يقتضي التسوية ممنوع فلا تقول : لولا الله وفلان أنقذني من الغرق . فهذا حرام ولا يجوز لأنك جعلت السبب المخلوق مساوياً لخالق السبب وهذا نوع من الشرك ، ولكن يجوز أن تضيف الشيء إلى سببه بدون قرن مع الله فتقول : " لولا فلان لغرقت " إذا كان السبب صحيحاً وواقعاً . ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام في أبي طالب حين أخبر أن عليه نعلين يغلي منهما دماغه قال : ﴿ ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار ﴾ فلم يقل لولا الله ثم أنا مع أنه ما كان في هذه الحال من العذاب إلا بمشيئة الله ، إضافة الشيء إلى سببه المعلوم شرعاً أو حساً جائز وإن لم يذكر معه الله جل وعلا ، وإضافته إلى الله وإلى سببه المعلوم شرعاً أو حساً جائز بشرط أن يكون بحرف لا يقتضي التسوية كـ " ثم "

فتاوى الشيخ محمد العثيمين : ١ / ٢٢٧ — ٢٢٨ . فبناء عليه فالذي يظهر والله أعلم أن قول القائل : " الأولاد أمانة عندك ، فعليك أن تنشأهم أقوياء أصحاباً " وقوله : " أدبوا أولادكم ، هذبوا أرواحهم " كله من قبيل إضافة الشيء إلى سببه .

ثانياً : بيانه لبعض المسائل الداخلة في شرك الربوبية :

أبان الشيخ — يرحمه الله — بعض المسائل التي هي داخلة في شرك الربوبية ومن ذلك :

(١) بيانه لبشاعة قول القائل : (إن النبي ﷺ متخلق بأخلاق ربه) وأن هذه الكلمة بدعة فيها تشبيه للخالق بالمخلوقين ووصفه بصفاتهم ، وهي تجعل النبي ﷺ شريكاً لله تعالى في صفاته وأفعاله. يقول الشيخ — يرحمه الله — : " وهذه كلمة بشعة جداً من حيث إطلاقها على الله تعالى ، ومن حيث إطلاقها على النبي ﷺ . فأما بشاعتها من حيث إطلاقها على الله تعالى ؛ فلأنه شبه الخالق بالمخلوقين ، ووصفه بصفاتهم ؛ وذلك في زعمه أن الرب تبارك وتعالى له أخلاق قد تخلق بها النبي ﷺ والأخلاق من صفات المخلوقين التي لا تطلق على غيرهم قال الله تعالى :

﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾ ^(١) وقال تعالى مخبراً عن قوم هود أنهم قالوا : ﴿إن هذا إلا خلق الأولین﴾ ^(٢). والأحاديث في مدح الأخلاق الحسنة وذم الأخلاق السيئة كثيرة جداً . قال ابن الأثير في النهاية ^(٣) وابن منظور في لسان العرب ^(٤) : الخلق بضم اللام وسكونها الدين ، والطبع ، والسجية . وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه ، وأوصافها ، ومعانيها المختصة بها ، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة ، وأوصافها ومعانيها ، انتهى . وإذا علم هذا فليعلم أيضاً أنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة الثابتة عن النبي ﷺ ، إطلاق الأخلاق على الله

(١) القلم : ٤ .

(٢) الشعراء : ١٣٧ .

(٣) النهاية : ٢ / ٧٠ .

(٤) لسان العرب : ٤ / ١٩٥ .

تعالى ، ولم يأت ذلك عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ؛ وعلى هذا فإطلاق الأخلاق على الله تعالى بدعة وتشبيه له بخلقه ، والله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى . وكما أن له ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين . قال الله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ^(١) وقد قال نعيم بن حماد شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه كفر ^(٢) . وهذا الذي قاله نعيم بن حماد هو مذهب أهل السنة والجماعة لاختلاف بينهم في ذلك .

وأما بشاعتها من حيث إطلاقها على الرسول ﷺ ؛ فلكونه قد جعله شريكاً لله في صفاته وأفعاله ؛ لأن قوله : وإن الرسول متخلق بأخلاق ربه . معناه أنه متصف بصفاته ، وفاعل مثل أفعاله ، ويلزم على هذا التشريك والتسوية بين الله ورسوله ﷺ أن يكون الرسول ﷺ يخلق ، ويرزق ، ويحيي ، ويميت ، ويدبر الأمر ، ويفعل كل ما هو من خصائص الرب تبارك وتعالى . وهذا أعظم من شرك أهل الجاهلية ؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يفردون الرب تبارك وتعالى بأفعال الربوبية ؛ وإنما كانوا يشركون به في توحيد الألوهية . " ^(٣)

(٢) بيان الشيخ — يرحمه الله — أن من ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله تعالى ، أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع ما لم يأذن به الله ومن اتبعه فقد اتخذ شريكاً لله . يقول الشيخ — يرحمه الله — : " فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله ، أو أوجبه بقوله أو فعله ، من غير أن يشرعه الله ؛ فقد شرع

^(١) الشورى : ١١ .

^(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي : ١٠ / ٦١٠ و ١٣ / ٢٩٩ ؛ تفسير ابن كثير : ٢ / ٢٢١ ؛

^(٣) الرد القوي : ٢٢٩-٢٣١ . وقائل هذه العبارة هو محمد بن علوي مالكي أحد المعاصرين ممن يحمل لواء الدعوة إلى التصوف الغالي في بلد الله الحرام وقد رد عليه من العلماء فضيلة الشيخ عبد الله بن منيع عضو هيئة كبار العلماء في كتابه (حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته) .

من الدين ما لم يأذن به الله ، ومن اتبعه في ذلك ؛ فقد اتخذ شريكاً لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله . وقد قال سبحانه : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ ^(١) . قال عدي بن حاتم للنبي ﷺ : يا رسول الله ما عبدوهم . قال : ﴿ ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم ﴾ ^(٢) . فمن أطاع أحداً في دين لم يأذن به الله من تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب ؛ فقد لحقه من هذا الذم نصيب . " ^(٣) ويقول — يرحمه الله — عن بدعة المولد وطاعة الجاهل فيه لعلماء السوء وما في ذلك من مشاهدة لليهود والنصارى في اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله تعالى : " وأما مافيه (أي المولد) من التشبه باليهود ؛ فهو أن علماء السوء كانوا يحسنون للجهال بدعة المولد ، ويرغبونهم في الاحتفال بها ؛ فيطيعهم الجاهل ، ويعملون بهذه البدعة التي لم يأذن بها الله ، لم يأمر بها رسول الله ﷺ ، ولم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، وهذا شبيه بما أخبر الله به عن اليهود والنصارى ، أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . " ^(٤)

(٣) بيان الشيخ — يرحمه الله — لما في قصيدة البردة التي نظمها البوصيري ^(٥)

^(١) التوبة : ٣١ .

^(٢) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن برقم : ٣٠٩٥ وقال عنه : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد السلام بن حرب ، وغطيف بن أعين ليس بمعروف الحديث . وقال عنه الألباني : حسن كما في صحيح سنن الترمذي برقم : ٢٤٧١ ، ٣ / ٥٦ .

^(٣) الرد القوي : ١٤٥-١٤٦ .

^(٤) الرد على الكاتب المفتون : ١٩٩-٢٠٠ .

^(٥) هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري المصري ، شرف الدين ، أبو عبدالله ، شاعر حسن الديباجة ، مليح المعاني . توفي عام ٦٩٦ هـ بالإسكندرية . الأعلام : ٦ / ١٣٩ ، فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكنتي : ٣ / ٣٦٢ ، وقد نقل عن البوصيري : ما ذكره من كلام باطل يتعلق بمنامه و رؤيته للنبي ﷺ و مسحه ﷺ . على وجه البوصيري ، و ألقى عليه بردة فتنه ، ووجد فيه نهضة فقام و خرج من بيته ،

في مدح النبي ﷺ من دعاء للنبي ﷺ ، وطلب الشفاعة منه ، والالتجاء إليه واللياذ به عند الشدائد والحوادث وقد اعتاد أهل الموالد التغي بها . يقول — يرحمه الله — : " ... كثيراً من المفتونين ببدعة المولد قد اعتادوا التغي في احتفالهم بالمولد بقصيدة البردة التي نظمها البوصيري في مدح النبي ﷺ ، ودعائه ، وطلب الشفاعة منه ، والالتجاء إليه ، واللياذ به عند الشدائد والحوادث . ولا ينفي اشتغالها على الشرك ودعاء الرسول ﷺ ، وصرف ما هو من خصائص الربوبية والألوهية له إلا جاهل لا يعرف الحق من الباطل . أو متجاهل متبع للهوى قد أعمى الله بصيرته . وقد ذكر شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية — رحمه الله تعالى — في رده على البكري^(١) أربعة آيات من البردة ، وأنكر على قائلها ، وقال فيه : ومنهم — أي المبالغين في الغلو في الرسول ﷺ من يقول أسقط الربوبية وقل في الرسول ما شئت

دع ما ادعته النصرى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
لو ناسبت قدره آياته عظماً أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم
انتهى ما ذكره شيخ الإسلام — رحمه الله تعالى — ولا يخفى على من نور الله قلبه بنور العلم والإيمان ؛ أن قصيدة البردة مشتملة على الشرك بالله ، ودعاء الرسول ﷺ ، والالتجاء إليه ، واللياذ به عند الشدائد ، وسؤاله ما لا يقدر عليه

بعد أن كان مصاباً بالفالج ، وهذا كله لما استشفع بقصيدة البردة التي عملها إلى الله تعالى في أن يعافيه . و زعم بعد ذلك أنه قابل بعض الفقراء ، فطلب منه القصيدة التي سمعها البارحة تنشدين يدي رسول الله ﷺ فرأى رسول الله ﷺ يتمایل وأعجبه ، وألقى على من أنشدتها بردة ... الخ ما ذكره من خرافات الصوفية وكذبهم وباطلهم ، ومن المعلوم ما في قصيدة البردة من إنحرافات عقيدية و غلو في النبي ﷺ .

إلا الله . وقد زعم الناظم أن من جوده الدنيا وضررها — أي الآخرة — وأن من علومه علم اللوح والقلم . وهذا الغلو والإطراء مردود بقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ ^(١) وقوله تعالى : ﴿ قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشداً ﴾ ^(٢) قل إني لن يجيرني من الله أحداً ولن أجد من دونه ملتحداً ﴾ ^(٣) وقوله تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ﴾ ^(٤) وقوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ ^(٥) والآيات في هذا المعنى كثيرة وروى الإمام أحمد والبخاري والدارمي عن ابن عباس — رضي الله عنهما — أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر : سمعت النبي ﷺ يقول : ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ﴾ ^(٦) " (٥) " (٦)

(٤) بيانه لبطلان قول من نسب الإعزاز والإذلال ورفع بعض الناس وخفض بعضهم إلى العصر ؛ لأن ذلك كله من خصائص الرب تبارك وتعالى لا يشاركه فيه أحد من خلقه . يقول — يرحمه الله — : " التنبيه الرابع والثلاثون : قال المؤلف في صفحة ٨٠ من كتابه (عدة المسلمين) في الكلام على العصر ما نصه : " وطالما قد أذل أئمة كانت عزيزة ، ورفع أخرى كانت وضيعة . العصر أعز العادلين ، وأذل الظالمين . " انتهى . وأقول : إن الإعزاز لأقوام ، والإذلال لآخرين ، ورفع بعض الناس ، ووضع بعضهم ، وغير ذلك من تدبير أمور الخلق

(١) الأعراف : ١٨٨ .

(٢) الجن : ٢١-٢٢ .

(٣) النمل : ٦٥ . .

(٤) الأنعام : ٥٩ .

(٥) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء برقم : ٣١٨٩ .

(٦) الرد على الكاتب المفتون : ٢١٤ .

؛ كله من خصائص الرب تبارك وتعالى ؛ لا يشاركه فيه أحد من خلقه . قال الله تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ ^(١) توجل الليل في النهار وتوجل النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ^(٢) . ومن جعل للعصر شيئاً من خصائص الرب تبارك وتعالى ، أو جعل ذلك لغيره من المخلوقات ؛ فقد جعله شريكاً لله في تدبير أمور الخلق تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً . " ^(٣)

^(١) آل عمران : ٢٦ — ٢٧ .

^(٢) التنبيهات المهمة على ما في بعض مؤلفات الصوف من الأخطاء الجمة : ٥٣ (مخطوط) .

ثالثاً : علم الغيب وما يتعلق به من مسائل :

(١) قرر الشيخ — يرحمه الله — أن كل ما أخبر به الرسول ﷺ من أنباء الغيب مما مضى وما سيأتي ؛ فإنه يجب الإيمان به ، وأنه من عقائد أهل السنة ، وأن من قال بأنه ليس من العقائد الدينية فهو إما جاهل أو مكابر . وأن الإيمان بالغيب من أعظم أصول الدين ، وأنه من أعظم هدي رسول الله ﷺ ومن أكد شرعه ، موضحاً ومنبهاً أن هذا الإيمان ليس مقصوراً على ما يقع في زمانه صلوات ربي وسلامه عليه . يقول — يرحمه الله — : " كل ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنباء الغيب مما مضى وما سيأتي ؛ فإنه يجب الإيمان به قال الله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ . (١) " (٢) . ويقول — يرحمه الله — في موضع آخر : " كل ما جاء في الكتاب والسنة من أنباء الغيب ؛ فالإيمان به واجب وهو من عقائد أهل السنة " (٣) ، ويقول — يرحمه الله — : " كل ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنباء الغيب مما مضى وما سيأتي ؛ فإنه يجب الإيمان به ، وهو مما يتعلق بالعقائد الدينية سواء ذكره العلماء في عقائدهم أو لم يذكروه قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ (٥) إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٥) ومن ذلك ما أخبر به رسول الله ﷺ عما سيكون بعده إلى قيام الساعة وما بعد قيامها إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، وما يكون بعد ذلك مما جاءت به الأخبار الثابتة ؛ فكل ذلك حق يجب

(١) النجم : ٣ — ٤ .

(٢) الاحتجاج بالآثر : ٥٥ .

(٣) المصدر السابق : ١٥٨ ، ٢٠٢ .

(٤) الحشر : ٧ .

(٥) النجم : ٣ — ٤ .

الإيمان به سواء ذكر في كتب العقائد أو لم يذكر .^(١) ويقول — يرحمه الله —
 : " ومن قال: إن الإيمان بأنباء الغيب ليس من العقائد الدينية فهو إما جاهل، أو
 مكابر " ^(٢) ويقول — يرحمه الله — : " الإيمان بالغيب من أعظم أصول الدين
 قال الله تعالى : ﴿ آلم ﴾ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴿ ﴾ الذين
 يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴿ ﴾ والذين يؤمنون بما
 أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴿ ﴾ أولئك على هدى من
 ربهم وأولئك هم المفلحون ﴿ ﴾ " ^(٣) . ومن الإيمان بالغيب الإيمان بكل ما أخبر الله به
 ورسوله ﷺ مما كان فيما مضى ، وما سيكون مستقبلاً " ^(٤) ويقول — يرحمه الله —
 : " من أعظم هدي رسول الله ﷺ ، ومن أكد شرعه ؛ الإيمان بما جاء في
 الكتاب والسنة من أنباء الغيب مما كان قبل زمان رسول الله ﷺ وما سيكون
 بعده إلى أن تقوم الساعة ، وما سيكون بعد قيامها أيضاً . " ^(٥)

(٢) كلامه عن مفاتيح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله ﷻ ومنها علم ما
 يكون في المستقبل ، وأن ذلك أمر غيبي لا يجوز الخوض فيه بمجرد الظن
 والتخمين ، وأن من ذلك ما يكون في النشرات الجوية من إخبار عما سيكون
 في المستقبل . يقول — يرحمه الله — بعد إيراد حديث أبي رزين لقيط بن عامر
 بن المنتفق العقيلي رحمه الله الطويل ^(٦) والذي فيه ذكر مفاتيح الغيب الخمسة التي لا

(١) المصدر السابق : ٢٧٦-٢٧٧ .

(٢) المصدر السابق : ١٦٩ .

(٣) البقرة : ١ — ٥ .

(٤) الاحتجاج بالأثر : ٢٩٣ .

(٥) المصدر السابق : ١٨٩ .

(٦) جاء في حديث أبي رزين الطويل قوله ﷺ : ﴿ من ركب ﷻ بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله (أشار بيده) ﴾ قلت : وما هي ؟ قال : ﴿ علم المنية ؛ قد علم منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم المنى حين

يعلمها إلا الله ﷻ وذكر ثلاث وأربعين فائدة مهمة من هذا الحديث يشهد لها القرآن والأحاديث الصحيحة ومنها: " الفائدة الثانية : ذكر مفاتيح الغيب الخمس التي استأثر الله بعلمها . ويشهد لهذا قول الله تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ ^(١) . وقوله تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة ويترل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ ^(٢) . وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبدالله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ﴾ ﴿ إن الله عنده علم الساعة ويترل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ ^(٣) . . . الفائدة الثالثة : الرد على الذين يدعون علم المغييات في المستقبل ، وربما ادعى بعضهم علم مايكون بعد ملايين السنين ، فيصدقهم الجهال ، وينشرون كذبه وجهله في جرائدهم ومجلاهم . ومن هذا الباب ما يذاع في كثير من الإذاعات من الأخبار عما سيكون في المستقبل من الغيوم والأمطار والرياح أو عدم ذلك ، ويسمون هذه الأخبار النشرات الجوية ، وهي من تعاطي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه . وقد قال الله تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ﴾ ^(٤)

يكون في الرحم ، قد علمه ولا تعلمون ، وعلم مافي غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه ، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين ، فيظل يضحك ، قد علم أن غيركم إلى قريب ﴾ ... الحديث .

^(١) الأنعام : ٥٩ .

^(٢) لقمان : ٣٤ .

^(٣) أخرجه البخاري في تفسير القرآن برقم : ٤٤٠٥ ؛ وهو في مسند أحمد برقم : ٤٥٣٦ .

^(٤) النمل : ٦٥ .

وقال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾ إلا من ارتضى من رسول ... ﴿ الآية ^(١) . " ^(٢) . ويقول — يرحمه الله — : " ومن مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها علم ما يكون في المستقبل . فلا يعلم ما يكون في المستقبل إلا الله ، أو من أظهره الله على ذلك من المرسلين كما قال تعالى ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾ إلا من ارتضى من رسول ﴿ الآية ... " ^(٣) . ويقول — يرحمه الله — : " ... ما يقع في المستقبل أمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى ... وإذا علم هذا فإثبات ما يكون في المستقبل يحتاج إلى دليل قاطع من نصوص الكتاب أو السنة ... والمقصود ههنا أنه لا يجوز الخوض في الأمور المستقبلية بمجرد الظن والتخمين ، بل يرد علم ذلك إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم ما كان وما يكون . لا إله إلا هو ، ولا رب سواه . " ^(٤) .

^(١) الجن : ٢٦ — ٢٧ .

^(٢) إتحاف الجماعة : ٣ / ٢٩٣-٢٩٤ . ذيل الصواعق : ٣٨ . أقول هذه المسألة وهي ما يتعلق بالنشرات الجوية قد تحدث عنها بعض أهل العلم ومنهم فضيلة الشيخ محمد العثيمين في شرحه لكتاب التوحيد حيث يقول — يرحمه الله — عند حديثه عن الكهانة : " وليس من الكهانة في شيء من يخبر عن أمور تدرك بالحساب ؛ فإن الأمور التي تدرك بالحساب ليست من الكهانة في شيء ، كما لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر ؛ فهذا ليس من الكهانة ؛ لأنه يدرك بالحساب ... فكل شيء يدرك بالحساب ، فإن الإخبار عنه ولو كان مستقبلاً لا يعتبر من علم الغيب ، ولا من الكهانة . وهل من الكهانة ما يخبر به الآن من أحوال الطقس في خلال أربع وعشرين ساعة أو ما أشبه ذلك؟ الجواب : لا ؛ لأنه أيضاً يستند إلى أمور حسية ، وهي تكيف الجو ؛ لأن الجو يتكيف على صفة معينة تعرف بالموازين الدقيقة عندهم ؛ فيكون صالحاً لأن يمطر ، أو لا يمطر ، ونظير ذلك في العلم البدائي إذا رأينا تجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب ، نقول : يوشك أن يترل المطر . فالمهم أن ما استند إلى شيء محسوس ؛ فليس من علم الغيب . " القول المفيد على كتاب التوحيد : ٢ / ٥٨ — ٥٩ .

فبناء عليه لا تكون النشرات الجوية من تعاطي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه وإنما هي من الأمور الحسية التي تدرك بالحساب . والله أعلم .

^(٣) ذيل الصواعق : ١٤٨ .

^(٤) إيضاح المحجة : ١٨-١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٤١ .

(٣) بيان الشيخ — يرحمه الله — أن كل من ادعى شيئاً من علم الغيب فهو طاغوت كافر ، وأن من زعم أنه يعلم ما يكون في المستقبل فهو من رؤوس الطواغيت ، وأن تعاطي علم المغيبات حرام شديد التحريم .

يقول — يرحمه الله — : "... التكهّن هو التحكّم على الغيب و التعاطي لما استأثر الله بعلمه . قال ابن منظور في لسان العرب : كهّن له وتكهّن له قضى له بالغيب ^(١) . وكذا قال صاحب القاموس ^(٢) . قال ابن منظور : ويقال كهّن له إذا قال لهم قول الكهنة ... وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ، الذي يدعي علم الغيب ، أو يدعي الكشف ^(٣) انتهى . إذا علم هذا فكل من ادعى شيئاً من علم الغيب ؛ فهو طاغوت كافر ، ومن صدقه فهو ممن آمن بالطاغوت . " ^(٤) .

ويقول — يرحمه الله — جواباً على قول الصواف : إن الخيال لا يمكن أن يصل إلى هذه الحقائق العجيبة المذهلة ، التي توصل إليها علم الفلك الحديث : " فجوابه أن يقال : إن الحقائق العجيبة فيما يتعلق بالمغيبات إنما تؤخذ من نصوص الكتاب والسنة لا من غيرها . قال الله تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ ^(٥) وقال تعالى مخبراً عن رسول الله

(١) ١٢ / ١٨٠ .

(٢) القاموس المحيط للفيروز أبادي : ٤ / ٢٦٤ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٣٥ / ١٧٣ .

(٤) إتحاف الجماعة : ٣ / ٢٩٣-٢٩٤ .

(٥) النمل : ٦٥ .

ﷺ : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ **﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾** .^(١) ومن أدعى شيئاً من علم الغيب مما ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ ؛ فهو طاغوت، ومن صدقه فهو ممن آمن بالطاغوت شاء أم أبى. " ^(٢)

ويقول — يرحمه الله — : " علم الفلك نوعان : أحدهما : معرفة البروج الاثني عشر ودرجات الفلك ، ومنازل الشمس والقمر ، وعرض البلدان وطولها ، ومعرفة السميت ، والنظير ، وفصول السنة ، وما تقطعه الشمس في اليوم واللييلة من درجات الفلك ، وما يقطعه القمر منها ، ومعرفة السنة الشمسية والسنة القمرية ، وما بينهما من التفاوت ، ومعرفة أوقات الكسوف والخسوف . وهذا النوع هو الذي كان يشتغل به علماء الفلك قبل ظهور أهل الهيئة الجديدة ، وهو علم كثير العناء ، قليل الجدوى ، يصد المشتغل به عما هو أهم منه من العلوم الدينية ولم يكن الصحابة ولا التابعون وتابعوهم بإحسان وأئمة العلم والهدى من بعدهم يتعلمون من هذا النوع ؛ إلا ما تدعو الحاجة إليه من معرفة القبلة والاهتداء في ظلمات البر والبحر وأما ما سوى ذلك من علوم الفلك ؛ فلم يكونوا يشتغلون به فضلاً عن الاهتمام والعناية به . وعلى هذا فقول الصواف : أن علم الفلك كان من أول العلوم التي لفتت أنظار علماء المسلمين ، وجلبت اهتمامهم وعنايتهم ؛ قول لا أساس له من الصحة النوع الثاني : تخرص أهل الهيئة الجديدة في الأرض والأجرام العلوية وما تحويه وهذا النوع مبني على تعاطي علم الغيب الذي أستاثر الله بعلمه وتعاطي علم المغيبات حرام شديد التحريم فضلاً عن أن يكون من أول العلوم التي لفتت أنظار علماء المسلمين وجلبت اهتمامهم وعنايتهم . " ^(٣)

^(١) النجم : ٣ — ٤ .

^(٢) ذيل الصواعق : ٢٢١ .

ويقول — يرحمه الله — : "وتعاطي علم المغيبات حرام شديد التحريم . ومن أدعى علم الغيب فهو من رؤوس الطواغيت . ومن صدقه ؛ فهو ممن آمن بالطاغوت " (١)

(٤) إيضاح الشيخ — يرحمه الله — لما وردت به النصوص من كون الله قد أطلع عباده بما شاء أن يعلموه من علمه سبحانه وتعالى ، وأن الرسول ﷺ لا يوصف بأنه عالم الغيب ؛ لأن هذه الصفة من خصائص الرب تبارك وتعالى ، ورد على زعم أنه ليس من شأن الرسول ولا من شأن عالم الغيب أن يخبر أمته بكل حادثة تحدث بعد وفاته . يقول الشيخ — يرحمه الله — : " فجوابه من وجهين : أحدهما : أن يقال : لا يخفي ما في كلام ابن محمود من التخليط ، ولا أدري ماذا أراد بقوله : ولا من شأن عالم الغيب ، إلى آخر كلامه ؟! فإن كان أراد به الله تعالى ؛ قيل له : إن الله حي لا يموت وليست له أمة ، وإنما الأمم للرسول . والله رب الجميع . وإن كان أراد به الرسول ﷺ ، قيل له : إن الرسول ﷺ لا يوصف بأنه عالم الغيب ؛ لأن هذه الصفة من خصائص الرب تبارك وتعالى قال الله تعالى :

﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ﴾ (٢) وقال تعالى :

﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾ إلا من ارتضى من رسول ﴿ (٣)

الآية وقال تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ (٤) والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً . والحاصل : أن كلام ابن محمود باطل على الاحتمالين ، وهو من مجازفاته التي قالها ارتجالاً من غير تثبت ولا تعقل . الوجه الثاني : أن يقال :

(٣) ذيل الصواعق : ٣٧ .

(١) المصدر السابق : ١٢٢ .

(٢) النمل : ٦٥ .

(٣) الجن : ٢٦ — ٢٧ .

(٤) التغابن : ١٨ .

إن رسول الله ﷺ قد أخبر أمته بما كان ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وبما يكون بعد ذلك حتى يدخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، وما يكون بعد ذلك أيضاً ، وذلك مما أظهره الله عليه من أمور الغيب . " (١)

كما أوضح الشيخ — يرحمه الله — أن العلم بكل شيء من خصائص الرب تبارك وتعالى لا يشاركه في ذلك أحد من خلقه . يقول — يرحمه الله — : " وأما قوله : (فسبحان من لا يحيط بشيء من علمه أحد) فهو خطأ ظاهر ، ويلزم على هذا الإطلاق أن يكون بنو آدم كلهم جهالاً الأنبياء فمن دونهم . وكذلك الملائكة ، ومؤمنوا الجن . والصواب إثبات ما أثبتته الله تعالى من إحاطتهم من علمه بما شاء أن يعلموه . قال تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ (٢) . فكل ما يعلمه العباد من العلم الصحيح ؛ فهو مما أطلعهم الله تعالى عليه من علمه وشاء أن يعلموه . قال الله تعالى : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾ (٣) قال ابن كثير : أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات ، والهدى ، والفرقان ، وما يحبه الله و يرضاه ، وما يكرهه ويأباه ، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل ، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب ؛ إلا أن يعلمه الله به انتهى (٤) . وقد قال الله تعالى : ﴿ ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾ (٥) وقال تعالى مخبراً عن الملائكة ﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ (٦) ... " (٧) . ويقول — يرحمه الله — معقبات على من يزعم

(١) المصدر السابق : ٢٥٦-٢٥٧ .

(٢) البقرة : ٢٥٥ .

(٣) النساء : ١٦٦ .

(٤) ١ / ٦٠٢ .

(٥) البقرة : ٢٨٢ .

(٦) البقرة : ٣٢ .

أن من عرف ربه عرف كل شيء : " وأقول : هذا القول خطأ ؛ فلا يلزم من معرفة العبد ربه أن يعرف كل شيء ؛ لأنه يلزم على ذلك أن يعرف جميع المغييات ، وجميع ما خلق الله في السماوات والأرض . والعلم بكل شيء من خصائص الرب تبارك وتعالى لا يشاركه في ذلك أحد من خلقه . " (١)

والله اعلم :

محصل جهد الشيخ — يرحمه الله — في هذا المطلب يتمثل في :
أنه — يرحمه الله — أرشد إلى البعد عن كل ما هو من خصائص الربوبية ، ورد على من زعم أن بني آدم يقدرّون على خلق الإنسان وغيره . كما رد على عبارات إطلاقها يؤدي إلى معان شركية . هذا من ناحية .
ومن ناحية أخرى نجده — يرحمه الله — يبين بعض المسائل التي هي داخلية في شرك الربوبية .

ثم مسائل متعلقة بعلم الغيب ، مع تقريره أن كل ما أخبر به النبي ﷺ من أنباء الغيب وجب الإيمان به وأن ذلك من عقائد أهل السنة ، موضحاً ما يتعلق بمفاتيح الغيب الخمسة التي استأثر الله بعلمها ، وأن كل من ادعى شيئاً من علم الغيب فهو طاغوت كافر .

وأخيراً فهو يقرر بأن علم الغيب لا يمكن التوصل إليه بالبحوث ولا يدرك بالأفكار وإنما طريقه نصوص الوحي من الكتاب والسنة ، وأن الرسول ﷺ لا يوصف بأنه عالم الغيب فإن هذا الوصف لا يطلق إلى على الله تعالى الذي يطلع على غيبه من شاء من عباده .

(٧) الصواعق الشديدة : ١٨٠ .

(١) التنبيهات المهمة على ما في بعض مؤلفات الصوف من الأخطاء الجمة : ١٩ (مخطوط)